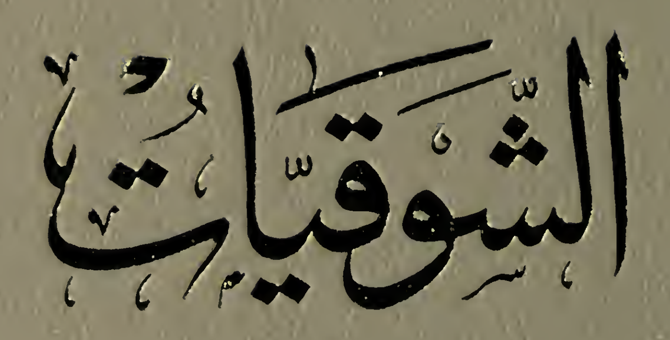


شعر المرحوم
احمد شوقي

المجلد الأول

دار العودة . بيروت





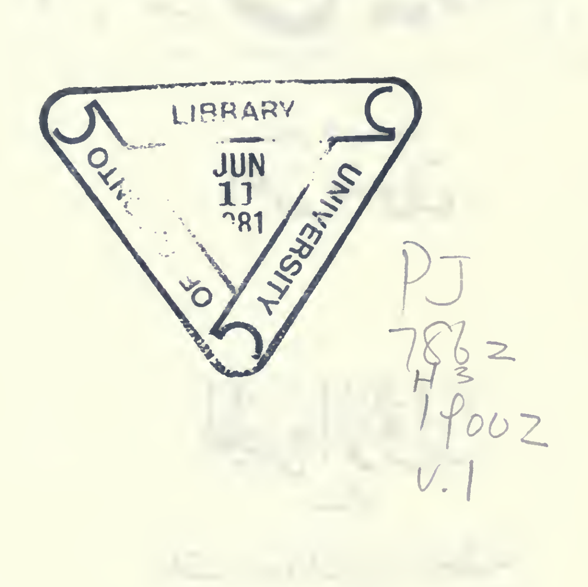
al-Shawqiyat

الشوقيات

شعر المرحوم
احمد شوقي

الجزء الأول
في
السياسة والتاريخ والاجتماع

دار العودة - بيروت


LIBRARY
JUN
11
1981
UNIVERSITY
OF
NTO
PJ
7862
H3
1900z
v.1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل

---

١ — كانت مصر الى حين قدوم الحملة الفرنسوية اليها فى سنة ١٧٩٨ بعيدة عن الاحتكاك بدول أوروبا ، خلا ما كان من مرور بعض التجار والمتاجر بأرضها فى ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق .وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك — تحت سيادة تركيا — تسود فيها الدسائس ، ويعمل كل من أمرائها لما يجر اليه النفع ، وكانت الحركة العلمية والأدبية خامدة فيها خمودها فى سائر بلاد الدولة العثمانية ، وبلغ من ذلك أن تدلى علماء الفقه الاسلامى ، الذين كانوا فى مختلف العصور فخر مصر وزينتها ، وفتر نشاطهم وفسد تتاجهم فى ذلك العصر ، فأما الأدب من شعر ونثر فلم تقم له الى ذلك العصر قائمة منذ امتد سلطان الأتراك على مصر ، وانك لتعجب حين تقرأ كاتبا كالجبرتى أو ابن اياس، لضعف تأليفه ولغته ، ولسقم ما فيه من آثار الأدب شعرا كانت هذه الآثار أم نثرا .

فلما جاء الفرنسيون الى مصر ، وتغلغلوا فيها ، وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء ، رأى المصريون مظهرا جديدا من مظاهر الحياة لم يكن لهم فى تاريخهم الأخير به عهد .

كان من بينهم الأطباء والمهندسون والصناع والقواد ، ومن بينهم قام رفاعة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربى فى مصر ، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماض طويل ، لذلك كان سريان نورها ضئيلا قصير المدى ، لكنها مع ذلك كانت بدءا له ما بعده ، فلما كان عهد

اسماعيل سارت فى سبيل النضج والقـوة ، ثم كانت الثورة العـرابية وما تلاها من الحوادث مثارا لشاعرية أكابر الشعراء من أمثال : سامى باشا البارودى ، واسماعيل باشا صبرى ، ووحيا لخيال شبان كان روح الشعر آخذا بنفـوسهم ، متهيئا ليفيض منها ما ينفخ فى الأدب العربى روحا وقوة .

وكانت الفترة التى انقضت ما بين الحملة الفرنسية فى مصر سـنة ١٧٩٨ واحتلال الانكليز اياها على أثر الثورة العرابية فى سنة ١٨٨١فترة تقلبات سياسية عجت بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارى . فقـد كانت تركيا من قبل ذلك التاريخ فى عهد تدهورها ، وكانت مطمع أطماع روسيا ، فلم تكن تمر حقبة من الزمن من غير أن تشب بينهما حرب تنقص من أطراف المملكة العثمانية ، وضعف تركيا هو الذى دفع محمد عـلى الى غزوها ، لكنه ما كاد يقترب من الآسـتانةحتى تألبت عليـه انكلترا وفرنسا وروسيا مخافة أن يزعجهم قيامه فى عاصمة آل عثمان بين الدول الأوروبية بعد ما كان من انتصاراته الباهرة فى الشرق ومن سعيه لتوطيد قوة السيف وقوة العلم فى مصر ، وكأن ما قامت به الثورة الفرنسـية من نشر مبادىء حرية الرأى والعقيدة لم يغير من نفس تلك الدول التى جعلت من الاسلام والمسيحية والشرق والغرب خصمين لا يتهادنان من غير أن تنطوى الضلوع على حفيظة .

فأما المسلمون فى أقطار الأرض فلم يشتد حقدهم على محمد على، ذلك بأن الدول الاوروبية كافة وروسيا خاصة ، كانت لا تفتأ تشن الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفا على ضعفهم ، فقدانتهت حروب الامبراطورة كاترينا فى سنة ١٨٩٢ بمد الحدود الروسية الى الدنيستر ، ثم تحـالفت روسيا وانكلترا وفرنسا فى سنة ١٨٢٨ ، وسلخن اليونان من جسم الدولة العثمانية ، وأقمنها مملكة مستقلة ، وفى سنة ١٨٥٣ كانت حـرب القرم ، ولولا خوف انكلترا وفرنسا من طغيان روسـيا ومن اكتسـاح الجنس السلافى أوروبا ، لنال الروس من تركيا أكثر مما نالوا من قبل ، ولنفذوا برنامجهم باجلاء الأتراك عن أوربا .

وهذا الضعف والاضمحلال الذى أصيبت الدّولة التركية به هـو الذى جعل المسلمين لا يحقدون على محمد على حين غزا الأتراك متمسكين بقول الشاعر :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى والا فأدركنى ولمـا أمـزق

على أن الحرب التى شبت نارها بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٧٧ والتى خلد فيها الغازى عثمان باشا انتصار الترك بدفاعه المجيد عن (بلفنا) أحيت فى نفوس المسلمين آمالا فى دولة الخلافة كانت توشك أن تنهدم وتنهار .

ولقد كان المصريون الى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين ، ولكنهم كانوا أبدا يفكرون فى اسـتقلالهم عنها ويريدون تحقيقه ، ولم يكن الأمل فى ذلك بعيدا بعد الفرمان الذى اسـتصدره اسماعيل باشا فى سنة ١٨٧٣ واستقل فيه بادارة الدولة ، وبالتشريع لها ، وبانشاء الجيش الذى يقوم بحاجاتها ومطامعها ، لذلك كان عطفهم عـلى تركيا منبعثا عن شـعور دينى بحت لا أثر للتبعية السياسـية فيه ، فلما حطمت انكلترا وفرنسا آمال اسماعيل ، وقضتا عليه باسم ديون مصر ، ودفعتا تركيا الى خلعه ، وانتهت انكلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية ، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء ، وأحس المصريون بتـدخلها فى شئونهم ، اشتد عطفهم على تركيا ، وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم ، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الاسلام ، وقـويت فيهم النزعة الدينية ، وكان من ذلك مازاد النشاط فى بعث الحضارة الاسلامية والأدب العربى فى مصر .

٢ ــ وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية وجد « أحمـد شوقى » ، ولد « بباب اسماعيل » وشب فى جواره ونشأ فى حمـاه ، فكان طبيعيا أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية ، وأن تـكون أكثر تأثرا بها لقربها من المسرح الذى تشتبك فيه أصول هـذه العوامل وأسبابها ، وتضطرب فيه اضـطرابا يخفيه ما تتشى به حياة القصور ، ثم

تصدر الى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت ، وشوقى خلق شاعرا، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس ، لذلك كان لكل هذه العوامل أثر باد فى شعره وفى حياته .

ومع أن شوقى درس فى مصر ، ثم أتم دراسته فى أوربا وتأثر بالوسط الأوربى وبالحياة الأوربية وبالشعر الأوربى تأثرا كبيرا ، فقد ظل تأثره بالبيئة التى وصفنا ظاهرا فى حياته وفى شعره ، كما ظل تأثره بالبيئة الأوربية ظاهرا فيهما كذلك . وانك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه — بعد أن يتم نشرها جميعا — كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر ، الا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر الى عليا سماواته ، وأن كليهما مصرى يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة .

أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالايمان ، مسلم يقدس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شئونه وحوادثه وحى الشعر والهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ فى اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال ، والآخر رجل دنيا يرى فى المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، متسامح تسع نفسه الانسانية وتسع معها الوجود كله ، ساخر من الناس وأمانيهم، مجدد فى اللغة لفظا ومعنى ، وهذا الازدواج ظاهر فى شعر شوقى من أول شبابه الى هذا الوقت الحاضر ، وان كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم ، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم فى شعر شوقى الا قليلا .

ولا تقل : ان الازدواج النفسى شأن الشعراء ، وان أبا نواس الذى كان يقول :

ألا فاسقنى خمرا ، وقل لى : هى الخمر
ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

والذى كان يقول :

دع عنك لـومى : فان اللوم اغراء ‏ ‏ وداونى بالتى كانت هى الـداء

هو أبو نواس الذى كان يقول :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ‏ ‏ له عن عدو فى ثيـاب صـديق

فليس هذا من أبى نواس ازدواجا فى الروح ، وما الحكمة الزاهدة عنده الا فتور نفس أجهدتها اللذة فأضعفتها ، فأخافها الضعف ، فألجأها الى حمى الحكمة والزهد ، والى استغفار الله والتـوبة ، لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود الى نعيم التـرف والاباحة ، وذلك هو السر فى أنك لا ترى الزهد فى شعر أبى نواس الا عرضا واستثناء ، وذلك شأن الشعراء جميعا الا قليل منهم ، وشوقى من هذا القليل ، ففى شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستـقلة ، كأنما صاحبهـا غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حـف كأسـها الحـبب ‏ ‏ فهى فضـة ذهـب

أو تقرأ :

رمضان ولى ، هاتها ياسـاقى ‏ ‏ مشتـاقة تسـعى الى مشـتاق

فتراك فى حضرة شاعر مغـرم بالحيـاة وبمتاعها ونعمتهـا ، شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب نهج البردة التى مطلعها :

ريم على القاع بين البـان والعلم ‏ ‏ أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وصاحب الهمزية الذى يقول :

ولد الهدى ، فالـكائنات ضـياء ‏ ‏ وفـم الزمـان تبسـم وثنـاء

وهذان الروحان ، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران فى نفس شوقى ، وتصدران عنها وهى فى كل قوتها وسلطانها ، وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلىء اعجابا بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشد اعجابا بكلمة الايمـان وروح الحق ورسـالته ،

وأنت لا تشعر فى أى الحالين بضعف نفسانى عند الشاعر دفع به الى لبوس روح غير روحه ، بل أنت فيهما جميعا يبهرك شوقى بقوة شاعريته الممتلئة حياة وخيالا ، والتى تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الايمان .

كيف كان هذا الازدواج ؟ كيف جمع شوقى فى نفسه بين هذين الشاعرين ، شاعر الحياة العربية بحضارتها الاسلامية وبما فيها من قدم وايمان ، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد ؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة . فقد تزدوج فى نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفا وشاعرا ، كما كان المعرى أو كما كان فولتير ، فأما أن يكون الرجل شاعرا وحدة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقى ، فذلك عجب فى شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام .

على أن لهذا الازدواج سببا لم يكن مفر من أن يؤدى اليه ، ذلك أن شوقى كان فى طبع شبابه رسول الحياة ، كان شاعر :

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهب

لكن هذا الشباب لم يكن فى ملك نفسه ، فقد بعث به الخديو توفيق باشا ليتم علومه فى أوروبا ، وكان من قبل ذلك شاعرا متفوقا ، وكان فى تفوقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه اياه نفسه . فلما عاد الى مصر اتصل بالأمير الشاب عباس حلمى باشا وصار كلمته ، ورأى يومئذ صنوا له على العرش جعلته روحه الشابة مقداما لا يهاب . ومع ما فوجىء به أول ولايته فى حادث عرض الجيش فى السودان — مما اضطره للاعتذار — قد بقى شبابه يدفعه الى ما كان يندفع اليه جده اسماعيل من مغامرة ، لكن قيام الاحتلال الانكليزى فى مصر جعل الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك ، بل لقد كان منظورا اليه أكثر الأحيان بشىء غير قليل

من العطف فى بلاد آل عثمان . لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون فى الخليفة الموئل الأخير لأمم الاسلام جميعا .

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب ، فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينة فى نفوس المسلمين جميعا ، لا فى نفوس المصريين وحدهم ، وبذلك اجتمع فى نفسه من أول حياته ميله للحياة ؛ وحبه اياها ، وحرصه على المتاع بها ، مع ايمان المسلمين جميعا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم ، بازاء الامم الغربية التى تنظر اليهم بعين صليبية بحتة ، وكانت هذه الناحية التى تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به ، أكثر استيحاء لشعره من الناحية الاولى التى هى طبيعة نفسه ، فكان بذلك كالرجل القوى الذى يرى وطنه فى خطر ، ويصبح جنديا ؛ وجنديا باسلا ، ويتفوق فى كل مواقف الحرب ، ويصبح القائد الأعظم ؛ ولو أن وطنه لم يكن فى خطر لرأيته صديق النعمة ، السعيد بها غاية السعادة .

٣ — وهذا الجزء الأول من ديوان شوقى فيه طائفة من شعره أوحى اليه بها على أنه ممثل المصريين والعرب والمسلمين ، وأولى قصائده التى مطلعها :

همت الفلك ، واحتواها الماء   وحداها بمن تقل الرجاء

هى رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة الى عهد أبناء محمد على ، وقف فيها الشاعر وقفة مصرى صادق العاطفة تفيض عليه ربة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ ، أى منذ عرف الناس شيئا اسمه التاريخ ، وأنت تراه فى عرضه هذا التاريخ مستلىء النفس فخرا بمجد مصر حين يرتفع بها المجد الى عليا ذراه ، آسفا حزينا حين تمر بمصر فترات ظلم وذلة ، مستفزا للهمم ، حافزا لعزائم أهل جيله والأجيال التى بعده ؛ كى يعيدوا مجد الماضى وعظمته .

وتراه فى انتقاله من الفخر الى الأسف الى الاستفزاز يسير مع

الحوادث متدفقا ، مندفعا فوق موج الماضى ، آتيا من لا نهايات القدم ، كأننا هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد ، يدفع اليها كل جيل نسائمه ، فتتغنى وتشدو بأهازيج النصر ، وبترانيم المسرة طورا ، ويشجو الألم أحيانا (١) .

وللقدم وللماضى على نفس الشاعر أثر يذهب الى أعماقها . وليس لمثل الآثار المصرية من القدم نصيب ، فهذه الأهرام ما تزال تحتوى من الطلاسم ما يحار العقل فى حله ، وهذا أبو الهول فى مجثمه بين رمال الصحراء أكثر ثباتا من الليل والنهار ومن الشمس والقمر ، وهو فى روعة صمته ينطق كل خط خطته الدهور على صحائف جثمانه ، بما حوته من عبر أيسرها دوام انهيار الأشياء لدوام تجددها ، وهذا الملك الشاب «توت عنخ آمون» نبش قبره النابشون باسم العلم فاذا فيه من طرف الفن ما يزرى بكل فن وعلم ، هذه وسواها من الآثار تثير فى النفس — الى جانب صورتها الظاهرة وما يدل عليه ابداع صنعها ودقة فنها من حضارة كملت لها كل أنواع الحضارة — صورة الماضى الذاهب فى القدم الى أغوار الأزل ، وتثير من شاعرية شوقى معانى بالغة الموعظة والعبرة مبلغها من السمو والعظمة .

وأنت اذ تقرأ قصائده : على سفح الأهرام ، وأبو الهول ، وتوت عنخ آمون يهزك الشعور بصورة هذا الماضى فى قداستها ومهابتها ،

---

(١) انظر الانتقال فى هذه الأبيات التى اخترناها :

قل لبنان بنى فشاد فغالى ... لم يجز مصر فى الزمان بناء
أجفل الجا عن عزائم فرعو ... ن ودانت لبأسها الآباء
زعموا أنها دعائم شيدت ... بيد البغى ملؤها ظلماء
ان يكن غير ما أتوه فخار ... فأنا منك يا فخار براء
لا زعاك التاريخ يا يوم قمبـ ... ـيز ولاطنطنت بك الأنباء
جئ بالمالك العزيز ذليلا ... لم تزلزل فؤاده البأساء
بنت فرعون فى السلاسل تاشى ... أزعج الدهر عريها والخفاء
والأعادى شواخص وأبوها ... بيد الخطب صخرة صماء
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ... ن وفرعون دمعة العنقاء

وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا الى سماوات الخلد ذلك بأن شوقى يهديك المعنى الذى كانت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه ، ويرسم أمامك بوضوح وقوة وسمو خيال ونبل عاطفة كل ما ينبض به قلبك ويهتز له فؤادك .

خلع القدم على هذه الآثار معنى البقاء والثبات ، لذلك كان ما يفيض من الوحى الى روح شاعر الشرق ثابتا باقيا ، لا تزعزعه الحوادث ، ولا تعصف به الغير ، فأما ما سوى ذلك من شئون هذه العصـور الحديثة فشوقى فيه هو كلمة الأمة ، وفى هذه العصور الحديثة تغير قـدر الناس للحوادث اصغارا واكبارا ، بمبلغ رجائهم فيها ، أو خشيتهم آثارها ، وقد تعجب اذ ترى قصـيدتين من أبدع قصـائد شوقى وأحـراها بالخـلود متجاوزتين فى هذا الجزء الأول من الديوان : احداهما فى وداع لـورد كرومر ومطلعها :

أيامـــكم ، أم عهـد اسماعيلا أم أنت فرعون يسوس النيــلا ؟

والثانية فى ارتقاء السلطان حسين كامل على أريكة مصر ، ومطلعها :

الملك فيـــكم آل اســماعيلا لا زال بيتـــكم يظل النيـــلا

فترى الشاعر ينظر فى كل من القصيدتين الى الحوادث والأشخاص بغير ما ينظر اليها فى الأخرى ، ثم تجد مثل هذا فى غير هاتين القصيدتين . وليس لذلك من عـلة الا الاضطراب الذى أصاب العـالم قبل الحـرب وبعدها ، والذى ما يزال عظيم الأثر على تفكير المفـكرين وكتابة الكتاب وشـعر الشـعراء .

على أن هذا التأثر بالحوادث فى بعض الشئون التى لا يستقر للناس فيها عادة رأى قبل أن يصدر التاريخ عليها حكما خاليا من الغـرض ، لا يؤثر بشىء فى روعة القصائد التى كان فيها ، وهو بعد لا يشغل من هذه القصائد الا حيزا ضيقا ، فان شـوقى لا يزيد فى القصائد التى تقـال لمناسبة حادث من الحوادث على أن يشير لهـذا الحادث بأبيـات خلال

القصيدة وفى آخرها ، فأما أكثر أبيات القصيدة فحكم غوال ، أو وصف رائع ، أو ما سوى ذلك مما يلذ عقل شوقى أو خياله أن يفكر فيه أو يلهو به . وهذه الحكم لم يتغير تقدير شوقى لها ، فهو يرى أن الامم لا تقوم على دعامة غير دعامة الاخلاق ، وهو يرى ذلك برغم ما قد يبدو فى بعض الامم القوية من تدهور فى الاخلاق ، فالعلم عنده حسن وله فائدته ، والغنى حسن كذلك ، وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم ، لكنها جميعا لا فائدة من رقيها وغزارتها اذا انحطت أخلاق الأمة ، فأما أن قويت هذه الأخلاق فقليل من ذلك كله كاف ليرتفع بالأمة الى ذروة المجد والسؤدد .

وليس معنى هذا أن شوقيا يحقر من شأن ما سوى الأخلاق ، فله عن العلم والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بينات ، لكنما معناه أن الأخلاق عنده فى المحل الأول ، وهو لا يمل من أن يكرر الدعوة الى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الأمم فى كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر ، وكثير من أبياته فى هذا المعنى قد أصبح مثلا يتداوله كل كاتب ، وكل أستاذ ، وكل تلميذ ، ويردده الجميع على أنه الحكمة لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها ، أو لا ترى قوله :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قد بلغ من تواتره على الألسن أن أصبح الكثيرون لا يعرفون ان كان لشوقى أو لشعراء العصور الزاهرة فى أيام العرب الا لأنهم يريدون أن يكون فخر هذا البيت وغيره من مثله لهم ، بنسبته لشاعر مصر والشرق فى عصرهم .

٤ ــ الى جانب مقام العاطفة الوطنية التى هى قوة متسلطة على نفس شوقى ، تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة ، وربما كانت أشد أخذا بهذه النفس واثارة لشاعريتها ، تلك هى العاطفة الاسلامية ، فشوقى شاعر الاسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة الى جهتين ، ثم الى قومين : فهى تتجه صوب مكة مسقط رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومقام ابراهيم كعبة المسلمين

وقبلة أنظارهم ، ومكة فى بلاد العرب ، والنبى عربى ، والقرآن عربى . وهى تتجه — أو كانت تتجه — صوب الاستانة ، مقر الخلافة الاسلامية . ومقام الخليفة من آل عثمان . والاستانة عاصمة الترك ، وخليفة المسلمين كان تركيا . فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره — الى حين ألغيت الخلافة — نحو مكة ونحو الاستانة ، يستمد من الأولى المدد الروحى ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع .

الى جانب ما يرجوه المسلم من أهل بلاد الشرق العربى فى مكة من مدد روحى ، تحرك نفسه الى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هى العاطفة العربية ، هى عاطفة هذه اللغة التى تربط اليوم أكثر من سبعين مليونا ، أكثرهم مسلمون ، وكلهم خاضع لما يخضع له غيره من بطش القوة وسلطان التحكم ، واللغة فى حياة الأمم ليس شأنها هينا ، فأمة لا لغة لها لا حياة لها . ورقى اللغة فى أمة آية صادقة من آيات رقيها ، وما دام العرب مصدر اللغة ، وعلى رجل منهم هبط الوحى ، وبينهم قام صاحب الشريعة فلهم — عند المسلمين كافة وعند الذين يتكلمون العربية خاصة — حرمة تدفعهم الى التغنى بآثارهم ، والاشادة بقديم مجدهم ، وتمنى خير الأمانى لهم .

لذلك كان العرب ، ومكة ، والوحى ، والقرآن ، والاسلام ، والرسول ، كلها معان لها من الأثر فى نفس شوقى ما ليس لسواها من آثار الماضى ، ولذلك لم يكن شوقى يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسية صرفة ، بل انه ليؤمن بهذه المعانى ايمانا يتجلى فى الكثير من قصائده على صورة تتركنا فى حيرة. كيف يبلغ الايمان من نفس هذا المحب للحياة كل هذا المبلغ ؟ فلا نجد لحيرتنا جلاء الا من الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ، ونهج البردة ، وقصيدته فى ذكرى المولد التى مطلعها :

سلوا قلبى غداة سلا وثابا لعل على الجمال له عتابا

لترى فى غير ابهام أنه انما أملت هـذه القصائد قـوة غلبت طبع الشاعر ، هى قوة الايمان !

لكنك قد يدهشك مع تجلى الايمان فى هذه القصـائد وغيرها أن يكون شوقى أكثر تحدثا عن التـرك وعن الخليفة منه عن العـرب وعن الرسول ، فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل على ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة ، ويشتمل على ثمانى عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك ، وأنت تلمس فى هذه القصائد الثمانى عشرة جميعا حسا أدق من العاطفة ، وفيضا أغزر من الشعر ، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقيا اذ يتحدث عن الترك انما يملى ما يكنه فؤاده ، وانما يندفع بقوة كمينـة هى قـوة دم الجنس ، أو أن اتصاله بالبيت المالك فى مصر كان قوى الأثر فى نفسه الى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد على .

وليس عليك الا أن تقرأ أيا من قصائده التركية ، لتقتنع بما نقول .

اقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمـانية اليونانية التى مطلعهـا :

بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب   وينصر ديـن الله أيـان تضرب

أو قصيدته فى رثاء أدرنة ، أو تحيته للترك أيام حرب اليونان ، اقرأ أيا من هذه القصائد التى قيلت قبل الحرب الكبرى ، أو اقـرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على أثر انتصار الأتراك على اليونان ، كقصـيدته التى مطلعها :

الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العـرب

وانك لمؤمن حقا بأن هذه القصائد التركية هى أقوى قصائده عن الحوادث وأصدقها حسا وعاطفة .

ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت فى الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقى اتصال بها ، فكانت لذلك تهزه أكثر مما تهز سواه . فالترك — فوق أنهم كانوا مقر الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية وأصحاب السـيادة على مصر سيادة يشلها الاحتلال الانجليزى — يجرى من دمهم فى عروق الشـاعر

الكبير ، ومنهم أصحاب عرش مصر ــ يومئذ ــ الذين ببابهم ولد شوقى وفى جماهم شب ونشأ .

وقد بلغ من حب شوقى للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضـائل لا تشوبها نقيصة .

ه ــ على أن شوقيا ــ وان كان شاعر مصر ، وشاعر العرب ، وشاعر المسلمين ، وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والايمان ونعيمه ــ له ذاتيته التى لا تخفى ، فهو شاعر الحكمة العامة، وهو شاعر اللغة العربية السليمة ، وانك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد فى القصيدة غير أبيات معدودة تدخل فى موضوع العنوان، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقى هواه ، ومـا أحسب شاعرا بالغ فى ذلك ما بالغ شوقى ، ولست أضرب لك مثـلا لذلك ممـا فى هذا الجزء الأول من الديوان الا بقصـائد ثلاث : لجـان التموين ، والانقلاب العثمانى ، وبين الحجاب والسفور . هـذا وانك واجد فى غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر لك منه ما ألقينا به اليك ، فشيطان شوقى أشد حرصا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص ، أما القصائد التى بلك موضوعها أبياتها جميعـا فهى القصائد التى مـلك موضوعها شوقيا فأنساه نفسه ، بما كان له فى هذا الموضوع من لذة ومتـاع ، وما أفاضه على شاعريته من وحى والهام .

وحكمة شوقى ، وما يصدر عنه من وصف وغزل ، وما يميز شعره جميعا يبدو كأنه شرقى عربى لا يتأثر بالحياة الغربية الا بمقدار ، وهـذا طبيعى ما دام شوقى شاعر العرب والمسلمين ، وما دام يجد فى الحضـارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنيـة الغربية الا بالمقـدار الذى تحتاج اليه أمم الشرق فى حياتها الحاضرة لسيرها فى سبيل المنافسة العامة . ولقد ترى شوقيا يغلو فى شرقيته وعربيته أحيانا ، ولقد تراه يتعمد ذلك فى لفظه ومعناه ، وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو الى نسيان ما خلف السلف من تراث والأخذ بكل ما ينبع به الحاضر من وراء الغرب .

وقد يكون غلو شوقى أكثر وضوحا فى جانب اللغة منه فى جانب المعانى ، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما فى الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقى وترضاه الحضارة الشرقية ، أما لغته فتعتمد على بعث القديم من الألفاظ التى نسيها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لايعرفونها، ولعل سر ذلك عند شوقى أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل لقد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة ، ممن يفيضون على الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها ، والبعث لها الى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دراسة ومدنية وليدة ، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه .

ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديرا قدرة شوقى على أن يبعث فى الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها فى الحاضر ، وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما تكن تتسع له من قبل المعانى والأخيلة والصور ؟ ان اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين لأن هومير كتب بها الياذته ، واللاتينية ما تزال حياتها كمينة وان تدثرت بحجب الماضى أن كتب بها فرجيل شعره ، واللغة العربية هى حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونا من أهل هذا الشرق العربى ، وهى حية وستبقى أبدا حية ، ولكن كمال حياتها يحتاج الى أن يبعث الله لها أمثال شوقى ، ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالا .

وما أنا بحاجة الى أن أدل على هذه القوة ، وتلك الروعة ، وذلك الجمال ؛ فكل أديب أو متأدب يعرف منها ما أعرف ، وها هى ذى مجلوة فى هذا الديوان بكل ما لشوقى على اللغة والأدب والشعر من سلطان .

كبار الحوادث فى وادى النيل *

هَمَّت الفُلكُ ، واحتواها الماءُ   وحَدَاها بمن تُقِلُّ الرجاءُ(١)

ضرب البحرُ ذو العُباب حَوَاليْ   ها سماءً قد أكبرتها السماءُ(٢)

ورأى المارقون من شَرَك الأر   ضِ شباكًا تمدّها الدأماءُ(٣)

وجبالاً موائجًا فى جبالٍ   تتدجَّى كأنها الظلماءُ(٤)

ودَوِيًّا كما تأهَّبت الخيـ   لُ وهاجت حُماتَها الهيْجَاءُ

لُجَّةٌ عند لجةٍ عند أُخرى   كهِضَاب ماجت بها البيْداءُ

وسَفِينٌ طورًا تَلوحُ ، وحيناً   يتوَلَّى أشباحَهنَّ الخفاءُ(٥)

نازلاتٌ فى سيرها صاعداتٌ   كالهوادى يَهُزُّهنّ الحُداءُ(٦)

ربِّ ، إن شئتَ فالفضاءُ مَضِيقٌ   وإذا شئتَ فالمضيقُ فضاءُ

فاجعل البحرَ عصمةً ، وابعث الرحـ   مةَ فيها الرياحُ والأَنواءُ(٧)

أَنت أُنسٌ لنا إذا بَعُدَ الأَنـ   سُ ، وأَنت الحياةُ والإحياءُ

يتولَّى البحارَ ــ مهما ادلهمَّت ــ   منك فى كل جانب لألاءُ

وإذا ما عَلَت فذاك قيامٌ   وإذا ما رَغَتْ فذاك دعاءُ(٨)

فإذا راعها جلالُك خَرّتْ   هيبةً ، فهْىَ والبساطُ سواءُ

---

* قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان مندوبا للحكومة المصرية فيه

١ ــ حدا الابل ، وحدا بها : ساقها وغنى لها ــ ٢ ــ العباب : ارتفاع السيل أو الموج ــ ٣ ــ مرق السهم من الرمية مروقا : نفذ فيها وخرج من الجانب الاخر ، فهو مارق والمقصود هنا الهارب . الدأماء : البحر ــ ٤ ــ تدجى الليل : أظلم ــ ٥ ــ السفين : جمع سفينة ــ ٦ ــ الهوادى : أول رعيل من الابل . الحداء : الغناء فى أثر الابل ــ ٧ ــ الأنواء الأمطار ــ ٨ ــ رغا : ضج فى صوته

والعريضُ الطويل منها كتابٌ ... لك فيه تحيةٌ وثناءُ

يازمانَ البحار ؛ لولاك لم تُفْ ... جَع بنُعْمى زمانها الوَجْناءُ(١)

فقديماً عن وَخْدِها ضاق وجهُ الـ ... أَرضِ ، وانقاد بالشِّراع الماءُ(٢)

وانتهت إِمْرةُ البحار إلى الشر ... ق ، وقام الوجود فيما يشاءُ

وبنيْنَا ، فلم نُخَلِّ لِبانٍ ... وعلونا ، فلم يَجُزْنا علاءُ

وملكنا ، فالمالكون عبيد ... والبرايا بأَسرهم أُسَراءُ

قل لبانٍ بنى ، فشاد ، فغالى : ... لم يجز مصر فى الزمان بِناءُ

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجبـ ... ـالُ شُمًّا ، وأن تُنالَ السماءُ(٣)

أَجْفل الجنّ عن عزائم فرعو ... ن ، ودانت لبأُسها الآناءُ(٤)

شاد ما لم يَشِدْ زمانٌ ، ولا أَنْـ ... ـشأَ عصرٌ ، ولا بنى بنّاءُ

هيكل تُنْشَر الديانات فيه ... فهى والناسُ والقرونُ هَباءُ

وقبورٌ تحطُّ فيها الليالى ... ويُوارَى الإِصباح والإِمساءُ

تشفق الشمس والكواكبُ منها ... والجديدان ، والبِلى ، والفناءُ(٥)

زعموا أَنها دعائمُ شِيدَتْ ... بيَدِ البَغْيِ ، مِلْؤها ظلماءُ

فاَعذُرِ الحاسدين فيها إذا لَا ... مُوا ، فصعبٌ على الحسودِ الثَّناءُ

دُمِّر الناسُ والرعيّةُ فى تشـ ... ـييدها ، والخلائقُ الأُسَراءُ

أَين كان القضاءُ ، والعدل ، والحكـ ... ـمة ، والرأى ، والنُّهَى ، والذكاءُ

وبنو الشمس من أَعزّة مصرٍ ... والعلومُ التى بها يُستضاءُ

---

١ ــ الوجناء : الناقة الشديدة ــ ٢ ــ وخدها : سيرها السريع وسعة خطوها ــ ٣ ــ الأجبال : جمع جبل . والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع . ٤ ــ أجفل : نفر وفر خائفا ــ ٥ ــ الجديدان : الليل والنهار .

فَادَّعَوْا ما ادّعى أصاغرُ آثيـ　　نا ، ودعواهمُ خَنًا وافتراءُ(١)

ورأوا للذين سادوا وشادوا　　سُبَّةً أن تُسخَّر الأَعداءُ

إن يكن غيزَ ما أتَوْه فَخَارٌ　　فأنا منك - يافخارُ - بَراءُ

ليت شعرى ، والدهرُ حربُ بنيه　　وأياديه عندهم أفياءُ(٢)

ما الذى داخلَ الليالىَ منا　　فى صبانا ، ولليالى دهاءُ ؟(٣)

فَعَلا الدهرُ فوقَ علياء فرعو　　نَ ، وهمَّتْ بمُلْكِه الأَرزاءُ ؟

أَغلنت أمرَها الذئابُ ، وكانوا　　فى ثياب الرُّعاة من قبل جاءُوا(٤)

وأتى كلُّ شامتٍ من عِدَا المُلْـــــكِ إليهم ، وانضمّت الأَجزاءُ

ومضى المالكون ، إلا بقايا　　لهُمُ فى ثَرى الصعيد التجاءُ

فعلى دولةِ البُناةِ سلامٌ　　وعلى ما بنى البناةُ العَفاءُ

وإذا مصرُ شاةُ خيرٍ لراعى السـ　　ـوءِ ، تُؤذى فى نسلها وتُساءُ

قد أذلّ الرجالَ ، فَهْىَ عبيدٌ　　ونفوسَ الرجال ، فَهْىَ إماءُ

فإذا شاء فالرقابُ فداه　　ويسيرٌ إذا أراد الدماءُ

ولقومٍ نوالُه ورضاه　　ولأقوامٍ القِلىٰ والجفاءُ(٥)

ففريق ممتَّعون بمصر　　وفريق فى أرضهم غرباءُ

إن ملكتَ النفوسَ فابْغِ رضاها　　فلها ثورةٌ ، وفيها مَضاءُ(٦)

يسكن الوحش للوثوب من الأَسـ　　ـرِ ، فكيف الخلائقُ العقلاءُ ؟

---

١ — الخنا : الفحش فى الكلام — ٢ — الأفياء : جمع فىء ، وهو الغنيمة ، والمراد أن الدهر لا يحسن الى الناس الا راغما ؛ فكأنهم لا يظفرون منه بنعمة الا كغنيمة حرب — ٣ — أى تفعل فعل الدهاة — ٤ — ملوك الرعاة أو الهكسوس : فاتحون من آسية انتهزوا فرصة الضعف الذى حل بالبلاد على اثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة والتنازع الذى حدث على الملك بين طبقة الاشراف، فغزوها فى سنة ١٦٧٥ ق.م — ٥ — القلى : البغض — ٦ — مضاء السيف : نفاذه فى فى الضريبة .

يحسب الظالمون أن سيسودو ن ، وأن لن يُؤيَّد الضعفاءُ
والليالى جوائرٌ مثلما جا روا ، وللدهر مثلهم أهواءُ

* * *

لبثت مصرُ فى الظلام ، إلى أن قيل : مات الصباحُ والأضواءُ
لم يكن ذاك من عمًى، كلُّ عينٍ حَجَبَ الليلُ ضوءها عمياءُ
ما نراها دعا الوفاءُ بنيها وأتاهم من القبور النداءُ
ليزيحوا عنها العدا ، فأزاحوا وأُزيحت عن جفنها الأقذاءُ
وأُعيد المجدُ القديم ، وقامت فى معالى آبائها الأبناءُ
وأتى الدهر تائباً بعظيمٍ من عظيم ، آباؤه عظماءُ
مَنْ كرمسيسَ فى الملوك حديثًا ولرمسيسٍ الملوكُ فِداءُ(١)
بايعته القلوبُ فى صُلب سِيتى يوم أن شاقها إليه الرجاءُ
واستعدّ العُبَّادُ للمولد الأكـ بر ، وازّيّنت لَه الغبراءُ
جَلّ سيزوستريسُ عهْدًا ، وجَلَّتْ فى صباه الآياتُ والآلاءُ
فسمعنا عن الصبيِّ الذى يعـ فو ، وطبعُ الصِّبا الغشوم الإباءُ
ويرى الناسَ والملوكَ سواءً وهل الناسُ والملوكُ سواءُ ؟
وأرانا التاريخُ فرعونَ يمشى لم يَحُل دون بِشْرِهِ كبرياءُ

* * *

---

١ ــ هو رمسيس الثانى ابن سيتى الأول : احد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية ، ولى عرش مصر وهو صغير ، واستمر حكمه من سنة ١٢٩٢ ــ ١٢٢٥ قبل الميلاد . ويعرف برمسيس الأكبر ، لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التى جعلت كثيرا من الناس يزعمون انه اعظم ملوك مصر ، والذى كون له هذه الشهرة الكبيرة تلك المبانى العديدة التى شيدها فى جميع انحاء البلاد .

يولد السيدُ المتوَّجُ غَضًّا طهَّرَتْه فى مهدها النعْماءُ(١)
لم يغيِّره يومَ ميلاده بؤ سٌ ، ولا ناله وليدًا شقاءُ
فإذا ما الملقَّنون تولَّوْ ه تَوَلَّى طباعه الخيلاءُ(٢)
وسرى فى فؤاده زخرفُ القو ل ، تراه مستعذَباً وهو داءُ
فإذا أبيضُ الهديل غرابٌ وإذا أَبْلَجُ الصباح مَساءُ(٣)

* * *

جَلَّ رمسيسُ فِطْرَةً ، وتعالى شيعةً أن يقوده السفهاءُ
وسما للعُلا ، فنال مكاناً لم ينله الأَمثال والنُّظَراءُ
وجيوش ينْهضْنَ بالأَرض ملكًا ولواءٌ من تحته الأَحياءُ
ووجود يُساس ، والقول فيه ما يقول القضاة والحكماءُ
وبناءٌ إلى بناءٍ ، يودُّ الخلْ دُ لو نال عمرَه والبقاءُ
وعلومٌ تُحيي البلاد ، وبنتا هُورُ فخرُ البلاد ، والشعراءُ(٤)
إيهِ سيزوستريس ، ماذا ينال ال وصفُ يوماً ، أو يبلغ الإطراءُ
كبُرتْ ذاتك العليَّة أن تُحـ صِى ثَنَاها الأَلقابُ والأَسماءُ
لك آمونُ ، والهلالُ إذا يكـ برُ ، والشمسُ ، والضحى ؛ آباءُ(٥)
ولك الريفُ ، والصعيدُ ، وتاجَا مصر ، والعرشُ عالياً ، والرداءُ
ولك المنشَآت فى كل بحر ولك البرُّ أَرضُه والسماءُ

---

١ ـ الغض : النضير ٢ ـ الخيلاء : العجب والكبر
٣ ـ الهديل : ذكر الحمام . وبلج الصباح أشرق وانار
٤ ـ بنتاهور : شاعر مصرى قديم .
٥ ـ آمون اله الشمس فى اعتقاد القدماء ، وقد كان القدماء يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة التى أشير اليها فى هذا البيت بالشمس والقمر

ليت لم يُبْلِكَ الزمانُ ، ولم يَبْـ لَ لِمُلْك البلادِ فيك رجاءُ
هكذا الدّهرُ : حالةٌ ثم ضدٌّ ما لحال مع الزّمان بقاءُ

* * *

لا رَعَاك التاريخُ يا يومَ قمبيـ زَ ، ولا طَنْطنت بك الأَنباءُ(١)
دارت الدّائراتُ فيك ، ونالت هذه الأُمّةَ اليدُ العَسْراءُ
فبمصر مما جنيتَ لمصرٍ أىُّ داءٍ ، ما إن إليه دواءُ(٢)
نكدٌ خالدٌ ، وبؤسٌ مقيم وشقاءٌ يجدّ منه شقاءُ
يَوم مَنْفِيسَ ، والبلادُ لكسرى والملوكُ المطاعةُ الأَعداءُ(٣)
يأْمر السيفُ فى الرِّقاب ، وينهى ولمصرٍ على القَذَى إغضاءُ
جِئ بالمالك العزيز ذليلاً لم تُزلزِلْ فؤادَه البأْساءُ
يُبصِر الآلَ إذ يُراح بهم فى موقف الذّل عَنْوَةً ، ويُجاءُ
بنتُ فرعونَ فى السلاسل تمشى أزعج الدهرَ عُرْيُها والحفاءُ(٤)
فكأَنْ لم ينهض بَهوْدجها الدهـ رُ ، ولا سار خلفها الأُمراءُ(٥)

* * *

---

١ ــ قمبيز : أحد ملوك الفرس ، استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق.م ، وسلك فى المصريين مسلك العسف والظلم ، وخرب المعابد والهياكل ، وقتل العجل أبيس اله المصريين وغير ذلك . ويوم قمبيز : هو اليوم الذى انتصرت فيه جيوشه على جيوش أبسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين فى الفرما ومنف ، والذى أخذ فيه الملك أسيرا فأذيق من الذل ما سترى . وطنطن : صوت

٢ ــ ان : هنا زائدة . وما : نافية ، بمعنى ليس

٣ ــ منفيس : هى منف التى ذكرناها وكانت العاصمة حينئذ . وكسرى : اسم لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا قمبيز ــ ٤ ــ الحفا (مقصورة ومدت) : المشى بلا خف ولا نعل ــ ٥ ــ الهودج : محمل النساء .

وأبوها العظيم ينظر لما رُدِّيَتْ مثلما تُردَّى الإماءُ(١)
أُعطيت جَرَّةً ، وقيل : إليكِ النهـــرَ ، قُومى كما تقوم النساءُ
فمشت تُظهر الإباءَ ، وتحمى الدَّمْـــعَ أن تَسترِقَّه الضَّرَّاءُ(٢)
والأَعادى شواخصٌ ، وأبوها بيَدِ الخَطب صخرةٌ صمَّاءُ(٣)
فأرادوا لينظروا دمع فرعو نَ ، وفرعونُ دمعُه العنقاءُ(٤)
فأَرَوْهُ الصديقَ فى ثوب فقر يسأَل الجَمْعَ ، والسؤالُ بلاءُ
فبكى رحمةً ، وما كان مَن يبـ كى ، ولكنَّما أَراد الوفاءُ
هكذا الملكُ والملوكُ ، وإن جا ر زمانٌ ، وروَّعتْ بَلْواءُ

* * *

لاتسلنى : مادولة الفرس؟! ساءت دولةُ الفرس فى البلاد ، وساءُوا(٥)
أُمةٌ همُّها الخرائب تُبليـ ها ، وحَقٌّ الخرائب الإعلاءُ(٦)
سَلَبَتْ مصرَ عِزَّها ، وكستها ذِلَّةً ما لها الزمانَ انقضاءُ
وارتوى سيفُها ، فعاجلها اللـــه بسيف ما إن له إرواءُ(٧)
طِلْبةٌ للعبادِ كانت لإسكنـ ـدر فى نَيْلها اليدُ البيضاءُ(٨)
شاد إسكندرٌ لمصر بناءً لم تَشِدْهُ الملوكُ والأُمراءُ

---

١ — رداها : أى البسها الرداء . وتردى : أصلها تتردى ، أى تلبس الرداء
٢ — استرقه : ملكه . والضراء الشدة — ٣ — شواخص : جمع شاخص وهو الناظر بحيث لا تطرف عيناه — ٤ — العنقاء : طائر معروف الاسم مجهول الجسم . ويكنى به عن الشىء البعيد المنال — ٥ — يعود الضمير هنا الى الفرس أنفسهم — ٦ — الخربة : موضع الخراب وجمعها خرائب . والغرض منها هنا بقايا الهياكل والاثار — ٧ — ان : زائدة . وما : نافية .
٨ — هو الاسكندر الأكبر المقدونى الذى افتتح مصر سنة ٣٣٢ ق.م وقضى على حكم الفرس وأنشأ مدينة الاسكندرية .

بلدًا يَرْحل الأَنامُ إليه ويحجُّ الطُّلابُ والحكماءُ
عاش عمرًا فى البحر ثغرَ المعالى والمنارَ الذى به الاهتداءُ
مطمئنًّا من الكتائب والكتْب بما ينتهى إليه العَلاءُ
يبعث الضوءَ للبلاد ، فتسرى فى سناه الفهومُ والفهماءُ
والجوارى فى البحر يُظهرن عز الملك ، والبحرُ صَوْلَةٌ وثراءُ(١)
والرعايا فى نعمة ، ولبَطْلَيموسَ فى الأَرض دولةٌ علياءُ(٢)
فقضى الله أن تضيِّع هذا الملكَ أُنثى صَعْبٌ عليها الوفاءُ(٣)
تَخذِتْها رُوما إلى الشرِّ تمهيداً ، وتمهيدُه بأُنثى بلاءُ
فتناهَى الفسادُ فى هذه الأَرضِ ، وجاز الأَبالسَ الإغواءُ
ضيَّعتْ قيصرَ البريةِ أُنثى يالَرَبِّى مما تجرّ النساءُ(٤)
فتنت منه كهف روما المُرَجَّى والحُسامَ الذى به الاتقاءُ(٥)
قاهرَ الخصم والجَحافِلِ مهما جَدَّ هوْلُ الوَغَى وجدّ اللقاءُ
فأَتاها من ليس تملكه أُنثى ، ولا تسترقُّه هَيْفَاءُ(٦)
بطلُ الدولتين ، حامى حِمى رُوما ، الذى لا تقوده الأَهواءُ(٧)

---

١ ـ الجوارى : السفن ـ ٢ ـ بطليموس : حاكم مصر بعد الاسكندر ومؤسس دولة البطالسة التى استمرت من سنة ٣٢٣ ق م ، الى سنة ٣٠٠ ق.م اذ سقطت فى عهد كليوباترة ـ ٣ ـ كليوباترا : هى آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة ، وقد هام بها قيصران : يوليوس ، وهو الذى انتهت بموته الجمهورية الرومانية ، وكانت صنيعة له ، وانطونيوس ، وهو الذى أنشأ بالاشتراك مع اكتافيوس الامبراطورية الرومانية ، وقد كان هيام الاخير بها سببا لغزو اكتافيوس لمصر وانتصاره على كليوباترة ، التى حاولت عبثا أن تؤثر فى قلبه بجمالها ، فانتحرت بأن وضعت على صدرها حية وانتحر انطونيوس .

٤ ـ المقصود بقيصر هنا : انطونيوس .

٥ ـ الكهف : الملجأ ـ ٦ ـ اكتافيوس قيصر .

٧ ـ الدولتان : دولة الغرب ، ودولة الشرق .

أخذَ الملكَ ، وهْيَ فى قبضة الأفـ ـعى عن الملك والهوى عمياءُ(١)
سلبتها الحياةَ ، فاعجبْ لرَقْطا ءَ أراحت منها الورى رقطاءُ(٢)
لم تُصِب بالخِداع نُجْحًا ، ولكن خدعوها بقولهم : حسناءُ
قتلت نفسها ، وظنت فداءً صَغُرت نفسُها ، وقلّ الفداءُ
سل كِلوبَترَةَ المكايدِ : هلاَّ صدّها عن ولاءِ روما الدهاءُ ؟
فبروما تأيّدت ، وبروما هى تشقى ، وهكذا الأعداءُ
ولروما المُلْكُ الذى طالما وَا فاهُ فى السرّ نُصْحُها والولاءُ
وتولّت مصرًا يمينٌ على المصـ ـرىِّ من دون ذا الورى عَسْراءُ
تُسمِعُ الأرضُ قيصرًا حين تدعو وعقيمٌ من أهل مصر الدعاءُ(٣)
ويُنيل الورى الحقوقَ ؛ فإن نا دته مصرٌ فأُذْنُه صَمَّاءُ
فأصبرى مصرُ للبلاءِ ؛ وأنَّى لكِ ؟ والصبرُ للبلاء بلاءُ
ذا الذى كنتِ تَلتجينَ إليه ليس منه إلى سواه النجاءُ

* * *

ربِّ ، شُقت العبادَ أزمانَ لا كتـ ـبٌ بها يُهتدَى ، ولا أنبياءُ(٤)
ذهبوا فى الهوى مذاهبَ شتَّى جمعتها الحقيقةُ الزهراءُ(٥)

١ ــ هى : اى كليوبترة ــ ٢ ــ الرقطاء : الحية التى يخالط بياضها نقط سوداء ، او العكس ــ ٣ ــ عقيم : اى لا خير وراءه ــ ٤ ــ شاقة الحب اليه : هاجه ، والمراد بالكتب الكتب الالهية التى تنزلت على الأنبياء .
٥ ــ الحقيقة الزهراء هى وجود الله وتوحيده ، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين ، فكانوا فى أول امرهم يعتقدون بوجود اله واحد ، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذا الاله برموز صارت بعدئذ معبودات ، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التى لها تاثير محسوس فى حياتهم كالشمس والقمر والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة فى أجساد الحيوان ، فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب وما الى ذلك .

فإذا لقّبوا قويّا إلٰها فله بالقُوَى إليك انتهاءُ
وإذا آثروا جميلاً بتنْزيـ ـهٍ؛ فإن الجمالَ منك حِبَاءُ(١)
وإذا أنشئوا التماثيل غُرًّا فإليك الرُّموزُ والإيماءُ(٢)
وإذا قدَّروا الكواكبَ أَربا بأ؛ فمنك السَّنا ، ومنك السناءُ(٣)
وإذا أَلَّهوا النبَاتَ ؛ فمِن آ ثار نُعماك حُسْنُهُ والنَّمَاءُ
وإذا يمَّموا الجبَال سجودًا فالمراد الجلالةُ الشماءُ(٤)
وإذا تُعْبَد البحارُ مع الأَسـ ـماك ، والعاصفاتُ ، والأَنواءُ
وسباعُ السماء والأَرض ، والأَر حامُ ، والأُمهاتُ ، والآباءُ
لِمُلاك المذكَّراتُ عبيدٌ خُضَّعٌ ، والمؤنَّثاتُ إماءُ(٥)
جمع الخلْقَ والفضيلةَ سِرٌّ شَفَّ عنه الحجابُ فهو ضياءُ

* * *

سجدت مصرُ فى الزمان لإيزيـ ـس الندَى ، مَنْ لها اليدُ البيضاءُ(٦)
إنْ تَلِ البَرَّ ؛ فالبلادُ نُضَارٌ أَو تَلِ البحرَ ؛ فالرياحُ رُخاءُ(٧)
أَو تلِ النفسَ ؛ فهْىَ فى كل عضْو أَو تَلِ الأُفْقَ ؛ فهْىَ فيه ذُكاءُ(٨)
قيل : إيزيس ربَّةَ الكونِ ، لولا أَن تَوَحَّدْتِ ؛ لم تَكُ الأَشياءُ
واتخذتِ الأَنوارَ حُجْبًا ، فلم تبـ ـصركِ أَرضٌ ، ولا رأَتكِ سماءُ
أَنتِ ما أَظهر الوجودُ وما أَخـ ـفى ، وأَنت الإظهارُ والإخفاءُ

---

١ ــ التنزيه : التقديس ، والحباء : العطاء ــ ٢ ــ الرمزوالايماء : الاشارة
٣ ــ السنا : الضوء . والسناء الرفعة ــ ٤ ــ الشماء : الرفيعة .
٥ ــ المذكرات ما كان من هذه الآلهة مذكرا ــ ٦ ــ ايزيس : الهة من آلهة القدماء ــ٧ــ النضار : الذهب . رخاء : لينة ــ٨ــ ذكاء : من أسماء الشمس .

لك آبيسُ ، والمُحَبّبُ أوزيـ ـريسُ ، وابناه ، كلّهم أولياءُ(١)
مُثّلت للعيون ذاتُكِ ، والتمـ ثيلُ يُدنِى مَنْ لا له إدناءُ
وادّعاكِ اليونان من بعد مصر وتلاه فى حُبّكِ القدماءُ
فإذا قيل : ما مفاخر مصر ؟ قيل : منها إيزيسُها الغرّاءُ

* * *

رَبِّ ، هذى عقولنا فى صِباها نالها الخوف ، واستباها الرجاءُ
فعشِقناكَ قبل أن تأْتىَ الرُّسْـ لُ ، وقامت بحبك الأعضاءُ
ووصلنا السُّرى ، فلولا ظلام الـ جهل لم يَخْطُنا إليك اهتداءُ(٢)
واتخذنا الأسماءَ شتَّى ، فلما جاءَ موسى انتهت لك الأسماءُ
حَجّنا فى الزّمان سحرًا بسحرٍ واطمأنت إلى العصا السعداءُ(٣)
ويريد الإلٰهُ أن يُكرَمَ العقـ لُ ، وألا تُحقَّر الآراءُ
ظنّ فرعونُ أن موسى له وا فٍ ، وعند الكرام يُرجى الوفاءُ
لم يكن فى حسابه يومَ رَبَّى أن سيأتى ضدَّ الجزاءِ الجزاءُ
فرأى اللهُ أن يعقّ ، ولِلـــــه تَنى — لا لغيره — الأنبياءُ
مصر موسى عند انتِماءٍ ، وموسى مِصرُ إن كان نسبةٌ وانتماءُ
فبِه فخرُها المؤيَّدُ ، مهما هُزَّ بالسيد الكليم اللواءُ(٤)
إن تكن قد جفته فى ساعة الشك فحظُّ الكبير منها الجفاءُ
خِلّة للبلاد يشقى بها النا سُ ، وتشقى الديارُ والأبناءُ

---

١ — آبيس : هو العجل ابيس ، معبود القــــدماء ، كما قدمنـــا ، واوزيريس : هو اله الشمس فى اعتقاد القدماء
٢ — السرى : السير ليلا . ولـم يخطنا : لم يجاوزنا
٣ — حجه : غابه بالحجة
٤ — هز الكوكب : انقض . والمراد : مهما خذل

فكبيرٌ ألّا يُصانَ كبيرٌ   وعظيمٌ أن يُنْبَذ العظماءُ

* * *

وُلد الرِّفقُ يوم مولدِ عيسى   والمروءاتُ ، والهدى ، والحياءُ

وازدهى الكونُ بالوليد ، وضاءت   بسناه من الثرى الأرجاءُ

وسرت آية المسيح ، كما يسـ   ـرى من الفجر فى الوجود الضياءُ

تملأُ الأرضَ والعوالمَ نوراً   فالثرى مائج بَهًا ، وضَّاءُ

لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام   لا حسام ، لا غزوة ، لا دماءُ

مَلَكٌ جاور الترابَ ، فلما   ملّ نابت عن التراب السماءُ(١)

وأطاعته فى الإله شيوخٌ   خُشَّعٌ ، خُضَّعٌ له ، ضعفاءُ

أذعن الناس والملوك إلى ما   رسموا ، والعقول ، والعقلاءُ

فلهم وقفة على كلّ أرض   وعلى كلّ شاطئٍ إرساءُ

دخلوا ثيبةً ، فأحسن لقيا   هم رجالٌ بثيبةٍ حكماءُ(٢)

فهموا السرَّ حين ذاقوا ، وسهلٌ   أن ينالَ الحقائقَ الفُهماءُ(٣)

فإذا الهيكلُ المقدَّسُ دَيْرٌ   وإذا الدير رَوْنَقٌ وبهاءُ

وإذا ثيبةٌ لعيسى ، ومنفيـ   ـسُ ، ونيلُ الثراء ، والبطحاءُ(٤)

إنما الأرضُ والفضاءُ لربّى   وملوكُ الحقيقة الأنبياءُ

لهم الحبُّ خالصاً من رعايا   هم ، وكُلُّ الهوى لهم والوَلاءُ

إنما ينكر الدياناتِ قومٌ   هم بما ينكرونه أشقياءُ

---

١ — يشير الى رفعه الى السماء — ٢ — ثيبة : عاصمة من عواصم مصر القديمة — ٣ — السر : اى سر عبادة الله على دين المسيح — ٤— البطحاء مسيل الماء فيه دقاق الحصى

هرِمَت دولةُ القياصر ، والدّو　　لاتُ كالناس ، داؤهُنَّ الفَناءُ(١)
ليس تغنى عنها البلادُ ولاما　　لُ الأَقاليم إن أَتاها النداءُ(٢)
نال روما ما نال من قبلُ آثيـ　　ـنا ، وسِيمَتْهُ ثيبةُ العَصماءُ(٣)
سُنَّةُ الله فى الممالك من قبـ　　ـلُ ومن بعد ، ما لِنُعمى بقاءُ

* * *

أظلم الشرقُ بعد قيصرَ والغر　　بُ ، وعمَّ البرِيَّةَ الإدجاءُ(٤)
فالورى فى ضلاله مُتَمادٍ　　يفتك الجهلُ فيه والجهلاءُ
عرّف اللهَ ضِلَّةً ، فهو شخص　　أو شِهاب ، أو صخرة صمّاءُ(٥)
وتولّى على النفوس هوى الأو　　ثان ، حتى انتهت له الأهواءُ
فرأى اللهُ أن تُطَهَّر بالسيـ　　ـف ، وأن تَغسِلَ الخطايا الدماءُ
وكذاك النفوسُ وهى مِراضٌ　　بعضُ أعضائها لبعضٍ فِداءُ
لم يعادِ اللهُ العبيدَ ، ولكن　　شَقِيَت بالغباوةِ الأغبياءُ
وإذا جلَّت الذنوبُ وهالتْ　　فمن العدل أن يَهُول الجزاءُ
أشرق النورُ فى العوالم لمّا　　بشّرتْها بأحمدَ الأنباءُ
باليتيم الأُمىِّ ، والبشَر المو　　حَى إليه العلومُ والأسماءُ
قُوَّةُ الله إن تولَّتْ ضعيفًا　　تعبتْ فى مِرَاسه الأقوياءُ(٦)

---

١ — دولة القياصر : الدولة الرومانية . والهـــرم بلوغ اقصى الكبر .
٢ ــ النداء : نداء الفناء ــ ٣ ــ سامه الامر : كلفه اياه ، واكثر ما يستعمل فى الشر والعذاب ــ ٤ ــ الادجاء : الظلاه ــ ضلة : ضلالا ٠ والشهـــاب : شعلة من نار ساطعة ، وقد يطلق عــلى الكوكب ــ ٦ ــ المراس ــ هنـــا ــ بمعنى المأخذ والمعالجة .

أشرفُ المرسلين ، آيتُه النطـ ـقُ مُبيناً . وقومُه الفصحاءُ
لم يَفُهْ بالنوابغ الغُرِّ حتى سبق الخلقَ نحوَه البلغاءُ
وأتتْه العقول مُنقادةَ اللُّـــب ، ولبّى الأعوانُ والنصراءُ(١)
جاءَ للناس ، والسرائرُ فوضى لم يؤلِّف شتاتَهُنَّ لواءُ(٢)
وحِمى الله مستباحٌ ، وشرعُ الله ، والحقُّ ، والصوابُ وراءُ
فلِجبريلَ جَيْئَةٌ ، ورَواحٌ وهبوطٌ إلى الثرى ، وارتقاءُ
يُحْسَب الأُفْقُ فى جَناحيه نورٌ سُلِبتْه النجومُ والجوزاءُ
تلك آىُ الفُرْقانِ ، أَرسلها الله ضياءً يَهدى به من يشاءُ(٣)
نَسَخَتْ سنةَ النبيين والرسلِ ، كما ينسخ الضياءَ الضياءُ
وحماها غُرٌّ ، كرامٌ ، أشدّا ءُ على الخصم ، بينهم رُحَمَاءُ
أُمةٌ ينتهى البيان إليها وتئول العلومُ والعلماءُ(٤)
جازت النجمَ ، واطمأنَّتْ بأُفْقٍ مطمئنٍّ به السَّنا والسناءُ
كلّما حثّت الركابَ لأَرضٍ جاور الرشدُ أهلَها والذكاءُ(٥)
وعلا الحقُّ بينهم ، وسما الفضلُ ، ونالت حقوقَها الضعفاءُ
تحملُ النجمَ ، والوسيلةَ ، والميزانَ من دينها إلى من تشاءُ
وتُنيلُ الوجودَ منه نظاماً هو طِبُّ الوجودِ ، وهو الدواءُ
يرجع الناسُ والعصورُ إلى ما سَنَّ ، والجاحدون ، والأعداءُ
فيه ما تشتهى العزائم إن هَـــمَّ ذووها ويشتهى الأذكياءُ
فلِمن حاول النعيمَ نعيمٌ ولمن آثر الشقاءَ شقاءُ

---

١ ــ اللب : ذكاء من العقل ــ٢ــ الشتات : المتفرق ــ٣ــ الآى : جمع آية ــ٤ــ تؤول : ترجع ــ٥ــ حث الركاب : أى حض الابل على أن تسرع ، والمراد كلما انتقلت لأرض .

أيرى العُجْمُ مِنْ بنى الظلِّ والما ... ءِ عجيبًا أن تُنجِب البيداءُ(١)

وتُثيرُ الخيامُ آسادَ هيجا ... ءَ تراها آسادَها الهيجاءُ

ما أنافتْ على السواعد حتى الـ ... أَرضُ طُرًّا فى أَسْرِها والفضاءُ

تشهد الصينُ ، والبحارُ ، وبغدا ... دُ ، ومصرٌ ، والغربُ ، والحمراءُ(٢)

من كعَمْرِو البلادِ ، والضادُ ممّا ... شاد فيها ، والمِلَّةُ الغرّاءُ ؟

شاد للمسلمين ركنًا جسَاماً ... ضافِىَ الظلِّ ، دَأْبُه الإيواءُ(٣)

طالما قامت الخلافةُ فيه ... فاطمأَنَّتْ ، وقامت الخلفاءُ

وانتهى الدِّينُ بالرجاءِ إليه ... وبنو الدِّينِ إذ هُمُ ضعفاءُ

مَنْ بَصُنْهُ يَصُنْ بقيَّةَ عزٍ ... غَيَّض التُّركُ صفوَه والثّواءُ(٤)

فابكِ عمرًا إن كنت مُنْصِف عمرو ... إن عمرًا لنيرٌ وضاءُ

جاد للمسلمين بالنيل ، والنيـ ... ـل لمن يقتنيه أفريقاءُ

فهى تعلو شأْنًا إذا حُرِّرَ النيـ ... ـلُ ، وفى رِقِّه لها إزراءُ(٥)

* * *

واذكر الغُرَّ آلَ أيوبَ ، وامدحْ ... فمن المدح للرجال جزاءُ(٦)

هم حماةُ الإسلام ، والنفرُ البيـ ... ـضُ ، الملوكُ ، الأعزّةُ ، الصُّلَحاءُ(٧)

كلَّ يومٍ بالصالحيّة حصنٌ ... وببُلبَيس قلعةٌ شمَّاءُ

وبمصرٍ للعلم دارٌ ، ولِلضيفـــان نارٌ عظيمةٌ حمراءُ

---

١ ـ انجب الرجل : ولد ولدا نجيبا ـ ٢ ـ الحمراء : قصر مشهور بالأندلس ـ ٣ ـ الجسام : العظيم ـ ٤ ـ الثواء : الاقامة ـ ٥ ـ ازرى عليه عمله : عابه ـ ٦ ـ يشير الى الدولة الأيوبية التى أسسها صلاح الدين الأيوبى ، وحكمت مصر من سنة ١١٧١ الى سنة ١٢٥٠ م ـ ٧ ـ الابيض : السيف ، أو النجم ، والجمع بيض .

ولأعداءِ آل أيوب قتلٌ ولِأَسْراهُمُ قِرًى وثَواءُ(١)

يعرف الدينُ مَنْ صلاحٌ ؟ ويدرى من هو المسجدان والإسراءُ ؟(٢)

إنه حصنُه الذى كان حصنًا وحماه الذى به الاحتماءُ

يوم سار الصليبُ والحاملوه ومشى الغربُ : قومُه ، والنساءُ

بنفوس تجول فيها الأمانى وقلوبٍ تثور فيها الدماءُ

يضمرون الدمارَ للحقِّ ، والنا سِ ، ودينِ الذين بالحق جاءُوا

ويهدُّون بالتلاوة والصُّلـ بان ما شاد بالقنا البنَّاءُ

فتلقَّتهمُ عزائمُ صدقٍ نُصَّ للدين بينهنّ خِباءُ(٣)

مَزَّقتْ جمعَهم على كلِّ أرضٍ مثلَما مزَّق الظلامَ الضياءُ

وسَبَتْ أَمْردَ ِ الملوك ، فردّتـ ـه وما فيه للرعايا رجاءُ(٤)

ولو أنّ المليكَ هِيبَ أذاه لم يُخَلِّصه من أذاها الفداءُ

هكذا المسلمون ، والعربُ الخا لون ، لا ما يقوله الأعداءُ

فبهم فى الزمان نِلنا الليالى وبهم فى الورى لنا أنباءُ

ليس للذل حيلةٌ فى نفوس يستوى الموت عندها والبقاءُ

* * *

واذكر الترك ، إنهم لم يُطاعوا فيرى الناسُ أحسنوا أم أساءُوا

حكمت دولةُ الجراكس عنهم وهى فى الدّهر دولةٌ عَسْراءُ(٥)

---

١ ــ القرى : الضيافة والثواء : الاقامة ــ ٢ ــ صلاح : صــــلاح الدين الأيوبى ــ ٣ ــ نص الشيء : رفعه . والخباء : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون عمودين أو ثلاثة ــ ٤ ــ سبى العدو : أسره، وامرد الملوك لويس التاسع ملك فرنسا وكان من أبطال الصليبيين . أسره بوران شاه فى موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقية أهله وعساكره بمبلغ ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك ــ ٥ ــ الجراكس : المماليك ، وعسراء : أى شديدة ظالمة .

واستبدّت بالأمر منهم، فـ«باشا» التُّرْكِ فى مصرَ آلةٌ صمَّاءُ

يأْخذ المالَ من مواعيدَ ما كا نوا لها مُنْجِزين، فهْىَ هَباءُ

ويسومونه الرضا بأُمور ليس يَرضى أَقلَّهن الرضاءُ(١)

فيُدَارى ليعصِمِ الغدَ منهم والمداراةُ حكمةٌ ودهاءُ

* * *

وأَتى النَّسرُ ينهب الأَرض نهبًا حوله قومُه، النسورُ ظِماءُ(٢)

يشتهى النيلَ أن يشيد عليه دولةً عرضُها الثرى والسماءُ

حَلمت رومةٌ بها فى الليالى ورآها القياصرُ الأَقوياءُ

فأَتت مصرَ رُسْلُهم تتوالى وترامت سودانها العلماءُ(٣)

ولو اسْتَشْهَدَ الفرنسيسُ روما لأَتَتْهم من رومةَ الأَنباءُ

علمت كل دولة قد تولت أننا سمُّها، وأَنَّا الوباءُ

قاهرُ العصرِ والممالِك، نابلـ يونُ ولَّتْ قوّادُه الكبراءُ

جاء طيشًا، وراح طيشاً، ومن قبـ لُ أَطاشت أُناسَها العلياءُ

سكتتْ عنه يومَ عيَّرها الأَهـ رامُ، لكنْ سكوتُها استهزاءُ

فهْى تُوحى إليه: أنْ تلك (واتر لو)، فأَين الجيوشُ؟ أَين اللواءُ؟(٤)

---

١ ــ سامه الأمر: كلفه اياه . وأكثر ما يكون فى الشر ــ ٢ ــ النسر: نابليون بونابرت ــ ٣ ــ ترامى القوم: رمى بعضهم بعضا ــ ٤ ــ واترلو (فى ١٨ يونيو سنة ١٨١٥) موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الانكليزى الشهير فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القائد الروسى وكان من نتائج هزيمة نابليون فى هذه الموقعة أسره ونفيه الى جزيرة (سنت هيلانة) حيث قضى البقية من حياته .

الهمزية النبوية

وُلد الهدى ، فالكائناتُ ضياءُ ... وفَمُ الزّمان تبسُّمٌ وثناءُ
الرُّوحُ والملأُ الملائكُ حَوْلَهُ ... للدِّين والدنيا به بُشَراءُ(١)
والعرشُ يزهو ، والحظيرةُ تزدَهِي ... والمنتهى ، والسِّدْرَةُ العصماءُ(٢)
وحديقةُ الفرقان ضاحكةُ الربا ... بالترجمانِ ، شَذِيَّةٌ ، غنَّاءُ(٣)
والوحْيُ يقطرُ سَلْسَلاً من سلسلٍ ... واللوحُ والقلمُ البديعُ رُواءُ(٤)
نُظِمَتْ أسامِىُ الرُّسْلِ فهى صحيفة ... فى اللوح ، واسمُ محمدٍ طُغراءُ(٥)
اسمُ الجلالة فى بديع حروفهِ ... أَلِفٌ هنالك ، واسمُ (طه) الباءُ

* * *

ياخير من جاءَ الوجودَ ، تحية ... من مُرسَلين إلى الهدى بك جاءُوا
بيت النبيِّين الذى لا يلتقى ... إلا الحنائف فيه والحنفاءُ(٦)
خيرُ الأُبوةِ حازَهم لَكَ (آدمٌ) ... دونَ الأَنام ، وأحرزتْ حَوَّاءُ
هم أدركوا عِزَّ النبوَّةِ وانتهت ... فيها إليكَ العِزَّةُ القعساءُ(٧)
خُلِقَتْ لبيتك ، وهو مخلوقٌ لها ... إن العظائِمَ كفؤها العظماءُ
بك بَشَّر اللهُ السماءَ فزُيِّنَت ... وتضوَّعت مسكًا بك الغبراءُ(٨)

---

١ ــ الروح الأمين : لقب جبريل . والملأ : الأشراف . والملائك : الملائكة . وبشراء : جمع بشير ــ ٢ ــ يزهو : يشرق . وسدرة المنتهى : يقال انها شجرة نبق على يمين العرش ــ ٣ ــ الربا : جمع ربوة . وهى ما ارتفع من الأرض ــ ٤ ــ الرواء ماء الوجه وحسن المنظر ــ ٥ ــ الطغراء : مايسميه العامة « طرة » واصلها طغرى بالقصر ، وهى التى تكتب بالقلم الغليظ فى صدر الأوامر ــ ٦ ــ الحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام وكل من كان على دين ابراهيم عليه السلام ، والجمع حنفاء ، والمؤنث حنيفة ، وجمعها حنائف ــ ٧ ــ القعساء : المنيعة الثابتة ــ ٨ ــ تضوع المسك : انتشرت رائحته . والغبراء الارض .

وبدا مُحيَّاك الذى قَسماتُه ... حق ، وغُرَّتُه هُدًى وحَياءُ(١)

وعليه من نورِ النُّبُوَّةِ رَوْنقٌ ... ومن الخليل وهَدْيِه سِيماءُ(٢)

أثنى (المَسيحُ) عليه خلف سمائه ... وتهلَّلت واهتزَّتِ (العذراءُ)(٣)

يومٌ يتِيهُ على الزمان صَبَاحُه ... ومَساؤه (بمحمدٍ) وَضَّاءُ

الحقُّ عالى الركنِ فيه ، مُظَفَّرٌ ... فى المُلكِ ، لا يعلو عليه لواءُ

ذُعِرت عروشُ الظالمين ، فزُلزِلت ... وعَلَتْ على تِيجانِهم أَصْداءُ

والنارُ خاويةُ الجوانب حولَهُمْ ... خَمَدَت ذوائِبُهَا ، وغاض الماءُ(٤)

والآىُ تَتْرَى ، والخَوارقُ جَمَّةٌ ... (جبريلُ) رَوَّاح بها غَدَّاءُ(٥)

نِعمَ اليتيمُ بَدَت مَخايلُ فضلِه ... واليُتْمُ رزقٌ بعضُه وذَكاءُ(٦)

فى المهد يُسْتَسْقَى الحيَا برجائه ... وبقصدِهِ تُستَدْفَعُ البَأْساءُ(٧)

بِسوى الأمانة فى الصِّبا والصدقِ لم ... يعرفْه أهلُ الصدقِ والأُمناءُ

يا مَنْ له الأَخلاقُ ماتهوَى العلا ... منها وما يَتعشَّقُ الكبراءُ

لو لم تُقِم ديناً ؛ لقامت وحدَها ... دينًا تُضِىءُ بنوره الآناءُ

زانتك فى الخلقِ العظيمِ شمائلٌ ... يُغرَى بهنّ ويُولَعُ الكرماءُ

أما الجمالُ ؛ فأَنت شمسُ سمائه ... وملاحةُ (الصِّدِّيقِ) منك أياءُ(٨)

والحسنُ من كرم الوجوهِ ، وخيرُه ... ما أُوتِىَ القُوَّادُ والزعماءُ

فإذا سَخَوتَ بلغتَ بالجود المدى، ... وفعلتَ ما لا تفعلُ الأَنواءُ(٩)

---

١ ــ القسمة ما بين الوجنتين والأنف، وجمعها قسمات ــ ٢ ــ الخليل : ابراهيم عليه السلام ــ ٣ ــ العذراء السيدة مريم ــ ٤ ــ خمدت النار : سكن لهيبها . والذوائب جمع ذؤابة ، وهى أعلى كل شىء والمراد بالذوائب هنا السنة اللهيب ــ ٥ ــ تترى تتوالى . ورواح غداء أى يروح ويغدو . ٦ ــ المخيلة : المظنة ــ ٧ ــ استسقى الرجل طلب السقى . والحيا : المطر ٨ ــ أياء الشمس واياتها : نورها وحسنها ــ ٩ ــ النوء المطر

وإذا عَفوْت فقادرًا ، ومقدّرًا لا يستهين بعفوك الجُهلاءُ

وإذا رحِمت فأنت أمٌّ ، أو أبٌ هذان فى الدنيا هما الرُّحَماءُ

وإذا غَضِبْتَ فإنما هى غَضْبَةٌ فى الحق ، لا ضِغْنٌ ولا بغضاءُ(١)

وإذا رضيتَ فذاك فى مرضاته ورِضَى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ(٢)

وإذا خطبتَ فللمنابر هِزَّةٌ تَعرو النَّدِىَّ ، وللقلوب بكاءُ(٣)

وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ ، كأنما جاء الخصومَ من السماء قضاءُ

وإذا حمَيْتَ الماءَ لم يُورَدْ ، ولو أن القياصِرَ والملوكَ ظِماءُ

وإذا أجَرتَ فأنت بيتُ اللهِ ، لم يدخل عليه المستجيرَ عداءُ

وإذا ملكتَ النفسَ قُمْتَ بِبِرِّها ولو أن ما ملكت يداك الشاءُ

وإذا بنيتَ فخيرُ زَوْجٍ عِشرةً وإذا ابتنيْتَ فدونَك الآباءُ(٤)

وإذا صَحِبتَ رأى الوفاءَ مُجَسَّما فى بُرْدِك الأصحابُ والخلطاءُ

وإذا أخذتَ العهدَ ، أو أعْطيتَه فجميعُ عَهدِك ذِمَّةٌ ووفاءُ

وإذا مَشَيْتَ إلى العدا فغَضَنْفَرٌ وإذا جريْتَ فإنكَ النكباءُ(٥)

وتَمُدُّ حِلمَكَ للسفيهِ مُداريًا حتى يضيق بِعرضكَ السفهاءُ

فى كل نفْسٍ من سُطاكَ مَهابةٌ ولكل نفسٍ فى نداكَ رجاءُ(٦)

والرأىُ لم يُنضَ المُهنَّدُ دونه كالسيف لم تضرب به الآراءُ(٧)

* * *

يأيها الأمِّى ، حَسْبُكَ رتبةً فى العلم أن دانَتْ بك العلماءُ(٨)

---

١ ـ الضغن : الحقد ـ ٢ ـ التحلم ، تكلف الحلم ـ ٣ ـ الندى : النادى
٤ ـ بنى بأهله : زف اليهم . وابتنى : صار له بنون ـ ٥ ـ غضنفر : أسد
والنكباء : ريح بين ريحين ـ ٦ ـ سطا : جمع سطوة ـ ٧ ـ نضا السيف من
غمده : سله . والمهند : السيف المطبوع من حديد ـ ٨ ـ دان به : اتخذه دينا

الذكرُ آيةُ ربِّكَ الكبرى التى ... فيها لباغى المعجزاتِ غَناءُ(١)

صَدْرُ البيانِ له إذا التقت اللُّغى ... وتقدّم البلغاءُ والفصحاءُ(٢)

نُسِخَتْ به التوراةُ وهى وضيئةٌ ... وتخلّف الإنجيلُ وهو ذُكاءُ(٣)

لما تمشّى فى (الحجاز) حكيمُه ... فُضّت (عُكاظُ) به ، وقام حِراءُ(٤)

أزرى بمنطِقِ أهلِهِ وبيانِهِم ... وحىٌ يُقَصِّرُ دونه البلغاءُ(٥)

حسدوا ، فقالوا : شاعرٌ ، أوساحرٌ ... ومن الحسود يكون الاستهزاءُ

قدنال (بالهادى)الكريم و(بالهدى) ... ما لم تنل من سُؤدد سيناءُ

أمسى كأنك من جلالك أمّةٌ ... وكأنه من أنسِه بَيداءُ

يُوحَى إليك الفوزُ فى ظلماته ... متتابعًا ، تُجْلَى به الظلماءُ

دينٌ يُشيَّد آيةً فى آية ... لَبِنَاتُه السُّوراتُ والأَضواءُ

الحقُّ فيه هو الأَساسُ ، وكيف لا ... والله جلَّ جلاله البنَّاءُ ؟

أما حديثُكَ فى العقول فَمَشْرَعٌ ... والعلم والحِكمُ الغوالى الماءُ(٦)

هوصِبغةُ الفرقان ، نفحةُ قُدْسِه ... والسين من سوراته والراءُ(٧)

جَرتِ الفصاحةُ من ينابيع النُّهَى ... من دَوْحه ، وتفجَّر الإِنشاءُ(٨)

فى بحرِهِ للسابحين به على ... أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساءُ

أتت الدُّهُور على سُلافته ، ولم ... تَفْنَ السُّلافُ ، ولا سلا النُّدَماءُ(٩)

* * *

١ ــ الباغى : الطالب والغنــاء : مايغنى ــ ٢ ــ اللغى : جمع لغة
٣ ــ ذكاء : من أسماء الشمس ــ ٤ ــ حراء : الغار الذى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ونزل عليه فيه الوحى ــ ٥ ــ ازرى به : عابه .
٦ ــ مشرع : مورد ــ ٧ ــ الصبغة :النوع ــ ٨ ــ الدوح : الشجر العظيم المتسع ــ ٩ ــ السلاف والسلافة : افضل الخمر .

بك ياابنَ عبد الله قامتْ سَمْحَةٌ ... بالحقِّ من مِلَلِ الهدى غرّاءُ(١)
بُنِيَتْ على التوحيد ، وهى حقيقةٌ ... نادى بها سُقْراطُ والقدماءُ
وَجَدَ الزُّعافَ من السُّموم لأجلها ... كالشُّهدِ ، ثم تتابعَ الشُّهَداءُ
ومشى على وجه الزمان بنورها ... كُهّانُ وادى النيل والعُرفاءُ(٢)
إيزيسُ ذاتُ الملك حين توحَّدَتْ ... أخذت قِوامَ أُمورِها الأشياءُ(٣)
لما دعوتَ الناسَ لبَّى عاقلٌ ... وأصمَّ مِنك الجاهلين نداءُ
أبَوْا الخروجَ إليك من أوهامهم ... والناسُ فى أوهامهم سُجناءُ
ومن العقول جَداولٌ وَجَلامِدٌ ... ومن النفوس حرائرٌ وإماءُ(٤)
داءُ الجماعةِ من أرسطاليس لم ... يُوصَف له حتى أتيتَ دواءُ
فرسمتَ بعدَك للعبادِ حكومةً ... لا سُوقةٌ فيها ولا أُمراءُ
اللهُ فوقَ الخلق فيها وحدَهُ ... والناسُ تحت لوائها أكفاءُ
والدِّينُ يُسْرٌ ، والخلافةُ بيعةٌ ... والأمرُ شُورَى ، والحقوقُ قضاءُ
الإشتراكيون أنتَ إمامُهم ... لولا دعاوى القومِ والغُلَواءُ(٥)
داويْتَ مُتَّئِدًا ، وداوَوْا طَفْرةً ... وأخفُّ من بعض الدواءِ الداءُ(٦)
الحربُ فى حقٍّ لديك شريعةٌ ... ومن السُّمومِ الناقعاتِ دواءُ(٧)
والبِرُّ عندكَ ذِمَّةٌ ، وفريضةٌ ... لا مِنَّةٌ ممنونةٌ وجَباءُ(٨)
جاءتْ فوحَّدَت الزكاةُ سبيلَه ... حتى التقى الكرماءُ والبخلاءُ

---

١ — السمحة : الملة التى ليس فيها ضيق — ٢ — العراف : المنجم ، والجمع عرفاء — ٣ — ايزيس : من آلهة المصريين القدماء — ٤ — الجدول : النهر الصغير ، والجلمود : الصخر — ٥ — الغلواء : الغلو — ٦ — متئدا : متأنيا . وطفر : وثب — ٧ — الناقعات : القاتلات — ٨ — البر : الاحسان . وذمة : عهد . والمنة : العطية ، والممنونة : المتبرعة بالمن .

أنصفتَ أهلَ الفقرِ من أهل الغنى فالكلُّ فى حقِّ الحياة سواءُ
فلو انَّ إنسانًا تخيَّرَ مِلَّةً ما اختار إلا دينَكَ الفقراءُ

* * *

يا أيها المُسرَى به شرفاً إلى ما لا تنالُ الشمسُ والجوْزاءُ(١)
يتساءلون ـ وأنتَ أطهرُ هيكلٍ ـ : بالروح أم بالهيكل الإسراءُ؟(٢)
بهما سَموْتَ مُطَهَّرَيْن ، كلاهما نورٌ ، وريحانيَّةٌ ، وبهاءُ
فضلٌ عليكَ لذى الجلالِ ومِنَّةٌ واللهُ يفعل ما يرى ويشاءُ
تغشى الغُيوبَ من العوالم ، كلَّما طُوِيَتْ سماءٌ قُلِّدَتْكَ سماءُ(٣)
فى كل مِنطقةٍ حواشِي نورها نونٌ ، وأنت النقطةُ الزهراءُ
أنت الجمالُ بها ، وأنت المجتلى والكفُّ ، والمِرآةُ ، والحسناءُ
اللهُ هَيَّأَ من حظيرةِ قُدسه نزلاً لذاتك لم يَجُزْهُ علاءُ
العرشُ تحتكَ سُدَّةٌ وقوائماً ومناكبُ الروحِ الأمينِ وِطاءُ
والرُّسْلُ دون العرش لم يُؤذَنْ لهمْ حاشا لغيركَ موعدٌ ولقاءُ

* * *

الخيلُ تأْبى غيرَ (أحمدَ) حامياً وبها إذا ذُكِر اسْمُه خُيَلاءُ
شيخُ الفوارسِ يعلمون مكانَه إن هَيَّجت آسادَها الهَيْجاءُ
وإذا تَصدَّى للظُّبى فمُهنَّدٌ أو للرّماح فَصَعْدَةٌ سمراءُ(٤)
وإذا رمَى عن قوسِه فيمينُهُ قَدَرٌ ، وما ترمى اليمينُ قضاءُ

---

١ ـ الاسراء : السير ليلا ـ ٢ ـ الهيكل الجسم والصورة والشخص .
٣ ـ غشى المكان يغشاه : أتاه ـ ٤ ـ الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية .

من كل داعى الحق هِمّةُ سيفِه فلِسيفه فى الراسيات مَضاءُ(١)

ساقى الجريح ومُطعمُ الأسرى . ومَنْ أمِنَت سَنابكَ خيلِهِ الأشلاءُ

إنَّ الشجاعةَ فى الرجال غلاظة ما لم تزنها رأفةٌ وسخاءُ

والحرب من شرف الشعوب . فإن بَغَوْا فالمجدُ مما يدَّعون بَراءُ

والحربُ يبعثُها القوىُّ تجبُّراً وينوءُ تحتَ بَلائِها الضُّعَفاءُ

كم من غَزاةٍ للرسول كريمةٍ فيها رِضًى للحقِّ أو إعلاءُ

كانت لجند الله فيها شِدّةٌ فى إثْرِها للعالمين رَخاءُ

ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبت بها فعلى الجهالةِ والضلالِ عَفاءُ

دَعَموا على الحرب السلامَ ، وطالما حَقَنت دِماءً فى الزمان دِماءُ

* * *

الحقُّ عِرضُ الله . كلُّ أبيَّةٍ بين النفوس حِمًى له وَوِقاءُ

هل كان حولَ محمدٍ من قومه إلا صَبىٌّ واحد ونساءُ ؟

فدعا ، فلبَّى فى القبائلِ عُصبةٌ مُستضعَفون ، قلائلٌ أنضاءُ(٢)

رَدُّوا ببأسِ العزمِ عنه من الأذى مالا تردُّ الصخرةُ الصماءُ

والحقُّ والإيمانُ إن صُبَّا على بردٍ ففيه كَتيبةٌ خرساءُ(٣)

نسفوا بناءَ الشِّرْكِ . فهو خرائبٌ واستأصلوا الأصنامَ ، فهى هَباءُ(٤)

يمشون تُغضِى الأرضُ منهم هيبةً وبهم حِيالَ نعيمِها إغضاءُ

حتى إذا فُتِحَتْ لهم أطرافُها لم يُطْغِهم تَرَفٌ ولا نَعْماءُ

* * *

---

١ ــ مضى السيف مضاء : قطع ــ ٢ ــ النضو : المهزول من الابل وغيرها
٣ ــ الكتيبة الخرساء : التى لا يسمع فيها صوت ــ ٤ ــ الهباء : الغبار

يا مَنْ لهُ عِزُّ الشفاعةِ وَحْدَهُ وهُو المُنَزَّهُ ، ما له شُفعاءُ
عرشُ القيامَة أنتَ تحت لوائه والحوْضُ أنتَ حِيالَهُ السَّقاءُ
تروى وتسقى الصالحين ثوابَهم والصالحاتُ ذخائرٌ وجزاءُ
ألمثل هذا ذُقتَ فى الدنيا الطَّوَى وانشقَّ مِن خَلَقٍ عليكَ رِداءُ ؟
لى فى مديحك يارسُولُ عرائسٌ تُيِّمْنَ فيك ، وشاقهُنَّ جَلاءُ(١)
هُنَّ الحسانُ ، فإن قبلتَ تكرُّمًا فمُهورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسناءُ
أنت الذى نَظمَ البريَّةَ دينُهُ ماذا يَقول وَيَنظم الشُّعراءُ ؟
المُصلِحون أصابعٌ جُمِعت يَدًا هى أنت ، بَلْ أنت اليَدُ البيضاءُ
ماجئتُ بابكَ مادحاً ، بل داعيًا ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءُ
أدعُوك عن قومى الضِّعافِ لأزمةٍ فى مثلها يُلْقَى عليك رَجاءُ
أدَرى رسُولُ اللهِ أنّ نفوسَهم رَكِبَتْ هَواها ، والقلوب هواءُ ؟
مُتفكِّكون ، فما تضمُّ نفوسَهم ثِقَةٌ ، ولا جَمع القلوبَ صفاءُ
رقدُوا ، وغرَّهُم نعيمٌ باطلٌ ونعيمُ قومٍ فى القيُود بلاءُ

* * *

ظلمُوا شريعتَك التى نلنا بها ما لم ينل فى رومةَ الفقهاءُ
مشتِ الحضارةُ فى سَناها ، واهتدى فى الدِّين والدُّنيا بها السعداءُ
صلى عليك اللهُ ماصحِبَ الدُّجى حادٍ ، وحَنَّت بالفلا وَجْناءُ(٢)
واستقبل الرِّضْوانَ فى غُرفاتِهم بجِنان عَدْنٍ آلُك السُّمحَاءُ
خيرُ الوسائل ، مَنْ يقع منهُم على سَبب إليك فحسبِىَ (الزَّهراءُ)

---

١ ـ شاقه الحب : هاجه ـ ٢ ـ الوجناء : الناقة الشديدة .

صدى الحرب *

بسيفك يعلو الحقُّ ، والحقُّ أغلَب ويُنصَرُ دينُ اللهِ أيَّانَ تَضْرِبُ

وماالسيفُ إلا آيةُ المُلكِ فى الورى ولا الأمرُ إلا للذى يتغلَّب

فأدِّبْ به القومَ الطُّغاةَ ؛ فإنه لنِعْمَ المربى للطغاةِ المؤدِّب

وداوِ به الدُّولاتِ من كلِّ دائها فنعم الحسامُ الطبُّ والمتطبِّب(١)

تنامُ خُطوبُ المُلك إن بات ساهراً وإن هو نام استيقظت تتألَّب

أمِنّا الليالى أن نُراع بحادثٍ و(أرمينيا) ثكلى.و(حوران)أشيَبُ(٢)

ومملكةُ (اليونانِ) محلولةُ العُرَى رجاؤك يعطيها ، وخوفُك يسلب

هدَدْت أميرَ المؤمنين كيانَها بأسْطَعَ مثلِ الصبح لا يتكذَّب(٣)

ومازال فجراً سيفُ (عثمانَ) صادقاً يُسايِرُه من عالى ذكائكَ كوكب(٤)

إذا ما صَدَعْتَ الحادثاتِ بحدِّه

تكشَّفَ داجى الخطبِ ، وانجاب غَيْهب(٥)

وهاب العدا فيه خلافتَك التى لهم مأربٌ فيها ولله مأرب

أبوّة أمير المؤمنين

سما بكَ يا (عبدَ الحميدِ) أبُوَّةٌ ثلاثون : حُضَّارُ الجلالة غُيَّب(٦)

---

* — فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية

١ — المتطبب : المتعاطى علم الطب — ٢ — ثكلى مصابة ببنيها الذين نالهم صارم التاديب وتاديب الصارم . واشيب : علاه الشيب ، لكثرة ما ادب وانب — ٣ — الخطاب للسلطان عبد الحميد . وكيانها: وجودها . وبأسطع: بسيف شديد السطوع — ٤ — معناه . لكل فجر كوكب يسايره ويصحبه ؛ وفجر هذا السيف رايك الوضاء ، ومامنحت من نادر الذكاء — ٥ — الداجى : المظلم . وانجاب : انكشف . والغيهب : الظلام — ٦ — ابوة : آباء . وحضار وغيب : جمع حاضر وغائب .

قياصرُ أحياناً ، خلائفُ تارةً ... خواقينُ طورًا ، والفَخَار المقلَّب(١)

نجومُ سعودِ الملك ، أقمارُ زُهْرِهِ ... لو آن النجومَ الزُّهْرَ يجمعُها أب

تواصَوْا به عصرًا فعصرًا ، فزَادَه ... مُعَمَّمُهم من هَيبةٍ والمُعصَّب(٢)

همُ الشمسُ ، لم تبرح سماواتِ عزِّها ... وفينا ضُحاها والشعاعُ المحبَّب

الجلوس الأسعد

نهضتَ بعرشٍ ينهض الدهرُ دونه ... خشوعاً ، وتخشاه الليالى وترهَب

مَكِينٍ على متن الوجود ، مُؤَيَّدٍ ... بشمسٍ استواءٍ مالها الدهرَ مغرب(٣)

ترَقَّت له الأسواءُ ، حتى ارتقيتَه ... فقمتَ بها فى بعضِ ما تتنكَّب(٤)

فكنتَ كعين ، ذاتِ جَرْيٍ ، كمينةٍ ... تفيض على مرِّ الزمانِ وتعْذُب

موكَّلةٍ بالأرض ، تنسابُ فى الثرى ... فيحيا ، وتجرى فى البلاد فتُخْصِب

فأحييتَ مَيْتًا ، دارسَ الرسم ، غابرًا ... كأنك فيما جئتَ عيسى المقرَّب(٥)

وشِدْتَ منارًا للخلافةِ فى الورى ... تشرِّقُ فيهم شمسُه ، وتُغرِّب

سهرتَ ، ونام المسلمون بغبطةٍ ... وما يزعجُ النوامَ والساهرُ الأب ؟

فنبَّهَنا الفتحُ الذى ما بفجرِهِ ... ولا بك — يا فجرَ السلام — مُكذِّب

حلم عظيم وبطش أعظم

حُسامُك من سقراطَ فى الخطب أخْطَبُ ... وعودُك من عُود المنابر أصْلَبُ(٦)

---

١ — معناه : انفردوا بأمر المسلمين فهم الخلفاء ، واستوى عرشهم على الغرب والشرق فهم قياصر عظماء ، وهم الخواقين (ملوك الترك) . ٢ — معممهم : ذو العمامة منهم ، وكذا المعصب ، هو أيضا المتوج ، والعمامة والعصابة والتاج مما لبس سلاطين آل عثمان — ٣ — مكين : عظيم مرتفع . والمتن : الظهر — ٤ — الأسواء : جمع سوء ، وهو كل ما يسوء . وتتنكب : تحمل — ٥ — الرسم : ما كان لاصقا بالارض من آثار الدار . ودرس : اى بلى وعفا — ٦ — سقراط : خطيب اليونان وحكيمها المشهور .

وعزمُك من (هوميرَ) أمضى بديهةً — وأجلى بياناً فى القلوب ، وأعذب(١)
وإن يذكروا (إسكندرًا) وفتوحَه — فعهدُك بالفتح المحجَّل أقرب(٢)
ومُلكُك أرقى بالدليل حكومةً — وأنفذُ سهماً فى الأُمور ، وأصوَب
ظهرتَ أميرَ المومنين على العدا — ظهورًا يسوءُ الحاسدين ويُتعِب
سلِ العصرَ ، والأيامَ ، والناسَ :هل نَبا — لرأيك فيهم ، أولسيفكَ مَضْرِب(٣)
همُ مَلَئُوا الدنيا جَهاماً ، وراءه — جهامٌ من الأَعوان أهذَى وأكذب(٤)
فلما استلْتَ السيفَ أَخْلَبَ برقُهم — وماكنت ـ يابرقَ المنيّةِ ـ تُخْلِب(٥)
أَخذتَهُمُ ، لا مالكين لحَوْضِهم — من الذَّوْدِ إلا ما أطالوا وأسهبوا
ولم يتكلّف قومُك الأُسْدُ أُهبةً — ولكنَّ خُلْقًا فى السباع التأَهُّب
كذا الناسُ :بالأخلاق يبقى صلاحُهم — ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تذهب
ومِن شرف الأَوطان ألا يفوتَها — حسامٌ مُعِزٌّ ، أو يَراعٌ مهذَّب

معجزات الجنود على الحدود

ملكتَ سَبِيلَيْهِمْ : فنى الشرق مَضْرِبٌ — لجيشك ممدودٌ ،وفى الغرب مَضْرب(٦)
ثمانون ألفاً أُسدُ غابٍ ، ضَراغِمٌ — لهامِخلْبٌ فيهم :وللموتِ مخلب
إذا حَلمتْ فالشرُّ وسْنانُ حالمٌ — وإن غضبتْ فالشرُّ يقظانُ مُغضَب
فَيالِقُ أفشى فى البلاد من الضُّحى — وأبعدُ من شمس النهار وأقرب(٧)
وتُصبِح تلقاهم ، وتُمسى تصدُّهم — وتظهر فى جِدِّ القتال وتلعب

---

١ ـ هومير اكبر شعراء اليونان الاقدمين ـ ٢ ـ المحجل : المضىء المشرق ٣ ـ نبا السيف عن الضريبة : كل ، وارتد ـ ٤ ـ الجهام السحاب العظيم الذى لا ماء فيه . وهذى فى الكلام : اكثر منه فى خطأ ـ ٥ ـ أخلب برقهم ظل وعيدهم وتخلب ، اى تخدع ـ ٦ ـ مضرب: فسطاط عظيم ـ ٧ ـ الفيلق الجيش العظيم ، والجمع فيالق .

تلوح لهم فى كلِّ أُفقٍ ، وتعتلى   وتطلع فيهم من مكانٍ ، وتغرب
وتُقدِم إقدامَ الليوثِ ، وتنثنى   وتُدبِرُ علماً بالوغَى ، وتُعَقِّب(١)
وتملكُ أطرافَ الشعاب ، وتلتقى   وتأْخُذُ عفواً كلَّ عالٍ ، وتغصِب(٢)
وتغشى أبِيّاتِ المعاقل والذُّرا   فشيِّبْهُنَّ البِكْرُ ، والبكْرُ ثَيِّب(٣)
يقودُ سراياها ، ويحمى لواءها   سديدُ المرائى فى الحروب ، مُجرِّب(٤)
يجىءُ بها حيناً ، ويرجعُ مرةً   كما تَدفعُ اللّجَّ البحارُ وتَجْذِب(٥)
ويرمى بها كالبحر من كلِّ جانبٍ   فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضرب(٦)
ويُنفذُها من كلِّ شعب ، فتلتقى   كما يتلاقى العارضُ المتشعِّب(٧)
ويجعلُ ميقاتا لها تَنبرى له   كما دار يَلْقَى عقربَ السَّيْرِ عقرب(٨)
فظلت عيونُ الحرب حَيْرَى لما ترى   نواظرَ ما تأْتى الليوثُ وتُغرِب(٩)
تبالغ بالرامى ، وتزهو بما رمى   وتعجَبُ بالقُوّاد ، والجندُ أعجب(١٠)
وتُثنى على مُزْجِى الجيوشِ (بيلدزٍ)   ومُلْهِمِها فيما تنال وتكسِب(١١)
وما الملك إلا الجيش شأْنا ومظهرًا   ولا الجيشُ إلا رَبُّهُ حين يُنسب

زينب بنى عثمان

تُحذِّرنى من قومِها التُّركِ زَيْنَبُ   وتُعجِمُ فى وصف الليوثِ وتُعرِبُ
وتُكْثِرُ ذكرَ الباسلين ، وتنثنى   بعزٍّ على عزِّ الجمال ، وتُعجب

---

١ ــ أدبر : ولى . وتعقب : اى تعو ــ ٢ ــ الشعاب : جمع شعب ، وهو الطريق فى الجبل ــ ٣ ــ الأبيات : جمع ابية وهى التى لا ترضى الدنية كبرا . والمعقل : الملجأ . والذرا : الأمكنة المرتفعة . والثيب : نقيض البكر . ٤ ــ السرايا جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش . والمرائى : جمع مراى ، وهو المنظر ــ ٥ ــ اللج : معظم الماء ــ ٦ ــ الخميس : الجيش ــ ٧ ــ ينفذها: يسيرها . والشعب : الطريق فى الجبل . والعارض المتشعب : السحاب المتفرق ــ ٨ ــ انبرى له : اعترض ــ ٩ ــ اغرب الرجل : اتى بشىء غريب ١٠ ــ زها : تاه وتكبر ــ ١١ ــ أزجى الجيش : ساقه .

وتسحبُ ذيلَ الكبرياء ، وهكذا يَتِيهُ ويختالُ القويُّ المغلَّب
وزينبُ إن تاهت ، وإن هي فاخرت فما قومُها إلا العَشِيرُ المحبَّب(١)
يؤلِّف إيلامُ الحوادثِ بيننا ويجمعُنا في الله دينٌ ومذهب
نما الوُدُّ حتى مَهَّد السبْلَ للهوى فما في سبيل الوصل ما يُتصَعَّب
وداني الهوى ما شاء بيني وبينها فلم يبق إلا الأرضُ . والأرضُ تقرب(٢)

الحالة في بحر الروم

ركبتُ إليها البحرَ . وهو مَصِيدةٌ تُمَدُّ بها مفتْنُ الحديد ، وتُنْصَب(٣)
تروح المنايا الزُّرْقُ فيه : وتغتدى وما هي إلا الموجُ يأْتي ، ويذهب
وتبدو عليه الفلكُ شتَّى . كأنها بُئوزٌ تراعيها على البعد أعقُب(٤)
حواملُ أعلامِ القياصرِ . حُضرٌ عليها سلاطينُ البريَّةِ ، غُيَّب
تُجَارِى خُطاها الحادثاتِ . وتقتفي وتطفو حواليها الخطوبُ ، وترسُب(٥)
ويوشِك يجرى الماءُ من تحتها دماً إذا جَمَعَتْ أثقالَها تترقَّب
فقلت : أأشراطُ القيامة ما أرى أم الحربُ أدنى من وَريدٍ وأقرب ؟(٦)
أماناً أماناً لُجَّةَ الرُّومِ للورى لو أن أماناً عند دأماءَ يُطْلَب(٧)
كأني بأحداثِ الزمانِ مُلمَّةً وقد فاض منها حوضُكِ المتضرِّب
فأزعِجَ مَغْبُوطٌ . ورُوِّع آمنٌ وغالَ سلامَ العالمين التعصُّب
فقالت : أطلتَ الهمَّ ، للخلق ملجأٌ أبرُّ بهم من كلِّ بَرٍّ وأحدب(٨)

---

١ ــ العشير : القبيلة ــ ٢ ــ داني : قارب ــ ٣ ــ مصيدة ومصيدة بمعنى واحد وهى ما يصاد به ــ ٤ ــ بئوز : جمع باز واعقب جمع عقاب ، وكلاهما من جوارح الطير ــ ٥ ــ اقتفى اثره : تبعه ــ ٦ ــ الأشراط : جمع شرط : وهو العلامة ــ ٧ ــ لجة الروم : بحر الروم : والدأماء البحر ــ ٨ ــ احدب : من الحدب ، وهو التعطف .

سَلامُ البرايا فى كَلاءةِ فَرْقَد (بيلدزَ) لا يغفو ، ولا يتغيَّب(١)
وإن أَميرَ المؤمنين لوابلٌ من الغوثِ ،مُنْهَلٌ على الخلقِ ، صَيِّب(٢)
رأى الفتنةَ الكبرى ، فوالى انهمالَه فبادت ، وكانت جمرةً تتلهَّب(٣)

منعة السواحل العثمانية

فما زلتُ بالأهوالِ حتى اقتحمتُها وقدتَرْكبُ الحاجاتُ ما ليس يُرْكَب(٤)
أَخوض الليالى من عُبابٍ ، ومن دُجًى إلى أُفقٍ فيه الخليفةُ كوكب(٥)
إلى مُلكِ عثمانَ الذى دونَ حوضه بناءُ العوالى المشمخِرُّ المُطَنَّب(٦)
فلاح يناغى النجمَ صَرْحٌ مثقَّبٌ على الماء ، قد حاذاه صَرْحٌ مُثقب
بروجٌ أعارتها المَنونُ عيونَها لها فى ألجوارى نظرةٌ لا تُخَيَّب
رواسى ابتداعٍ فى رواسى طبيعةٍ تكادُ ذراها فى السحاب تغيَّب
فقمتُ أُجيلُ الطرْفَ حيرانَ قائلا : أَهذى ثغورُ الترك أم أنا أَحسب ؟
فمثلَ بِنَاء التركِ لم يَبْنِ مشرقٌ ومثلَ بناء التركِ لم يَبْنِ مغرب
تَظَلُّ مَهولاتُ البوارج دونَهُ حوائرَ ، ما يدرين ماذا تخرِّب ؟
إذا طاش بين الماء والصخر سهمُها أتاها حديدٌ ما يطيش ، وأسرب(٧)
يُسدِّدُه عزريلُ فى زِىِّ قاذفٍ وأيدى المنايا ، والقضاءُ المُدرَّب
قذائفُ تخشى مُهْجَةُ الشمسِ كلَّمَا عَلَتْ مُصْعِداتٍ ، أنها لا تُصَوَّب(٨)

---

١ ــ كلاءة : اى حفظ ــ ٢ ــ الغوث : الاسعاف . والوابل : المطر الشديد والصيب : السحاب ــ ٣ ــ الانهمال : دوام الانسكاب ــ ٤ ــ اقتحم الهول : رمى نفسه فيه بشدة ــ ٥ ــ الدجى : الظلمة ــ ٦ ــ العوالى : الرماح . والمشمخر : العالى . والمطنب : المشدود بالاطناب ــ ٧ ــ الأسرب : الرصاص ٨ ــ معناه : اذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس أن تخطىء هدفها وأن تستمر صاعدة فتصيب مهجتها .

إذا صُبَّ حاميها على السفن انثنت … وغانمُها الناجى ، فكيف المخيَّب؟

سلِ الرُّومَ : هل فيهنّ لِلفلك حيلةٌ … وهل عاصِمٌ منهنّ إلا التنكُّب؟(١)

تذبذبَ أسْطولاهُمُ فدعتْهما … إلى الرُّشدِ نارٌ ثمَّ لا تَتَذَبذب

فلا الشرْق فى أسطوله مُتقِى الحِمى … ولا الغرْبُ فى أُسْطولِه مُتهيِّب

زينب المتطوعة فى موقعة

وما راعَنى إلاّ لِوَاءٌ مُخَضَّبٌ … هنالك يَحميه بَنانٌ مُخَضَّب(٢)

فقلتُ : من الحامِى؟ أليثٌ غضنفرٌ … من الترْك ضارٍ ، أم غزال مُربَّب؟(٣)

أم الملكُ الغازى المجاهدُ قدْ بَدا … أم النجمُ فى الآرام ، أم أنت زَينب ؟

رفعْتِ بنات الترك ، قالت : وهل بنا … بناتِ الضوارى أن نَصول تَعَجُّب ؟

إذا ما الديار استصرخت بدرتْ لها … كرائِمُ منا بالقَنا تتنقَّب

تقرَّبُ ربّاتُ البعُولِ بعولَها … فإن لم يكُنْ بعْلٌ فنفسًا تُقَرِّب(٤)

ولاحتْ بآفاقِ العدُوِّ سَرِيَّةٌ … فوارسُ تبْدُو تارةً . وتَحجُب

نواهضُ فى حَزْنٍ كما تنهضُ القَطا … رواكِضُ فى سَهل كما انساب ثعْلب(٥)

قليلون من بُعدٍ ، كثيرون إن دنوْا … لهم سَكَنٌ آناً . وآناً تَهيُّب

فقالت : شهدتَ الحرب أو أنتَ مُوشِك … فَصِفْنَا ، فأنتَ الباسلُ المتأدّب

ونادت ، فلبّى الخيلُ من كل جانبٍ … ولبَّى عليها القَسْوَرُ المترقِّب(٦)

خِفافاً إلى الداعى ، سِراعاً ، كأنما … من الحرب داعٍ للصلاة مُثوِّب

---

١ ـ الضمير فى « فيهن » ومنهن راجع القنابل . والتنكب : العـــدول والتجنب ـ ٢ ـ اللواء المخضب : هـو الراية العثمانية الحمراء. ويحميه بنان مخضب : اى انثى مخضوبة البنان ـ ٣ ـ ربب الصبى : ربــاه حتى ادرك ٤ ـ البعل : الزوج ـ ٥ ـ الحزن : ماغلظ من الأرض ـ ٦ ـ القسور: الاسد

مُنيفين من حول اللواء ، كأنهم ... له معقِلٌ فوق المعاقل أغلب
وما هى إلا دعوةٌ وإجابةٌ ... أن التحمت ، والحربُ بَكْرٌ وتَغْلِب(١)
فأبصرتُ مالم تُبصرا من مَشاهدٍ ... ولا شهدَت يوماً مَعَدٌّ ويَعْرُب

مضيق ملونا

جبالَ (ملونا) ، لاتخورى وتجزعى ... إذا مال رأسٌ ، أوتضعضع منكب
فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركبًا ... وما كان يستعصى على الترك مركَب
عَلَوْا فوق علياءِ العدوِّ ، ودونه ... مَضِيقٌ كحلق الليث ، أو هو أصعب
فكان صراط الحشر ، ما ثَمَّ ريبةٌ ... وكانوا فريقَ الله ، ما ثَمَّ مُذنِب
يَمرُّونَ مَرَّ البرقِ تحت دُجُنَّةٍ ... دُخاناً ، به أشباحُهم تتجلبب(٢)
حثيثين من فوق الجبال وتحتها ... كما انهارَ طَوْدٌ ، أو كما انهال مِذنَب(٣)
تُمِدُّهُمُ قُذَّافُهم ورُماتُهم ... بنارٍ كنيران البراكين تدأب
تُذرِّى بها شُمَّ الذُّرا حين تعتلى ... ويسفحُ منها السفْحُ إذ تتصبب(٤)
تُسمِّر فى رأسِ القِلاع كُراتُها ... ويسكن أعجازَ الحصونِ المُذَنَّب(٥)
فلما دجى داجى العَوانِ وأطبقت ... تبلَّج والنصرَ الهلالُ المحجَّب(٦)
ورُدَّت على أعقابها الرومُ ، بعد ما ... تناثر منها الجيش ، أو كاد يذهب
جناحين فى شِبه الشبَاكيْن من قنا ... وقَلْبًا على حَرِّ الوغى يَتقلَّب

---

١ ـ بكر وتغلب : قبيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حد ، فتشبيه المقاتلين بهما جيد ـ ٢ ـ اى تحت ظلمة من الدخان تختفى بها اشباحهم ٣ ـ المذنب : مسيل الماء الى الارض ، والمعنى : كما انقض جبل ، أو انحط سيل ـ ٤ ـ تذرى من التذرية : وهى الاطارة والاثارة ، والذرا : جمع ذروة وهى اعلى الشيء . والشم : جمع شماء ، من الشمم ، وهو الارتفاع . ويسفح : ينصب . والسفح : عرض الجبل المضطجع ـ ٥ ـ المذنب : ذو الذنب من القنابل الكبيرة ـ ٦ العوان : الحرب الشديدة

على قُلَل الأجبالِ حَيْرَى جموعُهم … شواخصُ، ما إن تهتدى أين تذهب؟ (١)

إذا صعدت؛ فالسيفُ أبيضُ خاطِفٌ … وإن نزلتْ؛ فالنارُ حمراءُ تَلهب

تطوَّعَ أسرًا منهمُ ذلك الذى … تَطَوَّعَ حرباً، والزمانُ تَقلُّب

وتمَّ لنا النصر المبين على العِدا … وفتْحُ المعالى، والنهارُ المذهَّب

فجئتُ فتاةَ التركِ أجزى دِفاعَها … عن المُلكِ والأوطانِ ما الحقُّ يُوجِب

فقبَّلتُ كفًّا كان بالسيف ضارباً … وقبَّلتُ سيفًا كان بالكفِّ يضرب

وقلتُ: أفى الدنيا لقومِكِ غالِبٌ … وفى مثل هذا الحِجْرِ رُبُّوا وهذِّبوا؟

رويْدًا بنى عثمان فى طلب العلا … وهيهاتَ، لم يستبقَ شىءٌ فيُطلب

أفى كلِّ آنٍ تغرِسون، ونجتنى … وفى كل يوم تفتحون، ونكتُب؟

وما زلتُمُ يسقيكمُ النصرُ خمرَهُ … وتسقونه، والكلُّ نشوان مصأَب (٢)

إلى أن أحلَّ السُّكْرَ مَن لا يُحلُّه … ومدَّ بساطَ الشُّربِ من ليس يشرَب

الحاج عبد الأزل باشا

وأشمَطَ سَوَّاسِ الفوارسِ أشيبُ … يسيرُ به فى الشَّعب أشْمَطُ أشيبُ (٣)

رَفيقا ذهابٍ فى الحروب وجَيئةٍ … قد اصطحبا، والحُرُّ للحُرِّ يصحَب

إذا شهداها جددا هِزَّة الصِّبا … كما يتصابَى ذو ثمانينَ يطرب

فيهتزُّ هذا كالحسام، وينثنى … وينفر هذا كالغزال، ويلعب

توالى رصاصُ المطلِقين عليهما … يُخضِّل من شيبهما ويُخضِّب

فقيل: أنِلْ أقدامَكَ الأرضَ، إنها … أبرُّ جوادًا إن فعلتَ وأنجب

---

١ — القلة: اعلى الراس — ٢ — المصأب: من شرب حتى ارتوى.

٣ — الأشمط: الذى يخالط بياض راسه سواد، والمراد بالأول: الفارس وبالثانى: فرسه.

فقال : أيرضى واهبُ النصر أننا — نموت كموتِ الغانياتِ ونعطَب؟
ذرونى وشأنى والوَغَى ، لا مبالياً — إلى الموت أمشى ،أم إلى الموت أركب؟
أيحملنِى عُمْرًا ، ويحمى شبيبتى — وأخذُلُه فى وهْنِه وأُخيِّب ؟(١)
إذا نحن متنا فادفنونا ببقعة — يظلُّ بذكرانا ثراها يُطيِّب
ولا تعجبوا أن تبسلَ الخيلُ ، إنها — لها –مثلُ ما للناس– فى الموت مَشرب(٢)
فماتا أمامَ اللهِ موتَ بسالةٍ — كأنهما فيه مِثالٌ منصَّب(٣)
وما شهداءُ الحربِ إلا عمادُها — وإن شَيَّدَ الأَحياءُ فيها وطنَّبوا(٤)
مِدادُ سِجلِّ النصرِ فيها دِماؤهم — وبالتِّبر من غالى ثَرَاهُمُ يُتَرِّب(٥)
فهل من (ملونا) موقفٌ ومَسامِعٌ — ومن جبليها منبرٌ لى فأَخطب ؟
فأَسأَل حِصْنَيْها العجيبين فى الورى — ومدخلَها الأَعصى الذى هو أعجب؟
وأَستشهِد الأَطوادَ شماء ، والذرا — بَواذِخَ ،تُلْوِى بالنجوم وتجذب؟(٦)
هل البأس إلا بأْسُهم وثباتُهم ؟ — أو العزمُ إلا عزمُهم والتلبُّب؟(٧)
أَو الدينُ إلا مارأت من جهادهم ؟ — أو المُلكُ إلا ما أَعزُّوا وهَيَّبوا ؟(٨)
وأَىُّ فضاءٍ فى الوَغى لم يُضَيِّقوا ؟ — وأَىُّ مَضيق فى الورى لم يُرحِّبوا ؟
وهل قبلهم مَنْ عانقَ النارَ راغبًا — ولو أنه عَبَّادُها المترهِّب ؟

---

١ ـ الوهن : الضعف ، والمعنى : ليس من الوفاء ، ولا من حسن الجزاء أن يكون نصيبه منى فى شيبه الترك والخذلان ، وقد كان نصيبى منه الصبر على الاهوال ، والمعاونة على القتال ـ ٢ ـ تبسل : تشجع . ٣ ـ منصب : مرفوع ـ ٤ ـ طنب البيت : شده بالاطناب ، وهى الحبال ٥ ـ السجل : كتاب العهد ، أو الحكم ، وترب الكتابة : وضع عليها التراب لتجف ـ ٦ ـ الشماء: المرتفعة . والبواذخ : من بذخ الجبل : طال . والوى بثوبه أو يده : اشار بها ـ ٧ ـ التلبب : من تلبب الرجل للحرب : تحزم وتشمر لها ـ ٨ ـ هيبه : صيره مهيبا

وهل نال ما نالوا من الفخر حاضرٌ ؟ وهل حُبِيَ الخالون منه الذى حُبوا ؟(١)
بلاماً (ملونا) ، واحتفاظاً ، وعصمةً لمن بات فى عالى الرضى يتقلب
وضِنّى بعظمٍ فى ثراك مُعظَّمٍ يُقربه الرَّحمنُ فيما يُقرِّب

هزيمة طرناو

و (طرناوُ) إذ طارَ الذهولُ بجيشها وبالشَّعب فوضى فى المذاهب يذهب
عَشِيَّةَ ضاقت أَرضُها وسماؤها وضاق فضاءٌ بين ذاك مُرَحَّب
خَلَتْ من بنى الجيش الحصونُ ، وأقفرت مساكنُ أهليها ، وعمَّ التخرُّب(٢)
ونادى منادٍ للهزيمة فى المَلا وإنّ مُنادى التُّرْكِ يدنو ويقرب
فأعرضَ عن قُوّاده الجندُ شارداً وعلَّمه قُوَّادُه كيف يهرب
وطار الأَهالى ، نافرين إلى الفَلا مثينَ ، وآلافاً تَهِيمُ وتسرُب(٣)
نَجَوْا بالنفوس الذاهلاتِ ، وما نَجَوْا بغير يَدٍ صِفْر ، وأُخرى تقلب
وطالت يَدٌ للجمع فى الجمع بالخنا وبالسلبِ ، لم يَمْدُدْ بها فيه أَجنَب(٤)
يسير على أشلاءِ والِده الفتى ويَنْسَى هناك المُرْضَعَ الأُمُّ والأَب(٥)
وتمضى السرايا واطئاتٍ بخيلها أَراملَ تبكى ، أَو ثواكلَ تندب
فمِنْ راجلٍ تَهوى السنون برجلهِ ومِنْ فارسٍ تمشى النساءُ ، ويَركب(٦)
وماضٍ بمال قد مضى عنه وَألُهُ ومُزجٍ أَثاثاً بين عينيه يُنهَب(٧)

---

١ — حباه الشىء : أعطاه اياه — ٢ — بنى : جمع بنية ، بكسر الباء ، وهى البنيان والمراد بها هنا : القلاع والثكنات — ٣ — تسرب : من سرب الرجل فى الأرض ، اذا ذهب على وجهه فيها ومضى — ٤ — معناه تعدى بعضهم على بعض بالفحش والسب . والأجنب الأجنبى ، والمراد : الترك — ٥ — أشلاء : جمع شلو ، وهى أعضاء الانسان بعد البلى والتفرق — ٦ — الراجل : الماشى على رجليه . وتهدى السنون برجله : أى تزل به القدم من ثقل وطأة الهرم ٧ — الوال : الملجأ . مزج — من أزجاه بمعنى ساقه ودفعه برفق . الأثاث : متاع البيت

يكادون من ذُعرٍ تفرُّ ديارهم وتنجو الرواسى لوحَوَاهُنَّ مَشعب(١)

يكاد الثرى من تحتِهم يَلِجُ الثرى ويَقضِم بعضُ الأَرضِ بعضًا ويقضِب(٢)

تكادُ خُطاهم تسبق البرقَ سرعةً وتذهب بالأَبصار أَيّان تذهب

تكاد على أَبصارهم تقطع المدى وتنفذ مرماها البعيدَ وتحجُب(٣)

تكاد تمسُّ الأَرضَ مَسًّا نِعالُهم ولو وجدوا سُبْلاً إلى الجو نكَّبوا(٤)

هزيمة من لا هازمٌ يستحِثُّه ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجب

فعدنا ، فلم يعدمْ فتى الروم فَيْلَقًا من الرعب يغزوه ، وآخرَ يسلُب

ظفِرنا به وجهًا ، فظن تعقُّباً وماذا يزيد الظافرين التعقُّب ؟

فولَّى ، وما ولَّى نظامُ جنودهِ ويا شؤْمَ جيشٍ للفرار يرتِّب

يسوق ويَحْدو للنجاةِ كتائِبًا له موكب منها ، وللعار موكب

منظمة من حوله ، بَيْدَ أَنها تودُّ لو انشقَّ الثرى فتُغيَّب

مؤزرة بالرُّعب ، ملدوغة به فنى كل ثوبٍ عقرب منه تَلْسِب(٥)

ترى الخيل من كلِّ الجهاتِ تَخَيُّلًا فيأْخذ منها وهْمُها والتهيُّب

فمِن خلفِها طورًا ، وحيناً أَمامها وآونةً من كلِّ أَوْبٍ تَأَلَّب(٦)

فوارسُ فى طولِ الجبالِ وعرْضِها إذا غاب منهم مِقْنَبٌ لاح مِقْنَب(٧)

فمهما تهِمْ يسنحْ لها ذو مُهنَّدٍ ويخرجْ لها من باطن الأَرض مِحْرَب(٨)

---

١ ــ الذعر : الخوف الشديد ، والرواسى : الجبال : والمشعب : الطريق.
٢ ــ يلج : يدخل . ويقضم : ويقضب : يقطع ــ ٣ ــ مدى البصر : منتهاه وغايته . وتنفذ مرماها : تبلغه وتتجاوزه ــ ٤ ــ نكبوا : مالوا ــ ٥ــ ارزه: غطاه وقواه . وتلسب : اى تلدغ ــ ٦ ــ تألب ــ من التألب : وهو التجمع والأرب : الناحية ــ ٧ ــ اى يجسمها لهم الويل فيرونها كذلك . والمقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة ــ ٨ ــ المحرب : الشجاع الشديد فى الحرب

وتَنْزِلْ عليها من سماء خيالِها صواعقُ فيهنّ الردى المُتَصبِّب
رُؤًى إن تكن حقًّا يكنْ من ورائِها ملائكةُ الله الذى ليس يُغْلب(١)

التلاقى سهل فرسالا

و (فرسالُ) إذ باتوا وبتنا أعادِياً على السهل لُدًّا ، يرقبون ، ونرقب(٢)
وقام فتانا الليلَ يَحْمِى لواءه وقامَ فتاهم ليلَه يتلعَّب
توسَّدَ هذا قائِمَ السيفِ يَتَّقى وهذا على أحلامِه يتحسَّب(٣)
وهل يستوى القِرنان : هذا مُنعَّمٌ غَرِيرٌ ، وهذا ذو تجاريبَ قُلَّب؟(٤)
حمينا كِلانا أرض (فِرسالَ) والسما فكلٌّ سبيل بين ذلك مَعْطَبُ(٥)
ورُحنا يَهُبُّ الشر فينا وفيهمُ وتَشْمُل أرواحُ القتال وتجنُب(٦)
كأنا أُسودٌ رابضاتٌ ، كأنهم قطيعٌ بأقصى السهل،حيران،مُذئِب(٧)
كأن خيام الجيش فى السهل أينُق نواشِزُ ، فوضى ، فى دجى الليل شُزَّب(٨)
كأن السرايا ساكناتٍ موائجًا قطائعُ ،تعطَى الأمنَ طورًا ،وتُسْلَب(٩)
كأن القَنا دون الخيام نوازلا جداولُ ، يُجريها الظلامُ ، ويسكب(١٠)
كأن الدُّجى بحر إلى النجم صاعد كأن السرايا موجهُ المتضرِّب
كأن المنايا فى ضمير ظلامِه همومٌ بها فاض الضمير المحجَّب

---

١ ـ الرؤى : جمع رؤيا ، وهى المنام ـ ٢ ـ اللد : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة ـ ٣ ـ يتحسب : يتوسد ـ ٤ ـ القرن : النظير المقاوم والغرير : العديم الخبرة . والقلب : المحتال البصير بتقلب الأمور
٥ ـ معطب : مهلك ـ ٦ ـ تشمل ـ من شملت الريح : هبت شمالا . وجنبت : هبت جنوبا ـ ٧ القطيع : الطائفة من الغنم . وأذاب القطيع فزع من الذئب ، فهو مذئب ـ ٨ ـ الأينق : جمع ناقة . ونواشز : مرتفعة . وشزب : متفرقه ـ ٩ ـ القطائع : جمع قطيعة ، وهى هنا ما قطع من الجيش ـ ١٠ ـ القنا : جمع قناة ، وهى الرمح

كأنّ صهيل الخيل ناعٍ مبشرٌ   تراهنّ فيها ضُحَّكًا وهى نُحَّب(١)
كأن وجوه الخيل غُرًّا وسيمةً   دَرارِىُّ ليل طُلَّعٌ فيه ثُقَّب(٢)
كأن أنوف الخيل حَرَّى من الوغى   مجامرُ فى الظلماء تهْدا وتلهب(٣)
كأن صدور الخيل غُدْرٌ على الدُّجى   كأن بقايا النضْح فيهن طُحْلُب(٤)
كأن سَنى الأبواق فى الليل برقُه   كأن صداها الرعدُ البرق يصحب
كأن نداء الجيش من كل جانبٍ   دوىٌّ رياح فى الدجى تتذأب(٥)
كأن عيون الجيش من كل مذهب   من السهل جنٌّ جُوَّلٌ فيه جُوَّب(٦)
كأن الوغى نارٌ ، كأن جنودنا   مجوسٌ إذا ما يَمَّموا النار قرّبوا(٧)
كأن الوغى نار ، كأن الردّى قِرًى   كأن وراء النار حاتِمَ يأْدِب(٨)
كأن الوغى نار ، كأن بنِى الوغى   فَراشٌ ؛ له فى ملمس النار مأْرَب
وثبْنا يضيق السهل عن وثباتنا   وتقدُّمُنا نارٌ إلى الروم أَوْثَب
مشت فى سراياهم ، فحلَّت نظامَها   فلما مشيْنا أدبرتْ ، لا تُعقِّب

غصب دوموقو

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله   فياقوم ؛ حتى السهلُ فى الحرب يصعُب؟
وحصن تسامى من (دموقو) : كأنه   مُعَشَّش نسرٍ ، أو بهذا يلقب
أشمُّ على طَوْدٍ أشمَّ . كلاهما   مَنون المُفاجِى ؛ والحِمامُ المرحِّب

---

١ نحب : اى منتحبات باكيات ـ ٢ ـ ثقب النجم : أضاء . والدرارى : النجوم الثواقب ـ ٣ ـ المجامر : جمع مجمر ، وهو ما يوضع فيه الجمر .
٤ ـ الغدر : جمع غدير : والطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن . والنضح رشاش الماء ـ ٥ ـ تتذاب الريح : تجىء مرة كذا ومرة كذا ـ ٦ ـ عيون الجيش : ارصاده وجواسيسه ـ ٧ ـ قربوا لله : قدموا له القربان .
٨ ـ القرى : ما قرى به الضيف ؛ اى قدم له . وحاتم : هو حاتم الطائى المضروب به المثل فى الجود

تكادُ تقاد الغادت لربِّه … فيُزْجِى ، وتَنْزمُّ الرياحُ فيركب(١)
حمَته ليوثٌ من حديدٍ تركَّزت … على عَجَل ، واستجمعتْ تترقب
تثور وتستأْنى ، وتنأَى وتَدَّنى … وتغدو بما تغدى ، وترمى وتنشب(٢)
تأَبِّى ، فظنّ العالمونَ استحالةً … وأَعيا على أوهامهم ، فتربَّبوا(٣)
فما فى القوى أن السمٰواتِ تُرْتَقى … بجيشٍ ،وأَن النجم يُغْشى فيُغضب(٤)
سموتمْ إليه ، والقنابلُ دونه … وشهبُ المنايا ،والرصاص المُصَوَّب
فكنتم يواقيتَ الحروبِ كرامةً … على النار ، أو أَنتم أشدُّ وأصلَب(٥)
صعدتم ، وما غيرُ القنا ثَمَّ مَصعدٌ … ولا سُلَّمٌ إلا الحديدُ المذرب(٦)
كما ازدحمتْ بيزان جَوٍّ بمَوْرِدٍ … أو ارتفعت تلْقَى الفريسةَ أعقب(٧)
فما زلتمُ حتى نزلتم بُروجَه … ولم تحتضرْ شمس النهار فتغربُ
هنالك غالى فى الأَماديحُ مَشرقٌ … وبالغ فيكم آلَ عثمان مَغرِب
وزيدَ حمى الإسلام عزًّا ومَنْعةً … ورُدَّ جِماحُ العصر ، فالعصرهَيِّب
رفعنا إلى النجم الرءُوس بنصركم … وكنا بحكم ِالحادثاتِ نصوِّب
ومن كان منسوباً إلى دولةِ القنا … فليس إلى شىءٍ سوى العِزِّ يُنْسَب

احلام اليونان

فياقوم ، أَين الجيش فيما زعمتُمُ ؟ … وأَين الجوارى ، والدفاعُ المركَّب ؟(٨)

---

١ ــ الغاديات : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة . ويزجى : يسوق وتنزم : تزم بزمام ــ ٢ استأنى : انتظر . وادنى : اقترب ــ ٣ ــ تأبى . امتنع . وتربَّبوا : تخوفــوا ــ ٤ ــ يغضب : على البناء للمجهول : يصاب بالغضاب ، وهو القذى فى العين ــ ٥ ــ يقال : ان الياقوت لا يحترق بالنار ٦ ــ الحديدد المذرب : المسموم ، وذرب السيف :حده ــ ٧ ــ البيــزان : جمع باز . والأعقب : جمع عقاب ، وهما من جوارح الطير ــ ٨ ــ الجوارى السفن .

وأين أميرُ البأسِ والعزمِ والحِجى؟ وأين رجاءٌ فى الأمير مُخيّب ؟

وأين تُخومٌ تستبيحون دَوْسَها ؟ وأين عصاباتٌ لكم تتوثّب ؟(١)

وأين الذى قالت لنا الصحْفُ عنكم وأسند أهلوها إليكم فأطنبوا ؟

وما قد روى بَرْقٌ من القولِ كاذبٌ وآخرُ من فعل المحبين أكذب

وما شِدْتُمُ من دولة عرضُها الثرى يدين لها الجنسان : تُرْكٌ وصَقْلب

لها علمٌ فوق الهلال ، وسُدَّةٌ تُنَصُّ على هام النجوم ، وتُنصَب

أهذا هو الذُّود الذى تدّعونه ونصرُ « كريدٍ » ، والولا ، والتحبُّب؟

أهذا الذى للمُلكِ والعِرضِ عندكم وللجار إن أعيا على الجار مَطلب ؟

أهذا سلاحُ الفتح ، والنصر والعلا؟ أهذا مطايا مَنْ إلى المجد يركب ؟

أهذا الذى للذكر خلّب معشرٌ على ذكرهم يأتى الزمانُ ويذهب ؟

أسأتم ، وكان السوءُ منكم إليكمُ إلى خير جار عنده الخيرُ يُطلَبُ

إلى ذى انتقامٍ ، لا ينام غريمُه ولو أنه شخصُ المنام المحجّب

شقيتم بها من حيلة مستحيلة وأين من المُحتال عنقاءُ مُغْرِب؟(٤)

فلولا سيوفُ التركِ جرّبَ غيرُكم ولكن من الأشياء ما لا يجرّب

عفو القادر

فعفواً — أميرَ المؤمنين — لأمَّةٍ دعَتْ قادراً : مازال فى العفو يرغب

ضربتَ على آمالِها ، ومآلها وأنتَ على استقلالها اليومَ تَضرب

إذا خان عبدُ السوءِ مولاه مُعْتَقًا فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذّب ؟

ولا تضربَنْ بالرأى مُنحَلَّ ملكِهم فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذّب؟

---

١ — التخوم : الحدود — ٢ — صقلب : الجنس السلافى — ٣ — تنص أى ترفع — ٤ — عنقاء مغرب : طائر من طيور الأساطير

لقد فنِيَت أرزاقُهم ، ورجالُهم ... وليس بفانٍ طَيْشُهم ،والتقلُّب
فإن يجدوا للنفس بالعوْدِ راحةً ... فقد يشتهى الموتَ المريضُ المعذَّب
وإن همّ بالعفو الكريم رجاؤهم ... فمن كَرَم الأخلاقِ أن لا يُخَيَّبوا
فما زلتَ جارَ البرِّ ، والسيّدَ الذى ... إلى فضله من عدله الجارُ يهرب
يُلاقى بعيدُ الأهلِ عندكَ أهلَهُ ... ويمرحُ فى أوطانه المتغرِّب

التماس القبول

أمولاىَ غنّتك السيوفُ فأطربت ... فهل لِيراعى أن يُغنى فيُطرب
فعندى ـ كما عند الظُّبا ـ لك نَغْمَةٌ ... ومختلِفُ الأنغامِ للأُنس أجلب(١)
أعزّب ما تُنشى عُلاك ، وإنه ... لفى لُطفه ما لا ينال المُعرِّب
مدحتك والدنيا لسانٌ ، وأهلُها ... جميعًا لسانٌ ، يمليان ، وأكتب
أناولُ من شعر الخلافةِ ربَّها ... وأكسو القوافى مايدوم فيقشب(٢)
وهل أنت إلا الشمسُ فى كل أمةٍ ؟ ... فكلُّ لسانٍ فى مديحك طيِّب
فإن لم يَلِقْ شعرى لبابك مِدحةً ... فمُرْ ينفتِح بابٌ من العذرِ أرحَب
وإنى لطيرُ النيل ، لا طير غيرُه ... وما النيلُ إلا من رياضِك يُحسَب
إذا قلتُ شعرًا فالقوافى حواضر ... وبغدادُ بغدادٌ ، ويثرب يثرب
ولم أعدم الظلَّ الخصيبَ ، وإنما ... أجاذِبُكَ الظلَّ الذى هو أخصب
فلا زلتَ كهفَ الدين ، والهادىَ الذى ... إلى اللهِ بالزُّلفى له نتقرّب

---

١ ـ الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان .
٢ ـ يقشب الشيء : يجعله جديدا

انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة

اللهُ أكبر ، كمْ فى الفتح من عَجَب	ياخالدَ التُّركِ جدِّدْ خالدَ العَرَب(١)
صلحٌ عزيزٌ على حرب مُظَفَّرةٍ	فالسيفُ فى غمدِهِ ، والحقُّ فى النُّصُب(٢)
ياحُسنَ أمْنِيَّةٍ فى السيفِ ما كذَبَت	وطيبَ أُمنيَّةٍ فى الرأى لم تَخِب
خُطاك فى الحق كانت كلُّها كَرماً	وأنتَ أكرمُ فى حَقْن الدَّمِ السَّرِب(٣)
حَذوتَ حربَ (الصلاحيِّين) فى زَمَن	فيه القتالُ بلا شرع ، ولا أدب
لم يَأْتِ سيفُك فحشاءَ ، ولاهتكتْ	قناك من حُرمَةِ الرُّهبان والصُّلُب
سُئِلْتَ سِلماً على نصر ، فجُدتَ بها	ولو سُئِلتَ بغير النصر لم تُجِب(٤)
مَشيئَةٌ قَبِلَتْها الخيلُ عاتبةً	وأذعن السيفُ مَطْوِيّاً على عَضَب
أتيتَ مايشبه التقوى وإن خُلِقت	سيوفُ قومِك لا ترتاحُ للقُرُب(٥)
ولا أزيدُك بالإسلام معرفةً	كلُّ المروءةِ فى الإسلام والحسبَ
مَنَحْتَهُمُ هُدْنة من سيفك التُمِسَت	فهَبْ لهم هُدْنةً من رأيك الضَّرِب(٦)
أتاهُمُ منك فى «لوزانَ» داهيةٌ	جاءت به الحربُ من حَيَّاتها الرُّقُب(٧)
أَصَمُّ ، يسمعُ سرَّ الكائدين له	ولا يضيق بجَهْرِ المُحْنَقِ الصَّخِب
لم تَفترِق شهواتُ القوم فى أَرَب	إلا قضى وَطَراً من ذلك الأَرَب

١ ـ خالد الترك : يراد به الغازى مصطفى باشا كمال ، وخالد العرب : هو خالد بن الوليد وله فى الحروب الاسلامية صوت بعيد ـ ٢ ـ النصب : جمع نصاب ، وهو الاصل والمرجع ـ ٣ ـ السرب : المسفوح ـ ٤ ـ الضمير فى « بها » : للسلم بالكسر والفتح مؤنثة : بمعنى الصلح والسلام ـ ٥ ـ القرب جمع قراب ، وهو الغمد ـ ٦ ـ الضرب : القاطع ـ ٧ ـ الرقب : جمع رقيب ، وهى الحية الخبيثة . والمقصود بالداهية : عصمت باشا مندوب الترك فى مؤتمر (لوزان) ، والمشهور عنه أن فى سمعه ضعفا ، لا تصل اليه الا الأصوات العالية

تدرّعَتْ للقاء السّلم «أَنْقرةٌ» ومهَّدَ السيفُ فى (لوزان) للخُطَب
فقل لِبيانٍ بقولٍ رُكنَ مَملكةٍ على الكتائب يُبنَى المُلكُ .لا الكتُب
لا تَلْتَمِس غَلَبًا للحقِّ فى أُمَمٍ الحقُّ عندهُمُ معْنًى من الغَلَب
لا خيرَ فى مِنبَر حتى يكون له عُودٌ من السُّمْر ، أَو عودٌ من القُضُب(١)
وما السلاحُ لقوم كلُّ عُدّتِهِم حتى يكونوا من الأَخلاق فى أُهُب(٢)
لو كان فى الناب دون الخُلقِ مَنْبَهَةٌ تساوت الأُسْدُ والذُّؤبانُ فى الرُّتَب
لم يُغن عن قادة اليونان ما حشدوا من السلاح ، وما ساقوا من العُصَب
وتَركُهُم «آسيا الصغرى» مُدجّجَةً كشُكْنة النحل ،أَو كالقُنْفُذ الخشب(٣)
للتُرْك ساعاتُ صبرٍ يومَ نَكبَتِهم كُتِبْنَ فى صحف الأَخلاق بالذهب
مغارمٌ ، وضحايا ما صَرَخْنَ ، ولا كُدّرن بالمنّ ،أَو أُفسِدْنَ بالكذب
بالفعلِ والأَثر المحمود تعرفها ولستَ تعرفها باسم ولا لقب
جُمعنَ فى اثنين : مِن دينٍ ومِن وَطَنٍ جمعَ الذبائح فى اسم الله والقُرَب(٤)
فيها حياةٌ لشعبٍ لم يمُتْ خُلُقا ومَطمعٌ لقَبيل ناهضٍ أَرِب
لم يَطْعَم الغُمْضَ جَفْنُ المسلمين لها حتى انجلى ليلُها عن صُبْحِهِ الشَّنِب(٥)
كُنّ الرجاء ، وكُنّ اليأْس ، ثم محا نورُ اليقين ظلامَ الشك والرِّيَب
تلمَّس الترك أَسباباً ، فما وجدوا كالسيف من سُلَّم للعزّ ، أَو سَبَب

---

١ ــ السمر : الرماح : والقضب السيوف ــ ٢ ــ اهب : جمع اهاب
٣ ــ حينما ينكمش القنفذ ويتخشب بتسع ما بين شعراته من الانفراج بخلاف حالة الانبساط ، فان شعراته حينئذ تكون متضامة ــ ٤ ــ القرب : جمع قربة ، وهى ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من اعمال البر والطاعة
٥ ــ الشنب : الابلج ، من الشنب : وهو عذوبة الأسنان

خاضوا العَوَانَ رجاءَ أن تُبَلِّغَهم ... عبْرَ النجاةِ ،فكانت صخرةَ العَطب(١)

سفينةُ اللهِ لم تُقهر على دُسُر ... فى العاصفات ، ولم تُغلَبْ على خُشُب(٢)

قد أمَّن اللهُ مجراها ، وأبدلها ... بحسن عاقبةٍ من سوءِ مُنقلَب

واختار رُبَّانَها من أهلها ، فنجت ... من كيدِ حامٍ ، ومن تضليل مُنتدَب

ما كان ماءُ «سقاريّا» سوى سَقَرٍ ... طغت ، فأغرقت الإغريقَ فى اللهب(٣)

لما انبرَتْ نارُها تبغيهمُ حَطَبًا ... كانت قيادتُهم حمَّالةَ الحطب

سَعَتْ بهم نحوكَ الآجالُ يومئذٍ ... يا ضلَّ ساعٍ بداعى الحَين مُنجذِب

مَدُّوا الجُسورَ ، فحلَّ اللهُ ما عقدوا ... إلا مسالكَ فِرعونيّةَ السَّرَب

كَرْبٌ تغشاهم من رأى ساستهم ... وأشأمُ الرأى ما ألقاك فى الكُرَب

هم حسَّنوا للسواد البُلْهِ مملكةً ... من لِبْدة الليث أو من غِيلِهِ الأشِب

وأنشئوا نُزهةً للجيش قاتلةً ... ومَنْ تنزَّه فى الآجام لم يَؤُب

ضلَّ الأميرُ ، كما ضلَّ الوزيرُ بهم ... كلا السَّرابَيْنِ أظماهم ، ولم يَصُب(٥)

تجاذباهم كما شاءا بمختلفٍ ... من الأمانىِّ والأحلامِ مُختلِب

وكيف تلقى نجاحًا أمةٌ ذهبتْ ... حِزبَيْنِ ضِدَّيْنِ عند الحادث الحزِب؟(٦)

زحفتَ زحفَ أتِيٍّ غيرِ ذى شَفَقٍ ... على الوِهاد ولا رِفْقٍ على الهِضَب(٧)

قذفتَهم بالرياح الهُوج مُسرَجةً ... يَحملن أُسْدَ الشَّرى فى البَيْضِ واليلَب(٨)

---

١ ـ الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد اخرى . وعبر الوادى (بالفتح والكسر) : شاطئه ـ ٢ ـ دسر : جمع دسار ، وهو المسمار ، أو الخيط من ليف تشد به ألواح السفينة ـ ٣ ـ الاغريق:اليونان ـ ٤ ـ اللبدة: شعر وبرة اللبث ، ويضرب بها المثل فى المنعة ، فيقال : امنع من لبدة الاسد والغيل : موضع الاسد ، والأشب : الشائك المشتبك ـ ٥ ـ لم يصب ـ من الصوب : اى المطر ـ ٦ ـ الحزب : الشديد ـ ٧ ـ الاتى : السيل ٨ ـ الشرى : مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات . والبيض : الخوذ . واليلب : الدروع

هَبَّت عليهم . فذابوا عن معاقلهم ... والثلجُ فى قُلَل الأجبال لم يَذُب
لمّا صدَعتَ جناحَيْهم وقَلْبَهُمُ ... طاروا بأجنحة شتّى من الرُّعب
جَدَّ الفِرارُ ، فألقى كلُّ معتقل ... قناتَهُ ، وتخلى كل مُحتقِب(١)
ياحُسْنَ ماانسحبوا فى مَنْطِقٍ عَجَبٍ ... تُدعى الهزيمةُ فيه حُسنَ مُنسَحَب
لم يَدْرِ قائدُهم لما أحطّتَ به ... هبطتَ من صُعُدٍ أم جئتَ من صَبَب؟(٢)
أخذتَه وهو فى تدبير خُطَّتِهِ ... فلم تتمّ ، وكانت خطةَ الهرب
تلك الفراسِخُ من سهل ومن جبل ... قرّبْتَ ما كان منها غيرَ مقترِب
خَيْلُ الرسولِ من الفولاذ معدِنُها ... وسائر الخيل من لحمٍ ومن عصب
أفى ليال تجوب الراسياتِ بها ... وتقطع الأرضَ من قُطْبٍ إلى قُطُب؟
سل الظلام بها : أىُّ المعاقل لم ... تَطفِر، وأىُّ حصونِ الروم لم تَثِب؟(٣)
آلَت لئن لم ترِد « أزميرَ » لانزلتْ ... ماءً سواها ، ولا حلَّت على عُشُب
والصبر فيها وفى فرْسانها خُلُقٌ ... توارثوه أباً فى الروع بعد أب
كما وُلِدتُم على أعرافِها وُلِدَت ... فى ساحة الحرب ، لافى باحة الرَّحَب(٤)
حتّى طلعتَ على « أزميرَ » فى فلكٍ ... من نابه الذكر لم يَسمُك على الشُّهُب(٥)
فى موكبٍ وقف التاريخ يَعرضه ... فلم يُكذِّب ، ولم يذممْ ، ولم يُرِب
يومٌ « كبدرٍ » ، فخيلُ الحقِ راقصةٌ ... على الصعيد ، وخيل الله فى السُّحُب
غُرٌّ ، تظلِّلُها غرّاءُ ، وارفةٌ ... بَدريّةُ العُودِ ، والدِّيباجِ ، والعَذَب(٦)

---

١ ــ المحتقب : المدخر ، ويقال : احتقب فلان الشيء : ادخره او احتمله خلفه ــ ٢ ــ الصبب : ما انحدر من الأرض ــ ٣ ــ تطفر : من الطفور ، وهو الوثوب فى ارتفاع ، والطفرة كذلك : الوثبة ــ ٤ ــ الاعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس ــ ٥ ــ لم يسمك : لم يرفع ــ ٦ ــ غراء وارفة : بصف العلم (اللواء) · والعذب : خرق الألوية ·

نَشوى من الظفَر العالى ، مُرَنَّحةٌ   من سَكْرة النصر ، لا من سكرة النَّصَب
تذكُّر الأَرض ما لم تنس من زبدٍ   كالمِسك من جنبات (السَّكْب) مُنسكب(١)
حتى تعالى أذانُ الفتح ، فأنْأَدَت   مَشْىَ المُجَلِّ إذا استولى على القصب

* * *

تحيةً — أيُّها الغازى — وتهنئةً   بآية الفتح تبقى آيةَ الحِقب
وقَيِّمًا من ثناءٍ ، لا كِفاءَ له   إلا التعجبُ من أصحابك النُّجُب
الصابرين إذا حلَّ البلاءُ بهم   كالليث عَضَّ على نابيْه فى النُّوَب
والجاعلين سيوفَ الهند ألسنَهم   والكاتبين بأَطراف القنا السُّلُب(٢)
لا الصعبُ عندهمُ بالصعبِ مركبُه   ولا المُحالُ بمستعصٍ على الطَّلب
ولا المصائبُ إذ يرمى الرجالُ بها   بقاتلاتٍ إذا الأَخلاقُ لم تُصَب
قُوَّاد معركةٍ . ورَّادُ مهلَكةٍ   أوتادُ مملكةٍ ، آسادُ مُحتَرَب
بلوتَهم ، فتحدَّث : كم شَدَدْتَ بهم   من مُضمَحِلٍّ ؟ وكم عمَّرت من خرب ؟
وكم ثَلَمتَ بهم من مَعقِلٍ أَشِبٍ ؟   وكم هزمتَ بهم من جَحْفَل لَجِب ؟
وكم بنيتَ بهم مجدًا فما نبَسوا ؟   فى الهدم ما ليس فى البنيان من صخب
مِن فَلِّ جيشٍ : ومن أَنقاض مملكةٍ   ومن بقية قومٍ جئتَ بالعجب(٣)
أخرجت للناس من ذلٍّ ، ومن فشلٍ   شعبًا وراءَ العوالى غيرَ مُنْشَعِب
لما أَتيتَ ببدرٍ من مطالعها   تَلفَّتَ البيتُ فى الأَستار والحجب
وهشَّت الروضةُ الفيحاءُ ضاحكةً   إن المنوّرة المسكيّة الترُب
وَمَسَّت الدارُ أزكى طيبِها ، وأتت   بابَ الرسول ، فمسَّت أشرفَ العتب

---

١ — السكب : فرس من أفراس النبى — ٢ — السلب : جمع سلب ، وهو الطويل — ٣ — الفل : واحد الفلول ، وفلول السيف : كسور فى حده

وأرّجَ الفتحُ أرجاءَ الحجازِ ، وكم قضى الليالىَ لم ينْعَمْ ، ولم يَطِب
وازَّيَّنتْ أمّهاتُ الشرق ، واستبقت مهارجُ الفتحِ فى المؤشيّة القشُب
هزّتْ (دِمَشقُ) بنى (أيوبَ) ، فانتبهوا يهنئون (بنى حمدانَ) فى (حلب)
ومسلمو (الهند) و (الهندوسُ) فى جَذَلٍ ومسلمو (مصر) والأقباطُ فى طرب
ممالكٌ ضمّها الإسلامُ فى رَحِمٍ وشيجةٍ ، وحواها الشرقُ فى نسب(١)
من كل ضاحيةٍ ترمى بمكتحل إلى مكانكَ ، أو ترمى بمختضب
تقول : لولا الفتى التركىُّ حل بنا يومٌ كيوم يهودٍ كان عن كَثَب

بعد المنفى *

أنادى الرسمَ لو ملك الجوابا وأجزيهِ بدمعىَ لو أثابا(٢)
وقَلَّ لحقِّه العبراتُ تجرى وإن كانت سَوادَ القلب ذابا
سبقنَ مُقبِّلاتِ التُّرْبَ عنى وأدّينَ التحيةَ والخطابا
فنثرى الدمعَ فى الدِّمن البوالى كنظمى فى كواعبها الشَّبابا(٣)
وقفتُ بها كما شاءت وشاءُوا وقوفاً عَلَّمَ الصبرَ الذَّهابا
لها حَقٌّ ، وللأحباب حقٌّ رشفتُ وصالَهم فيها حبابا(٤)

---

١ ــ الرحم الوشيجة : المتصلة القرابة .

* كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ؛ وقد اشاد فيها بذكر تلك البلاد شكرا لها وعرفانا بجميلها ، ثم انتقل الى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التى كانت حينئذ شغل البلاد الشاغل وقد انشدت هذه القصيدة فى اجتماع لجان التموين (بالاوبرا الملكية سنة ١٩٢٠) ــ ٢ ــ الرسم : ما كان بالأرض من آثار الدار ــ٣ــ الدمن : آثار الديار . والكواعب من الجوارى : ناهدات الثدى ، والمراد بها هنا : الديار قبل أن تستحيل الى دمن

٤ ــ رشف الماء : مصه بشفتيه .. والحباب : الحبب

وَمَنْ شكرَ المناجِمَ مُحسِناتٍ ... إذا التبرُ انجلى ؛ شكر الترابا
وبين جوانحى وافٍ ، ألوفُ ... إذا لمح الديارَ مضى ، وثابا
رأى مَيْلَ الزمان بها ، فكانت ... على الأيام صحبتُه عتابا

* * *

وداعاً أرضَ أندلسٍ ، وهذا ... ثنائى إن رَضيتِ به ثوابا
وما أثنيتُ إلا بعد علمٍ ... وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تخِذْتُكِ موئلاً ، فحللتُ أندَى ... ذرًا من وائلٍ ، وأعزَّ غابا(١)
مُغرِّبُ آدمٍ من دار عَدْنٍ ... قضاها فى حماكِ لىَ اغترابا(٢)
شكرتُ الفُلكَ يومَ حَوَيْتِ رَحْلى ... فيا لمُفَارِقٍ شَكَرَ الغُرَابا ! !
فأنتِ أرحتِنى من كل أنفٍ ... كأنف الميْتِ فى النَّزْعِ انتصابا
ومنظرٍ كلِّ خوانٍ ، يرانى ... بوجه كالبَغِىِّ رمى النِّقابا
وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ ... إذا أخلاقُهُم كانت خرابا

* * *

أحقٌّ كنتِ للزهراء ساحاً ... وكنتِ لساكن (الزاهى) رحابا ؟
ولم تكُ (جورُ) أبهى منكِ وَرْدًا ... ولم تكُ بابلٌ أشهى شرابا ؟
وأن المجدَ فى الدنيا رحيقٌ ... إذا طال الزمانُ عليه طابا ؟
أولئك أمةٌ ضربوا المعالى ... بمشرقها ومغربها قِبابا
جرى كدرًا لهم صفوُ الليالى ... وغايةُ كلِّ صفو أن يُشابا

---

١ — وال : طلب النجدة . والموئل : الملجأ . ووائل : جبل . وسميت به قبيلة من العرب — ٢ — ان الله الذى أخرج آدم من الجنة ليجعل الارض منفاه ، قد قضى على ان يكون منفاى فى جنة من حماك ، وهذه مبالغة من الشاعر فى تكريم هذه البلاد التى آوته وهو غريب .

مُشيَّبةُ القُرون أُديلَ منها ... أَلم تَرَ قَرْنَها فى الجوِّ شابا ؟(١)

مُعَلَّقةٌ تَنَظَّرُ صولجاناً ... يخرُّ عن السماء بها لِعابا

تُعَدُّ بها على الأُممِ الليالى ... وما تدرى السنينَ ولا الحسابا

* * *

ويا وطنى ، لقيتُك بعد يأْسٍ ... كأَنى قد لَقِيتُ بك الشبابا

وكلُّ مسافرٍ سَيَئُوبُ يوماً ... إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا

ولو أَنى دُعيتُ لكنتَ دِينى ... عليه أُقابل الحتمَ المُجابا (٢)

أُديرُ إليكَ قبلَ البيتِ وجهى ... إذا فهتُ الشهادةَ والمتابا

وقد سَبقتْ ركائبِيَ القوافى ... مُقلَّدةً أَزِمَّتَها ، طِرابا

تجوبُ الدهرَ نحوكَ ، والفيافى ... وتقتحمُ الليالىَ ، لا العُبابا

وتُهديك الثناء الحرّ تاجاً ... على تاجَيْكَ مُؤتلقاً عُجابا

* * *

هدانا ضوءُ ثغرِكَ من ثلاثٍ ... كما تهدى (المنوَّرةُ) الركابا

وقد غشى المنارُ البحرَ نورًا ... كنار (الطُّور) جَلَّلتِ الشِّعابا (٣)

وقيل: الثَّغْرُ ،فاتَّأَدتْ ،فأَرْسَت ... فكانت من ثراكَ الطُّهرِ قابا

فصفحاً للزمان لصبحِ يومٍ ... به أَضحى الزمانُ إلىّ ثابا

وحيّا اللهُ فِتياناً سِماحاً ... كَسَوْا عِطْفَىَّ من فخرٍ ثيابا

ملائكة إذا حفُّوكَ يوماً ... أَحبَّكَ كلُّ من تلقى ، وهابا

---

١ — أدال الله فلانا من فلان : نزع الدولة من الثانى وحولها الى الأول والكلام على الشمس .

٢ — دعيت الى الموت : نوديت . والحتم المجاب : هو الموت .

٣ — جلل الشيء : غطاه .

وإن حملتْكَ أيديهم بحورًا ... بلغتَ على أكُفِّهِمُ السحابا
تَلَقَّوْنى بكل أغرَّ زاهٍ ... كأن على أسِرَّتِهِ شهابا
ترى الإيمان مؤتلقًا عليه ... ونورَ العلم ، والكرمَ اللُّبابا(١)
وتلمحُ من وضاءةِ صفحتَيْه ... مُحيًّا مِصرَ رائعةً كَعابا(٢)
وما أدبى لما أسْدَوْه أهلٌ ... ولكن مَنْ أحبَّ الشىءَ حابى
شبابَ النيل ، إن لكم لصوتاً ... مُلبًّى حين يُرفعُ ، مُستجابا
فهُزُّوا (العرشَ) بالدعوات حتى ... يخفِّفَ عن كنانتِه العذابا
أمِنْ حربِ البسوسِ ، إلى غَلاءٍ ... يكادُ يُعيدُها سبعًا صِعابا ؟
وهل فى القومِ يوسفُ يتّقيها ... ويُحسنُ حِسبةً ، ويرى صواباً ؟(٣)
عبادكَ - رَبِّ - قد جاعوا بمصرٍ ... أنيلاً سُقْتَ فيهم ، أم سَرابا ؟
حنانَكَ ، واْهدِ للحسنى تِجارًا ... بها ملكوا المرافِقَ والرقابا
ورقِّقْ للفقير بها قلوباً ... مُحجَّرةً ، وأكبادًا صِلابا
أمَنْ أكلَ اليتيمَ له عقابٌ ... ومن أكل الفقيرَ فلا عقابا ؟
أُصيبَ من التجار بكل ضارٍ ... أشدَّ من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غذَاه ، أو كساه ... ينازعه الحشاشةَ والإهابا(٤)
وتسمعُ رحمةً فى كل نادٍ ... ولستَ تحِسُّ للبرِّ انتدابا
أكلٌّ فى كتاب الله إلّا ... زكاةَ المال ليست فيه بابا ؟
إذا ماالطامعون شَكَوْا وضجُّوا ... فدعهُم ، واسمع الغرْثى السغابا(٥)

---

١ ــ اللباب : الخالص ــ٢ــ الوضاءة : الحسن والنظافة ــ٣ــ الحسبة: الحساب ــ ٤ ــ الحشاشة : بقية الروح فى المريض : والاهاب :الجلد ٠

٥ ــ الغرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع ، والسغاب : جمع ساغب ، وهو الجائع أيضا ٠

فما يبكون من ثُكْلٍ ، ولكن كما تصِفُ المعدِّدَةُ المصابا
ولم أَر مثلَ سُوقِ الخيرِ كَسْبًا ولا كتجارة السوء اكتسابا
ولا كأُولئك البؤساء شاءً إذا جوَّعتها انتشرَتْ ذئابا
ولولا البِرُّ لم يُبعثْ رسولٌ ولم يَحمِلْ إلى قومٍ كتابا

ذكرى المولد

سلُوا قلبي غداةَ سلا وثابا لعلَّ على الجمالِ له عِتابًا
ويُسْأَلُ فى الحوادثِ ذو صوابٍ فهل ترك الجمالُ له صوابا ؟
وكنتُ إذا سأَلتُ القلبَ يوماً تولَّى الدمعُ عن قلبي الجوابا
ولى بين الضلوع دمٌ ولحمٌ هما الواهى الذى ثكِلَ الشبابا(١)
تسرَّب فى الدموعِ ، فقلتُ : ولَّى وصفَّق فى الضلوع ، فقلتُ : ثابا(٢)
ولو خُلقت قلوبٌ من حديد لما حَملتْ كما حَمل العذابا
وأَحبابٍ سُقيتُ بهم سُلافاً وكان الوصلُ من قِصَرٍ حَبابا(٣)
ونادَمْنا الشبابَ على بِساطٍ من اللذات مختلفٍ شرابا
وكلُّ بساطِ عيشٍ سوف يُطوى وإن طال الزمانُ به وطابا
كأَن القلبَ بَعدهمُ غريبٌ إذا عادَتْه ذكرى الأَهلِ ذابا
ولا يُنبيكَ عن خُلُقِ الليالى كمن فقد الأَحِبَّةَ والصِّحابا

---

١ ـ الواهى : الضعيف . وثكل الشباب : فقده . والمقصـــود بالدم واللحم هنا القلب ـ ٢ ـ ثاب : رجع بعد ذهاب ـ ٣ ـ السلاف : خالص الخمر . وحباب الماء : نفاخاته التى تعلوه

أخا الدنيا ، أرى دنياكَ أفعى   تبدّل كلّ آونةٍ إهابا
وأن الرُّقْطَ أيقظُ هاجعاتٍ   وأترعُ فى ظلالِ السلمِ نابا(١)
ومِن عجبٍ تُشيِّب عاشقيها   وتُفنيهم ، وما برحت كَعابا(٢)
فمن يغترّ بالدنيا فإنى   لبستُ بها فأبليتُ الثيابا
لها ضَحِكُ القِيانِ إلى غَبىٍّ   ولى ضحكُ اللبيبِ إذا تغابى(٣)
جنيتُ بروْضِها وردًا ، وشوكاً   وذقتُ بكأسِها شهْدًا ، وصابا
فلم أر غيرَ حكمِ الله حكماً   ولم أر دون بابِ الله بابا
ولا عظَّمْتُ فى الأشياءِ إلّا   صحيحَ العلم ، والأدبَ اللُّبابا(٤)
ولا كرّمتُ إلّا وجهَ حُرٍّ   يُقلِّد قومَه المِننَ الرِّغابا(٥)
ولم أر مثلَ جمعِ المالِ داءً   ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا
فلا تقتلْك شهوتُه ، وزِنْها   كما تزنُ الطعامَ أو الشرابا
وخُذْ لبنيك والأيامِ ذخرًا   وأعطِ اللهَ حِصَّتَه احتسابا(٦)
فلو طالعتَ أحداثَ الليالى   وجدتَ الفقرَ أقربَها انتِيابا(٧)
وأن البرَّ خيرٌ فى حياةٍ   وأبقى بعد صاحبِه ثوابا
وأن الشرَّ يصدعُ فاعلِيه   ولم أر خيّرًا بالشر آبا
فرِفقاً بالبنينِ إذا الليالى   على الأعقاب أوقعتِ العقابا
ولم يتقلدوا شكرَ اليتامى   ولا ادّرعوا الدعاءَ المستجابا(٨)

---

١ ــ الرقط : جمع رقطاء،وهى الحية على جلها سواد مشوب بالبياض
واترع : اسرع الى الشر ــ ٢ ــ الكعاب : الجارية الناهد
٣ ــ القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية ــ ٤ ــ اللباب : المختار
الخالص ــ ٥ ــ الأرض الرغاب : التى لا تسيل الا من مطر كثير .
٦ ــ احتسب عند الله أمرا : قدمه ــ ٧ انتابه : أتاه مرة بعد اخرى
٨ ــ ادرع : لبس الدرع .

عجبتُ لمعشرٍ صلُّوا وصاموا عواهرَ ، خشيةً وتُقَى كِذابا(١)

وتُلفيهم حِيالَ المالِ صُمًّا إذا داعِى الزكاةِ بهم أهابا(٢)

لقد كتموا نصيبَ اللهِ منهُ كأن اللهَ لم يُحْصِ النِّصابا

ومَنْ يَعْدِلْ بحبِّ اللهِ شيئًا كحبِّ المالِ ؛ ضَلَّ هوًى وخابا

أراد اللهُ بالفقراءِ بِرًّا وبالأيتام حُبًّا وارتبابا(٣)

فرُبَّ صغيرِ قومٍ علَّموه سَمَا وحَمى المُسوَّمَةَ العِرابا(٤)

وكان لقومه نفعًا وفخرًا ولو تركوه كان أذًى وعابا(٥)

فعلِّم ما استطعت ، لعلَّ جيلاً سيأتى يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا

ولا تُرهِقْ شبابَ الحىِّ يأساً فإن اليأسَ يخترمُ الشبابا(٦)

يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكاً وإن يكُ خصَّ أقواماً وحابى(٧)

فما حَرمَ المُجِدَّ جَنَى يديه ولا نسىَ الشقىَّ ، ولا المُصابا(٨)

ولولا البخلُ لم يَهْلِكْ فريقٌ على الأقدار تلقاهُمْ غِضابا

تعبتُ بأهله لَوْمًا : وقبلى دُعاةُ البِرِّ قد سئموا الخطابا

ولو أنى خطبتُ على جمادٍ فَجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا

ألم تَرَ للهواء جرى فأفضى إلى الأكواخ ، واخترق القبابا؟(٩)

وأن الشمسَ فى الآفاق تَغشى حِمى كِسْرَى ، كما تغشى اليبابا؟(١٠)

وأن الماءَ تروى الأُسْدُ منهُ ويَشفِى من تَلَعْلُعِها الكلابا ؟(١١)

---

١ ـ الكذاب : الكذب ـ ٢ ـ اهاب به : دعاه ـ ٣ ـ ارتب الصبى ارتبابا : رباه حتى ادرك ـ ٤ ـ الخيل المسومة : المرعية والخيل العراب : الكرائم . ٥ ـ العاب ـ العيب ـ ٦ ـ ارهقه طغيانا : اغشاه اياه . ويخترم الشباب: يستأصله ـ ٧ ـ حاباه : اختصه ومال اليه ـ ٨ الجنى ، ما نجنى من الشجر ٩ ـ افضى : بلغ ـ ١٠ اليباب : الفقر ـ ١١ تلعلع الكلب : دلع لسانه عطشا .

وسَوّى اللهُ بينكمُ المنايا ووسَّدَكُم مع الرسْلِ الترابا(١)
وأرسَلَ عائلاً منكم يتيماً دنا من ذى الجلال فكان قابا(٢)
نبىُّ البرِّ ، بَيَّنَهُ سبيلاً وسنَّ خِلالَه ، وهَدى الشِّعابا(٣)
تفرق بعدَ عيسى الناسُ فيه فلما جاء كان لهم مَتابا(٤)
وشافى النفسِ من نزَغاتِ شرٍّ كشافٍ من طبائعها الذئابا(٥)
وكان بيانُه للهدْيِ سُبْلاً وكانت خَيْلُه للحق غابا
وعَلَّمنا بِناءَ المجْدِ ، حتى أخذنا إمْرَةَ الأَرضِ اغتصابا
وما نيلُ المطالب بالتمنى ولكن تؤخذُ الدنيا غِلابا(٦)
وما استعصى على قومٍ مَنالٌ إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا

* * *

تجلّى مولد الهادى ، وعمَّت بشائرُه البوادىَ والقِصابا(٧)
وأسدَتْ للبريةِ بنتُ وَهْبٍ يدًا بيضاء ، طوّقتِ الرقابا(٨)
لقد وضعته وهّاجاً ، منيرًا كما تلدُ السماواتُ الشهابا(٩)
فقام على سماء البيتِ نورًا يضىءُ جبالَ مكة والنقابا(١٠)
وضاعت يَثرِبُ الفيحاءُ مِسْكًا وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابا(١١)
أبا الزهراءِ ، قد جاوزتُ قدرى بمدحك ، بَيْدَ أن لىَ انتسابا

---

١ ـ سوى : جعلكم فيها سواء ـ ٢ ـ عائلا : فقيرا . وقاب القوس : ما بين المقبض والسية ، والمراد انه كان قريبا ـ ٣ ـ الشعاب : الطرق . ٤ ـ الضمير فى « فيه » يعود على البر ـ ٥ ـ النزغات : الوساوس ٦ ـ غلابا : قهرا ـ ٧ ـ القصابا : جمع قصبة ، وهى المدينة ـ ٨ ـ بنت وهب : السيدة آمنة ، أمه صلى الله عليه وسلم ـ ٩ ـ الشهاب : الكوكب ١٠ ـ نقاب : جمع نقب ، وهو الطريق فى الجبل ـ ١١ ـ ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

فما عرفَ البلاغة ذو بيانٍ … إذا لم يَتَّخِذْكَ له كتابا
مدحتُ المالكين ، فزدتُ قدراً … فجين مدحتُكَ اقْتَدْتُ السحابا
سألتُ الله فى أبناء دينى … فإن تكن الوسيلةَ لى أجابا
وما للمسلمين سواكَ حصنٌ … إذا ما الضرُّ مسَّهُم ونابا
كأن النحسَ حين جرى عليهم … أطار بكل مملكةٍ غُرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نوراً … وكان من النحوس لهم حجابا
بنيْتَ لهم من الأخلاق ركناً … فخانوا الركن ، فانهدم اضطرابا
وكان جَنابُهم فيها مَهيباً … ولَلأخلاقُ أجدرُ أن تُهابا
فلولاها لساوى الليثُ ذئباً … وساوى الصارمُ الماضى قِرابا(١)
فإن قُرنت مكارمُها بعلمٍ … تذلَّلتِ العلا بهما صعابا
وفى هذا الزمان مَسيحُ علمٍ … يرد على بنى الأُمم الشبابا

مشروع ملنر (*)

إثْنِ عنانَ القلبِ ، واسْلَمْ به … من رَبْرَبِ الرملِ ، ومن سِرْبهِ(٢)

---

١ ـ الصارم : السيف . والقراب : الغمد.

(*) في سنة ١٩١٩ ثارت البلاد فى طلب استقلالها ، وسافر الوفد المصرى لعرض قضية البلاد فى مؤتمر السلام فى « فرساى » ، وتلقى هناك دعوة من لورد « ملنر » وزير المستعمرات الانكليزية اذ ذاك ، ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة انكلترا بها ، فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قدمه لورد ملنر ، واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذ رأيها فيه مع التزام الحيدة ، فانتدب الوفد اربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة ، وقد كانت الافكار يومئذ متجهة الى ان المشروع يصلح أساسا للمفاوضة ببعض تعديلات — ٢ ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش ، والسرب (بكسر السين) : جماعة الظباء أو النساء .

ومِن تثنٍّى الغِيدِ عن بانِه مُرتَجَّةَ الأَردافِ عن كُثْبه(١)

ظِباوُه المنكسِراتُ الظُّبَا يَغْلِبْنَ ذا اللُّبِّ على لُبِّه(٢)

بيضٌ ، رِقاق الحسن فى لمحةٍ من ناعم الدرِّ ، ومن رَطْبِه

ذوابلُ النرجسِ فى أَصلِه يَوانعُ الوردِ على قُضْبِه

زِنَّ على الأَرض سماءَ الدُجى وزِدْن فى الحسن على شُهْبه

يمشين أسراباً ، على هِينةٍ مشىَ القطا الآمِنِ فى سِربه(٣)

من كلِّ وَسْنانٍ بغير الكرى تنتبهُ الآجالُ من هُدْبه

جَفنٌ تلقَّى مَلَكا بابلٍ غرائبَ السحرِ على غَرْبه(٤)

ياظَبْيَةَ الرملِ ، وُقيتِ الهوى وإن سعتْ عيناكِ فى جَلبه

ولا ذرَفتِ الدمع يوماً ، وإن أسرفتِ فى الدمع ، وفى سكبه

هذى الشواكى النُّحْلُ صِدْنَ امْرأً مُلْقَى الصِّبا ، أعزلَ من غرْبه(٥)

صَيادَ آرامٍ ، رماه الهوى بشادنٍ لا بُرءَ من حُبِّه(٦)

شاب ، وفى أَضلُعه صاحبٌ خِلْوٌ من الشيب ، ومن خَطبِه(٧)

واهٍ بجنبى ، خافقٌ ، كلما قلتُ : تناهَى ، لَجّ فى وثْبِه

لا تنثنى الآرامُ عن قاعِه ولا بناتُ الشوْقِ عن شِعبه(٨)

---

١ ـ الغيد : جمع غيداء ، وهى المراة اللينة الأعطاف . والبان : شجر يشبه به القدلطوله . والكثب : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل ، يشبه به الردف ـ٢ـ الظبا : جمع طبة ، وهى حد السيف ـ ٣ ـ الهينة (بالكسر) : السكينة والوقار ـ ٤ ـ هاروت وماروت : الملكان اللذان أنزل عليهما السحر وغرب العين : مقدمها أو مؤخرها . والغرب : السيف . وعلى هذا المعنى يكون المراد بالجفن : غمد السيف ـ ٥ ـ الشواكى المسلحة . وغرب الشباب : حدته ونشاطه ـ ٦ ـ آرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والشادن : ولد الظبية ـ ٧ ـ صاحب : يريد القلب ـ ٨ ـ القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . والشعب (بالكسر) : الناحية .

حمَّلتُه فى الحبّ ما لم يكن ... ليحملَ الحبُّ على قلبه
ما خَفَّ إلّا للهوى والعلا ... أو لجلال الوفد فى رَكبه
أربعةٌ تجمعهم همةٌ ... ينقُلها الجيل إلى عَقبه(١)
قِطارُهم كالقَطر هَزَّ الثرى ... وزاده خِصبًا على خِصبه(٢)
لولا استلامُ الخلقِ أرْسانه ... شبّ ، فنال الشمسَ من عُجْبه(٣)
كُلُّهُمُ أغيرُ من وائلٍ ... على حِماه ، وعلى شعبه(٤)
لو قدَرُوا جاءُوكُمُ بالثرى ... من قُطبِه مُلكا إلى قُطبه
وما اعتراضُ الحظِّ دون المنى ... من هفوةِ المُحْسِنِ أو ذنبه
وليس بالفاضلِ فى نفسِه ... من يُنكر الفضل على ربّه
ما بالُ قومى اختلفوا بينهم ... فى مِدحةِ المشروع أو ثَلبه ؟(٥)
كأنهم أسرى ، أحاديثُهم ... فى لَيِّن القيد ، وفى صُلبه
ياقومِ ، هذا زمنٌ قد رمَى ... بالقيْدِ ، واستكبر عن سَحبه(٦)
لو أنّ قيدًا جاءه من عَل ... خشيتُ أن يأْبى على ربه
وهذه الضجةُ من ناسِه ... جنازةُ الرّق إلى تُربه
من يخلع النِّيرَ يَعِشْ بُرهةً ... فى أثر النِّير ، وفى ندبه(٧)
يا نَشأَ الحىّ ، شبابَ الحِمَى ... سُلالةَ المشرق من نُجْبه(٨)

---

١ — يريد بالأربعة : الاعضاء المندوبين لعرض المشروع . والعقب : الولد ، وولد الولد —٢— القطر : المطر —٣— ارسان : جمع رسن ، وهو الزمام ٤ — وائل : قبيلة من العرب — ٥ — ثلبه : عيبه وتنقصه — ٦ — السحب : الجر على الارض — ٧ — النير : الاخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها ، وتعرف عند العامة (بالناف) . والندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد — ٨ — النجب : جمع نجيب . وهو الكريم الحسيب

بنى الأُولى أَصبحَ إِحسانُهم دارت رحَى الفنّ على قطبه
موسى وعيسى نشآ بينهم فى سَعَة الفِكرِ وفى رُحْبه
وعالجَا أولَ ما عالجا من عللِ العالَم أو طبِّه(١)
ما نَسيَتْ مصرُ لكم برَّها فى حازِبِ الأَمر وفى صعبه(٢)
مزّقتمُ الوهْمَ ، وأَلفتمُ أَهلَّةَ الله على صُلبه
حتى بنيتمْ هرماً رابعًا من فِئَةِ الحقِّ ومن حزبه
يومٌ لكم يَبقى (كبدرٍ) على أَنصار سعدٍ ، وعلى صحبه(٣)
قد صارت الحالُ إلى جِدّها وانتبه الغافلُ من لعبه
اللّيْثُ ، والعالمُ من شرقه فى هيبة الليثِ إلى غربه(٤)
قضى بأَن نبنى على نابه مُلكَ بَنينا ، وعلى خِلبه(٥)
ونبلُغَ المجدَ على عينه وندخل العصرَ إلى جَنبه
ونصلَ النازلَ فى سِلمه ونقطعَ الداخلَ فى حربه
ونصرفَ النيلَ إلى رأْيه يَقْسِمُه بالعدل فى شِرْبِه(٦)
يُبيحُ أَو يَحمى على قُدْرةٍ حقَّ القُرى والناس فى عذبه
أَمرٌ عليكم أو لكم فى غد ما ساءَ أَو ما سَرّ من غبِّه(٧)
لا تستقِلُّوه ؛ فما دهرُكم بحاتم الجود ولا كعبه(٨)

---

١ ـ الطب : الشهوة ، وهو أيضا علاج الجسم والنفس

٢ ـ حازب الأمر : شديده

٣ ـ بدر : اكبر وقعة انتصر فيها الاسلام على اعدائه ـ ٤ ـ الليث : الأسد البريطانى وهنا يبدأ الشاعر فى سرد نقط المشروع الهامة

٥ ـ الخلب (بالكسر) : الظفر ـ ٦ ـ الشرب (بالكسر) : النصيب من الماء ـ ٧ ـ الغب : العاقبة ـ ٨ ـ حاتم طى ، وكعب بن مامة : من أجواد العرب .

نسمعُ بالحقِّ ، ولم نطَّلعْ على قَنا الحقِّ ، ولا قُضْبِهِ(١)
ينال باللين الفتى بعضَ ما يعجز بالشدَّة عن غصْبه
فإن أنستم فليكن أنسُكم في الصبر للدهر ، وفي عَتبه
وفي احتشام الأُسْدِ دون القذَى إذا هي اضطُرّت إلى شُربِهِ(٢)
قد أسقط الطَّفْرَةَ في ملكه من ليس بالعاجز عن قلبه(٣)
يارُبَّ قيدٍ لا تُحِبّونه زمانُكم لم يتقيَّدْ به
ومطلبٍ في الظنّ مستبعدٍ كالصبح للناظرِ في قربه
واليأْسُ لا يجمُلُ من مؤمن ما دام هذا الغيبُ في حُجْبه

مشروع ٢٨ فبراير

أُعِدَّت الراحةُ الكبرى لمن تعبا وفاز بالحقِّ من لم يأْلُهُ طلبا(٤)
وما قضت مصرُ من كلٍّ لُبانَتَها حتى تجرَّ ذيولَ الغبطةِ القُشبا(٥)
في الأمرِ ما فيه من جِدّ ، فلا تقفوا من واقع جزعاً ، أو طائر طَربا(٦)
لا تُثْبِتُ العينُ شيئًا ، أو تُحقِّقه إذا تحيَّرَ فيها الدمعُ واضطربا(٧)

١ ــ القنا : الرماح . والقضب : السيوف ــ ٢ ــ احتشام : احجام
٣ ــ الطفرة : الوثبة في ارتفاع . واسقط الطفرة : تركها . وقلب الملك : تبديله وتغيير نظامه ــ ٤ ــ لم يأل : لم يقصر . قال تعالى (لا يألونكم خبالا) وهذا البيت من الحكم الغالية التي لا تتاح لغير أمير الشعراء ، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة ــ ٥ ــ اللبانة : الحاجة . والقشب جمع تشيب : الجديد . وفي هذا البيت استفزاز للهمم وبيان لأن سبيل المجد طويل وميدانه متسع ــ ٦ ــ الجد : الاجتهاد في الأمر . وفي هذا البيت نوع من البيان المربي للامم في نهوضها ، فكثيرا ما يستفز الطرب أناسا فيطير بهم ، أو يستحكم اليأس منهم فيرديهم .
٧ ــ تثبت العين : تصحح ، وفي هذا البيت تصوير للتردد والذعر والهلع والشك الذي يصيب الانسان من اموره فلا يستطيع الاهتداء ، ولا يستبين طريق الصواب .

والصبحُ يُظلِم فى عينيك ناصعُهُ إذا سدلتَ عليكَ الشكَّ والريبا(١)
إذا طلبتَ عظيما فاصبرنَّ له أو فاحشدنَّ رماح الخطِّ والقُضُبا(٢)
ولا تعِدَّ صغيراتِ الأُمورِ له إن الصغائرَ ليست للعلا أهُبا(٣)
ولن ترى صحبةً تُرضى عواقبُها كالحقِّ والصبرِ فى أمرٍ إذا اصطحبا(٤)
إن الرجالَ إذا ما أُلجِئوا لَجَئُوا إلى التعاون فيما جَلَّ أو حَزَبا(٥)

* * *

لا ريبَ أن خُطا الآمالِ واسعةٌ وأن ليلَ سُراها صُبْحُهُ اقتربا(٦)

١ـ الريب : جمع ريبة ، مثل سدرة وسدر : الظن . وكم من رجل تسد أمامه كوى الحياة وتضيق عليه الارض بما رحبت ولا سبب لهذا الا الشكوك والأوهام ـ ٢ ـ الخط موضع باليمامة ينسب اليه على لفظه ، فيقال : رماح خطية والرماح لا تنبت به ولكنه ساحل للسفن التى تحمل القنا اليه وتعمل به. وقال الخليل : اذا جعلت النسبة اسما لازماقلت : خطية،بكسر الخاء . ولم تذكر الرماح وهذا كما قالوا : ثياب قبطية (بالكسر) فاذا جعلوه اسما حذفوا الثياب وقالوا قبطيا (بالضم) ، فرقا بين الاسم والنسبة ، وما أحسن ان تنتشر هذه الحكم بين أفراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها ـ ٣ ـ أهب : جمع اهاب ككتاب وكتب ، والاهاب : الجلد ٤ ـ بين فى هذا البيت شاعرنا نوعا من انواع الصحبة هو خيرها وهو وحده المحمود عواقبه . وذلك النوع هو ان يصحب الحق ـ وهو السمح الكريم ـ صبر جميل على وثبات الباطل حتى يدمغه فاذا هو زاهق،والصبر من خير الفضائل التى هى جماع كل خير ، ولهذا ذكر فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم ؛ وروى انه كان الرجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يفترقا حتى يوصى كل منهما أخاه بالصبر والحق ـ ٥ ـ الجئوا : اضطروا واكرهوا . ولجئوا : اعتصموا . وجل الشىء يجل (بالكسر) عظم ، فهو جليل . وحزبهم الأمريحزبهم من باب قتل أصابهم . ولعمرى ان المفزع الوحيد عند وثبات الاحداث انما هو فى الاعتصام بالتعاون والقضاء على التحزب ـ ٦ ـ السرى : جمع سرية بضم السين وفتحها . يقال : سرينا سرية من الليل ، وسرية . قال أبو زيد : ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره ، وقد استعملت العرب سرى فى المعانى تشبيها لها بالأجسام مجازا واتساعا ، قال الله تعالى (والليل اذا يسر) وكان الشاعر اراد حفز الهمم وشحذ العزائم لاجتلاء صبح الآمال .

وأن فى راحتىْ مصرٍ وصاحبها ... عهدًا وعقدًا بحقٍّ كان مغتصبا(١)

قد فتّحَ اللهُ أبواباً ، لعل لنا ... وراءها فُسَحَ الآمالِ والرحبا(٢)

لولا يدُ اللهِ لم ندفع مناكبَها ... ولم نعالج على مصراعِها الأَربا(٣)

لا تعدمُ الهمةُ الكبرى جوائِزَها ... سِيّانِ من غَلَبَ الأَيام أو غلبا(٤)

وكلُّ سَعْىٍ سيجزى اللهُ سَاعيَهُ ... هَيهاتَ يذهبُ سعْى المحسنين هَبا(٥)

لم يُبرمِ الأَمرَ حتى يستبينَ لكم ... أساءَ عاقبةً ، أَمْ سَرَّ مُنقلبًا ؟(٦)

نلتم جليلاً ، ولا تُعطونَ خردلةً ... إلا الذى دفع الدستورُ أو جَلبا(٧)

تمهدتْ عقباتٌ غيرُ هينةٍ ... تلقى ركابُ السُّرى من مثلها نصبًا(٨)

---

١ ـ الراحة بطن الكف والجمع راحات وراح . قصد الشاعر فى هذا البيت ان مصر أصبح بين يديها عهد جديد ، وأن فى يد مليكها عقدا وثيقا ، ومظهر ذلك كله استقلال البلاد الذى اعلنه جلالة الملك بعد أن عدا العادى زمنا طويلا عليه ـ ٢ ـ فسح : جمع فسحة ، مثل غرفة وغرف ، والرحب : جمع رحبة ـ مثل قصبة وقصب ـ وهى الساحة المنبسطة ـ ٣ ـ يد الله قدرة الله . والمناكب : جمع منكب كمجلس ، وهو مجتمع راس العضد والكتف . وعالج الأمر : باشره بمشقة . والمصراع من الباب : الشطر . والأرب : الحاجة . ولقد شاء الشاعر أن يصور جهاد الامة وقد دجا ليل الحوادث ، واستأسد العادى ، والامة تصابره ، وتدافع الخطوب ، وتلقى عنها نيرها ، وتريد الافلات من عنتها الى حيث ابواب النصر ـ ٤ ـ ما احسن أن يودع الشاعر فى ثنايا هذا البيت الامل الواسع يدركه ذو الهمة الكبيرة ولو بعد حين ـ ٥ ـ فى هذا البيت شفاء لما يصيب النفوس من ألم الاخفاق وصدمات الايام ، فلئن اعيا الانسان شأن تلك الحياة فلن يعدل الخير العميم فى دار النعيم ، وبذلك يعد المرء باحدى الحسنيين ، ولن يذهب العرف بين الله والناس ـ ٦ ـ لقد شاء أن تقيس الامة أمرها بمقياس صحيح حتى تتجاوز الخطل ـ ٧ ـ وفى هذا البيت اراد أن يضع بين يدى الأمة كل دقيق وجليل من امرها ، حتى تستبين حقيقة امرها ، فقال : ان ماجد ، وان كان جليلا ، الا انه قليل اذا قيس بحقوق الامة الكاملة ، ثم شاء ان يضع على عواتق رجال الامة الأمور الخطيرة فى حاضرها ومستقبلها فقال : ان الامر للدستور يرفع ما شاء ويجلب ما نفع ـ ٨ ـ الركاب (بالكسر) المطى ، الواحدة : راحلة ، من غير لفظها . والسرى : السير ليلا ، جمع سرية مثل مدية ومدى . ونصبا : تعبا ، وقد صور شاعرنا فى هذا البيت ما قطعته الامة من مراحل جهادها فى سبيل حريتها .

وأقبلتْ عقباتٌ لا يذللها ... في موقف الفصل إلا الشَّعبُ مُنتخَبا

له غدًا رأيُه فيها وحِكمتُه ... إذا تمهّل فوق الشوكِ أو وثبا(١)

كم صعَّب اليومُ من سهل هممتَ به ... وسهل الغدُ في الأشياء ماصعُبا(٢)

ضمُّوا الجهودَ ، وخلوها منكرّةً ... لا تملئوا الشّدْق من تعريفها عجبا

أفي الوغى ورحَى الهيجاء دائرةٌ ... تُحصون من مات أو تُحصون ماسُلِبا؟(٣)

خلُّوا الأكاليل للتاريخ ، إن له ... يدًا تؤلِّفها دُرًّا ومخشَلَبا(٤)

أمرُ الرجال إليه ، لا إلى نفرٍ ... من بينكم سَبق الأنباءَ والكتبا

أملى عليه الهوى والحقدُ ، فاندفعت ... يداه ترتجلانِ الماءَ واللهَبا(٥)

إذا رأيتَ الهوى في أمّةٍ حكمًا ... فاحكمْ هنالك أن العقلَ قد ذهبا

قالوا : الحمايةُ زالت ، قلتُ : لاعجبٌ ... بل كان باطلُها فيكم هو العجبا

---

١ — في هذين البيتين يبين الشاعر ما للآراء المجتمعة من تصريف الامور وقيادة الامم وتهوين الصعاب . وسبيل ذلك اصطفاء نخبة رجالها اذا جد الجد وحزب الأمر ، فان شاءوا بحكمتهم جاوزوا الصعاب وتخطوا شوك القتاد ؛ وان قعدت بهم هممهم واعوزتهم حكمتهم ،ذاقوا واذاقوا الأمةعذاب الهون ، وقلبوها على جمر الغضا — ٢ — قصد الشاعر الى أن يعيد النظر يرى الدهر قلبا ،والأحداث لاتبقى سرمدا ،فلا يؤيسه الخطب الداهم ،ويرجو في الغد ما أعجزه اليوم —٣— يريد الشاعر أن يبين مايعتور الأمم فى نهوضها فيثنيها عن غايتها ، ويعوق وثوبها ، ثم هو بعد يامر أمته بان تحاذر الوقوع في هذا الشر ،وراس تلك الآثام الاعتداد بالنفس ، والاعجاب بالعمل ،وانتفاخ الأوداج صلفا وكبرياء ، ثم شاء أن يضرب مثلا بالجيش المقاتل ؛ ينسى ما هو فيه من جلائل الأخطار ، ويعمد الى حطام فان يحصيه ويجمعه . فلا جرم ان نصيب هذا الجيش الفشل اللازم ، ولقد أدب الله المؤمنين ادبا عاليا حينما خالفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولاح لهم النصر ، فأخذوا يجمعون الغنائم ويحصون الأسلاب ، ففشلوا وندموا ، وذلك مفصل في سورة آل عمران — ٤ — الأكاليل : جمع اكليل شبه عصابة تزين بالجوهر ، ويسمى التاج اكليلا والمخشلب الزجاج — ٥ — ترتجلان : تبتدئان من غير تهيئة . وقد شاء الشاعر ان ينحى على أولئك الذين يضعون أنفسهم موضع التاريخ ، فيكيلون الثناء ، ويفحشون في الالقاب ، ويخلطون بين المتناقضين .

رأسُ الحمايةِ مقطوعٌ ، فلا عَدِمَتْ كنانةُ الله حزْماً يقطع الذنَبا
لو تسأَلون (أَلِنْبِي) يوم جَنْدَلَها : بأَىِّ سيفٍ على يافوخِها ضرَبا ؟ (١)
أَبا الذى جرَّ يومَ السِّلمِ مُتَّشِحًا أم بالذى هزَّ يومَ الحربِ مُختضِبا ؟
أَم بالتكاتُفِ حول الحق فى بلد من أربعين ينادِى الويلَ والحربا ؟ (٢)
يافاتحَ القدس ، خَلِّ السيفَ ناحيةً ليس الصليبُ حديداً كان ، بل خشبا
إذا نظرتَ إلى أين انتهت يدُهُ وكيف جاوز فى سلطانه القُطُبا
علمت أن وراءَ الضعف مقدرةً وأنّ للحق – لا للقوةِ – الغلبا

الله والعلم*

لمن ذلك الملكُ الذى عزَّ جانبُه ؟ لقد وعظ الأَملاك والناسَ صاحبُه (٣)
أَمُلْكُكَ يا (داودُ) ، والملكُ الذى يَغَار عليه ، والذى هو واهبه ؟ (٤)
أَراد به أَمرًا ، فجلَّتْ صُدورُه فأَتْبعه لُطفًا ، فجلَّت عواقبه (٥)

---

١ – جندلها : ارداها ، واليافوخ : مقدم الرأس – ٢ – حرب ، كفرح : كلب واشتد غضبه ، فهو حرب

* نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك ادوارد السابع وتأجيل اقامة الحفلة لاصابة جلالته بدمل وذلك فى سنة ١٩٠٢

٣ – عز جانبه : قوى . وعظ الأملاك والناس : نصحهم وذكرهم بالعواقب ٤ – الملك الذى يغار عليه والذى هو واهبه : هو الله تعالى – ٥ – جلت صدوره : عظمت ، وصدور الأمر : جمع صدر ، وصدر كل شىء : أوله . وعواقبه : جمع عاقبة ، وهى آخر كل شىء أيضا . واتبعه لطفا : الحقه . والمعنى ان الله الذى وهب هذا الملك قضى فيه بامر عظيم ؛ هو موت الملكة فيكتوريا ولكنه لطف فى هذا القضاء بتتويج ادوارد ، فكانت عواقب اللطف عظيمة ، كما كانت أوائل الخطب عظيمة .

رمى ، واستردَّ السهمَ ، والخلقُ غافلٌ ... فهل يتّقيه خلقه أو يُراقبه ؟(١)

أيبطُل عيدُ الدهرِ من أَجل دُمَّل ... وتخبومجاليه ، وتُطوَى مواكبه ؟(٢)

ويرجع بالقلب الكسيرِ وفودُه ... وفيهم مصابيحُ الورى وكواكبه ؟

وتسمو يد الدهر ارتجالاً ببأسها ... إلى طُنُبِ الأَقواسِ ،والنصرُ ضاربه ؟(٣)

ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربِّه ... ويجمع من ذيل المخِيلةِ ساحبه ؟(٤)

ويُحجبُ ربُّ العيد ساعة عيدِه ... وتنقص من أطرافهن مآربه ؟(٥)

ألا هكذا الدنيا ، وذلك وُدُّها ... فهلَّا تأَنَّى فى الأَمانىّ خاطبه ؟(٦)

أعدّ لها إدوردُ أعيادَ تاجِه ... وما فى حساب الله ما هو حاسبه

مشَتْ فى الثرى أنباؤها ، فتساءلت ... مشارقُه عن أَمرها ، ومغاربه(٧)

وكاثر فى البرِّ الحصى مَن يَجوبُه ... وكاثر مَوْجَ البحر فى البحر راكبه(٨)

---

١ استرد السهم : رده وأرجعه اليه ، والألف والسين زائدتان . والغفلة : غيبة الشىء عن بال الانسان وعدم تذكره له ، وقد غفل فهو غافل
٢ — يبطل عيد الدهر : يتعطل . تخبو : تطفأ ، ومجاليه : مواضعه ، من جلا الأمر : وضح وانكشف . والمواكب : جمع موكب وهو القوم الراكبون للزينة
٣ — تسمو : تعلو. وارتجل الأمر : ابتدأه من غير تهيئة قبل . والبأس : الشدة . والطنب : حبل الخباء — ٤ — المخيلة : الكبر — ٥ — يحجب : يمنع عن الناس . والمآرب : جمع مأربة ، وهى الحاجة — ٦— الود — مفتوح الواو ومضمومها ومكسورها : هو المودة . تأنى فى الأمر : ترفق وتنظر . والأمانى : جمع أمنية : ما يتمناه المرء . الخاطب : الداعى الى نفسه . من قولهم خطب المرأة دعا أهلها الى تزويجها منه . والمراد ان من يطلب لنفسه مودة الدنيا ينبغى له ان يترفق فى ذلك . فضمير خاطبه ، يرجع الى «الود»
٧ — الثرى : التراب والمراد الارض . الأنباء : الاخبار ، والضمير للأعياد . مشارقه ومغاربه ، أى مشارق الارض ومغاربها. وأمرها ، اى الأعياد أيضا، بمعنى أن أنباء تلك الأعياد ذاعت فى اقطار الارض فتساءلت عنها مشارقها ومغاربها — ٨ — كاثره : غالبه بالكثرة . والبر : ضد البحر. والحصى : جمع الحصاة . وجاب البلاد يجوبها قطعها . لكثرة المقبلين على تلك الأعياد صار من يجوبون منهم الأرض من الكثرة بحيث يغلبون الحصى اذا كاثروه ، وكذلك راكبو البحر المقبلون عليها يغلبون موجه بالمكاثرة .

إلى موكب لم تُخرج الأرضُ مثلَه ... ولن يتهادى فوقها ما يقاربه(١)
إذا سار فيه سارت الناسُ خلفه ... وشدَّت مغاويرَ الملوك ركائبُه(٢)
تحيطُ به كالنّمل فى البرّ خيلُه ... وتملأُ آفاقَ البحار مراكبه
نظامُ المجالى والمواكبِ حلّهُ ... زمانٌ وشيكٌ ريبُه ونوائبه(٣)
فبينا سبيلُ القومِ أمنٌ إلى المنى ... إذا هو خوفٌ فى الظنون مذاهبه(٤)
إذا جاءت الأعياد فى كل مسمعٍ ... تجوبُ الثرى شرقاً وغرباً جوائبه(٥)
رجاءٌ فلم يلبث ، فَخَوْفٌ فلم يدم ... سل الدهرَ : أىُّ الحادثين عجائبه ؟(٦)
فياليت شعرى : أين كانت جنودُه ؟ ... وكيف تراخت فى الفداءِ قواضبه ؟(٧)
ورُدّت على أعقابهن سفينُه ... وما ردّها فى البحر يوماً مُحارِبه ؟(٨)
وكيف أفاتته الحوادث طِلْبَةً ... وما عوّدْته أن تفوت رغائبه ؟(٩)

---

١ — يتهادى : يمشى مشيا غير قوى متمايلا . وما يقاربه : أى ما يدانيه ٢ — شد الشىء : أوثقه ، ومنه شد الرحال ، والمغاوير : جمع مغوار ، وهو الكثير الهجوم على العدو لشجاعته . الركائب : جمع ركوبة ، وهى كل مـــا ركب — ٣ — نظام الشىء : ملاكه وطريقته التى عليها يستقيم ، وهو أيضـــا الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . والمجالى : جمع مجلى . وشـيك : قريب . والريب هنا : ما يكره من الحوادث . والنوائب : جمع نائبة ، وهى مايصيب الانسان من مكروه — ٤ — بينا : — كبينما — ظرف زمان للمفاجأة ، وقيل هما للابتداء ، وعلى كل حال تقع بعدهما جملة اسمية أو فعلية ، ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى . والسبيل : الطريق . وأمن : مأمونة . والظنون جمع ظن ، وهو غير اليقين . والمـذاهب : الطرق والمسالك : جمع مذهب ٥ — المسمع : الأذن . وجاب الارض يجوبهـــا : قطعهـــا ، ومنه الجواب ٦ — الرجاء : الأمل . ولم يلبث : لم يمكث — ٧ — شـــعرى : علمى ، من شعر بالشىء شعرا اذا فطن اليـــه وعلمه ، ويا ليت شـــعرى : أى ليتنى علمت . وتراخت : أبطأت وقواضبه : سيوفه القـــواطع — ٨ — ردت : أرجعت . وأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر القدم ، يقال : رجع على عقبه ، ورجعوا على أعقابهم : أى على الطريق الذى كانوا يضـــعون فيه أقدامهم . والسفين : جمع سفينة . — ٩ — أفاتته طلبته : أذهبتها عنه والطلبة . الشىء المطلوب ، وسكون اللام لضرورة الشعر . والرغائب : جمع رغبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير أيضا .

لكَ الملكُ يامن خَصَّ بالعزِّ ذاتَه ... ومَنْ فوقَ آراب الملوكِ مآربه(١)
فلا عرشَ إلا أنتَ وارثُ عِزِّهِ ... ولا تاجَ إلا أنت بالحق كاسبه(٢)
وآمنتُ بالعلمِ الذى أنت نورُه ... ومنك آياديه ، ومنكَ مناقبه(٣)
تُؤامنُ مِن خَوفٍ به كلّ غالبٍ ... علَى أمره فى الأَرض ، والدّاءُ غالبه(٤)
سلوا صاحب المُلكين : هل مَلكَ القُوى ... وأُسدُ الشرى تعنو له وتحاربه ؟(٥)
وهل رفع الداءَ العُضالَ وزيرُه ؟ ... وهل حجب البابَ الممنَّعَ حاجبه ؟(٦)
وهل قدّمت إلا دعاةً شعوبُه ... وساعفَ إلّا بالصلاة أقاربه ؟(٧)
هنالك كان العلمُ يُبلِي بلاءه ... وكان سلاح النفس تغنى تجاربه(٨)

* * *

كريمُ الظُّبا ، لا يقرب الشرَّ حَدُّه ... وفى غيره شرُّ الورى ومَعاطبه(٩)
إذا مرَّ نحوَ المرء كان حياتَه ... كأصبَع عيسى نحو مَيْت يخاطبه
وأيسرُ من جُرح الصدودِ فعالُه ... وأسهل من سيفِ اللِّحاظ مَضاربه(١٠)

---

١ ـ خصه بالشىء : جعله له دون سواه . والاراب : جمع أرب ، وهو الحاجة ـ ٢ ـ العرش : سرير الملك . والتاج : صله للعجم ، يقال : توج اذا لبس التاج ، كما تقول العرب : عمم ، اذا لبس العمامة ، استعمل على وجه العموم ، وكاسبه : نائله ورابحه ـ٣ـ اياديه : جمع يد ، وهى هنا النعمة . ومناقبه : جمع منقبة ، وهى الفعل الطيب ـ ٤ ـ تؤامن : اى تعطى الأمان . وكل غالب على أمره : أى لايعجزه شىء ـ٥ـ القوى : جمع قوة : ضد الضعف . وتعنو : تخضع وتذل ـ ٦ ـ الداء العضال : الشديد الذى يعيى الأطباء . والباب الممنع : الذى لا يرام ـ ٧ ـ ساعف : ساعد ٨ ـ يبلى بلاءه : يجتهد اجتهاده . والتجارب : جمع تجربة ، من جربت الشىء ، اذا اختبرته مرة بعد اخرى ـ ٩ ـ كريم الظبا : من اضافة الصفة للموصوف : اى الظبا الكريمة ، والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان أو نحو ذلك ، والمراد السيف او نحوه ليستقيم المعنى فيكون مجازا من اطلاق اسم الجزء على الكل . والمعاطب : المهالك ، جمع معطب .
١٠ ـ الصدود : الاعراض . وفعاله : جمع فعل . واللحاظ : جمع لحظ . ومضاربه ، جمع مضرب .

عجيبٌ ! يُرجَّى «مِشرطاً» أو يهابه ... مَن الغربُ راجيه ، مَن الشرقُ هائبه ؟(١)
فلو تُفتدى بالبيضِ والسُّمرِ فِدْيَةٌ ... لألْقَتْ قَناها فى البلاد كتائبه(٢)
ولو أن فوق العلم تاجاً لتوّجوا ... طبيبًا له بالأمس كان يصاحبه(٣)
فآمنتُ بالله الذى عزّ شأنُه ... وآمنتُ بالعلم الذى عزّ طالبه(٤)

ذكرى كانارفون

فى الموت ما أعيا وفى أسبابه ... كل امرئٍ رهنٌ بطَىِّ كتابِه(٥)
أَسَدٌ لَعَمْرُكَ ، من يموتُ بُظُفره ... عند اللقاء ؛ كمن يموت بنابه(٦)
إن نام عنك ؛ فكلُّ طبٍّ نافعٌ ... أو لم ينمْ ؛ فالطبُّ من أذنابه
داءُ النفوس، وكلُّ داءٍ قبلَه ... هَمٌّ نَسِينَ مَجيئَه بذَهابه(٧)
النفسُ حربُ الموتِ ، إلا أنها ... أتتِ الحياةَ وشُغلَها من بابه(٨)

---

١ ـ عجيب : صفة موصوف مقدر ، اى امر عجيب . ويرجى : اى يرجو والمشرط : المبضع الذى يفتح بـــه الطبيب الجراحات . ويهابه : يخافه . « ومن » فى : « من الغرب راجيه .. الخ » فاعل « يرجى ». يقول انه لأمر عجيب ان هذا الملك الذى يرجوه الغرب ويخافه الشرق ، يتعلق رجاؤه أو خوفه بمشرط الطبيب الذى يفتح له دمله ـ ٢ ـ تفتدى : تســـتنقذ بالفدية : والبيض والسمر : السيوف والرماح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الجيش مجتمعة .
٣ ـ توجوه : البسوه التاج ـ ٤ ـ عز شأنه : قوى ، وطالب العلم : محصله ـ ٥ ـ ما اعيا : اى ما اتعب واعجز عن ادراك حقيقته . ورهن بطى كتابه : اى باق فى الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهى أجله ـ ٦ ـ لعمرك : يقول النحاة : انه قسم ، اللام فيه لتوكيد الابتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف، اى لعمرك قسمى ، أو ما أقسم به ـ ٧ـ الداء : العلة والمرض . ونسين : اى النفوس ـ ٨ ـ حرب الموت : أى حرب للموت والمراد انها تكرهه وتدافعه اتت : جاءت ، الضمير فى « شغلها » للحياة ، والضمير فى « بابه » للموت.

تَسَع الحياةَ على طويل بلائها ... وتضيقُ عنه على قصير عذابه(١)

هو منزلُ السارى ، وراحةُ رائح ... كثُرَ النهار عليه فى إتعابِه(٢)

وشفاءُ هٰذى الروحِ من آلامها ... ودواءُ هذا الجسم من أوْصابه(٣)

من سرَّه ألَّا يموتَ ؛ فبالعلا ... خَلَدَ الرجالُ ، وبالفعالِ النابِه(٤)

ما مات من حازَ الثرى آثارَه ... واستولت الدنيا على آدابه(٥)

قل للمُدِلِّ بمالِه وبجاهه ... وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابه(٦)

هذا الأَديمُ يَصدُّ عن حُضَّارِه ... وينامُ مِلْءَ الجفن عن غُيَّابه(٧)

إلَّا فتًى يمشى عليه مُجدِّدًا ... ديباجَتَيْهِ ، مُعَمِّرًا بخرابه(٨)

صادت بقارعةِ الصعيدِ بَعوضةٌ ... فى الجوِّ صائدَ بازِه وعُقابه(٩)

وأَصاب خُرطومُ الذبابة صفحةً ... خُلِقتْ لسيف الهندِ أو لذُبابِه(١٠)

---

١ ــ بلاء الحياة : ما فيها من الم وهم . اى ان النفس تسع الحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهى ، وتضيق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه الا شىء من الألم قصير ــ ٢ ــ هو : أى الموت . والسارى : الذى يقطع الليل سيرا . الرائح : الذاهب . واتعاب : مصدر أتعب ــ ٣ ــ وشفاء هذه الروح ، الى آخر البيت : متصل بالبيت الذى قبله . والأوصاب : الأوجاع ، جمع وصب ــ ٤ ــ العلا : اما الرفعة والشرف ، واما جمع عليا : وهى المنزلة الرفيعة . الفعال النابه : الفعل الشريف المذكور ــ ٥ ــ حاز الشىء ضمه اليه . والثرى : التراب الندى . والاثار : جمع اثر ، وهو ما بقى من الشىء . واستولت على آدابه : غلبت عليها وتمكنت منها : والآداب : جمع أدب ، وهو كل ما يتحلى به الانسان من فضيلة ــ ٦ ــ المدلل بماله . الخ ، الذى يتيه به على أقرانه . والجاه : القدر والمنزلة . ويجل : يعظم . ٧ ــ الأديم : الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الارض ، وهو المراد هنا . يصد عن حضاره : يعرض عنهم . والحضار : جمع حاضر . وجفن العين : غطاؤها من أعلاها وأسفلها ، والمراد العين نفسها . والغياب : جمع غائب ٨ ــ الديباجتان : الخدان ، اى الا فتى يمشى على وجه الارض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدين لوجه الانسان ــ ٩ ــ القارعة : الشديدة من شدائد الدهر . والصعيد : بلاد مصر العليا . والباز والعقاب : من جوارح الطير . يقول : ان تلك البعوضة صادت فى الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه ١٠ ــ الخرطوم : الأنف والمراد بالذبابة : تلك البعوضة نفسها . وصفحة كل شىء : جانبه . وذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .

طارت بخافية القضاء ، ورَأْرَأَت ... بكريمتيْه ، ولامست بلُعابه(١)

لاتَسمعنّ لعُصبةِ الأَرواحِ ما ... قالوا بباطل علمهم وكِذابه(٢)

الروحُ للرحمنِ جل جلَالُه ... هى من ضنائن علمه وغيابه(٣)

غُلِبوا على أعصابهم ، فتوهَّموا ... أوهامَ مغلوبٍ على أعصابه

* * *

ما آبَ جَبّارُ القُرونِ ، وإنّما ... يومُ الحساب يكون يومَ إيابه(٤)

فذروه فى بلد العجائب مُغْمَداً ... لا تشهَروه كأَمس فوق رقابه(٥)

المستبدُّ يطاقُ فى ناووسه ... لا تحت تاجيه وفوق وِثابه(٦)

والفردُ يؤمَن شرُّه فى قبره ... كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه(٧)

هل كان (توتَنْخُ) تقمَّصُ روحُهُ ... قُمُصَ البعوض ومُسْتَخَسَّ إهابه ؟(٨)

أوكان يَجزِيكَ الردى عن صُحبةٍ ... وهو القديم وفاؤه لصحابه ؟(٩)

---

١ ــ الخافية : واحدة الخوافى . وهى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح ، والقضاء هنا : معناه الصنع والتقدير . والمراد به قضاء الله . ويقال : رارا بعينيه ، اذا حدد النظر ، او اذا ادارهما . والكريمتان : العينان واللعاب : مايسيل من الفم . والضمير فى « طارت » يرجع الى « الذبابة »
٢ ــ العصبة من الرجال : ما بين العشرة الى الاربعين ، والمراد هنا الجماعة بغير عدد . والكذاب : الكذب ــ ٣ ــ ضنائن علمه : اى خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه . وغيابه : اما جمع غيب ، وهو ما غاب عنك من الأمر ، وأما مصدر غاب يغيب ، وهو كالغيب فى معناه .
٤ ــ آب : رجع . جبار القرون : يريد توت عنخ آمون يوم الحساب : اليوم الاخر ــ ٥ ــ ذروه : اتركوه . بلد العجائب : الأقصر ، لما فيها من عجائب الاثار . مغمدا : اى باقيا فى قبره كما يبقى السيف فى غمده . لا تشهروه ، من شهر السيف اذا سله : يعنى لا تخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التى يملكها وهو حى ــ ٦ ــ المستبد : من استبد بالشىء اذا انفرد به . يطاق : من أطاق الشىء ، اذا قدر عليه . والناووس : هو مقبرة النصارى خاصة ، وقد يستعمل لتابوت الميت . الوثاب : السرير الذى لا يبرح الملك عليه ــ ٧ ــ قراب السيف ، قيل : هو غمده ، وقيل : هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده ، وقيل غير ذلك ــ ٨ ــ تقمص روحه قمص البعوض : اى لبسها . والقمص : جمع قميص . المستخس : الخسيس ، الاهاب : الجلد الذى لم يدبغ ــ ٩ ــ يجزيك : يقضيه لك ويثيبك عليه . الردى ، الهلاك . الوفاء : ضد الغدر . الصحاب جمع صاحب .

تالله لو أهدى لك الهرمَيْنِ من ذهب ؛ لكان أقلَّ ما تُجزَى به
أنتَ البشير به ، وقَيِّمُ قَصره ومُقدَّمُ النبلاء من حُجّابه(١)
أَغلَمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه وحَشَدْتَهم فى ساحِه ورحابه(٢)
لولا بَنانُك فى طلاسِم تُربه ما زاد فى شرف على أترابه(٣)

* * *

أَخنَى الحِمامُ على ابن هِمّةِ نفسهِ فى المجد ، والبانى على أحسابه(٤)
الجائب الصخرَ العتيدَ بحاجرٍ دبَّ الزمانُ وشبَّ فى أسرابه(٥)
لو زايلَ الموتى مَحاجرَهم به وتلفّتوا ؛ لتحيّروا كضِبابه(٦)
لم يَأْلُهُ صبرًا ، ولم يَنِ هِمّةً حتى انثنى بكنوزِه ورِغابه(٧)
أفضى إلى خَتْمِ الزمان ففضَّه وحبا إلى التاريخ فى محرابه(٨)
وطوى القرونَ القَهْقَرى ، حتى أتى فوعونَ بين طعامه وشرابه(٩)

---

١ ـ البشير : المبشر بالخير ، قيم القصر : سائس أمره . النبلاء : جمع نبيل ، وهو الذكى النجيب : الحجاب جمع حاجب ـ ٢ ـ أقوام : جمع قوم حشدتهم : جمعتهم . الساح : جمع ساحة ؛ وهى الموضع المتسع أمام الدار ونحوها . الرحاب . جمع رحبة وهى الساحة ـ ٣ ـ البنان : أطراف الاصابع ؛ مفردها : بنانة . الترب : التراب . أترابه : لداته ، جمع ترب ، وهم من ولدوا معه ـ ٤ ـ أخنى عليه : أهلكه . الحمام : الموت . الاحساب : جمع حسب ، وهو ما للرجل من مفاخر الآباء ، أو هو دين الرجل أو ماله

٥ ـ العتيد : الحاضر المهيأ . دب يقال : دب الصبى اذا مشى . شب : ادرك شبيبته ، الأسراب : جمع سرب ، وهو البيت تحت الارض ـ ٦ ـ زايل : فارق . والموتى : جمع ميت . محاجرهم : النواحى التى اتخذت لهم من الارض ، أو هى القبور فى الارض المتحجرة . الضباب : جمع ضب

٧ ـ لم يأله صبرا : أى لم يقصر فى حمله على الصبر . ولم ين همة : لم تضعف همته ، من ونى فى الامر ؛ اذا ضعف عنه ، انثنى : رجع . الكنوز : جمع كنز . الرغاب : جمع رغيبة ، وهى هنا الشىء المرغوب فيه ، وتكون أيضا بمعنى العطاء الكثير ـ ٨ ـ أفضى الى ختم الزمان : وصل اليه . فضه : كسر ؛ حبا الى التاريخ : دنا منه . المحراب : صدر المجلس ، وقيل : هو أشرف المجالس ؛ ومنه محراب الصلاة ـ ٩ ـ طوى القرون : قطعها . والقرون ؛ جمع قرن ؛ وهو الجيل من الناس ، مدته ثمانون سنة ، وقيل أكثر ، وقيل أقل . القهقرى ؛ الرجوع ؛ اى طوى القرون حتى رجع بها القهقرى .

المَنْدَلُ الفيّاحُ عودُ سريره | واللؤلؤ اللمّاحُ وشْىُ ثيابه(١)
وكأَن راحَ القاطفين فَرَغْن من | أثماره صُبحًا ومن أرطابه(٢)
جدثٌ حوى ماضاق (غُمدانٌ) به | من هالة المُلكِ الجسيمِ وغابه(٣)
بنيانُ عُمرانٍ، وصَرْحُ حضارةٍ | فى القبر يلتقيان فى أطنابه(٤)
فترى الزمانَ هناك قبلَ مَشيبه | مثلَ الزمانِ اليومَ بعد شبابه
وتحسُّ ثَمَّ العلمَ عند عُبابه | تحت الثرى والفنَّ عند عجابه(٥)

* * *

ياصاحبَ الأُخرى، بلغتَ مَحلَّةً | هى من أخى الدنيا مُناخُ ركابه(٦)
نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى | من لا يُفيقُ، وجدّ من تَلعابه(٧)

---

١ ـ المندل: العود المعروف بطيب رائحته. الفياح: الفياض بنشره وطيبه اللماح: الشديد اللمعان، وشى الثوب: نقشه وتحسينه. والضمير فى «سريره» و «ثيابه» لفرعون ـ ٢ ـ الراح: جمع راحة، وهى الكف. القاطفين. جمع قاطف وهو من يجتنى الثمر. اثمار: جمع ثمر. ارطاب: جمع رطب، وهو ما نضج من البلح، والمراد بالأثمار والأرطاب: التحف والآثار الغالية التى وجدت فى قبر فرعون وهى لم تزل على جدتها كأنها مصنوعة الان ـ ٣ ـ الحدث: القبر. حوى الشىء: أحرزه. غمدان: قصر كان مشهورا. يرجحون أن يشرح بن الحارث بن صيفى بن سبأ جد بلقيس ملكة اليمن، هو الذى بناه وجعل له اربعة وجوه: احمر، وابيض، واصفر واخضر، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف، بين كل سقفين اربعون ذراعا وقيل: كان ارتفاع السقف مائتى ذراع. الهالة: دارة القمر. الغاب: الرماح، جمع غابة ـ ٤ ـ العمران: اسم لما يعمر به المكان وتحسن حاله. الصرح: القصر، وكل بناء مرتفع. الحضارة: الاقامة فى الحضر. الأطناب: جمع طنب، وهو الحبل الذى يشد به السرادق، ويستعمل مجازا فى الناحية، وهى المرادة هنا ـ ٥ ـ تحسن العلم: تشعر به. ثم ظرف مكان بمعنى هناك، العباب: ارتفاع السيل وكثرته، العجاب: ما جاوز حد العجب ـ ٦ ـ المحلة: المنزل، المناخ: مبرك الابل، ومحل الاقامة مجازا. الركاب: الابل. والاخرى: يريد بها الآخرة. والخطاب للورد المرثى. يقول: بلغت منزلا هو نهاية المسير لاهل الدنيا، وهو القبر ـ ٧ـ النزل: ماهيىء للضيف أن ينزل عليه. افاق: صحا واستيقظ. الهوى: ارادة النفس غير المحمودة. التلعاب: اللعب.

نام العدوُّ لديه عن أحقاده وسلا الصديقُ به هوى أحبابه(١)

الراحةُ الكبرى مِلاكُ أديمه والسلوةُ الطُّولَى قِوَامُ ترابه(٢)

* * *

(وادى الملوك) بكتْ عليكَ عيونُه بمُرَقْرَق كالمزنِ فى تَسكابه(٣)

أنَى بياضَ الغَيم عن أعطافه حزناً . وأقبل فى سواد سحابه(٤)

يَأْسَى على حرباءِ شمسِ نهاره ونزيلِ قِيعَتِه ، وجار سرابه(٥)

ويودُّ لو أُلبِست من بَرْدِيِّه بُرْدَيْنِ . ثم دُفنتَ بين شعابه(٦)

نوَّهتَ فى الدنيا به ، ورفعتَه فوق الأديم ، بطاحِه ، وهِضابه(٧)

أخرجتَ من قبرٍ كتابَ حضارةٍ الفنُّ والإعجازُ من أبوابه(٨)

فصَّلته ؛ فالبرقُ فى إيجازه يُبنَى البريدُ عليه فى إطنابه(٩)

---

١ ـ الاحقاد : جمع حقد . وهو الغضب الثابت . سلا الشيء : نسيه وغفل عن ذكره . الهوى فى هذا البيت : العشق ـ ٢ ـ ملاك الشيء : قوامه السلوة : السلو . الطولى : مؤنث الأطول اى العظيمة الطول . القوام : ما يقوم به ـ ٣ ـ دمع مرقرق : اى دائر فى حملاق العين . المزن : السحاب الابيض . جمع مزنة . التسكاب : الانسكاب ـ ٤ـ الغيم السحاب واحدته غيمة . الأعطاف جمع عطف وهو جانب الشيء وعطف الرجل جانبه من رأسه الى وركيه ـ٥ـ الحرباء اسم للذكر ، والأنثى حرباءة ، وهى حيوان اسمه أم حبين ؛ يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون بحرها الوانا مختلفة . وهو يضرب مثلا فى التقلب . القيعة : قيل جمع قاع وهو أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال . وقيل هى مفرد فى معنى القاع . السراب : ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء يلصق بالارض

٦ ـ البردى نبات تعمل منه الحصر ؛ وهو ينبت كثيرا فى مناقع الماء . بردين مثنى برد . وهو ثوب مخطط ؛ والمراد هنا مطلق ثوب . الشعاب:جمع شعب ، وهو الطريق المنفرج بين جبلين . والضمائر فى « برد » و « برديه » و « شعابه » ترجع الى وادى الملوك ـ ٧ ـ نوه به : رفع ذكره وعظمه . الاديم هنا وجه الأرض . البطاح : جمع ابطح . وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الارض ٨ ـ الفن : فى الأصل . النوع من الشيء ، ثم توسعوا فأرادوا به الصناعة والعلم وما اليهما . والاعجاز : مصدر اعجز ، وهو اداء المعنى بطريق لا قدرة لأحد عليها ـ ٩ ـ فصلته : بينته . والبرق : ومض السحاب . واستعمل الآن فى نقل الرسالات « بالتلغراف » مجازا لسرعة النقل ، كانه الوميض =

طلعا على (لوزانَ) والدنيا بها ... وعلى (المحيط) وما وراء عُبابه(١)
جئتَ الشعوبَ المحسنين بشافع ... مِنْ مثل مُتْقَنِ فَنِّهم ولُبابه(٢)
فرفعتَ رُكناً للقضية ، لم يكن ... (سَحبانُ) يرفعُه بسحر خطابه(٣)

أيها العمال

أَيُّها العمالُ ، أفنوا الـ ... عمرَ كدًّا واكتسابا
واعمروا الأَرضَ ، فلولا ... سعيُكم أمست يَبابا(٤)
إن لى نصحًا إليكم ... إن أَذِنْتُم وعِتابا
فى زمان غَبِىَ النا ... صحُ فيه ، أو تغابى
أين أنتم من جدود ... خلدوا هذا الترابا ؟
قَلَّدوه الأَثَرَ المُعْـ ... جِزَ ، والفنَّ العُجابا
وكَسَوْهُ أبدَ الدهـ ... ـرَ من الفخر ثيابا
أَتْقَنوا الصنعَةَ ، حتى ... أخذوا الخلدَ اغتصابا
إن للمتقِنِ عند ... الله والناسِ ثوابا
أَتْقِنُوا ، يُحْبِبْكُمُ الله ... ـهُ ، ويرفعْكم جنابا

= البريد المسافة التى يقطعها الرسول ، والمراد به الان نقل الرسالات بواسطة « البوستة » : الايجاز : اختصار الكلام • والاطناب ، اطالته •

١ ـ طلعا : أى البريد والبرق ، لوزان مدينة فى سويسرة ، كان بها مجلس الدول الذى تم فيه الصلح بين تركية واليونان ١٩٢٢ ، والى هذا المجلس يشير بقوله (والدنيا بها) • المحيط : البحر الذى يحيط باليابسة • وما وراء عبابه : بلاد أمريكا التى يحيط بها المحيطان المتجمدان من الشمال والجنوب ، والمحيطان الاطلسى والهادى من الشرق والغرب ، والمعنى أن البرق والبريد طلعا على العالم المتحضر كله بخير تلك الآثار التى وجدت فى القبر ـ ٢ الشافع : من يعاونك عند غيرك او يسعى لك فى مطالبه . المتقن : المحكم . اللباب : المختار الخالص من كل شىء ـ٣ـ الركن ، الجانب الاقوى من الشىء . سحبان : رجل من وائل كان خطيبا فصيحا ، ويضرب به المثل فى ذلك ، فيقال : « أخطب من سحبان » ـ ٤ ـ الارض اليباب : الخراب •

أرضيتم أن تُرى (مصـ رُ) من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماءً للصناعاتِ وغابا ؟

• • •

أيها الجمعُ ، لقد صر تَ من المجلس قابا(١)
فكنِ الحُرَّ أختيارًا وكن الحُرَّ انتخابا
إن للقوم لعيْنًا ليس تَـأْلوكَ ارتقابا
فتوقع أن يقولوا : مَنْ عن العمالِ نابا ؟
ليس بالأمر جديرًا كلُّ مَنْ ألقى خطابا
أو سخا بالمال ، أو قدّ م جاهاً وانتسابا
أو رأى أُمّيَّةً ، فاخـ تلب الجهلَ اختلابا
فتخيَّرْ كلَّ من شـ ـبَّ على الصدق وشابا
واذكرِ الأنصارَ بالأمـ ـس ، ولا تَنْسَ الصِّحابا
أيها الغادون كالنحـ ـلِ ارتيادًا وطلابا
فى بكور الطير للرز قِ مجيئًا وذهابا
اطلبوا الحقّ برفق واجعلوا الواجبَ دابا(٢)
واستقيموا يفتحِ اللـ ـه لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللـ ـهَ . أو تُرضوا الكتابا
إنها رجس ؛ فطوبَى لامرئ كف وتابا
تُرعِشُ الأيدى . ومن يرْ عش من الصناعِ خابا
إنما العاقلُ مَن يجـ ـعلُ للدهر حسابا

---

١ ــ يريد بالمجلس : دار النيابة ــ ٢ ــ اى دأبا ، وخففت للضرورة.

فاذكروا يومَ مَشيبٍ   فيه تَبكون الشبابا
إن للسنّ لهمًّا   حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم   للشيب والضعف نِصابا
واذكروا فى الصحة الدا   ءَ إذا ما السُّقمُ نابا
واجمعوا المال ليومٍ   فيه تَلْقَوْن اغتصابا
قد دعاكم ذنبَ الهيـ   ـئةِ داع فأصابا
هى طاووسٌ ، وهل أحـ   ـسنُه إلا الذُّنابَى ؟

نجــاة(*)

هنيئًا أميرَ المؤمنين ، فإنّما   نجاتُك للدِّين الحنيف نجاةُ(١)
هنيئًا لطه ، والكتابِ ، وأمةٍ   بقاؤكَ إبقاءٌ لها وحياة(٢)
أخذتَ على الأقدار عهدًا ومَوْثِقًا   فلستَ الذى تَرقى إليه أذاة(٣)
ومن يكُ فى بُرْدِ النبىّ وثوبهِ   تَجُزْهُ إلى أعدائه الرَّمَيّات(٤)
يكاد يسيرُ البيتُ شكرًا لربه   إليكَ ، ويسعى هاتفاً عرفاتُ(٥)
وتستوهب الصفحَ المساجدُ خُشَّعاً   وتبسط راحَ التَّوْبة الجُمعات(٦)

(*) ألقيت على جلالة الخليفة قذيفة فى سبتمبر ١٩٠٥ ، ثم شاء الله ان يكتب له النجاة من شرها ، فكتب الشاعر يهنئه
١ـ اتاك الشىء هنيئا ، وهو هنىء لك : أى سائغ ثابت لا مشقة فيـه .
٢ ـ طه : من أسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم . الكتاب : القرآن الكريم . والامة : المسلمون جميعا ـ ٣ ـ الاقدار : جمع قدر ، وهو ما يقدره الله من قضائه ، ويعرفه بعضهم بانـه تعلق ارادة الله بالاشياء . العهد هنا : الضمان . الموثق :العهد . ترقى اليه : تصعد . الاذاة : المكروه ـ ٤ ـ البرد : ثوب مخطط . تجزه : تتعداه الى غيره. الرميات : جمع رمية ـ ٥ ـ البيت: الكعبة . عرفات : مكان على مقربة من مكة ، الوقــوف به ركن من أركان الحج ـ ٦ ـ تستوهب الصفح : تطلب هبته : والصفح : الاعراض عن الذنب خشعا : جمع خاشع . الراح : جمع راحة ، وهى الكف .

ونستغفرُ الأرضُ الخصيبُ وماجنت ... ولكنْ سقاها قاتلون جُناةٌ(١)
وتُثْنِى من الجرحى عليك جراحُهم ... وتأتى من القتلى لكَ الدعواتُ(٢)
ضحكتَ من الأهوال ، ثم بكيتَهم ... بدمعٍ جرتْ فى إثره الرَّحماتُ(٣)
تُثابُ بغاليه ، وتُجزَى بطُهْرِه ... إلى البعث أشلاءٌ لهم ورُفاتُ(٤)
وما كنتَ تُحييهم ، فكِلْهم لربهم ... فما مات قومٌ فى سبيلك ماتوا(٥)
رمتهم بسهم الغدر عند صلاتهم ... عصابةُ شرٍّ للصلاة عداةٌ(٦)
تبرَّأ عيسى منهمُ وصِحَابه ... أأتباعُ عيسى ذى الحنانِ جُفاةٌ؟(٧)
يُعادون دِينًا ، لا يُعادون دولةً ... لقد كذبت دعوى لهم وشكاةٌ(٨)
ولا خيرَ فى الدنيا ، ولا فى حقوقها ... إذا قيل : طُلَّابُ الحقوقِ بُغاةٌ(٩)
بأىِّ فؤادٍ تَلتقى الهولَ ثابتاً ... وما لِقلوب العالمين ثَباتُ ؟(١٠)

---

١ ــ تستغفر : تطلب المغفرة . الارض الخصيب : الكثيرة العشب ، كناية عن كثرة خيرها . و « ما » فى « ماجنت » للنفى ــ ٢ ــ تثنى عليك : تمدحك . الجرحى جمع جريح . والجراح : جمع جرح . القتلى : جمع قتيل ــ ٣ ــ الأهوال : جمع هول ، وهو المخوف من الامر لايدرى الانسان ما يهجم عليه منه ، بكيتهم ، اى الجرحى والقتلى . الرحمات : جمع رحمة

٤ ــ تثاب : تجازى . بغاليه وطهره : الضمير فيها للدمع . البعث هنا ، من بعث الموتى : اى نشرهم يوم القيامة . الرفات : الحطام وكل ما نكسر وبلى . اشلاء الانسان : اعضاؤه بعد البلى والتفرق ــ ٥ ــ كلهم لربهم من وكل اليه الأمر : أى تركه له وفوضه اليه . فى سبيلك : اى من اجلك وبسببك ــ ٦ ــ الغدر : الخيانة وعدم الوفاء . الجماعة : قيل العشرة، وقيل ما بين العشرة والأربعين . العداة : جمع عدو، والمراد نصارى الأرمن الذين دبروا حادث القنبلة ــ ٧ ــ تبرأ منه : تخلص منه وأنكره . عيسى : ابن مريم النبى عليه السلام . الصحاب : جمع صاحب . أتباع : جمع تابع ، والهمزة للاستفهام . الحنان : الرحمة. الجفاة: جمع جاف ، وهو الغليظ الخلق .

٨ ــ الشكاة : الشكوى ، وهى التظلم ــ ٩ ــ الطلاب : جمع طالب . البغاة : جمع باغ وهو الظالم ــ ١٠ ــ الفؤاد : القلب . تلتقى الهول : تستقبله . الهول : المخيف المفاجىء . الثبات : الاستقرار ، والخطاب لأمير المؤمنين .

إذا زُلزلتْ من حولك الأرضُ؛ رادها ... وقارُك حتى تسكنَ الجَنَبات(١)
وإن خرجت نارٌ فكانت جهنما ... تُغذّى بأجساد الورَى وتُقات(٢)
وترتجُّ منها لُجَّةٌ، ومدينةٌ ... وتَصلى نواحٍ حَرَّها، وجِهات(٣)
تمشيتَ فى بُرْدِ الخليل، فخضتَها ... سلاماً وبردًا حولك الغَمَرات(٤)
وسرتَ ومِلءُ الأرض حولك أدْرُعٌ ... ودرعُك قلبٌ خاشعٌ وَصَلاةُ(٥)
ضحوكا، وأصنافُ المنايا عَوابسٌ ... وقورًا، وأنواعُ الحُتوفِ طُغاة(٦)
يحوطك إن خان الحُماةَ انتباهُهُم ... ملائكُ من عند الإلٰه حُماة(٧)
تشير بوجهٍ أحمدىٍّ، مُنوَّرٍ ... عيونُ البرايا فيه مُنحسرات(٨)
يحيِّى الرعايا، والقضاءُ مُهلِّل ... يحييه، والأقدارُ معتذِرات(٩)

---

١ — زلزلت الارض: ارجفت. راد الارض: تفقدها ليرى هل تصلح للنزول بها. الوقار: الحلم والرزانة والجنبات: النواحى، جمع جنبة.
٢ — تغذى، من غذاه: اى اطعمه. اجساد: جمع جسد. الورى: الخلق تقات: من قاته، اعطاه قوتا وهو ما يؤكل ليمسك الرمق — ٣ — ترتج: تضطرب. لجة الماء: معظمه. تصلى حرها: تجده وتحسه. النواحى: جمع ناحية. الجهات: جمع جهة. والمراد: يرتج منها البر والبحر، وتخترق بها جهات الأرض ونواحيها، أى انها نار عامة عظيمة — ٤ — تمشيت: مشيت. البرد: الثوب. الخليل: هو النبى ابراهيم عليه السلام، وقصة خوضه النار التى أوقدها له النمروذ مشهورة. سلاما: اى سلامة. وبردا اى لا حرا. الغمرات، الشدائد والمكاره — ٥ — ملء الشيء: ما يملؤه. ادرع: جمع درع، وهى ثوب ينسج من زرد الحديد، ويلبس فى الحرب، للوقاية من سلاح العدو — ٦ — الضحوك. الكثير الضحك. المنايا، جمع منية، وهى الموت. عوابس، كوالح الوجوه متجهمات، الوقور: الحليم الرزين الحتوف: جمع حتف: وهو الموت أيضا. طغاة، جمع طاغ. وهو الظالم المسرف فى ظلمه — ٧ — يحوطك: يحفظك ويتعهدك. الحماة: جمع حام. الانتباه: اليقظة للامر. والملائك: الملائكة — ٨ — وجه احمدى: منسوب الى احمد. وهو النبى صلى الله عليه وسلم، نسبة تشريف وتبعية. منور: مضىء. منحسرات: يريد حسيرات، والعين الحسيرة الكليلة التى ينقطع بصرها من طول المدى — ٩ — يحيى الرعايا: يسلم عليها. ورعايا الملك: القوم الخاضعون له، جمع رعية. القضاء هنا: تقدير الله. مهلل: من التهليل، وهو رفع الصوت بلا اله الا الله. والاقدار: جمع قدر.

نجاتُكَ نُعْمى للإله سنِيَّةٌ ... لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاة(١)

فصيِّر أميرَ المؤمنين ثناءها ... مَآثِرَ تُحيِي الأرضَ وهي موات(٢)

إذا لم يُفتنا من وجودك فائت ... فليس لآمالِ النفوس فوات(٣)

بَلَوْناكَ يقظانَ الصوارمِ والقَنا ... إذا ضَيَّعَ الصِّيدَ الملوكَ سُبات(٤)

سهِرتَ ، ولذَّ النومُ ـ وهوَ مَنيَّةٌ ـ ... رَعايا تولَّاها الهوى ورُعاةُ(٥)

فلولاكَ مُلكُ المسلمين مُضيَّعٌ ... ولولاكَ شملُ المسلمين شَتات(٦)

لقد ذهبت راياتُهم غير راية ... لها النصرُ وَسْمٌ والفتوحُ شِيات(٧)

تَظل على الأيام غَرَّاء ، حُرَّةً ... مُحجَّلةً فى ظلها الغزَوات(٨)

حَنيفيَّةٌ ، قد عزَّها ، وأعزَّها ... ثلاثون مَلْكًا ، فاتِحون ، غُزاة(٩)

---

١ ـ النعمى ، كالنعمة : ما انعم به عليك ، سنية : رفيعة عظيمة .

٢ ـ صير : اى اجعل . ماثر : جمع ماثرة ، وهى المكرمة . ارض موات : لاينتفع بها ـ ٣ ـ فاته الشيء : أعوزه وذهب عنه فلم يدركه . الامال : جمع أمل . وهو الرجاء ـ ٤ ـ بلوناك : جربناك واختبرناك . اليقظان : المتنبه المستيقظ . الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . القنا : جمع قناة ، وهى الرمح . الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك . لانه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، والاصل انه الجمل الذى لا يستطيع الالتفات من داء الصيد . السبات : النوم والراحة ـ ٥ ـ سهرت : أرقت فلم تنم ، لذ النوم رعايا ورعاة : اى صار لذيذا لهم . والرعاة : جمع راع ، وهو الوالى

٦ ـ مضيع : مهمل أو مفقود . الشمل : ما اجتمع من الأمر وما تفرق منه . يقال : جمع الله شملهم ، اى ما تشتت من شملهم ، وفرق الله شملهم اى ما اجتمع منه ، الشتات ، المشتت المتفرق ـ ٧ ـ الراية : العلم ، جمعها رايات . الوسم : الاثر والعلامة . الفتوح : جمع فتح وهو النصر . الشيات : جمع شية ، وهى العلامة ـ ٨ ـ تظل : تبقى ، والمراد الراية . الغراء : مؤنث الاغر ، وهو الفرس بجبهته بياض قدر الدرهم ، والابيض من كل شيء ، والكريم الفعال ، الواضحها ، ومن المجاز : يوم اغر محجل ؛ ومثله : راية غراء محجلة . المحجلة : من التحجيل ، وهو بياض فى قوائم الفرس . والمراد أن بها بياضا كانه التحجيل . الغزوات : جمع غزوة ، وهى الواحدة من الغزو ، وهو المسير الى قتال العدو ـ ٩ ـ الحنيفية : المائلة الى الاسلام الثابتة عليه . وهو وصف للراية ايضا . عزها : قواها . اعزها : اجلها . ملكا : لغة فى ملك . غزاة : جمع غاز .

حماها ، وأسماها على الدهر منهمُ ملوكٌ على أملاكه سَرَوات(١)

غمائمُ فى مَحْل السنين ، هواطلٌ مصابيحُ فى ليل الشكوكِ ، هُداة(٢)

تهادت سلاماً فى ذَراك مطيفةً لها رغباتُ الخلقِ ، والرهبات(٣)

تموتُ سِباعُ الجوِّ غَرْثَى حِيالَها وتحيا نفوسُ الخَلقِ والمُهجات(٤)

سننْتَ اعتدالَ الدهر فى أمر أهله فبات رَضِيًّا فى ذَراكَ ، وباتوا(٥)

فأنتَ غمامٌ ، والزمانُ خميلةٌ وأنتَ سِنانٌ ، والزمانُ قَنَاة(٦)

وأنتَ مِلاك السلم إن مَادَ رُكْنُه وأشفقَ قُوَّام عليه ثقات(٧)

أكان لهذا الأمر غيرك صالحٌ وقد هَوَّنَتْه عندك السنوات؟(٨)

ومَن يَسُسِ الدنيا ثلاثين حِجَّةً تُعِنْهُ عليها حكمةٌ ، وأناة(٩)

ـ حماها : دافع عنها • اسماها : أعلاها • سروات : سادات ورؤساء ، وضمير « حماها » و « أسماها » للراية ـ ٢ ـ غمائم : سحائب ، وهى جمع غمامة . المحل : الجدب ويبس الأرض من الكلأ لانقطاع المطر . الهواطل: جمع هاطلة ، وهى السحابة التى يتتابع مطرها ، مصابيح : جمع مصباح ، وهو السراج • هداة : جمع هاد وهو المرشد الدال على الطريق

٣ ـ تهادت : من التهادى ، وهو أن يمشى الرجل وحده مشيا غير قوى متمايلا ، والضمير عائد الى الراية • الذرا : اعالى الأشياء ، واحدتها ذروة • مطيفة : من اطاف بالشىء الم به وقاربه او حام حوله أو احاط به . الرغبات جمع رغبة وهى ارادة الشىء والحرص عليه • الرهبات : جمع رهبة وهى الخوف ـ ٤ ـ السباع : جمع سبع ، وهو المفترس من الحيوانات مطلقا والمراد بسباع الجو سباع الطير . غرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع . حيالها : اى قبالتها وازاءها . المهجات : جمع مهجة ، وهى الدم ، أو هى دم القلب . يقال : سالت مهجته والنفس ، يقال : بذلت له مهجتى ، والخالص من كل شىء ـ٥ـ سننت : ابنت وصورت ، والاعتدال: الاستقامة • ورضيا : راضيا . والذرا : الملجأ ـ ٦ ـ الغمام : السحاب . والخميلة : الشجر الكثير الملتف حيث كان ، وهى أيضا الموضع الكثير الشجر • السنان : نصل الرمح ـ القناة الرمح ـ ٧ ـ ملاك السلم : قوامه الذى يملك به ، والسلم : السلام والأمان ، وماد : تحرك واضطرب • وقوام : جمع قائم • وثقات جمع ثقة يقال هو ثقة اى موثوق به ـ ٨ ـ هونته : سهلته وخففته والسنوات : جمع سنة ـ ٩ ـ يسس : من ساس الشىء دبره وقام بأمره ، يعنه : يساعده ويظاهره . والحكمة : العدل ، والعلم ، ووضع الأمر فى موضعه وصواب الأمر وسداده ، والاناة : الرفق ، وهى الحلم أيضا •

ملكتَ - أميرَ المؤمنينَ - ابنَ هانئٍ … بفضلٍ، له الألبابُ مُمتلَكاتُ
وما زلتُ حَسّانَ المقام ، ولم تزل … تليني ، وتسرى منكَ لى النفحاتُ(١)
زَهدتُ الذى فى راحتيك ، وشاقنى … جوائزُ عند الله مُبتَغَياتُ(٢)
ومَنْ كان مثلى أحمدَ الوقتِ ؛ لم تجُزْ … عليه - ولو من مثلك - الصدقاتُ(٣)
ولى دُرَرُ الأخلاق فى المدح والهوى … وللمُتنبى دُرَّةٌ : وحَصاةُ(٤)
نجت أمةٌ لما نجوتَ ، ودُوركت … بلادٌ ، وطالت للسرير حياة(٥)
وصِينَ جلالُ الملك ، وامتدّ عزُّه … ودام عليه الحسنُ والحسناتُ(٦)
وأُمِّنَ فى شرق البلادِ وغربها … يتامى على أقواتهم ، وعُفاةُ(٧)
سلامِيَ عن هذا المقامِ مُقصِّرٌ … عليكَ سلامُ الله والبرَكاتُ(٨)

---

١ - ما زلت حسان المقام : اى مازلت قائما منك مقام حسان من النبى عليه الصلاة والسلام . حسان بن ثابت الشاعر والصحابى . تلينى : تدنو منى . تسرى : تتسلسل النفحات : العطايا - ٢ - زهدت الشىء : تركته ورغبت عنه • الراحتان : الكفان . شاقنى جوائز : هيجتنى . الجوائز : جمع جائزة ، وهى العطية • مبتغيات :مطلوبات - ٣ - لم تجز : لم تكن جائزة . الصدقات : جمع صدقة وهى العطية ، يراد بها الثواب -٤- الدرر ، جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة • المتنبى : أبو الطيب أحمد بن الحسين المشهور ، الحصاة : الحجر الصغير ، يريد أن للمتنبى الجيد والردىء من الشعر ، أما هو قاله الجيد دائما - ٥ - نجت : خلصت . ودوركت : فعل المجهول من داركه : اذا لحقه • السرير : سرير الملك -٦- صين : حفظ • الجلال : التناهى فى عظم القدر ورفعة الشأن . والعز : القوة وعدم الذل. والحسن : الجمال . والحسنات : جمع حسنة ، وهى ضد السيئة -٧- أمن : اعطى الأمان • يتامى : جمع يتيم ، وهو من مات أبوه • اقوات : جمع قوت ، وهو ما يقوم به بدن الانسان من الطعام . العفاة : طلاب المعروف ، جمع عاف
٨ - مقصر : من قصر عن الأمر ، اذا تركه ولم يقدر عليه

الى عرفات

إلى عرفاتِ اللهِ ياخيرَ زائرٍ ... عليك سلامُ اللهِ فى عرفاتِ(١)

ويومَ تُولِّى وجهةَ البيت ناضراً ... وسِيمَ مجالى البِشر والقسماتِ(٢)

على كلِّ أفقٍ بالحجاز ملائكٌ ... تزُفُّ تحايا الله والبركاتِ(٣)

إذا حُدِيَتْ عيسُ الملوك ؛ فإنهم ... لعِيسك فى البيداءِ خيرُ حُداةِ(٤)

لدى (الباب) جبريلُ الأمين ، براحِهِ ... رسائلُ رحمانيّةُ النَّفحاتِ(٥)

وفى الكعبة الغرّاءِ ركنٌ مُرَحِّبٌ ... بكعبةِ قُصَّادٍ ، ورُكْنِ عُفاةِ(٦)

وما سكب الميزابُ ماءً ، وإنما ... أفاض عليك الأَجرَ والرَّحماتِ(٧)

و(زمزمُ) تجرى بين عينيْك أعيناً ... من الكَوْثرِ المعسولِ مُنفجِراتِ(٨)

ويرمون إبليسَ الرجيمَ ، فيصطلى ... وشانِيكَ نيراناً من الجمَراتِ(٩)

---

١ ـ عرفات : اسم موضع وقوف الحاج ، على مقربة من مكة ، وهو اسم واحد فى صورة الجمع ـ ٢ ـ تولى وجهة البيت : تستقبلها . والوجهة : المكان الذى يستقبله الانسان . ناضرامن النضرة : وهى الحسن . وسيم : جميل مجالى البشر ، والمراد الوجه . والبشر : طلاقة الوجه . القسمات : جمع قسمة : وهى الوجه ، وقيل : ما بين الوجنتين والأنف ـ ٣ ـ الافق : الناحية ، ملائك : جمع ملك . التحايا : جمع تحية ـ٤ ـ حديت : من الحداء : وهو سوق الابل والغناء لها . والعيس : الابل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة . والبيداء : المفازة . الحداة : جمع حاد

٥ ـ جبريل : هو أمين الوحى ، والراح : جمع راحة ، وهى الكف

٦ ـ مرحب : من رحب به : قال له : مرحبا . وقصاد : جمع قاصد . وعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ـ ٧ ـ سكب الماء : صبه . الميزاب ، ويقال له مئزاب ومرزاب ومزراب : ما يسيل منه الماء من مكان عال ، قالوا : ومنه ميزاب الكعبة : أى مصب ماء المطر من فوقها ، وهو المراد هنا : افاض : افرغ ـ ٨ ـ زمزم : بئر عند الكعبة ، والكوثر : نهر فى الجنة ، والكثير من الماء ، والمعسول : الحلو ـ ٩ ـ ابليس : علم جنس للشيطان ، والرجيم : هو المطرود ، والملعون ، والمرجوم بالحجارة . ويصطلى نيرانا : يحترق بها . والشانىء : المبغض . والجمرات : الحصيات ، واحدتها جمرة .

يُحيّيكَ (طه) فى مضاجع طُهره — ويعلم ما عالجتَ من عقبات(١)

ويُثنى عليك (الراشدون) بصالحٍ — ورُبَّ ثناءٍ من لسان رُفات(٢)

لك الدينُ يارب الحَجِيج ، جمعتَهم — لبيتٍ طَهورِ السّاحِ والعَرَصات(٣)

أرى الناسَ أصنافاً ، ومن كل بقعةٍ — إليك انتهوْا من غُربَةٍ وشتات(٤)

تساوَوْا ، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ — لديك ، ولا الأقدارُ مختلفات

عَنَتْ لك فى التُّرْب المقدَّسِ جبهةٌ — يَدينُ لها العاتى من الجبهات(٥)

مُنَوَّرَةٌ كالبدر ، شَمَّاءُ كالسُّها — وتُخفَض في حَقٍّ ، وعند صلاة(٦)

ويارِبِّ ، لو سخَّرتَ ناقةَ (صالحٍ) — لعبدك ؛ ما كانت من السَّلِسات(٧)

ويارِبِّ ، هل سيارة أو مطارةٌ — فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلَوات ؟(٨)

ويارِبِّ ، هل تُغنى عن العبد حَجَّةٌ — وفى العمر ما فيه من الهفوات ؟(٩)

---

١ — يحييك : من حياه اذا قال له : حياك الله ، أى أطال عمرك . وطـه : اسم النبى عليه الصلاة والسلام . ومضاجع : جمع مضطجع ، وهو مكان الاضطجاع . العقبات واحدتها عقبة : وهى الطريق الصعب فى اعلى الجبل والمراد هنا صعاب الأمور — ٢ — يثنى عليك الراشدون : يذكرونك بخير ، والراشدون : الخلفاء الاربعة بعد النبى ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى . والرفات : ما بلى من جسم الانسان بعد موته — ٣ — الحجيج : جمع حاج وهم الحجاج . والساح : جمع ساحة ، وهى ساحة الدار . والعرصات : جمع عرصة وهى البقعة من بين الدور ليس فيها بناء

٤ — الأصناف : الأنواع . والغربة : الاغتراب . والشتات : التفرق .

٥ — عنت لك : خضعت وذلت . والترب : التراب . ويدين لها : يطيعها . والعاتى من الجبهات : أى الجبهة العاتية التى تجاوزت الحد فى الاستكبار والجبروت والخطاب لله تعالى . يريد ان جبهة الممدوح عنت لله ، وهى التى اطاعها العتاة المتكبرون — ٦ — منورة : صفة للجبهة فى البيت السابق . وشماء : مرتفعة ، صفة للجبهة أيضا . والسها : كوكب من بنات نعش الصغرى . وتخفض : من الخفض ضد الرفع — ٧ — سخرت : من التسخير ، وهو تذليل الدابة وركوبها بغير أجرة . والسلسات : جمع سلسة ، وهى المنقادة

٨ — السيارة : صيغة مبالغة من السير ، جعله المتأدبون اسما (للاتومبيل) . المطارة : سمى بها المركبة التى تطير فى الجو بالوسائل الصناعية . يدنو : يقرب . والبيد ، والفلوات : جمع بيداء ، وفلاة .

٩ — هل تغنى عن العبد حجة : أى هل تنفعه حجة فى مهم أمره عند الله . والهفوات : الزلات .

وتشهدُ ما آذيتُ نفسًا ، ولم أضِرَ ... ولم أبْغِ فى جَهرى ، ولا خطراتى(١)
ولا غلبتنى شِقوةٌ أو سعادةٌ ... على حكمةٍ آتيتَنى وأناةِ(٢)
ولا جال إلا الخيرُ بين سرائرى ... لدى سُدةٍ خيريةِ الرغباتِ(٣)
ولا بتُّ إلا كابن مريم ، مشفقًا ... على حُسَّدى ، مستغفراً لعداتى(٤)
ولا حُمِّلَتْ نفسٌ هوىً لبلادها ... كنفسىَ ، فى فِعلى ، وفى نفثاتى(٥)
وإنى – ولا مَنٌّ عليك بطاعة – ... أُجِلُّ ، وأُغلى فى الفروض زكاتى(٦)
أُبالغُ فيها وهى عدل ورحمة ... ويتركها النُّسَّاك فى الخلوات(٧)
وأنت ولىّ العفو ، فامحُ بناصعٍ ... من الصفح ما سوَّدتُ من صفحاتى(٨)
ومَنْ تضحَكِ الدنيا إليه فيغْتَرر ... يمتْ كقتيل الغيد بالبسمات(٩)

* * *

وركب كإقبالِ الزمان ، مُحجَّل ... كريمِ الحواشى ، كابر الخطوات(١٠)

---

١ – وتشهد أنت يارب ما آذيت نفسا : أى لم اصل اليها بأذى ، ولم اضر : لم افعل ما يضر . ولم أبغ : لم أرتكب البغى . والجهر : العلانيـــة . والخطرات : واحدتها خطرة ، وهى مايلوح للانسان فى فكره – ٢ – الشقوة : ضد السعادة ، والحكمة العـدل ، والعدل ، والحلم ، وقيل : ما يمنع الجهل وقيل : هى كل كلام واقع الحـق ، وقيل : هى وضع الشىء فى موضـــعه وصواب الامر وســـداده . والأناة : الحلم – ٣ جال : طاف غير مستقر . والسرائر : جمع سريرة ، وهى ما أسره الانسان من أمره . والسدة : البـاب
٤ – ابن مريم : عيسى عليه السلام . ومشفقا على حسدى : حريصا على صلاحهم . والحسد : جمع حاسد . مستغفرا لعداتى : طالبا لهم المغفرة . والعداة : جمع عدو – ٥ – الهوى : الحب . والنفثات : جمع نفثة ، تطلـق عـلى الشعر مجازا ، فيقال : ما أحسن نفثات فلان ، أى ما أحسن شـعره .
٦ – المن : الامتنان بتعداد الصنائع . واجل زكاتى : اعظمها . وأغليهـا : أجعلها غالية . والفروض : ما فرضه الله من العبـــادات الخمس ، والزكاة أحد هذه الفروض – ٧ – أبالغ فيها : من بالغ فى الأمر : أجتهد فيه ولـــم يقصر . والنساك : جمع ناسك ، وهو العابد المتزهد . فى الخلوات : متعلق بالنساك – ٨ – ولى العفو : أى متوليه وصاحبه . والعفو : ترك العقـــوبة والاعراض عن المؤاخذة . امح : أزل . الناصع : الخـــالص الصـــافى . والصفح : ترك الشىء والاعراض عنه – ٩ – يغتر : يخدع بالشىء ويظن بـه الامن فلا يتحفظ . والغيد : جمـع غيداء ، وهى المراة الطويلة العنـــق ، والتى تنثنى لينا ، والتى لطفت بشرتها وكمل حسنها . والبسمات : واحدتها بسمة ، وهى الضحكة من غير صوت – ١٠ – المحجل من الخيل : ما فى =

يسيرُ بأرض أخرجتْ خيرَ أُمَّة ... وتحت سماء الوحى والسورات(١)
يُفيض عليها اليُمْنَ فى غدواته ... ويُضفِى عليها الأَمنَ فى الرّوحات(٢)

* * *

إذا زرتَ – يا مولاىَ – قبرَ محمدٍ ... وقبَّلتَ مثوَى الأعظمِ العَطِرات(٣)
وفاضت مع الدمع العيونُ مهابةً ... لأحمدَ بين السِّتر والحُجرات(٤)
وأشرق نورٌ تحت كلِّ ثَنِيَّةٍ ... وضاع أَريجٌ تحت كل حَصاة(٥)
لمُظهر دينِ الله فوق تَنُوفَةٍ ... وبانى صروحِ المجدِ فوق فلاة(٦)
فقل لرسولِ الله : ياخَيْرَ مُرسَل ... أبثُّك ماتدرى من الحسرات(٧)
شعوبُك فى شرقِ البلادِ وغربِهَا ... كأَصحابِ كهفٍ فى عميقِ سُبات(٨)
بأَيْمَانهم نوران : ذكرٌ ، وسُنَّةٌ ... فما بالُهم فى حالِكِ الظلمات ؟(٩)

= قوائمه بياض . والمعنى ركب مطاياه محجلة ، أو هو محجل ، ويكون المراد مشرق مضىء على سبيل المجاز ، كقولهم: يوم أغر محجل والحواشى : الجوانب والنواحى . والكابر : رفيع الشأن .

١ – يسير بأرض : يريد أرض الحجاز ، ويريد بخير امة العرب خاصة والمسلمين عامة . والوحى : أصله كل ما ألقيته الى غيرك ، ثم غلب على مايلقى للانبياء من عند الله . والسورات : هى سورات القرآن : جمع سورة

٢ – يفيض : يسيل . واليمن : الخير والبركة ، والغدوات : جمع غدوة ، وهى المرة من الغدو . ويضفى عليها الأمن : يسبغه عليها . والروحات : جمع روحة ، وهى المرة من الرواح ، والغدو والرواح على اطلاقهما : الذهاب والمجىء فى اى وقت . وضمير « عليها » للارض فى البيت السابق

٣ – اذا زرت يا مولاى : الخطاب للخديو . والمثوى : المقام . والأعظم : جمع عظم . والعطرة : المتطيبات بالعطر – ٤ – فاضت : سال ماؤها . والمهابة الخوف والتوقير . واحمد : اسم النبى أيضا . الستر : ما يستتر به . والحجرات : جمع حجره ، وهى البيت الصغير فى الدار – ٥ – الثنية : طريق العقبة . وضاع : فاح . والاريج : الرائحة الطيبة – ٦ – مظهر دين الله : معلنه والجاهر به – والتنوفة : المفازة وهى الارض الواسعة البعيدة الاطراف والصروح : جمع صرح ، وهو القصر ، وكل بناء عال . والفلاة : اى الصحراء القفر الواسعة – ٧ – ابثك : أطلعك . وما تدرى : ما تعلم . والحسرات : جمع حسرة . وهى أشد التلهف على الفائت –٨– شعوبك : جمع شعب ، وهو القبيلة العظيمة من الناس . والكهف : البيت الواسع المنقور فى الجبل . والعميق : البعيد الغور . والسبات : النوم

٩ – ايمانهم : جمع يمين ، وهى الجهة المضادة لليسار ، والجارحة =

وذلك ماضى مَجدِهم وفَخارِهم فما ضرّهم لو يعملون لآتى ؟(١)
وهنا زمانٌ ؛ أرضُه ، وسماؤه مجالُ لمِتمدام ٍ كبيرِ حياة(٢)
مشى فيه قومٌ فى السماء ، وأنشئوا بوارجَ فى الأبراج ممتنِعات(٣)
فقل : ربٌّ وَفِّق للعظائم أمتى وَزَيِّنْ لها الأفعالَ والعزمات(٤)

مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات *

قُم حىٍّ هذى النَّيِّراتِ حَىِّ الحسانَ الخيِّرات
وٱخفض جبينَك هَيبةً للخُرَّد المتخفِّــــرات(٥)
زيْنِ المقاصِر والحِجا لِ ، وزيْن محرابِ الصلاة(٦)
هذا مقامُ الأُمها تِ ، فهل قدرت الأُمهات؟

= ايضا ، وهى المرادة هنا • والمعنى معهم نوران •• الخ • والذكر : القرآن والسنة : الشريعة ، وقد تطلق عند الفقهاء على جملة احاديث النبى صلى الله عليه وسلم • والبال : الحال والشأن : أى ماذا غير حالهم حتى صاروا فى الظلمات الحالكة ؟ والحالك : الشديد السواد • والظلمات : جمع ظلمة ، وهى ذهاب النور •

١ ــ المجد : العز والرفعة . والفخار : المباهاة بالمناقب والمكارم

٢ ــ المجال : مكان الجولان ، وهو الطوف فى غير استقرار ، المقدام أصله الكثير الاقدام على العدو ، والمراد هنا الكثير الاقدام على عظائم الامور •

٣ ــ مشى فيه : أي فى هذا الزمان . وانشئوا : احدثوا • وبوارج : جمع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال . والأبراج : جمع برج ؛ وهو فى السماء بابها ، وقيل منزلة القمر ، وقيل الكوكب العظيم • وممتنعات : محتميات . والمعنى ان قوما بلغوا من العزة فى هذا الزمان ان مشوا فى جو السماء ، يريد طاروا فيه وانشئوا طيارات ترتفع حتى تكاد تصل الى السماء

٤ ــ وفق للعظائم أمتى : الهمها اياها ، والعظائم : جمع عظيمة ، وهى ما عظم من الأمور • وزين لها الافعال : اجعلها زينة عندها ، أى غير مشينة والعزمات : جمع عزمة ، وهى الثبات والصبر فيما يعزم عليه •

* ــ ألقيت هذه القصيدة فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الازبكية ــ٥ــ الخرد : العذارى ، والمتخفرات : المستحييات •

٦ ــ الزين : ضد الشين • والمقاصر : جمع مقصورة ؛ وهى اما الدار الواسعة المحصنة ، أو الحجرة من حجر الدار . والحجال : جمع حجل ، وهو الخلخال

لا تَلْغُ فيه ، ولا تقل غيرَ الفواصلِ مُحْكَمات(١)
وإذا خطبتَ فلا تكن خَطْباً على مِصرَ الفتاة
اذكرْ لها اليابانَ ، لا أُممَ الهوى المتهتّكات
ماذا لَقِيتَ من الحضا رة يا أخىَّ التُّرَّهات(٢)
لم تلقَ غيرَ الرقِّ من عُسْرٍ على الشرقىِّ عات
خُذ بالكتابِ ، وبالحديـ ـثِ ، وسيرةِ السلَف الثِّقات(٣)
وارجعْ إلى سنن الخليـ ـقةِ ، واتَّبِعْ نُظُمَ الحياة
هذا رسولُ الله ، لم يُنقص حقوقَ المؤمنات
العلمُ كان شريعةً لنسائه المتفقِّهات(٤)
رُضْنَ التجارَةَ ، والسيا سةَ ، والشئونَ الأُخريات(٥)
ولقد علت ببناتِهِ لُجَج العلوم الزاخرات
كانت سُكَيْنَةُ تملأُ الدنيــا ، وتهزأُ بالرُّواة(٦)
روت الحديثَ ، وفسرتْ آىَ الكتاب البيِّنات
وحضارةُ الإسلام تنـ ـطقُ عن مكان المسلمات
بغدادُ دارُ العالما تِ ، ومنزلُ المتأدِّبات(٧)

---

١ ـ لاتلغ : لاتقل باطلا عن غير روية وفكر . والفواصل : جمع فاصلة ، وهى من السجع بمنزلة القافيـة من الشعر ـ ٢ ـ الترهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، واحدتها : ترهة ، ثم استعيرت للباطل ـ ٣ ـ الثقات : جمع ثقة ، والثقة الموثوق به ، ويوصف به المفرد ، وغير المفرد . والمذكر، والمؤنث ـ ٤ ـ المتفقهات : من تفقه أى تعلم الفقه وتعاطاه ، والفقه : هو علم الدين ، أو من تفقه فى العلم : اذا تعلمه ـ ٥ ـ رضن : من راض الشىء : ذلله وجعله مطيعا ـ ٦ ـ سكينة : هى بنت الحسين بن الامام على وحفيـــدة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ٧ ـ بغداد : مقر ملك العباسيين بالعـراق : المتأدبات : المتعلمات الأدب .

ودِمشقُ تحتَ أُمَيَّةٍ ... أُمُّ الجوارى النابغات(١)
ورِياضُ أندلسٍ نَمَيْـ ... ـنَ الهاتفاتِ الشاعرات(٢)

* * *

أُدْعُ الرجالَ لينظروا ... كيف اتحادُ الغانيات؟
والشمعَ كيف أَخَذن فى ... أسبابه متعاونات ؟
لما رأين نَدَى الرِّجا ... لِ تفاخُرًا ، أو حبَّ ذات(٣)
ورأين عندهُمُ الصنا ... ئعَ والفنونَ مُضيَّعات
والبِرَّ عند الأَغنيا ... ءِ من الشئون المهمَلات
أَقبلن يَبنين المنا ... ئِرَ للنجاح مُوَفَّقات

* * *

للصالحاتِ عقائلِ الـ ... وادى هوًى فى الصالحات(٤)
اللهُ أنبتهنَّ فى ... طاعاته خيرَ النبات
فأَتينَ أَطيبَ ما أَتى ... زَهَرُ المناقِب والصِّفات(٥)
لم يكفِ أن أحسنَّ ، حـ ... ـتى زِدْنَ حَضَّ المحصنات ؟(٦)
يمشين فى سوقِ الثوا ... بِ ، مساوِماتٍ ، رابحات
يَلبَسْن ذُل السائلا ... تِ ، وما ذَكرن البائسات(٧)

ـ دمشق : مقر الأمويين فى الشام • والجوارى : جمع جارية ، وهى الفتاة ـ ٢ ـ أندلس : بلاد فى غرب أوربا • هى الان مملكة اسبانيـــا أو بعضها ؛ وكانت قديما مقر ملك اسـلامى عظيم ، أول من دخلها ونقل اليها حضارة الاسلام ، وانشأ بها ذلك الملك ، هو عبد الرحمن الداخـل الأمـوى المسمى صقر قريش • ونمين الهاتفات : من قولهم نمته عشيرته ، أى رفعته بالانتساب اليها ـ ٣ ـ الندى : الجود ـ ٤ ـ الصالحات : ذوات الصلاح من النساء • والعقائل : جمع عقيلة ، وهى الكريمة المخـدرة • والصـالحات ـ فى آخر البيت ـ صفة لمحذوف ، أى والأفعال الصالحات ـ ٥ ـ المناقب : المفاخر ـ ٦ ـ الحض : مصدر حضه على الأمر ؛ اذا حمله عليه

٧ ـ البائسات : الشديدات الحاجة (*)

فوجوهُهُنَّ وماؤها سِتْرٌ على المتجمِّلات(١)
مصرٌ تُجدّد مجدَها بنسائها المتجدِّدات
النافرات من الجُمو د ، كأنه شَبَحُ الممات(٢)
هل بينهنَّ جوامدًا فرقٌ وبين المُوميات ؟(٣)
لما حضنَّ لنا القضـــيَّةَ كن خير الحاضِناتِ(٤)
غذَّيْنَها فى مهدِها بلبانِهِنَّ الطاهرات
وسبقْن فيها المُعْلَميـ ـنَ إلى الكريهة مُعْلمات(٥)
يَنْفُثْنَ فى الفِتيان من رُوح الشجاعة والثَّبات(٦)
يَهْوَيْنَ تقبيل المُهنَّـــد ، أو مُعانقةَ القناة(٧)
ويَريْن حتى فى الكرى قُبَلَ الرجال مُحرَّمات

خلافة الاسلام*

عادت أغانى العرسِ رَجْعَ نُواحِ ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ(٨)

---

١ ــ المتجملات : الفقيرات اللاتى لم يظهرن ذل الفقر ــ ٢ ــ الجمود : التيبس ــ٣ــ الموميات : واحـــدتها موميا : وهى يونانية ، معناها حافظ الأجسام ، وتطلق اليوم على الأجسام المحنطة ــ ٤ ــ القضية : هى قضية استقلال وادى النيل .

٥ ــ المعلمون : الفرسان لهم علامة فى الحـــرب لبطولتهم ــ٦ــ ينفثن من قولهم : نفث الله الشىء فى القلب : القاه . ــ٧ــ المهند : الســـيف . والقناة : الرمح .

* ــ ما كاد العالم الاسلامى يفرح بانتصار الاتراك على أعـــدائهم فى ميدان الحرب والسياســـة ، ذلك النصر الحاسم ، الذى كان حـديث الدنيا ، والذى تم على يد مصـــطفى باشا كمال فى سنة ١٩٢٣ ، حـــتى أعلن هذا الغاء الخلافة ، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك ، فنظم الشاعر هذه القصيدة ، يرثى فيها الخلافة ، وينبه ممالك الاسلام الى اسداء النصـــح للغازى ؛ لعله يبنى ما هدم ، وينصف من ظلم . ــ ٨ ــ الأغانى : جمع أغنية ، وهى ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه . والرجع : ما يرد فى المكان الخالى على الانسان اذا رفع صوته . والمعالم : جمع معلم ؛ وهـــو موضـــع الشىء الذى يظن فيـــه وجوده .

كُفِّنتِ فى ليلِ الزفاف بثوبه ودُفِنتِ عند تبلُّج الإصباح(١)
شُيِّعتِ من هَلَعٍ بَعَبْرةِ ضاحك فى كلِّ ناحيةٍ ، وسكرةِ صاح(٢)
ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ، ومنابرٌ وبكت عليك ممالكٌ ، ونواح
الهندُ والهةٌ ، ومصرُ حزينةٌ تبكى عليك بمدمعٍ سَحّاحِ(٣)
والشامُ نسأَلُ ، والعراق ، وفارسٌ أمَحَا من الأرض الخلافةَ ماح ؟
وأتت لك الجُمَعُ الجلائلُ مأْتماً فقعدن فيه مَقاعدَ الأَنواح(٤)
يا لَلرِّجال لحُرة مَوءُودة قُتلت بغير جريرة وجُناح(٥)
إنَّ الَّذين أَسَتْ جراحَكِ حربُهم قتلتْكِ سلمُهمو بغير جِراح(٦)
هتكوا بأَيديهم مُلاءَةَ فخرهِم مَوْشِيَّةً بمواهب الفتاح(٧)
نزعوا عن الأَعناق خيرَ قِلادة ونَضَوْا عن الأَعطاف خير وِشاح(٨)
حَسَبٌ أَتى طولُ الليالى دونَه قد طاح بين عشيةٍ وصباح(٩)
وعَلاقَةٌ فُصِمَت عُرَى أَسبابها كانت أَبرَّ علائقِ الأَرواح
جَمَعَت على البرِّ الحُضورَ ، وربما جمَعتْ عليه سرائرَ النُّزّاح(١٠)
نظمت صفوفَ المسلمين وخَطْوَهم فى كلِّ غُدوةِ جُمعة ورواح

١ ــ تبلج الاصباح : اشراقه وانارته .
٢ ــ الهلع : الجزع الشديد . والعبرة : الدمعة قبل ان تفيض . وقيل : هى تحلب الدمع . ــ ٣ ــ الوالهة : الحزينة ، او التى ذهب عقلها حزنا . وسحاح : كثير السح ، وهو أن يسيل الماء من أعلى الى أسفل .
٤ ــ الجمع : واحدتها جمعة ، وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والانواح : النائحات ــ ٥ ــ الموءودة : التى تدفن حية فى التراب والجناح : الاثم
٦ ــ أسبت جراحك : داوتها . السلم : الصلح ، والسلام أيضا .
٧ ــ يقال : هتك الستر ونحوه : خرقه ، او جذبه فقطعه من موضعه ، اوشق منه جزءا فبدا ماوراءه . وموشية : منقوشة منمنمة ، والفتاح : من اسماء الله تعالى .
٨ ــ نضوا : خلعوا . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب من كل شىء والوشاح : شبه قلادة ينسج من جلد عريض ، ويرصع الجوهر ، فنشده المراة بين عاتقها وكشحيها ــ ٩ ــ طاح : ذهب ــ ١٠ ــ البر : الصلة ، والرفق . والنزاح : البعيدون : جمع نازح .

بكت الصلاةُ ، وتلك فتنةُ عابثٍ   بالشرع ، عِرْبيدِ القضاءِ ، وَقاح(١)
أفتى خُزَعْبِلَةً ، وقال ضلالةً   وأتى بكفر فى البلادِ بواح(٢)
إنَّ الذين جرى عليهم فقهُهُ   خُلقوا لِفقه كتيبة وسلاح
إن حدّثوا نطقوا بخُرْسٍ كتائبٍ   أو خوطبوا سمِعوا بصُمٍّ رِماح
أستغفرُ الأخلاقَ ، لستُ بجاحدٍ   من كنتُ أدفعُ دونَه وألاحى(٣)
مالى أُطَوِّقُهُ الملامَ وطالما   قلّدْتُه المأثورَ من أمداحى ؟
هو ركنُ مملكة ، وحائطُ دُولةٍ   وقريعُ شهباء ، وكبشُ نِطاح(٤)
أأقولُ مَن أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ   وأقولَ مَن رد الحقوقَ إباحى ؟
الحقُّ أولى من وليِّك حرمةً   وأحقُّ منك بنصرةٍ وكِفاح
فامدح على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمو   أو خَلِّ عنك مَواقفَ النصاح
ومِن الرجالِ إذا انبريتَ لهدمهم   هرمٌ غليظُ مناكِبِ الصُّفاح(٥)
فإذا قذفتَ الحق فى أجلاده   ترك الصراعَ مُضعْضَعَ الألواح(٦)
أدُّوا إلى الغازى النصيحةَ يَنتصحْ   إن الجوادَ يثوبُ بعد جِماح(٧)
إن الغرورَ سقى الرئيسَ بِراحِه   كيف احتيالُك فى صريع الراح؟

---

١ — العربيد : الشرير ، والكثير العربدة ، وهى سوء الخلق من السكر . والوقاح : ذو الوقاحة ، وهى قلة الحياء .

٢ — الخزعبلة : الفكاهة ، والمزاح ؛ أما الباطل : فهو الخزعبيل والخزعبل . ويقال : جاء بالكفر بواحا : اى بينا ، وقيل : جهارا .

٣ — ادفع دونه : ارد عنه بالحجة الاحى : من الملاحاة ، وهى الملاعنة .

٤ — القريع : الغالب فى المقارعة ، وهى ان يضرب الأبطال بعضهم بعضا . والشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح —٥— المناكب هنا : الجوانب والنواحى . والصفاح : حجارة عريضة رقيقة —٦— الأجلاد والتجاليد : جسم الانسان وبدنه .

٧ — الغازى : مصطفى كمال ، وهو أيضا المراد بالرئيس فى البيت الثانى .

نقل الشرائعَ ، والعقائدَ ، والقرى والناسَ نقلَ كتائبٍ فى الساح(١)
تركتْه كالشبح المؤلَّهِ أمَّةٌ لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباح
هُم أطلقوا يده كقيصرَ فيهمو حتى تناول كلَّ غيرِ مباح
غرَّته طاعاتُ الجُموعِ ، ودولةٌ وجد السوادُ لها هَوَى المُرتاح
وإذا أخذتَ المجدَ من أُميةٍ لم تُعطَ غيرَ سَرابِه اللمّاح(٢)
منْ قائِلٌ للمسلمين مقالةً لم يوحها غيرَ النصيحة واح ؟
عهدُ الخلافةِ فِىَّ أوّلُ ذائدٍ عن حوضها ببراعة نضّاح(٣)
حبٌّ لذاتِ اللهِ كان ، ولم يزل وهوًى لذاتِ الحقِّ والإصلاح
إنى أنا المصباحُ ، لست بضائع حتى أكونَ فراشةَ المصباح(٤)
غزواتُ (أدهم) كُلِّلَت بذوابِلٍ وفتوحُ أنورَ فُصِّلت بِصفاحِ(٥)
ولَّتْ سيوفُهما ، وبان قناهُما وشبا يَراعى غيرُ ذاتِ بَراح(٦)
لا تبذلوا بُرَدَ النبى لِعاجزٍ عُزُلٍ ، يدافِعُ دونَه بالراح(٧)
بالأمس أوهى المسلمين جراحةً واليوم مدّ لهم يَدَ الجرّاح(٨)

---

١ ـ الساح : جمع ساحة ، والمراد ساحة الحرب ـ٢ـ اللماح : اللماع ـ٣ـ الذائد : الحامى الدافــــع . والنضاح : الدافع أيضا ـ٤ـ الفراشة حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق ـ٥ـ الذوابل : صفة للرماح ، والصفاح : جمــــع صفح ، وهو عرض السيف . وأدهــم ، وأنــور : هما القائـــدان التركيـان الكبيران . والمراد بالرماح والسيوف هنا الاقلام . ـ ٦ ـ القنا : جمع قناة . والشبا : جمع شباة ، وهى حـد كل شئ . البراح : الزوال ـ٧ـ العاجز العزل : حسين بن على شريف الحجاز، يريد انه طامع فى الخلافة ، فالاتراك اذا أصروا على خروجها منهم ، كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز ، الذى لا يملك لحمايتها الا يدا خاليـــة . والراح : جمع راحـــة ، وهى بطن الكف ـ٨ـ بالامس أوهى .. الخ : الموصـــوف بهذا العمل هو حسين بن على أيضا ، وهو اشارة الى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم فى الحرب الكبرى .

لتَسمَعُنَّ بكل أرضٍ داعيًا يدعو إلى (الكذّابِ) أو لسَجاح(١)

ولتشهدُنَّ بكل أرض فِتنةً فيها يباعُ الدِّين بيعَ سَماح

يُفْتَى على ذهبِ المُعِزِّ وسيفِه وهوى النفوس، وحِقْدِها المِلْحاح(٢)

تكريم *

بأبِي وروحى الناعماتِ الغيدا الباسماتِ عن اليتيمِ نضِيدَ(٣)

الرانياتِ بكلِّ أحورَ فاترٍ يذرُ الخليَّ من القلوب عميدا(٤)

الراوياتِ من السُّلاف محاجرًا الناهلاتِ سوالفاً وخدودا(٥)

اللاعباتِ على النسيم غدائرًا الراتعات مع النسيم قُدودا(٦)

أَقْبَلْن فى ذهب الأَصيلِ ووشْيِه مِلْءَ الغلائلِ لؤلؤاً وفريدا(٧)

---

١ — يريد أن تنحى الاتـــراك عن الخلافة اطمع فيها من لا يصلح لها، وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان، والمراد بالكذاب : مسيلمة الكذاب . وسجاح : امرأة كانت تدعى النبوة . — ٢ — المراد بذهبه وسيفه : المال الذى كان يبذل لمن اطاعـــوه ، والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه

* — فى وزارة سعد زغلول باشـا سنة ١٩٣٤ اطلق سجنـاء ، كانت المحاكم العسكرية الانجليزية قدادانتهم فى مؤامرة شاع يومئذ انها مبالـــغ فيها، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة اخوانهم ، فرجوا صاحب الديوان ان يشاركهم فى هذا الاحتفال، فنظم هذه القصيدة ، مشيرا فيها الى أهم ماكان يشغل بال الناس فى ذلك العهد من الحـــوادث —٣— بأبى وروحى : اى أفتدى بهما . والغيد : جمع غيداء ،وهى الجارية اللينة الاعطاف . واليتيم من كل شيء : مالا نظير له ، والمراد هنا الاسنان ، والنضيد : المنضـــود المتسق . —٤— الرانيات : اللاتى بدمن النظر بطرف ساكن . والاحور : من الحور ، وهو شدة ســـواد العين فى شدة بياضها . والعميد من القلوب : ماهده العشق — ٥ — الســـلاف : اطيب الخمر ، ويراد به هنـا سحر العيـــون . والناهـــل : الريان . والسوالف : صفحات الأعناق — ٦ — الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والقدود : جمع قد ، وهو القامة — ٧ — الوشي : النمنمة والتحسين . والغلائل : الاثـــواب الرقيقة ، والفريد : الدر المنظـــوم ،

يَحدِجْنَ بالحدَقِ الحواسِدِ دُمْيَةً ... كظِباءِ وجْرةَ مُقْلَتَيْنِ وجيدا(١)
حَوَتِ الجمالَ فلو ذهبتَ تَزيدُها ... فى الوهمِ حُسنًا ما استطعتَ مزيدا
لو مرَّ بالولدان طَيْفُ جمالِها ... فى الخلدِ خرّوا رُكَّعًا وسُجودا
أشهى من العودِ المرنَّم منطقًا ... وألذُّ من أوتارِه تغريدا
لو كنتَ سعدًا مُطْلِقَ السجناء ، لم ... تُطْلِق لساحرٍ طرْفِها مصفودا(٢)
ما قصَّر الرؤساءُ عنه ، سعى له ... سعدٌ ، فكان مُوفَّقا ورشيدا
يامصرُ ، أشبالُ العَرينِ ترعرعت ... ومشتْ إليك مِن السجون أُسودا
قاضى السياسةِ نَالَهمْ بعقابِه ... خَشِنَ الحكومةِ فى الشباب عَتيدا(٣)
أَتَتِ الحوادثُ دون عقدِ قضائه ... فانهار بيِّنةً ، ودُكَّ شهيدا(٤)
تقضى السياسةُ غيرَ مالكةٍ لِما ... حكمتْ به نقضًا ولا توكيدا
قالوا : أتنْظِمُ للشباب تحيةً ... تَبْقى على جيدِ الزمان قصيدا ؟
قلتُ : الشبابُ أتمُّ عِقدَ مآثِرٍ ... من أن أَزيدهمو الثناءَ عقودا
قَبِلَتْ جُهُودَهُم البلادُ ، وقبَّلتْ ... تاجًا على هاماتِهمْ معقودا(٥)
خوجوا ، فما مدّوا حناجِرَهم ، ولا ... مَنُّوا على أوطانهم مجهودا

---

١ ـ حدجه بنظره : حدد النظر اليه . والحدق : الأحداق . والدمية : الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم ، ويضرب بها المثل فى الحسن ، ويراد بها هنا الحسناء ، ووجرة : موضع بين مكة والبصرة ، تسكنه الظباء والوحوش ، والمراد فى هذا البيت إن أولئك الجميلات على ما اسبغ الله عليهن من نعمة الجمال ؛ وقفن ينظرن الى هذه الحسناء التى ابتدأ الشاعر فى وصفها ، يحسدنها على ما أوتيت من سحر ، ويدلك هذا الحسد على أن حظها من الحسن عظيم ـ ٢ ـ المصفود : الموثق المغلل ، وهنا يتخلص الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، ليسوق اليك ما اراد من من تعزية السجناء عما نالهم من ظلم ، وتهنئتهم بما اتيح لهم من نجاة ، ثم شكر المحسنين الى هؤلاء السجناء ـ ٣ ـ خشن الحكومة : اى قاسيا . والعتيد : الجسيم ، وهو هنا الجسيم من الظلم ـ ٤ ـ الشهيد : الشاهد . وانهيار البينة : ثبوت بطلانها . وسقوط الشهود : ثبوت تزويرهم .
٥ ـ الهامات : الرءوس .

خفىَ الأساسُ عن العيون تواضعًا — من بعد ما رفع البناء مَشيدا
ما كان أفطنَهم لكل خديعةٍ — ولكلِّ شرٍّ بالبلاد أُريدا
لما بنى اللهُ القضيةَ منهمُ — قامت على الحقِّ المبينِ عَمُودا(١)
جادوا بأيام الشبابِ ، وأوشكوا — يتجاوزون إلى الحياةِ الجودا
طلبوا الجلاءَ على الجهادِ مَثُوبةً — لم يطلبوا أَجْرَ الجهادِ زهيدا(٢)
واللهِ : ما دون الجلاءِ ويومِه — يومٌ تُسميه الكِنانةُ عيدا
وجَدَ السجينُ يدًا تُحَطِّمُ قيْدَهُ — من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيودا ؟
ربحت من (التصريح) أن قيودها — قد صِرْنَ من ذهبٍ ، وَكُنَّ حديدا(٣)
أَوَ ما تَرَوْن على (المنابع) عُدَّةً — لا تنجلى، وعلى الضِّفاف عديدا ؟(٤)
يا فِتيةَ النيل السعيدِ : خذوا المدى — واستأْنِفوا نَفَسَ الجهادِ مَديدا
وتنكَّبوا العدوان ، واجتنبوا الأذى — وقفوا بمصرَ الموقِفَ المحمودا(٥)
الأَرضُ أليقُ منزلًا بجماعة — يبغون أسبابَ السماءِ قُعودا
أنتم غدًا أهلُ الأُمور ، وإنما — كنّا عليكم فى الأُمور وُفُودا
فابنوا على أُسُس الزمان وروحِه — رُكنَ الحضارة باذخاً وشديدًا
الهدمُ أجملُ من بناية مُصْلِح — يَبْنى على الأُسُسِ العتاقِ جديدا
وجْهُ الكنانةِ ليس يُغْضِبُ ربَّكم — أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولُّوا إليه فى الدُّروس وُجُوهَكم — وإذا فرغتمْ ، واعبدوه هُجودا(٦)
إنَّ الذى قسمَ البلادَ حباكمُ — بلدًا كأوطان النجومِ مَجيدا(٧)

---

١ — القضية : السياسة المصرية . ٢ — يريد بالجلاء جلاء الجنود الانجليزية المحتلة عن أرض البلاد —٣— تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .
٤ — منابع النيل .
٥ — تنكبوا العدوان : أى تجنبوه —٦— الهجود : جمع هاجد ، وهو النائم أو المصلى بالليل —٧— حباه : أعطاه . وأوطان النجوم : كناية عن السماء .

قد كان ـ والدنيا لُحُودٌ كُلُّها ـ   للعبقريةِ والفنونِ مُهودا

* * *

مجدُ الأُمور زوالُه فى زَلَّةٍ   لا تَرْجُ لِاسْمكَ بالأُمور خلودا

الفردُ بالشُّورى ، وباسم نَدِيِّها   لُفِظَ (الخليفةُ) فى الظلام شريدا(١)

خلعتهُ دون المسلمينَ عصابةٌ   لم يجعلوا للمسلمين وجودا

يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ   خُلِقَ السوادُ مُضَلَّلا وَمَسودا(٢)

جعلوا مشيئَتَهُ الغبيَّةَ سُلَّماً   نحو الأُموز لمَن أَراد صعودا

إنى نظرتُ إلى الشعوب فلم أَجدْ   كالجهل داءً للشعوب مُبيدا

الجهلُ لا يلِدُ الحياةَ مواتُهُ   إلَّا كما تَلدُ الرِّمامُ الدودا(٣)

لم يخلُ من صُوَرِ الحياةِ ، وإنما   أخطاهُ عُنصرُها ، فمات وليدا(٤)

وإذا سبى الفردُ المُسلَّطُ مجلساً   أَلْفيتَ أَحرارَ الرجال عبيدا

ورأَيت فى صدر النَّدىِّ مُنَوَّماً   فى عُصْبةٍ يتحرّكون رُقودا

الحقُّ سهمٌ ، لا ترِشْهُ بباطلٍ   ما كان سهمُ المُبْطِلين سديدا(٥)

والعبْ بغير سلاحه ، فلَربّما   قتلَ الرجالَ سلاحُهُ مردودا

---

١ ـ الندى : المجمع . ولفظه : رمى به وطرحه ـ٢ـ سواد الناس : عامتهم .

٣ ـ موات الجهل : الخراب الذى يحدث بسببه . والرمام : جمع رمة ؛ وهى العظام البالية ، والمراد بها هنا الجيفة ؛ ومعنى البيت ان الجاهل ميت : والميت بطبعه لا يلد ولا يأتى بعظيم ، فان ولد فكالجيفة المستحيلة لاينشأ منها الا الدود ـ٤ـ الاشارة الى الدود ، فى البيت السابق ـ٥ـ راش السهم يريشه : الصق عليه الريش حتى يكون أكثر نفاذا

على سفح الأهرام(١)

قِف ناجِ أهرامَ الجلالِ ، ونادِ : هل من بُناتِكَ مجلسٌ أو ناد ؟(٢)

نشكو ، ونَفزعُ فيه بين عيونهم إن الأُبوَّةَ مفزعُ الأَولاد(٣)

ونبثُّهم عبثَ الهوى بتُراثهم من كل مُلقٍ للهوى بقياد(٤)

ونُبينُ كيف تفرّقَ الإخوانُ فى وقتِ البلاء تفرُّقَ الأَضداد(٥)

إن المغالِطَ. فى الحقيقةِ نفسَه باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عاد(٦)

* * *

قل للأَعاجيبِ الثلاثِ مقالةً من هاتفٍ بمكانهن وشاد(٧)

لله أنتِ ، فما رأيتُ على الصفا هذا الجلالَ ولا على الأَوتاد(٨)

لكِ كالمعابدِ روعةٌ قدسيّةٌ وعليكِ روحانيّةُ العبّاد(٩)

أُسّستِ من أحلامِهم بقواعد ورُفعتِ من أخلاقهم بِعماد(١٠)

---

١ ـ أمين افندى الريحانى أديب من أدباء سوريا ، وفد الى مصر فاقام له بعض الأدباء حفلا على سفح الاهرام . شاطرهم اياه صاحب الديوان . ـ٢ـ ناج : من المناجاة ، وهى المسارة . والجلال : التناهى فى عظم القدر . والبناة : جمع بان . المجلس : مكان الجلوس . والنادى اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا ، فاذا تفرقوا فليس ناديا ـ٣ـ نشكو : نعلن الشكوى . ونفزع نستغيث : وضمير (فيه) للمجلس أو النادى . بين عيونهم : اى امامهم . والأبوة : كون الرجل ابا . ـ٤ـ نبثهم: نكاشفهم . والعبث : اللعب . والهوى : ارادة النفس ، وهو غالب فى الشر . القياد فى الاصل حبل يقاد به . ـ٥ـ نبين : مضارع ابان الشىء : اوضحه . والبلاء : الفم يبلى الجسم ـ ٦ ـ المغالط نفسه . موقعها فى الغلط . باغ : ظالم . عاد : ظالم ايضا . ـ٧ـ الاعاجيب الثلاث : يريد بها الاهرام الثلاثة ، وانما كانت اعاجيب لأن الانسان يستعظمها . فتعتريه روعة عند ذلك ، وهذا هو العجب ، والمفرد اعجوبة ، وهى اسم لما يكون العجب منه . هاتف : مادح ، من هتف به : مدحه . شاد من شدا الشعر : غنى به وترنم . . ٨ ـ الصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت . الأوتاد : الجبال .

٩ ـ الروعة : الفزعة ، والمسحة من الجمال . والعباد : جمع عابد ـ١٠ـ الاحلام : العقول ، جمع حلم . وعماد الشىء : ما يسند به . والخطاب فى هذا البيت والبيتين قبله للاعاجيب الثلاث .

تلك الرمالُ بجانبيكِ بقيةٌ   من نعمةٍ ، وسماحةٍ ، ورماد(١)

إن نحن أكرمنا النزيلَ حِيالَها   فالضيفُ عندك موضِعُ الإرفاد(٢)

هذا (الأَمين) بحائطيكِ مطوِّفًا   متقدِّمَ الحُجّاجِ والوُفّاد ؟(٣)

إن يعدُه منكِ الخلودُ ؛ فشعرُه   باقٍ ، وليس بيانُه لنفاد(٤)

إيه (أمينُ) ، لمستَ كلَّ مُحجَّبٍ   فى الحسن من أثر العقول وبادى(٥)

قم قبِّل الأَحجارَ والأَيدى التى   أخذَتْ لها عهدًا من الآباد(٦)

وخُذ النبوغَ عن الكِنانة ، إنها   مَهْدُ الشموسِ ، ومَسْقَطُ الآراد(٧)

أمُّ القِرى — إن لم تكن أمَّ القُرى —   ومثابةُ الأَعيان والأَفراد(٨)

ما زال يغشى الشرقَ من لمحاتها   فى كل مُظلِمةٍ شُعاعٌ هادى(٩)

* * *

---

١ — السماحة : موافقة الرجل على مايراد منه ، وهى الجود والعطاء ايضا . والرماد : ما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها ، وقد كنى به عن الكرم كما يقولون : فلان كثير الرماد ، أى كريم ، لأنه يكثر من ايقاد النار ، لكثرة صنع الطعام للاكلين من الاضياف —٢— النزيل : الضيف .. وحيالها : قبالتها . الارفاد ، الاعطاء . ٣ — مطوفا : دائرا حولهما . والحجاج : القصاد . والوفاد : جمع وافد ، من وفد اذاقدم — ٤ — ان بعده : أى ان يجاوزه ويفته . والخلود الدوام والبقاء ، والمراد خلود الذكر لاخلود الشخص . والنفاد : الذهاب والانقطاع —٥— ايه : اسم فعل ؛ معناه زدنى من حديثك . المحجب : المستور .. البادى : الظاهر —٦— الاباد : جمع ابد ، وهو الدهر —٧— النبوغ : الاجادة . والكنانة : مصر . والاراد جمع راد ، والمراد الضحى ، وهو وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الخمس الأول من النهار . ٨ — القرى : الضيافة ، أو ماقرى به الضيف : والقرى : جمع قرية . والمثابة : مجتمع القوم بعد تفرقهم . الأعيان : جمع عين ، وهو كبير القوم وشريفهم . أفراد الناس : كبارهم . ولا يقال للانسان الواحد فرد : بل يقال له فريد —٩— يغشى الشرق يغطيه . واللمحات : جمع لمحة ، وهى النظرة الخفيفة بالعجلة ، والشعاع ماينتشر من ضوء الشمس .

رفعوا لكَ الريحان كاسمك طيِّبًا　　إن العَمارَ تحيةُ الأَمجاد(١)

وتخيَّروا للمِهرجان مكانَه　　وجعلتُ موضعَ الاحتفاء فؤادى(٢)

سلف الزمان على المودّة بيننا　　سنواتُ صحوٍ بل سناتُ رقاد(٣)

وإذا جمعتَ الطيباتِ رددتها　　لعتيقِ خمرٍ أو قديم وداد(٤)

يا نجمَ سوريًا – ولست بأَوّلٍ –　　ماذا نَمَتْ من نيِّرٍ وقّاد ؟(٥)

أُطْلُعْ على يَمَنٍ بيُمنك فى غدٍ　　وتجلَّ بعد غدٍ على بغداد

وأَجِلْ خيالَك فى طُلولِ ممالكٍ　　مما تجوبُ، وفى رُسُومِ بلاد(٦)

وسل القبورَ –ولا أقول سل القُرى–　　هل من ربيعة حاضرٌ أو بادى(٧)

سترى الديار من اختلافِ أُمورها　　نَطَقَ البعيرُ بها، وعَيَّ الحادى(٨)

* * *

قضَّيْتَ أيامَ الشباب بعالمٍ　　لبس السنين قشيبةَ الأَبراد(٩)

ولدَ البدائعَ والروائعَ كلها　　وعَدَتْهُ أن يَلدَ البيانَ عوادى

---

١ – الريحان : نبات طيب الرائحة . والأمجاد : جمع مجيد ، وهو الكريم الشريف ٢ – المهرجان : هو عيد الفرس وكان يوافق اول الشتاء . ثم صار فى الخريف ، والمراد به هنا الاحتفال ، والاحتفاء : المبالغه فى الاكرام واظهار السرور والفرح – ٣ – سلف : مضى . والسنوات : جمع سنه . والسنات : جمع سنه و هى النعاس والرقاد : النوم –٤– رددتها : أى أرجعت نسبتها . والعتيق : القديم –٥– ولست بأول : احتراس من الاطلاق ، اى وان كنت نجم سوريا فلست الاول من نجومها ، الاول سواك ، أو لست أول نجم لها ، فقد سبقك أوائل آخرون . وماذا نمت : اى كم ذا رفعت بالانتساب اليها –٦– الطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الدار . والرسوم : جمع رسم ، وهو الاثر –٧– ربيعة : قبيلة من العرب . والحاضر : من ينزل الحضر والبادى : من يذهب الى البادية –٨– عى الحادى : لم يستطع البيان والافصاح –٩– قضيت : خطاب للريحانى ، والعالم الذى قضى به أيام شبابه هو أمريكا التى قام بها . قشيبة الابراد : جديدتها . والابراد : جمع برد .

لم يخترع شيطانَ حسان ، ولم   تُخرج مصانعُه لسانَ زياد(١)
اللهُ كرّم بالبيان عصابةً   فى العالمينَ عزيزَةَ الميلاد
(هوميرُ) أحدثُ من قرونٍ بعدَه   شعرًا ، وإن لم تخلُ من آحاد(٢)
والشعرُ فى حيث النفوسُ تَلَذُّه   لا فى الجديدِ ، ولا القديمِ العادى
حقُّ العشيرة فى نبوغِك أوّلٌ   فانظر ، لعلك بالعشيرَة بادى(٣)
لم يَكفِهم شطرُ النبوغِ ، فزدهُمُ   إن كنت بالشطرين غيرَ جواد
أو دَعْ لسانَك واللغاتِ ، فربّما   غنّى الأصيلُ بمنطِقِ الأجداد
إن الذى ملأ اللغاتِ محاسنًا   جعلَ الجمالَ وسرَّه فى الضاد(٤)

المطرية تتكلم*

يا ناشرَ العلم بهذى البلادْ   وُفِّقتَ ، نشرُ العلم مثلُ الجهاد
بانىَ صَرْحِ المجدِ ، أنتَ الذى   تبنى بيوتَ العلم فى كل ناد

١ــ لم يخترع .. الخ : يريد انه عالم لم يرتق فى اختراعه الى حيث يبتدع البلاغة اللسانية التى كرم الله بها العرب . وحسان : الشاعر الصحابى المعروف . وزياد : هو زياد بن أبى سفيان ، كان من أخطب العرب

٢ ــ هومير : شاعر يونانى قديم ، كان شعره قصصا يضمنه وصف الابطال والاشادة بذكرهم ، وهو صاحب الالياذة ، يريد أن شعره ــ على انه قديم ــ اجود من شعر الذين جاءوا بعده ، وان كانت أيامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد فى عددهم ــ٣ــ حق العشيرة .. الخ: فى هذا البيت والابيات بعده امور أخذ بها الريحانى فى رفق ولين ، فهو يقول له ان كانت معانيك فى كتابتك جيدة ، فألفاظك فيها رديئة ، لانك اهملت جانب اللغة العربية ، وهى الشطر الثانى من شطرى النبوغ ؛ وايضا يقتضى الوفاء لعشيرتك وقومك ان تحسن لغتهم حتى تغنى بها ــ٤ــ الضاد : اللغة العربية ؛ وانما سميت كذلك لان الضاد لا توجد فى لغة سواها ؛ ولا يقوى أهل اللغات الاخرى على النطق بها . (*) « أحس صاحب الديوان ايام كان يسكن (المطرية) بحاجة هذا البلد الى مدرسة تهذب ابناءه ، فناشد وزير المعارف يومئذ (سعد زغلول باشا) على لسان المطرية ان يقوم بانشاء هذا الاثر الجليل » .

بالعلم ساد الناسُ في عصرهم　　واخترقوا السبعَ الطِّباقَ الشِّداد(١)

أيطلب المجدَ ويبغي العلا　　قومٌ لسوقِ العلم فيهم كساد ؟

نَقَّادُ أعمالك مُغْلٍ لها　　إذا غلا الدرُّ غلا الانتقاد(٢)

ما أصعبَ الفعلَ لمن رامه　　وأسهلَ القولَ على من أراد !

سمعًا لشكوايَ ، فإن لم تجد　　منك قبولًا ؛ فالشكاوى تُعاد(٣)

عدلًا على ما كان من فضلكم　　فالفضلُ إن وُزِّع بالعدلِ زاد(٤)

أسمعُ أحياناً ، وحينًا أرى　　مدرسةً في كلِّ حيٍّ تُشاد

قَدَّمْتَ قبلى مدنًا أو قُرى　　كنتُ أنا السيفَ ، وكنَّ النِجاد(٥)

أنا التى كنت سريرًا لمن　　ساد (كإدَوَرْدَ) زماناً وشاد(٦)

قد وحّد الخالقَ فى هيكلٍ　　من قبل سقراطَ ومن قبل عاد(٧)

وهذب الهندُ دياناتِهم　　بكل خافٍ من رموزى وباد(٨)

ومن تلاميذى موسى الذى　　أُوحِىَ مِنْ بعدُ إليه فهاد(٩)

١ــ ساد الناس : مجدوا وجلوا . والسبع الطباق : السموات السبع ، وهى طباق أى مطابقة بعضها بعضا ــ٢ــ النقاد : مبالغة من النقد ، وهو فى الكلام : اظهار ما به من العيوب . وفى غير الكلام : النظر الى الشيء لمعرفة جيده من رديئه . ومغل لها : من اغلى الشيء : جعله غاليا ــ٣ــ سمعا لشكواى : أى اسمعها سمعا ــ٤ ــ عدلا : أى اطلب عدلا زائدا على ما حصل من فضلكم ــ٥ــ النجاد : حمائل السيف ــ٦ــ السرير : تخت الملك . وساد : صار سيد قومه متسلطا عليهم . وادورد : ملك الانجليز قبل الملك جورج القائم الآن . وشاد : رفع البناء ــ٧ــ الهيكل : بيت الاصنام وسقراط : حكيم من حكماء اليونان . وعاد : اسم رجل من العرب الاولى سميت به قومه ، وهم الذين ارسل اليهم هود نبى الله ــ٨ــ هذب الشيء : خلصه مما يشينه وطهره من العيوب . والخافى : المستتر . والبادى : الظاهر ــ٩ــ موسى : النبى عليه السلام . واوحى اليه : أنزل الله عليه الوحى . وهاد : رجع الى الحق .

وأُرضعَ الحكمةَ عيسى الهدى　　أيامَ تُربِى مهدُه والوساد(١)
مدرستى كانت حياضَ النُّهى　　قرارةَ العرفان ، دارَ الرشاد(٢)
مشايخُ اليونان يأْتونها　　يُلقون فى العلم إليها القِياد
كنا نُسميهم بصِبيانه　　وصِبيتى بالشيب أهل السداد(٣)

* * *

ذلك أَمسِى ، ما به ريبةٌ　　ويومىَ (القبةُ) ذات العِماد(٤)
أَصبحتُ كالفردوسِ فى ظلها　　من مِصرَ للخنكا لِظِلِى امتداد
لولا جُلَى زيتونِىَ النَّضْرِ ؛ ما　　أَقسمَ بالزيتونِ ربُّ العباد(٥)
الواحةُ الزَّهراء ذات الغنى　　تُربِى التى ما مثلها فى البلاد(٦)
تُريكَ بالصبح وجُنحِ الدُّجى　　بدورَ حسن ، وشموسَ اتقاد

* * *

بَنِىَّ — ياسعدُ — كزُغْبِ القَطا　　لا نقَّص اللهُ لهم من عِداد(٧)
إن فاتكَ النسلُ فأَكْرِمْ بهم　　ورُبَّ نَسلٍ بالندى يُستفاد
أَخشى عليهم من أذَى رائحٍ　　يجمعهم فى الفجر والعصر غاد(٨)

١— الحكمة : صواب الامر ، ووضع الشىء فى موضعه ؛ والعلم ، والعدل ، والحلم . وعيسى : ابن مريم عليه السلام . والترب : التراب . والمهد : الموضع يهيأ للصبى . والوساد : المتكأ وكل ما يتوسد به من قماش وغيره ، اى أيام ان كان ترابى مهده ووساده —٢— مدرسة المطرية القديمة : احدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها . القرارة : القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر —٣— وصبيتى بالشيب : اى وتسمى صبيتى بالشيب —٤— القبة : ضاحية من ضواحى القاهرة ، بها قصر عظيم بناه الخديو عباس حلمى ، وقد غلب اسمها على هذا القصر . والعماد : الابنية الرفيعة ، تذكر وتؤنث ، مفردها عمادة —٥— الزيتون : شجر مثمر معروف ، وثمره يسمى زيتونا ايضا ، وتسمى به ضاحية أخرى من ضواحى القاهرة مجاورة للقبة —٦— الواحة الزهراء : هى واحة عين شمس ، والواحة : واد متسع منخفض فى الصحراء —٧— الزغب : جمع ازغب ، وهو ما له شعر أو ريش صغير . القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة —٨— رائح غاد : بريد قطار البخار الذى يركبه الابناء الى المدارس فى القاهرة .

صفيرُهُ يَسلُبنى راحتى ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرقاد(١)
يعقوبُ من ذئب بكى مُشفِقًا فكيفَ أنيابُ الحديد الحِداد ؟(٢)
فانظرْ – رعاك اللهُ – فى حاجهم فنظرةٌ منكَ تُنيلُ المراد(٣)
قد بسطوا الكفَّ على أنهم فى كرم الراح كصوْب العِهاد(٤)
إن طُلب (القسط.) فما منهمُ إلا جوادٌ عن أبيه الجواد

الانقلاب العثمانى وسقوط السلطان عبد الحميد

سلْ «يَلْدِزًا» ذاتَ القصورِ هل جاءها نبأُ البدور ؟(٥)
لو تستطيعُ إجابةً لبكتْك بالدَّمع الغزير
أخنى عليها ما أنا خ على الخَوَرْنَق والسَّدير(٦)
ودها الجزيرةَ بعد إسـماعيل والملكِ الكبير(٧)
ذهب الجميعُ ، فلا القصو رُ تُرى ، ولا أهلُ القصور
فلكٌ يدورُ سعودُه ونحوسُه بيد.. المدير

١– صفيره : اى صفير القطار –٢– يعقوب : النبى أبو يوسف ، بكى على يوسف حين رجع اليه ابنـاؤه اخوة يوسف ، فأخبروه ان الـذئب أكله ، وقد كان يخاف عليه هذا من قبل ، وقصة ذلك مبسـوطة فى كتب التاريخ الدينى –٣– الحاج : جمـع حاجة . كصوب العهاد : أى كنزول المطر . والعهاد : جمع عهد . والمطر ينزل متعاقبا فيدرك آخـره أوله . –٥– يلدز – فى لغة الترك : اسم نجم، وقد سمى به قصر عظيم فى الآستانة ، كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه . والمخاطب بقوله (سل . . الخ): هو هذا السلطان –٦– اخنى عليـه الدهر : اتى عليه واهلكه . والخورنق : قصر كان فى الحيرة بالعـراق للملك النعمان الاكبر احد ملوك بنى المنذر . والسدير : قصر كان بالحيرة ايضـا للمناذرة –٧– دهاه الامر : اصـابه . والجزيرة : هى جزيرة الروضـة فى النيل شرقى القاهرة ، وكان بها قصر عظيم من قصور الخـديو اسماعيل ، وهو المراد .

أين الأَوانسُ فى ذُرا ... ها من ملائكة وحور ؟(١)

المترَعاتُ من النعيـ ... ـمِ ، الراوياتُ من السرور(٢)

العاثراتُ من الدلا ... لِ ، الناهضاتُ من الغرور

الآمراتُ على الولا ... ةِ ، الناهياتُ على الصدور(٣)

الناعماتُ ، الطيبا ... تُ العَرْفِ ، أمثالُ الزهور(٤)

الذاهلاتُ عن الزما ... نِ بنشوة العيشِ النضير

المشرفاتُ – وما انتقلـ ... ـن – على الممالكِ والبحور

من كل بلقيسٍ على ... كرسىٍّ عِزَّتِها الوثير(٥)

أَمضى نفوذًا من زُبَيْـ ... ـدَةَ فى الإِمارةِ والأَمير(٦)

بين الرّفارف ، والمشا ... رفِ ، والزخارف ، والحرير(٧)

والروض فى حجم الدنا ... والبحرِ فى حجم الغديرِ

والدرِّ مؤتلقٍ السنا ... والمسكِ فيّاحِ العبير

فى مسكنٍ فوق السِّما ... كِ ، وفوق غاراتِ المغيرِ(٨)

بين المعاقل ، والقَنا ... والخيل ، والجمِّ الغفير

سَمّوْهُ (يَلْدِزَ) ، والأُفو ... لُ نهايةُ النجمِ المغير

١ـ الاوانس : جمع آنسة ، وهى الطيبة النفس . والحور : جمع حورية ، وهى المراة البيضاء الناعمة ـ٢ـ المترعات : جمع مترعة من اترع الاناء : ملأه ـ٣ـ الولاة : جمع وال . الصدور : جمع صدر ، ويقال له الصدر الاعظم ، وهو كبير وزراء السلطان فى الدولة التركية ـ٤ـ العرف : الرائحة الطيبة ـ٥ـ بلقيس : ملكة سبأ من ارض اليمن ، وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة فى كتب التاريخ الدينى . والوثير : اللين الموطأ ـ٦ـ زبيدة : زوجة الخليفة هارون الرشيد ـ٧ـ الرفارف : جمع رفرف وهو الفراش . والمشارف : جمع مشرف ، وهو الموضع يشرف منه ، ومشارف الارض : اعاليها ـ٨ـ السماك : كوكب .

دارت عليهنّ الدَّوا ئرُ فى المخادع والخدور(١)

أمسَيْن فى رِقٍّ العبيـــل وبِتْنَ فى أَسرِ العشير(٢)

ما ينتهين من الصلا ةِ ضراعةً ومن النذور

يطْلُبن نُصرةَ ربِّهن وربُّهن بلا نصير(٣)

صبغ السوادُ حَبيرَهُنَّ وكان من يَقَقِ الحُبور(٤)

أنا إن عجزتُ فإن فى بُرْدَىَّ أشعرَ من (جَرير)

خَطْبُ الإمامِ على النَّظيـ م يعزُّ شرحاً والنثير

عظةُ الملوك ، وعِبْرةُ الـ أيام فى الزمنِ الأخير

شيخُ الملوكِ وإن تضعـ ضع فى الفؤادِ وفى الضمير

نستغفرُ المولى له والله يعفو عن كثير

ونراه عند مُصابه أولى ببالكٍ أو عَذير

ونصونُه ، ونُجِلُّه بين الشماتَةِ والنكير

عبدَ الحميد ؛ حسابُ مثـ لِكَ فى يدِ الملكِ الغفور

سُدْتَ الثلاثينَ الطوا لَ ، ولسْنَ بالحُكم القصير(٥)

تنهى وتأمر ما بدا لك فى الكبير وفى الصغير

لا تستشيرُ وفى الحِمى عددُ الكواكب من مُشير

١ـ الدوائر : جمع دائرة ؛ وهى النائبة من صروف الدهر . والمخادع : جمع مخـدع ؛ بضم الميم وكسرها . بيت يكون فى البيت الكبير يحرز فيه الشىء ـ٢ـ العبيل : الضخم الغليظ ـ٣ـ ربهن : سيدهن ، وهو السلطان عبد الحميد ـ٤ـ الحبير : النـاعم الجديد . اليقق : الشـديد البياض ـ٥ـ الثلاثين الطوال : الاعـوام التى مضت له وهو سلطان .

كم سبَّحوا لك فى الروا ح ، وألَّهُوكَ لدى البُكور
ورأيتَهم لك سجدًا كسجود موسى فى الحضور(١)
خفضوا الرءُوسَ ووتَّروا بالذل أقواسَ الظهور(٢)
ماذا دهاك من الأُمو ر وكنتَ داهيةَ الأُمور ؟
ما كنتَ إن حدثَتْ وجلَّتْ بالجزوع ولا العَثور
أين الرَّوِيَّةُ ، والأَنا ةُ ، وحكمةُ الشيخ الخبير ؟
إنَّ القضاء إذا رمى دكَّ القواعد من (ثَبير)(٣)
دخلوا السرير عليكَ يحـ تكمون فى ربِّ السرير(٤)
أَعْظِمْ بهم من آسريـ نَ وبالخليفةِ من أسير
أسدٌ هَصورٌ أنشبَ الـ أظفارَ فى أسدٍ هَصور(٥)
قالوا : اعتزِل . قلتَ : اعتزلـ تُ . الحكمُ لله القدير
صبروا لدولتكَ السنيـ ن ، وما صبرتَ سوى شهور
أوذيتَ من دُستورهم وحننتَ للحكم العسير
وغضبتَ كالمنصورِ أو هارون فى خالى العصور(٦)
ضَنُّوا بِضائعِ حقِّهم وضننتَ بالدنيا الغَرور
هلا احتفظتَ به احتفا ظَ مُرحِّبٍ فرِحٍ قرير ؟

١ـ كسجود موسى فى الحضور : اى حضوره حين تجلى له الله فكلمه
٢ـ وتروا بالذل اقواس الظهور : اى جعلوا الذل وترا لاقواس ظهورهم، يعنى أن الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس اذا شد عليها
٣ـ ثبير : جبل معروف ـ ٤ـ يحتكمون فى رب السرير : يتصرفون فيه وفق مشيئتهم ـ ٥ ـ أنشب أظفاره فى الشىء : اعلقها فيه ـ ٦ ـ ابو جعفر المنصور وهارون الرشيد : من الخلفاء العباسيين .

هو حِلْيَةُ المَلِكِ الرشيـ ـدِ ، وعِصْمَةُ المَلكِ الغرير
وبه يُبارَك فى المما لكِ والملوكِ على الدهور

* * *

يأيها الجيشُ الذى لا بالدَّعِيِّ ، ولا الفَخور
يخفى ، فإن رِيعَ الحمى لفتَ البريَّةَ بالظهور(١)
كالليث ، يسرفُ فى الفِعا لِ ، وليس يُسرف فى الزئير(٢)
الخاطب العلياء بالـ أرواح غاليةِ المهور
عند المُهيمن ما جرى فى الحقِّ من دَمِكَ الطَّهور
يتلو الزمانُ صحيفةً غَرَّا مُذهَّبَةَ السُّطور
فى مدح (أنورِكَ) الجرى ء ، وفى (نِيازِيكَ) الجسور
يا (شوكت) الإسلام ، بل يافاتحَ البلدِ العسير(٣)
وابنَ الأكارم من بنى (عُمَرَ) الكريمِ على (البشير)(٤)
القابضين على الصَّليـ ـلِ كجَدِّهم ، وعلى الصَّرير(٥)
هل كان جدُّك فى ردا ئك يوم زحفك والكرور ؟
فقنصت صيَّادَ الأسو د ، وصِدتَ قنّاص النسور

١ــ ريع الحمى : اى راعه شىء وافزعه ــ٢ــ الزئير : صوت الاســد
٣ــ انور ، ونيازى ، وشوكت : كانوا من كبار القواد فى الجيش العثمانى ، وكانوا على راس الحركة التى قام بها هذا الجيش لحمــل السلطان عبد الحميد على اعادة الدستور وجعــله اساس الحكم فى البلاد التركية ــ٤ــ عمر : هو الخليفة عمــر بن الخطاب ؛ كان شوكت باشــا من ســلالته . والبشير : من اسماء النبى محمــد صلى الله عليه وسلم ــ٥ــ الصليل : الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

وأخذتَ (يَلدزَ) عَنوةً   ومَلكتَ عنقاء الثغور(١)

* * *

المؤمنون (بمصر) يُهـ   ـدون السلامَ إلى الأمير
ويُبايعونك يا (محمــــدُ)   فى الضمائر والصدور(٢)
قد أمّلوا لهلالهم   حظّ الأهلةِ فى المسير
فابلغْ به أوْجَ الكما   ل بقوةِ اللهِ النصير
أنت الكبيرُ ، يُقلِّدو   نكَ سيفَ (عثمانَ) الكبير
شيخُ الغُزَاةِ الفاتحيـ   ـنَ ؛ حُسامُه شيخُ الذكور(٣)
يمضى ويغمد بالهدى   فكأنه سيف النذير(٤)
بُشرى الإمام محمد   بخلافة الله القدير
بُشرى الخلافةِ بالإما   م العادلِ النزهِ الجدير
الباعثِ الدستورَ فى الـ   إسلام من حُفَر القبور
أوْدَى «معاويةٌ» به   وبعثتَه قبل النُّشور(٥)
فعلى الخلافة منكما   نورٌ تلألأَ فوق نور(٦)

١ــ اخذ الشيء عنوة : اى قهرا . العنقاء : طير معروف الاسم مجهول الجسم ، يضرب مثلا لكل عزيز ممتنع، والمراد انه ملك ثغر الاستانة الذي يشبه العنقاء فى عزته وامتناعه ــ٢ــ محمد : هو السلطان محمد رشـــاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبـــد الحميــد ــ٣ــ الذكور : جمع ذكر وهو السيف ٤ــ النذير : من اسماء النبى ــ٥ــ أودى به : ذهب به واضاعه . ومعاوية ابن ابى سفيان : اول ملوك الدولـــة الاموية ، وكان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين ، وهى معنى حكم الدستور ، فلما اخذ معاوية الملك استقل فيه برايه ــ٦ــ منكما : اى من الخليفة ، ومن الدستور .

انتحار الطلبة*

ناشىء فى الوَرْدِ من أيامِهِ　　حسبُهُ اللهُ ، أبا لوَرْدِ عثر ؟(١)

سدَّد السهمَ إلى صدرِ الصِّبا　　ورماه فى حَوَاشِيه الغُرَر(٢)

بيدٍ لا تعرفُ الشرَّ ، ولا　　صَلحتْ إلا لتلهُو بالأُكَر(٣)

بُسِطَتْ للسمّ والحبل ، وما　　بُسِطت للكأس يوماً والوتَر

غفرَ اللهُ له ، ما ضرَّه　　لو قضى من لذَّةِ العيشِ الوَطر؟

لم يُمَتَّع من صِبا أيامِهِ　　ولياليه أصِيلٌ وسَحر(٤)

يَتمنى الشيخُ منه ساعةً　　بحجابِ السمع ، أو نورِ البصر(٥)

ليسَ فى الجنةِ ما يشبهه　　خِفَّةً فى الظلّ ، أو طيبَ قِصر

فصِبا الخلد كثيرٌ دائم　　وصِبا الدنيا عزيزٌ مُختَصَر

* * *

كل يوم خبر عن حَدَثٍ　　سئم العيشَ ، ومَنْ يَسأمْ يَذَر(٦)

عاف بالدنيا بناءً بعد ما　　خَطب الدُّنيا ، وأهدَى ، ومَهر(٧)

حلَّ يومَ العُرسِ منها نفسَه　　رحِمَ اللهُ العَرُوسَ المختَضَر(٨)

(*) راى صاحب الديوان ذلك المفزع الوبىء ، الذى يفزع اليه صغار الطلبة فى مصر بعد سقوطهم فى الامتحانات ، فنظم لهم هذه القصيدة . يقطع عليهم فيها سبيل اليأس ، ويبسط لهم سبيل الامل ــ١ــ حسبه الله : اى كفاه الله ــ٢ــ الصبا : الميل الى جهالة الفتوة . والحواشى : الجوانب ــ٣ــ الاكر : جمع اكرة ، وهى الكرة ــ٤ــ الاصيل : وقت مابعد العصر الى المغرب . والسحر : قبيل الصبح ــ٥ــ منه : اى من صبا الايام ــ٦ــ الحدث : الشاب . ويذر : يترك ــ٧ــ عاف : كره . وبناء : من قولهم : بنى بأهله ، اى زفت اليه . خطب: من خطبة الزواج . أهدى : اعطى الهدية . مهر : اعطى المهر ــ٨ــ المختضر : اى الميت فى صباه ، من اختضار الكلأ : اى قطعه وهو اخضر .

ضاقَ بالعيشةِ ذَرْعًا ، فهوَى عن شَفا اليأْسِ، وبئسَ المُنحدَر(١)
راحلًا فى مثلِ أعمارِ المنى ذاهبًا فى مثلِ آجالِ الزَّهَر
هاربًا من ساحةِ العيشِ، وما شارَفَ الغَمرةَ منها والغُدُر(٢)
لا أرى الأيامَ إلّا مَعْرَكاً وأرى الصِّنديدَ فيهِ من صَبر(٣)
ربَّ واهى الجأْشِ فيه قَصَفُ مات بالجبنِ ، وأودَى بالحذَر(٤)

* * *

لامه الناسُ ، وما أظلمَهم وقليلٌ من تَغاضَى أو عذَر
ولقد أبلاكَ عذرًا حسناً مُرتدى الأكفانِ مُلقًى فى الحُفَر
قال ناسٌ : صَرْعَةٌ من قدر وقديماً ظَلم الناس القَدر
ويقول الطبُّ : بل من جِنَّةٍ ورأيتُ العقلَ فى الناسِ نَدَر(٥)
ويقولون : جفاءٌ راعَه من أبٍ أغلظَ قلباً من حَجر(٦)
وامتحانٌ صَعَّبتهُ وَطْأةٌ شدّها فى العلم أُستاذٌ نَكِر(٧)
لا أرى إلّا نِظاماً فاسدًا فَكَّكَ العلمَ ، وأودى بالأُسَر ؟
مِن ضَحاياه — وما أكثرها ! — ذلك الكارهُ فى غَضِّ العُمُر(٨)
ما رأى فى العيشِ شيئًا سَرَّهُ وأخفُّ العيشِ ما ساءَ وسَر

١— ضاق بالشيء ذرعا : ضعفت عنه طاقته ، ولم يجد مخلصا من مكروهه . والشفا : حرف كل شيء —٢— شارف الشيء : قاربه ودنا منه. وغمرة الشيء : شدته ومزدحمه . والغدر : جمع غدير ، وهو النهر ، أو القطعة من الماء يغادرها السيل —٣— الصنديد : السيد الشجاع —٤— الواهى : الضعيف المتداعى الى السقوط . الجأش : نفس الانسان ، أو هو رواع القلب عند الفزع . والقصف : الخور والضعف . أودى : هلك —٥— الجنة : الجنون —٦— الجفاء : غلظة العشرة —٧— النكر : الفطن —٨— غض العمر : اى العمر الغض الناضر .

نزل العيشَ، فلم ينزِل سوى … شعبة الهمِّ، وبَيْداءِ الفِكر(١)

ونهارٍ ليس فيهِ غبطةٌ … وليالٍ ليس فيهن سَمر(٢)

ودروسٍ لم يُذلِّل قطفَها … عالمٌ إن نطقَ الدرس سَحر(٣)

ولقد تُنهِكه نهكَ الضَّنَى … ضَرَّةٌ منظرُها سُقْمٌ وضُر(٤)

ويلاقى نَصَبًا مما انطوَى … فى بنى العَلَّاتِ من ضِغْنٍ وشر(٥)

إخوةٌ ما جَمعتهم رَحِمٌ … بعضُهم يمشون للبعض الخَمر(٦)

لم يرفرِفْ مَلكُ الحبِّ على … أبَويهم أو يُبارِكْ فى الثَمر

خَلَقَ اللهُ من الحب الورَى … وبنى المُلك عليه وعمَر

* * *

نَشَأَ الخيرِ، رويدًا، قتلُكم … فى الصِّبا النفسَ ضَلالٌ وخُسُر(٧)

لو عصيْتُمُ كاذبِ اليأسِ، فما … فى صِباها ينحرُ النفسَ الضَّجَر(٨)

تُضمرُ اليأْسَ من الدنيا وما … عندها عن حادثِ الدُّنيا خبَر

فيم تجنون على آبائِكم … ألَمَ الثُّكلِ شديدًا فى الكبر ؟

وتعقّونَ بلادًا لم تَزَل … بين إشفاق عليكم وحذر ؟

١ـ شعبة الهم : الطائفــة منه ـ٢ـ الغبطة : حسن الحال. والسمر: الحديث فى الليل ـ٣ـ يذلل : من ذلل الشيء : جعله هينا . وقطف الثمر : جنيه وجمعه ، وقطف الشيء : أخذه بسرعة ـ٤ـ تنهكه: تضنيه ، والضنى: المرض والهزال . وضرة المرأة : امرأة زوجها ، وهما ضرتان ، وهن ضرائر ـ٥ـ بنو العلات بفتح العين : هم بنو أمهات شتى من رجل واحد . والضغن: الحقد ـ٦ـ بعضهم يمشون للبعض . الخمر ، بفتح الخاء : أى يختلونهم ، ومنه قولهم : هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر ـ٧ـ نشأ الخير : أى يا نشأ الخير . والنشأ : بفتح الشين : جمع نشء ، بسكونها ، وهو النسل . ورويدا : أى مهلا لتسمعوا ما أقول . والخسر : بضم السين . الخسران ـ٨ـ لو عصيتم كاذب اليأس : حض ، معناه : اعصوا كاذب اليأس .

فمصابُ المُلكِ فى شُبَّانه ... كمصاب الأَرضِ فى الزرعِ النضِر

ليسَ يدرى أحدٌ منكم بما ... كان يُعطى لو تأنّى وانتظر

رُبَّ طفلٍ برَّح البؤْسُ به ... مُطِرَ الخيرَ فتيًّا ومطر(١)

وصبىٍّ أزْرَت الدُّنيا به ... شبَّ بين العزِّ فيها والخطر(٢)

ورفيعٍ لمْ يُسوِّدْهُ أَب ... مَنْ أبو الشمس، ومن جدُّ القمر؟

فلكٌ جارٍ، ودُنيا لم يدُم ... عندها السعدُ، ولا النحسُ استمرّ

روِّحوا القلبَ بلذّات الصِّبا ... فكفى الشيبُ مجالًا للكدر(٣)

عالجوا الحكمةَ، واستشفوا بها ... وانشدوا ما ضلَّ منها فى السِّير(٤)

واقرءُوا آداب مَنْ قبلكمُ ... ربّما علَّمَ حيًّا مَنْ غبر(٥)

واغنموا ما سخّر اللهُ لكم ... من جَمال فى المعانى والصُّوَر(٦)

واطلبوا العلم لذات العلم، لا ... لشهاداتٍ وآراب أُخَر(٧)

كَمْ غُلامٍ خامل فى درسه ... صار بحرَ العلم، أُستاذَ العُصُر

ومُجِدٍّ فيه أمسى خامِلًا ... ليس فيمن غابَ أو فيمن حَضر

* * *

قاتلُ النفس — ولو كانت له — ... أَسخطَ اللهَ، ولم يُرضِ البشر

ساحةُ العيش إلى الله الذى ... جعلَ الوِرْدَ بإذنٍ والصَّدَر(٨)

١ـ برح به : جهده وآذاه . ومطر الخير ؛ بضم الميم : اى اصابه كما يصيب المطر الارض . ومطر ، بفتح الميم : اى صدر عنه الخير كالمطر ـ٢ـ ازرت به : تهاونت ـ٣ـ روحوا القلب : أى انعشوه وطيبوه ـ٤ـ الحكمة : صواب الامر وسداده ووضع الشيء فى موضعه . السير ، بكسر السين : جمع سيرة ، وهى للانسان طريقة سلوكه بين الناس ـ٥ـ من غبر : من مضى ـ٦ـ اغنموا من غنم الشيء : فاز به من غير مشقة واخذه بغير بذل ـ٧ـ آراب : جمع أرب ، وهو الحاجة ـ٨ـ الورد : بلوغ الماء . والصدر : الرجوع عنه .

لاتموتُ النفسُ إلّا باسمه ... قامَ بالموتِ عليها وقهَر
إنما يسمحُ بالروح الفتَى ... ساعةَ الرَّوْع إذا الجمعُ اشتجر(١)
فهناك الأَجرُ والفخرُ معاً ... مَنْ يَعِشْ يُحمَدْ ، ومن ماتَ أُجر

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من أنصار؟(٢)
يامعشرَ الكتاب ، أَين بلاوكم ... أَين البيانُ وصائبُ الأَفكار ؟(٣)
أَيهمُّكم عبثٌ ، وليس يهمُّكم ... بنيانُ أَخلاق بغير جدار ؟(٤)
عندى على ضيم الحرائر بينَكم ... نبأٌ يثيرُ ضمائرَ الأَحرار(٥)
مما رأَيتُ وما علمتُ مسافراً ... والعلمُ بعضُ فوائدِ الأَسفار
فيه مجالٌ للكلام ، ومذهب ... ليَراعِ «باحثةٍ» و«ستٍّ الدار»(٦)

* * *

كثُرت على دارِ السعادة زُمْرَةٌ ... من مصر ، أَهلُ مَزارعٍ ويَسار(٧)
يتزوّجون على نساءٍ تحتَهم ... لا صاحباتِ بُغًى ، ولا بشرار(٨)

١ـ الروع : الفزع ، ويأتى بمعنى الحرب ، وهو المراد هنا ـ٢ـ تعسفوا : ظلموا أو لم ينصفوا ـ٣ـ البلاء : الاختبار ـ٤ـ العبث : اللعب . الجدار : الحائط ـ٥ـ الحرائر : جمع حرة . الضمائر : جمع ضمير ، وهو قلب الانسان وباطنه ـ٦ـ باحثة : هى المرحومة ملك ناصف ، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم « باحثة البادية » تذيل به مقالات كانت تذيعها بواسطة الصحف فى شئون اجتماعية ونسوية . وست الدار : اسم كانت تذيل به مقالات فى الصحف أيضا ـ٧ـ دار السعادة : هى الاستانة . الزمرة : الجماعة متفرقة . اليسار : الغنى ـ٨ـ البغى والبغاء ، مقصور وممدود : الزنى .

شاطرنهم نِعَمَ الصِّبا ، وسقَيْنهم　　دهرًا بكأس للسرُورِ عُقار(١)

الوالداتُ بَنِيهمُ وبناتِهم　　الحائطاتُ العِرْضَ كالأسوار(٢)

الصابراتُ لضرَّة ومضرَّة　　المحيياتُ الليلَ بالأذكار

* * *

مِنْ كُلِّ ذى سبعين ، يكتمُ شَيْبَهُ　　والشيبُ فى فَوْدَيْه ضوءُ نهار(٣)

يأْبَى له فى الشيب غيرَ سفاهة　　قلبٌ صغيرُ الهمِّ والأوطار(٤)

ما حَلَّه عَطْفٌ ، ولا رِفْقٌ ، ولا　　بِرٌّ بأهل ، أو هوىً لديار

كم ناهدٍ فى اللاعبات صغيرةٍ　　ألْهته عن حَفَدٍ بمصر صغار(٥)

مهما غدا أو راح فى جولاته　　دفعته خاطبةٌ إلى سمسار(٦)

شُغل المشايخ بالمتاب ، وشغلُه　　بتبدُّلِ الأزواج والأصهار(٧)

فى كلِّ عامٍ همُّه فى طَفْلَةٍ　　كالشمس ، إن خُطِبتْ فللأقمار(٨)

يرشو عليها الوالدين ثلاثة　　لم أدر أيُّهمُ الغليظُ الضارى ؟

المالُ حلَّل كلَّ غيرِ محلَّلٍ　　حتى زواج الشَّيب بالأبكار

١ــ شاطرنهم ، من شاطره الشيء : ناصفه اياه . والعقار : الخمر لانها تعقر العقل ، أو لانها تعاقر الدن ، اى تلازمه ــ٢ــ الوالدات : أى اللاتى هن والدات أبنائهم وبناتهم . والحائطات : من حاط الشيء : حفظه وتعهده . والعرض : هو ما يصونه الانسان من نفسه ، أو سلفه ، أو من يلزمه أمره ، أو هو محل المدح والذم من الانسان . والاسوار : جمع سور ــ٣ــ الفودان : تثنية فود ، وهو معظم الراس مما يلى الأذن ، وقيل : هو ناصية الراس ــ٤ــ الهم : ما يهم به الانسان فى نفسه ، ويقال : رجل هم اى ذو همة يطلب معالى الامور . الاوطار : جمع وطر ، وهو الحاجة ــ٥ــ الناهد : الجارية ارتفع ثديها . والحفد ، بفتح الفاء : جمع حافد وهو ولد الولد ، كالحفيد ــ٦ــ الخاطبة : من تتوسط فى تزويج الرجال من النساء ــ٧ــ المشايخ : اى من ادركتهم الشيخوخة . والمتاب : التوبة ــ٨ــ الطفلة ، بفتح الطاء : الرخصة الناعمة

سَحَرَ القلوبَ ، فربُّ أمٍّ قلبُها   من سحره حجرٌ من الأحجار

دفعت بُنَيَّتها لأشأم مضجعٍ   ورَمَتْ بها فى غُربة وإسار(١)

وتَعَلَّلَتْ بالشرع ، قلت : كذبتهِ   ما كان شرعُ الله بالجزار(٢)

ما زُوّجت تلك الفتاةُ ، وإنما   بِيعَ الصِّبا والحسنُ بالدينار

بعضُ الزواج مذمَّمٌ ، ما بالزنا   والرقُّ إن قِيسا به من عار

فتشتُ لم أرَ فى الزواج كفاءةً   ككفاءة الأزواجِ فى الأعمار

* * *

أسفى على تلك المحاسنِ كلما   نُقِلت من (البالى) إلى الدوّار

إن الحجابَ على (فروقٍ) جنةٌ   وحجابُ مصرَ وريفِها من نار

وعلى وجوهٍ كالأهلَّةِ ، رُوِّعَتْ   بعد السفور ببرقع وخِمار(٣)

وعلى الذوائب وهى مِسْكٌ خولطت   عند العناق بمثل ذَوْبِ القار(٤)

وعلى الشفاه المُحييات ، أماتها   ريحُ الشيوخ تهبُّ فى الأسحار

وعلى المجالس فوق كل خَميلةٍ   بين الجبالِ وشاطىء محبار(٥)

تدنو الزوارقُ منه ، تُنزِلُ جؤذرًا   بقلادة ، أو شادِناً بسوار(٦)

يرفُلن فى أُزُرِ الحرير تنوَّعتْ   ألوانُه ، كالزَّهر فى آذار(٧)

---

١ ـ اشام مضجع : أى اشد المضاجع شؤما · والاسار : الأسر – ٢ ـ تعلل بالشىء : تلهى به واكتفى · وكذبته : أى كذبت عليه ـ٣ـ وعلى وجوه: اى واسفى على وجوه والأهلة : جمع هلال · والخمار ـ بكسر الخاء : ما تغطى به المراة راسها ـ ٤ ـ الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الناصية . والقار ، قيل : هو مايسمى بالزفت ـ٥ـ الخميلة : الشجر الكثيف الملتف ، وقيل : الموضع الكثير الشجر · والمحبار : الارض السريعة النبات الحسنة ـ٦ـ الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الحسان لجمال عينيه . والشادن : ولد الظبية ـ ٧ ـ يرفلن ـ من رفل فى ثيابه : اطالها وجرها متبخترا . والأزر : جمع ازار ، وهو كل ما سترك . وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية .

الطاهراتُ الَّلحظِ ، أمثال المها الناطقاتُ الجرْس كالأوتار(١)
الدهرُ فرّقَ شملهن ، فمُر به يا ربُّ تجمعْه يدُ المقدار

أبو الهـول*

أبا الهوْلِ ، طالَ عليكَ العُصُرْ وبُلِّغتَ فى الأرْضِ أقصى العُمُرْ(٢)
فيالِدةَ الدّهر ، لا الدّهرُ شَـــبَّ ، ولا أنت جاوزتَ حد الصِّغَر(٣)
إلامَ ركوبُكَ متنَ الزما لِ لِطَيِّ الأَصيل وَجَوْبِ السحر؟(٤)
تُسافر منتقلا فى القرو نِ ، فأيان تُلقى غُبارَ السفر ؟
أبينكَ عَهدٌ وبين الجبا لِ ، تزولان فى الموعد المنتظر؟(٥)

---

١ ــ المها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية . والجرس : الصــوت .

* رفع الستار فى مسرح حديقة الأزبكية يوم افتتاحه عن تمثال أبى الهول ، يناجيه رجل بهذه القصيدة . ــ٢ــ « طال عليك العصر » العصر والعصر والعصر والعصر : الدهــر . فالعصر ــ هنا ــ مفرد لا جمع . ومعنى طول الدهر على أبى الهول : أنه عمر اعمارا طوالا . وقد أوضح ذلك مع زيادة فى التوكيد بقوله :وبلغت فى الأرض أقصى العمــر . والعمر ــ بضم العين والميم ــ لغــة فى العمر ــ٣ــ « فيالدة الدهر » : فيا أخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توأمان ، خلقتما معا فى أوان . والبيت كما ترى آية فى الابــداع وروعة البيان . « ولا انت جاوزت حد الصغر » : أى برغم انك بلغت فى الأرض أقصى العمر . ــ٤ــ « الام ركوبك » . الى : من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية . فبينت بنــاء كلمة واحدة ، وسقطت الألف من «ما» طلبا للخفة واعتدادا بالى الموصولة بها . وكذلك يفعلون فى بم وفيم ومم ، ولا يفعلون ذلك بما الخبرية ، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء ، فيقولون الامه وعمه وفيمه ولمه ــ هـذا وانه لتصوير شعرى بديع رائع ، تصــوير أبى الهول راكبا متن الرمال ، يطوى الليل والنهار ، ويسافر متنقــلا فى القرون والآدهار . و « جوب » فى معنى طى . ــ٥ــ « فى الموعــــد المنتظر » : يــوم يــزول كل شىء ، اى اليوم الآخر .

أبا الهول ، ماذا وراء البقا ءِ - إذا ماتطاول - غيرُ الضجَر؟(١)
عجبْت لِلُقمانَ فى حِرصه على لُبَد والنُّسور الأُخَر(٢)
وشكوى لبيدٍ لطولِ الحيا ة ، ولو لم تَطُلْ لَتَشكّى القِصَر(٣)

---

١ - « ماذا وراء البقاء » . يقول: ماوراء البقاء المتطاول غير السأم .
قال زهير بن أبى سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا - لا أبالك بسأم

٢ - « لقمان » : هو لقمان بن عادياء ، وتزعم العرب انه الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستسقى لها ، فلما أهلكوا ، خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر ، من أظب عفر ، فى جبل وعر ، لايمسها القطر . أو بقاء سبعة انسر ، كلما اهلك نسر خلف بعده نسر ، فاستحقر الابقار وآثر النور ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له : ياعم ، ما بقى من عمرك الا عمر هذا ، فقال لقمان : هذا لبد ، ولبد - بلسانهم : الدهر . قالوا : وكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله فى حوبة فى الجبل الذى هو فى أصله ، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر، فاذا مات أخذ آخر مكانه ، حتى هلكت كلها الا السابع ، أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبدا ، وكان أطولها عمرا ، فضربت العرب به المثل فقالوا : طال الأبد على لبد ، قال الأعشى :

وانت الذى الهيت قيلا بكأسه ولقمان اذ خيرت لقمان فى العمر
لنفسك أن تختار سبعة انسر ذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
نعمر حتى خال أن نسوره خلود وهل تبقى النفوس على الدهر؟

فعاش لقمان - كما زعموا - ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا اخنى عليها الذى اخنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء ، غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم .

٣ - « وشكوى لبيد » : اى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة ... الخ ، وهو لبيد بن ربيعة ، الشاعر الجاهلى الاسلامى المخضرم ، صاحب المعلقة المشهورة التى أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين ، روى أنه مات وهو ابن مائة واربعين ، وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية ، أما شكواه التى المح اليها ، فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد؟

يقول : اذا لم يكن وراء البقاء المتطاول الا الضجر ، فانى أعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته ، وللبيد الذى ان مل الحياة وسئم من طولها ، فانه لا محالة كان أكثر شكاة اذا هى لم تطل ، لأن حب الحياة جبلة مركوزة فى الطباع .

ولو وُجِدَتْ فيكَ يابنَ الصَّفا ةِ لحَقتَ بِصانِعِكَ المقتدر(١)
فإن الحياةَ تفُلُّ الحديـ ـدَ إذا لبستْهُ ، وتُبْلى الحجَر(٢)

* * *

أبا الهول ، ما أنتَ فى المُعضِلا تِ ؟ لقدضلَّتِ السُّبْلَ فيكَ الفِكَر(٣)
تحيَّرَتِ البدوُ ماذا تكو نُ ؟ وضلَّتْ بِوادىء الظنونِ الحضر(٤)
فكنتَ لهم صورةَ العُنْفُوا ن ، وكنت مِثالَ الحِجَى والبصر(٥)
وسِرُّكَ في حُجْبه كلما أطلَّتْ عليه الظنونُ استتر(٦)
وما راعهم غيرُ رأس الرجا لِ على هيكلٍ من ذوات الظُّفُر
ولو صُوِّروا من نواحى الطِّبا ع تَوالَوْا عليك سِباعَ الصُّوَر(٧)
فيارُبَّ وجهٍ كصافى النميـــرِ تشابَه حامِلُه والنَّمِر(٨)

---

١ ـ « وجدت » اى الحيـــاة . « يابن الصفاة » . الصفاة : الحجر الصلد الذى لا ينبت شـــيئا ، وفى المثل : فلان ماتندى صـــفاته ، وفى الحديث : لا تقرع لهم صـــفاة ، أى لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهـــول ابن الصفاة ، لأنه من الحجر . (لحقت . الخ) : أى لأدركك الموت ـ ٢ ـ فان الحياة : من المعانى المبتكرة التى لانظن صاحب الديوان قد سبق اليها عـــلى هذا الوجه ـ٣ـ ما انت فى المعضلات : خبـــرنى أى معضـــلة انت فى المعضلات وأى معمى ! ـ ٤ ـ تحيرت، يقول : حار الناس قاطبة فى أمـــرك حاضرهم والبادى ـ٥ـ صـــورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صور الاسد من معـــانى القوة . (مثال الحجى والبصر) لمـــا ينم عنه وجهك وراسك المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالأمور ـ٦ـ يقول : ومع ذلك لا يزال سرك مكتنا فى حجبـــه والناس من أمرك فى ظلام ـ٧ـ ولو صوروا : أى ما كان ينبغى أن يـــروع الناس منك أن كان راسك على هيكل من ذوات الظفر ، لأن الناس لو صوروا من نواحى شيمهم وطباعهم لتـــوالوا عليك كانهم وحوش ، وهـــذا معنى حسن بديع ، وقد زاده حسنا وأكده بقوله : فيارب وجه كصـــافى النمير ـ٨ـ النمير : الماء الناجع فى الرى : أو النامى ، أو الكثير . والنمر : هو ذلك الحيوان المعـــروف بمـــكره ، وخبثه . وشراسته . وهذا البيت من جوامع الكلم وروائع الحكم ، ولايخفى مافيه من الجناس بين النمير وبين النمر . وللشعراء فيما يتصل بهـــذا المعنى ويقاربه ما يخطئـــه العـــد والاحصاء ، فمن ذلك ما يقول القائل :

أبا الهول وَيْحَكَ لا يُستقلُ مع الدهر شيءٌ ولا يُحتقَر(١)
تهزأتَ دهرًا بديك الصباح فنقَّرَ عينيك فيما نقَر(٢)

= لايغرنك ما ترى من أناس ان تحت الضلوع داء دويا

ويقول الابيوردى :

يلقاك ، والعسل المصفى يجتنى من قوله ، ومن الفعال العلقم
يبدى الهوى ويثور ــ ان عرضت له فرص ــ عليك كما يثور الارقم

ويقول الشريف الرضى :

لاتجعلن دليل المرء صورته كم مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول :

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه أبى بعد طول العمر ان يتقوما
تقبلت منه ظاهرا متبلجا وأدمج دونى باطنا متجهما
ولو أننى كشفته عن ضميره أقمت على ما بيننا اليوم مأتما

وقال آخر :

يعطيك ودا صادقا بلسانه ويجن تحت ضلوعه الوانا

وقال أبو فراس :

وقد صار هذا الناس الا أقلهم ذئابا على أجسادهن ثياب

وقال آخر :

ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذى زرع

ويقول أبو تمام :

ان شئت أن يسود ظنك كله فاجله فى هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا متبسما عن باطن متجهم

١ ــ لا يستقل : لا يعد قليلا ،وهذا البيت كالتمهيد لما بعده
ــ٢ــ ديك الصباح : يريد الزمن ،والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، وانه لتخيل شعرى جميل ، ومن بارع حسن التعليل ان جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما ،هو هزء أبى الهول به ، وسخريته منه ، وعدم اكترائه له ، ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح • هذا ، ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول : انه ورد فى بعض الآثار : لاتسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة • ولابن المعتز :

بشر بالصبح هاتف هتفا هاج بالليل بعد ما انتصفا
مذكر بالصبوح هاج بنا كخاطب فوق منبر وقفا =

أسال البياضَ وسَلَّ السَّوادَ وأوْغل مِنقارُه فى الحفَر
فعُدْتَ كأنك ذو المَحْبِسَيْـ ـنِ ، قطيعَ القيام ، سَليبَ البصر(١)
كأن الرِّمالَ على جانِبَيْـ ـكَ وبين يديك ذنوبُ البشر
كأنك فيها لواءُ الفضا ءِ على الأرضِ ، أو دَيدبانُ القدَر(٢)
كأنكَ صاحبُ رملٍ يَرى خَبايا الغيوبِ خِلال السَّطَر(٣)

* * *

أبا الهول ، أنت نديمُ الزما نِ ، نَجِىُّ الأوانِ ، سميرُ العُصُر(٤)

= صفق أما ارتيــاحة لسنـــــا الـ فجــر واما عـلى الدجى أسفـــــا

وللمعرى :

أياديك ، عدتمن اياديك صيحة بعثت بها ميت الكرى وهو نائم
هتف ، فقال الناس : أوس بن مغبر أو ابن رباح بالمحـلة قــــائم

الى أن يقول :

عليك ثياب خاطها الله قـــادرا بها رئمتك العاطفـات الروائم
وتاجك معقود ، كأنـــك هرمز يبــاهى به أملاكه ويوائــــم
وعينك سقط ما خبا عند فــرة كلمعة برق مالهـا الدهر شـائم
ومازلت للدين القويم دعـــامة اذا قلقت من حامليهـا الدعائم

أوس بن معير : هو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح ، وابن رباح : هو بلال ، كان يؤذن لرسول الله سـفرا وحضرا . ورئتمك : عطفت عليـــك ولزمتك . ويوائم : يوافق ويلائم . والسقط : ما سقط من النـــار بين الزندين قبل استحكام الورى : والقرة: البرد . ـ١ـ المحبسـين . المحبس : الموضع الذى يحبس فيه ، وكان يقال عن أبى العـــلاء المعـــرى : رهين المحبســـين ، أى رهين عماه وبيته ، فكأنه من عماه فى محبس ، وكذلك ابو الهول ، عده شاعرنا بعد ان نقر ديـك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه فى محبسين ـ٢ـ ديدبان : فارسية ، معربة ، أصلها ديده بان ، ومعنى ديده : العين ، وبان : اى ذو ، أى الرقيـب والعين ، ومعناها الخاص الجنـــدى المكلف بالحراسه . ـ ٣ ـ السطر : السطر . والسطر : الصف من الكتاب والشجر ونحوهمـا . ومعنى البيت ظاهـــر ـ ٤ ـ نجى الأوان : النجى بوزن فعيل : الـذى تسـاره ، وفى الحديث : اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيـك ، وهو النـــاجى المحـــدث للانسان .

بسطت ذراعيْك من آدمٍ ووليتَ وجهَكَ شَطرَ الزُّمَر(١)
تُظِلُّ على عالَمٍ يستهِلُ وتُوفِى على عالَم يُحْتَضَر(٢)
فعينٌ إلى مَن بدا للوجودِ ، وأخرى مشيِّعةٌ من غَبَر(٣)
فحدِّث ، فقد يُهتدى بالحديثِ ، وخبِّر ، فقد يؤتَسَى بالخبَر(٤)
أَلم تَبْلُ فرعونَ فى عِزِّه إلى الشمس مُعتزياً والقمر ؟(٥)
ظليلَ الحضارة فى الأَوليِنَ ، رفيعَ البناء ، جليلَ الأَثر(٦)

---

١ ـ من آدم : أم من قديم القديم . والزمر : جمع الزمرة : الجماعة من الناس ، والمراد هنا الناس جميعا ـ٢ـ يستهل : يعنى يقدم على الدنيا ، من استهل الصبى بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة . ويحتضر : حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت ـ٣ـ واخرى مشيعة من غبر : من مضى ؛ وان هذا البيت لمشبع من الروعة والجلال . ـ٤ـ فحدث : هذا البيت هو كالمدخل لما بعده ـ٥ـ ألم تبل فرعون : بلاه يبلوه بلوا وابتلاء : جربه واختبره . وفرعون : لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر ، كالنجاشى لملوك الحبشة ، وقيصر لملوك الرومان . وفرعون أصلها فى الهيروغليفية مركبة من بى ، وهى اداة التعريف كأل ، وراع اى الشمس فتكون كلمة واحدة . وراع أو راهو : معبود قوى ، وحاكم جبار ، يقاتل احتفاظا بالحياة ، وابقاء على الكون . ومن هنا كان العتو والجبروت وما فى معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب ، واذن لا يقصد بفرعون فرعونا معينا ، ولكن جميع فراعنة مصر ، وقد ابتلاهم ابو الهول . الى الشمس معتزيا ، تقول : الم تبل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزه ، حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر ، لأن من اعتزى الى شىء قاربه وشاكه ، وقد كان اكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة اوزيريس الشمس ، وايزيس القمر ، لأنهما من اصنامهم ، فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة ـ٦ـ ظليل الحضارة : مكان ظليل : ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ، ويرعون فى ذراها وكنفها ، والحضارة ، بكسر الحاء وفتحها : الاقامة فى الحضر . والحضر والحضرة والحاضرة : خلاف البدو والبادية ، وهى المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن اهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار ، قال القطامى :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا

وقال المتنبى :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين .

يؤسِّسُ فى الأَرض للغابريـ نَ ، ويغرِسُ للآخرين الثّمر(١)
وراعك ما راعَ من خيْل قَمْبيـ زَ ، ترمى سَنابكُها بالشرَر(٢)
جوارفُ بالنارِ تغزو البلا دَ ، وآونةً بالقنا المشْتجِر
وأبصرْتَ إسكندرًا فى المَلا قَشيبَ العلا فى الشباب النَّضِر(٣)

---

١ ــ « للغابرين » الغابـــر : من الاضداد ، فيكون بمعنى البـــاقى ، ويكون بمعنى المـــاضى . ومن ثم يكون معنى البيت : أما ان فرعون يخلد ذكر الماضين باقامة الاثار لهم والتماثيـــل ، ويغرس للاتين ما يجنـــون ثمـــره من دور العلم والعرفان وما اليها . واماأن فرعون يؤسس ويغـــرس لهم كل ما يجدى ويثمر ــ٢ــ « قمبيـــــز » :هو ابن كورش الأكبر الذى أســـس دولة الفرس العظيمة ، ومعلـــوم أن الفرس من الدول التى غزت مصر ، واستولت عليها حينا من الدهـــر ،قال المؤرخون : اخذ الفرس فى غـــزو مصر ازمان الأسرة السادســـــــةوالعشرين ، وذلك حـــين ولى الملك « أبسمتيك الثالث » أحد ملوك هـذهالأسرة ، فأعد الفرس لهذه الغـــزاة المعدات الكبيرة ، وجـــاء ملكهـــم « قمبيز » بجيش جرار ، لفتح البلاد التى طالما تاقت نفس ابيه كورش الى اخضاعها ، وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية فى المنعة . يقول مؤرخو الاغريق :ان أحد الجنود اليونانية : هو الـــذى خان مصر والمصريين ، ودل الفـــرس على أســـهل الطرق التى يمكنهـــم بواسطتها ان يدخلوا البـــلاد . فهوجمت مدينه « بلوز » (الفـــــرما) بحرا ، وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا ، وبعد مقاومة عنيفة جهتى بلوزومنف ، سقطت البلاد ، واخـــذ قمبيز ابسمتيك أســـيرا ، وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م ، ثم سار قمبيـــــز أول أيامه سيرة حسنة ، وعـــامل المصريين معاملة طيبة ، يحترم دياناتهم وتقاليدهم ، ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر ، وحنق على البـــلاد ومن فيها ، فكر على المعابـــد والهياكل ، فهدمها ، وقتل بيده العجـــل ابيس اثناء احد الاحتفالات الكبيرة ، وعند عودته الى فارس مات فى الطريق سنة ٥٢١ ق . م ، ولما ولى ملك فارس دارا الأول زار مصر ، واراد ان يصلح ما افسده قمبيز ، فأبدى احتراما كبيرا لديانة المصريين ومعبوداتهم ، وشـــيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة ســـيوة الكبرى ، وعضد التجارة ، وشيـــدكثيرا من المدارس ، وفتح الخليـــج الموصل مابين النيل والبحر الأحمر ،ورأى المصريون آخر ايامه ما لحقه من الخسائر فى واقعة « مرتون » فى حربه مع الأغريق ، فخرجـــوا عن طاعته ، وطردوا الفرس من البـــلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين ســـنة ٤٨٦ ق.م ، ثم غزا الفـــــرس مصر ثانية ، وما زالوا بها حتى طـــردهم المصـــريون ســـــنة ٤٠٥ ق.م ــ٣ــ « اسكندر » : هو الاســـكندر الأكبر المقدونى الفاتح العظيم ، قـــال المؤرخون : بعد ان هـــزم الاسكندر الفرس فى واقعة أسوس ، زحف على مدينة صور ، فأخذهـــا عنـــوة =

نبلّجَ في مِصرَ إكليلُه فلم يَعْدُ في المُلْك عُمْرَ الزَّهَر(١)
وشاهدتَ قيصرَ : كيف استبدَّ ، وكيف أذلَّ بمصرَ القَصَر؟(٢)
وكيف تجبَّرَ أعوانُه وساقوا الخلائقَ سوْقَ الحُمُر ؟
وكيف ابتُلوا بقليل العديدِ من الفاتحين كريم النفَر ؟

= وبذلك تم استيلاؤه على الشام ، ثم قدم الى مصر ، وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر ، فلما وصل الاسكندر الى « بلوز » (الفرما)سنة ٣٣٢ ق٠م٠ رحب به المصريون ، لما سمعوه عن عدالة حكمه ، ولما لاقوه من الذل والهوان فى حكم الفرس ، ففتحت له مصر ابوابها ، ودخلها دون عناء ، حتى ان الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته ، وقابله فى منف بترحاب ، ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ، ودخل معبد آمون ، ولقبه الكهنة بابن امون . فاحترم ديانة المصريين ، وقدم القرابين لمعبوداتهم ، ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية ، فأدخل منها فى مصر الموسيقى والألعاب النظامية . ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقوده » ــ وهى قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية ــ ذات موقع بحرى موفق ، أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هى الاسكندرية ، وبعد أن استوثق الأمر للاسكندر فى مصر ، خرج الى فتوحاته الأخرى فى المشرق ، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ، وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ؛ ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا ؛ فذلك حيث يقول فى البيت التالى* فلم يعد فى الملك عمر الزهر * وخلف الاسكندر على مصر البطالسة ، وما زالوا بها الى أن استولى الرومان عليها .

١ ــ اكليله : تاجه ٠ ــ ٢ ــ قيصر : أسلفنا ان قيصرا هذا لقب ملوك الرومان ، قال المؤرخون : ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض ، حتى أخذت العلائق تنشأ بينها وبين البطالسة فى مصر ، ولبثت بين الدولتين مدة طويلة من ايام مجد البطالسة الى انقراضهم ، تطورات أثنائها فى عدة أطوار : ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالسة ؛ ثم انتقلت الى حمايتهم لهم ، ثم السيطرة عليهم ، ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق.م فى عهد اغسطس ، ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها فى عهد خمول سياسى طويل ، امتد نحوا من ٦٧ سنة ، لم يكن لها فيها شىء يذكر فى التاريخ ؛ بل كانت كحقل لانتاج الحبوب وتصديرها الى رومية ، لسد أهم جزء من الخراج ، وما زال الرومان بمصر حتى أدال الله منهم بالعرب سنة ٦٤١ م على يد عمرو بن العاص ، فذلك حيث يقول « وكيف ابتلوا بقليل العديد .. الخ » ، القصر : أى الأعناق ، قال الشاعر :

لاتدلك الشمس الا حذو منكبه في حومة تحتها الهامات والقصر

رَمَى تاجَ قيصرَ رَمْىَ الزُّجا ج ، وفَلَّ الجموعَ ، وثَلَّ السُّرُر(١)

فدع كلَّ طاغيةٍ للزما نِ ، فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر(٢)

رأيتَ الدّيانات في نظْمِها وحينَ وَهَى سِلكُها وانتثر(٣)

تُشاد البيوتُ لها كالبرو ج ، إذا أَخَذَ الطرْفُ فيها انحسر(٤)

تَلاقى أساساً وشُمَّ الجبا لِ ، كما تتلاقى أُصولُ الشجر(٥)

وإيزيسُ خلْفَ مقاصيرِها تخطَّى الملوكُ إليها السُّتُر(٦)

تضيء على صفحات السما ءِ ، وتُشْرقُ في الأَرض منها الحُجَر(٧)

---

١ ــ رمى : أى هذا النفر القليل وهم اصحاب عمرو بن العاص . وفل الجموع : هزمها . وثل السرر :كسرها . والسرر : جمع سرير : والمراد هنا العروش التى يجلس عليهاالقياصرة ــ٢ــ الصعر : ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه الى أحد الشقين ، وقد صعر خده ، أماله من الكبر : قال المتلمس :

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر : يعدل الطغاة؛ يقال : أقمت الشىء فقام : أى استقام

٣ ــ فى نظمها وحين وهى سلكها :فى حالتى قوتها وضعفها ــ٤ــ انحسر : كل ، والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر ــ٥ــ تلاقى : تتلاقى ، بحذف احدى التاءين ، يريد أنها راسخة رسوخ الجبال ــ٦ــ ايزيس : هى من معبودات قدماء المصريين ، وهى أخت أوزيريس ، وزوجته فى الوقت نفسه وأم عوروس وهاريوقراط . يرى قدماء المصريين أن ايزيس هذه وليت امر مصر مع أخيها وزوجها أوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ، ويؤخذ من تقاليد ايزيس أنها عندهم رمز للقمر . وأوزيريس رمز الشمس ، ومن هنا يريد « بايزيس » القمر . وقوله : « تخطى » أى تتخطى ، بحذف احدى التاءين ــ٧ــ قوله « تضىء على صفحات السماء » : اى ايزيس بمعنى قمر السماء الحقيقى . وقوله «وتشرق فى الأرض منها الحجر » ، اى القمر ، بمعنى المعبود فى الأرض . وعلى ذلك يكون فى الكلام استخدام ، وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ له معنيان احدهما ، ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميرين احدهما ، ثم بالآخر الآخر فالأول كقول معوذ الحكماء :

اذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه ، وان كانوا غضابا

فانه أراد بالسماء الغيث ، وبضميره النبت ، والثانى كقول البحترى :

وآبيسُ فى نِيرهِ العالَمو ن ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عسِر(١)

تُساس به مُعْضِلاتُ الأُمو رُ ، ويُرجى النعيمُ ، وتُخشى سقر

ولا يشعُرُ القومُ إلّا به ولو أخذَتْه المُدى ماشعر

يَقِلُّ أبو المسكِ عَبدًا له وإن صاغَ أحمدُ فيه الدُّرر(٢)

وآنستَ موسى وتابوتَه ونورَ العصا ، والوصايا الغُرَر(٣)

وعيسى يَلُمُّ رداءَ الحيا ءِ ، ومريم تجمع ذيلَ الخَفَر(٤)

وعمرو يسوقُ بمصرَ الصِّحا بَ ،وَيُزْجِي الكتابَ ،ويحدوالسُّوَر(٥)

= فسقى الغضا والساكنية وانهم شبوه بين جوانح وقلوب

فانه أراد بضمير الغضا فى قوله « والساكنيه » المكان ، وفى قوله « شبوه » أى أوقدوا الشجر ، والحجر : جمع حجرة كغرفة وغرف .

١ — وآبيس : هو العجل أبيس ،رووا أن تيفون اله الشر تغلب اخيرا على أوزيريس اله الخير وقتله ،فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى ، وكانوا يعتقدون ان العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت به ، بواسطة شعاع من الشمس وشعاع من القمر ، وله علامات ظاهرة فى جسده ، فانه يكون أسود اللون ، وفى جبهته سمة بيضاء مربعة او مثلثة ، وصورة نسر على ظهره ، وصورة خنفساء تحت لسانه، وكان الكهنة عندما يجدون العجل بعد موت سلفه ، يركبون مركبة حربية ،ويسيرون به باحتفال عظيم الى هليوبوليس ، وكانوا يضعونه فيها فى هيكل يتركونه مفتوحا للعبادة اربعين يوما ، وكان الأهالى عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ، ويضعونه فى ناووس ثمين جدا ، وكانوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل ، وذلك باقامة الولائم والافراح ، وكانوا يطرحون فى ذلك الوقت اناء من الذهب فى النيل ،لاخماد غضب التماسيح ، « فى نيره » النير : هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين بالحراثة بأداتها ، وهم يقولون : فلان تحت نير فلان ، يريدون الخضوع والاستخذاء .

٢ — أبو المسك : كافور الأخشيدى « واحمد » : ابو الطيب المتنبى .

٣ — التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل ، وعصا موسى وما كان منها من الايات ، والوصايا العشر ، كل أولئك معروف فلا حاجة بنا الى الافاضة فيه —٤— « وعيسى يلم رداء الحياة » . يقول : وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياة ، ومثله فى ذلك العذراء —٥— « وعمرو » . يقول : وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ، ويزجى كتاب الله وآياته .

فكيف رأيتَ الهُدى ، والضَّلا ... لَ ، ودنيا الملوكِ ، وأُخرى عُمَر؟(١)
ونبْذَ المُقَوْقِسِ عهدَ الفُجو ... ر ، وأَخذَ المقوقِسِ عهدَ الفجر(٢)
وتبديلَه ظلمَاتِ الضلا ... لِ بصبح الهداية لما سَفر(٣)
وتأليفَه القِبطَ والمسلمِي ... ن كما أُلِّفَتْ بالولاء الأُسَر(٤)
أَبا الهول ، لَو لم تكن آيةً ... لكان وفاؤك إحدى العِبر(٥)
أطلتَ على الهرمين الوقو ... فَ ، كثاكلة لا تَريم الحفر(٦)
تُرجِّى لبانيهما عودةً ... وكيف يعودُ الرميم النَّخِر؟(٧)
تجوس بعين خِلَالَ الديا ... رِ ، وترمى بأُخرى فضاءَ النهر(٨)
ترومُ بمنفِيس بيضَ الظُّبا ... وسُمْرَ القنا ، والخميسَ الدثر(٩)

---

١ ـ فكيف رايت . يقول : خبرني يا ابا الهول كيف رايت فرق ما بين هدى المسلمين واخرى عمر ، اى دنياه التى كأنها الاخرى فى الاصلاح وما اليه من كل ما كان ماثلا أيام الفاروق رضى الله عنه وأرضاه ، وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن اليهم .

٢ ـ « المقوقس » : هو سيروس ،بطريق الطائفة الملكانية بالاسكندرية ، والحاكم الادارى بمصر من قبل الرومان ، والذى فتح عمرو بن العاص مصر فى عهده ، وفى المقريزى : انه يسمى المقوقس بن قرقفت ، ولعله محرف عن سيروس . عهد الفجور عهد الانحراف عن الصراط السوى ، عهد الاسراف فى المعاصى والاثام ، عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس . عهد الفجر : اى عهد الخير العميم ، عهد النور ، عهد التقى والاصلاح، عهد الاسلام ، اذ مالأ المسلمين ، وعبد لهم طريق الفتح .

٣ ـ وتبديله : فى معنى البيت قبله: « لما سفر » سفر الصبح واسفر : أضاء ـ٤ـ وتاليفه : اى المقوقس . والأسر : جمع الأسرة ، وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون ـ٥ـ احدى العبر : احدى الايات ـ٦ـ اطلت .. الخ: بيان لوفاء أبى الهول ، كثاكلة . يقول : انك فى اطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك ، كثاكلة ولدها ؛ لا تبرح قبره ولا تزايله ، والثاكلة هى التى فقدت ولدها . ولا تريم : أى لاتبرح . والحفر : جمع حفرة ، وهى ما يحفر فى الأرض ، والمراد بها هنا القبر ـ٧ـ لبانيهما : أى لبانى الهرمين . ـ٨ـ تجوس : تطوف وتتخلل . والنهر والنهر : واحد الأنهار : يعنى نهر النيل ـ٩ـ تروم : تنشد وتطلب . ومنفيس : منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة : هى عاصمة ملك الفراعنة ، والذى بناها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة ، وكانت قال شاعرنا :

ومَهْدَ العلومِ الخطيرَ الجلا لِ، وعهدَ الفنون الجليلَ الخَطر
فلا تستبين سوى قريةٍ أَجَدَّ محاسنها ما اندثر(١)

= ومهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر
ولا يخفى ما فى هذا البيت من العكس ، والعكس هذا من المحسنات البديعية ، وهو أن تقدم فى الكلام جزءا ، ثم تعكس ، فتقدم ما أخرت ، وتؤخر ما قدمت ، مثل قول الحماسى :
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
وقول ابى الطيب :
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولامال فى الدنيا لمن قل مجده
وقول الآخر :
ان الليالى للانام مناهيل تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار
الخميس الدثر : الجيش الكثير . يقول انك ياابا الهول لأوفى الاوفياء اذ كأنى بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة ، والمدنية الزاهرة ، التى تحليت بها حينا من الدهر ، وشاهدت عصرها الذهبى ، ثم ذهبت ، وذهب أهلوها ، وأصبحت منفردا وحيدا
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
فأبى عليك وفاؤك الا ان تطيل الوقوف على الهرمين ، شأن الثكول فقدت وحيدها ؛ فأبى عليها وجدها أن تريم قبره ، وكأنك فى وقوفك هذا ، ترجى لبانى الهرمين عودة تعود معها تلك المعانى الساميات ، وتنشد بمنفيس — وهى منك عن كثب — عهد القوة والعظمة والسلطان ، وعهد العلوم والعرفان ، وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت فى الزمن الخالى ؛ فلا تصيب شيئا من ذلك ، ولا تقع عينك من منفيس هذه ، الا على قرية قد اندثرت ، ودمنة قد عفت ، تكاد لاغراقها فى الجمود ، اذا الأرض دارت بها لم تدر . فترى فى هذه الأبيات صورة ابى الهول فى وقوفه هذا ، صورة شعرية آية فى الابداع والتخيل الشعرى ، ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين ، وان مصر كانت مهد الحضارة والتمدين ؛ ولا جرم فقد أمها ، وجاور فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين ؛ وفيثاغورس وافلاطون واقليدس من شيوخ الفلسفة ، كما تؤم اليوم بلاد المغرب للمجاورة فيها والافادة منها ، ومن هنا قال بعد ذلك : « فهل من يبلغ عنا الأصول » .

١ — « أجد محاسنها ما اندثر » . يقول : ان طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها . وهو معنى دقيق عجيب ، ولعله ينظر الى قول ابى نوس :
لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم
تجافى البلى عنهن حتى كأنما لبسن على الاقواء ثوب نعيم
هذا ويجوز ان يكون « اجد » مبتدأ و « ما اندثر » خبر ، اى ان أجد مابقى من هذه القرية واجله ، هو آثارها الدوارس .

تكاد لإغراقِها فى الجمو ... دِ إذا الأَرض دارتْ بها لم تدُر

فهل مَنْ يبلِّغ عنا الأُصو ... لَ بأَن الفروع اقتدت بالسير ؟(١)

وأنَّا خَطبنا حِسانَ العلا ... وسقنا لها الغالىَ المدخَر

وأنَّا ركبنا غمارَ الأُمو ... رِ ، وأنَّا نزلنا إلى المؤتمر(٢)

بكل مُبينٍ شديد اللدا ... د ، وكل أَريبٍ بعيد النظر(٣)

تطالب بالحق فى أُمة ... جرى دَمُها دونه وانتشر(٤)

ولم تفتخر بأَساطيلها ... ولكن بدستورها تفتخر(٥)

فلم يبقَ غيرُك من لم يَخِف ... ولم يبقَ غيرُك من لم يَطِر

تحرَّكْ أَبا الهَول ، هذا الزما ... نُ تحرّك ما فيه ، حتى الحجر

* * *

«فلما أتمها أجابه آخر كان يختفى وراء التمثال وينطق بلسانه» :

نَجىٌّ أَبى الهول آن الآوا ... نُ ، ودان الزمانُ ، ولانَ القدر

خبأْتُ لقومِك ما يستقو ... نَ ، ولا يَخبأُ العذبَ مثلُ الحجر

فعندى الملوكُ بأَعيانِها ... وعندَ التوابيتِ منها الأَثر

محا ظلمةَ اليأْسِ صُبحُ الرجا ... ءِ ، وهذا هو الفَلَقُ المنتظَر

---

١ ــ الأصول : أصولنا وآباؤناالذين وصف . الفروع : نحن المصريين ابناء هذا الجيل . واقتدت بالسير : حذت حذو أصولها ، اذ كان منا فى هذه الاونة ماقصه بعد . ــ٢ــ غمار الأمور : شدائدها جمع غمرة ، المؤتمر : مؤتمر الصلح الذى عقد على اثر انتهاء الحرب الاوربية العامة سنة ١٩٢٠ الذى فزعنا اليه فى شخص الوفد المصرى ــ٣ــ الشديد اللداد : أى الشديد الخصومة والجدل الذى لايغلب • والأريب : العاقل البعيد النظر ــ٤ــ تطالب : أى الفروع • ودونه : دون هذا الحق ــ٥ــ ولم تفتخر • أى أنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش واسطول وما الى ذلك . ولكنها تعتز بحقها الطبيعى الذى ليس الابه كيانها.

«ثم انشق صدرُ أبى الهول عن فتى وفتاة ، مَثَلا أمامَه ، وأنشدا هذا النشيد» :

اليوم نَسود بوادينا ونُعيد محاسنَ ماضينا
ويشيدُ العزّ بأيدينا وطنٌ نَفديه ويَفدينا
وطنٌ بالحقّ نُؤيِّدُه وبعين الله نشيِّده
ونحسِّنُه ، ونزيِّنُه بمآثرنا ومساعينا
سرٌّ التاريخ ، وعُنصرُه وسريرُ الدهرِ ومِنبرُه
وجِنانُ الخلد ، وكوثرُهُ وكفى الآباءُ رياحينا
نتخذُ الشمسَ له تاجا وضُحاها عرشاً وهاجا
وسماءَ السُّؤدَدِ أبراجا وكذلك كان أوالينا
العصرُ يراكُمْ ، والأمم والكرنك يلحظُ ، والهرمُ
أبنى الأوطان ألا هِمَمُ كبناءِ الأولِ يبنينا ؟
سعياً أبدًا ، سعياً سعياً لأثيل المجد وللعَلْيا
ولنجعلْ مصرَ هى الدنيا ولنجعل مصر هى الدينا

مملكة النحل

مملكةٌ مُدَبَّرَهْ بامرأةٍ مُؤَمَّره
تحملُ فى العمال والصناع عبءَ السيطره
فاعجب لعمال يُوَلُّون عليهم قَيْصَره

تحكمهم راهبةٌ ذكّارةٌ مُغبِّرةْ (١)
عاقدةٌ زُنّارَها عن ساقها مُشمِّره
تلثمت بالأرجوا نِ ، وارتدته مئزره
وارتفعت كأنها شرارةٌ مُطيّره
ووقعت لم تختلج كأنها مُسمّره (٢)

* * *

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلُقٍ مُصوّره
يا ما أقلَّ ملكَها وما أجلَّ خطره
قف سائل النحلَ به بأيِّ عقل دبّره ؟
يُعجبكَ بالأخلاقِ وهـ يَ كالعقولِ جوهره
تغنى قوى الأخلاق ما تغنى القوى المفكّره
ويرفعُ اللهُ بها مَن شاءَ ، حتى الحشره

* * *

أليس فى مملكة النحلِ لقومٍ تَبْصِره ؟
مُلكٌ بناه أهلُهُ بهمةٍ ومَجْدَره (٣)
لو التمست فيه بطّالَ اليدين ؛ لم ترَه
تُقتلُ ، أو تنفى الكُسا لَى فيه غيرَ مُنْذَره
تحكم فيه قيصره فى قومها موقّره
من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهِم مُحرّره

---

١ – التغبير ، ترديد الصوت بالقراءة . –٢– الاختلاج : الاضطراب

٣ – يقال : هذا الأمر مجدرة ذلك ، أى جدير به .

لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البرَره
الملكُ للاناثِ فى الدّستور ، لا للذكره(١)
نيِّرةٌ تنزلُ عن هالتها لنيِّرهْ
فهل تُرى تخشى الطّما عَ فى الرجال والشَّرَه؟(٢)
فطالما تلاعبوا بالهَمَج المصيَّره
وعبروا غفلتها إلى الظهور قنطره
وفى الرجال كرمُ الضعفِ،ولؤمُ المقدره
وفتنةُ الرأى ، وما وراءها من أثَرَه
أُنثى ، ولكن فى جنا حَيْها لَبَاةٌ مُخدِرَه(٣)
ذائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَن كدّره
تقَلَّدتْ إبرتَها وادّرعتْ بالحبَرَه
كأنها تُركيَّة قد رابطت بأنقرُه
كأنها (جاندرك) فى كتيبة مُعسكِره
تَلقَى المُغير بالجنو دِ الخُشُن المنمِّره
السابغين شِكَّةً البالغين جَسَرَه(٤)
قد نَشرتهم جُعبةٌ ونفضتهم مِئبره(٥)
مَن يَبن مُلكا أو يذُد فبالقنا المجرَّره
إن الأُمورَ هِمَّةٌ ليس الأُمورُ ثرثره
ما الملكُ إلا فى ذرى الـ ألوية المُنشَّره

---

١ ــ الذكرة : الذكور .
٢ ــ الطماع : الطمع .
٣ ــ اللباة : اللبوة .
٤ ــ الشكة : السلاح . والجسرة : الجسارة .
٥ ــ المئبرة : بيت الابرة .

عرينُهُ مُذْ كان لا يحميه إلا قَسوَره(١)
رَبُّ النيوب الزُّرْقِ ، والـ مخالبِ المذكَّره

* * *

مالكةٌ ، عاملةٌ مُصلحةٌ ، مُعمِّره
المالُ فى أتباعها لا تَستبينُ أثره
لا يعرفون بينهم أصلًا له من ثمره
لو عَرفوه عرفوا من البلاءِ أكثرَه
واتخذوا نقابةً لأمرهم مسيَّره
سبحان من نزَّه عنـ ـهُ ملكهم وطهَّره
وساسه بحُرَّةٍ عاملةٍ ، مسخره
صاعدةٍ فى معملٍ من معملٍ مُنحدِره
واردةٍ دَسْكَرَةً صادرةٍ عن دسكره(٢)
باكرةٍ ، تستنهضُ الـ عصائب المبكره(٣)
السامعين ، الطائعيـ نَ ، المحسنين المهَرَه
من كلّ من خطَّ البنا ء ، أو أقام أسْطُره
أو شدّ أصلَ عقدِهِ أو سدّه ، أو قوَّره(٤)
أو طاف بالماءِ على جدرانه المجدَّره(٥)

* * *

وتذهب النحلُ خِفا فاً ، وتجيءُ مُوقَره

---

١ — القسورة : الاسد —٢ — الدسكرة : القرية — ٣ — العصائب : جمع عصابة —٤— قورالشيء : قطعه من وسطه خرقا مستديرا —٥— المجـدرة : أى المشيدة .

جوالبَ الشمع من الـ خمائلِ المنوّره
حوالب الماذِىِّ من زهر الرياض الشيّره(١)
مشدودةً جيوبُها على الجَنى مُزرَّره
وكلُّ خُرطومٍ أدا ةُ العسلِ المُمَطَّره
وكل أنف قانئٍ فيه من الشُّهد بُرَه(٢)
حتّى إذا جاءت به جاست خلالَ الأدوره(٣)
وغيبتْه كالسُّلا ف فى الدِّنانِ المحضره(٤)
فهل رأيتَ النحلَ عن أمانةٍ مُقصِّره ؟
ما اقترضت من بَقلةٍ أو استعارت زَهَرَه
أدّت إلى الناس به سُكَّرةً بسكره

فى سبيل الهلال الأحمر

جبريلُ : هلِّلْ فى السماءِ ، وكبِّرِ واكتبْ ثوابَ المحسنينَ وسطِّرِ
سلْ للفقيرِ على تكرُّمِهِ الغنى واطلب مزيدًا فى الرخاء لمُوسِرِ
وادع الذى جَعَل الهلالَ شِعَارَه يفتحْ على أُمَمِ الهلالِ وينصرِ
وتولَّ فى الهيجاءِ جندَ محمَّد واقعدْ بهم فى ذلك المستمطَرِ
يا مِهرجانَ البرِّ ، أنت تحيةٌ لله من ملأٍ كريمٍ خيِّرِ
هم زينوكَ بكلِّ أزهر فى الدّجى واللهُ زانَكَ بالقَبول الأنْوَرِ

---

١ ــ الماذى : العسل . والشيرة :الجميلة الحسنة ــ٢ــ البرة : الحلقة فى الأنف ــ٣ــ الادورة : الديــار ،يراد بها الخلايا هنا ــ٤ــ السلاف : افضل الخمر .

حسُنتْ وجوهُك فى العيون وأشرقتْ … من كلّ أبلجَ فى الأكارمِ أزهر

كثُرتْ عليك أكفُّهم فى صَوْبها … فكأنَّها قِطَعُ الغمامِ المُمطِر

لو يعلمونَ (السوقَ) ما حسناتُها؟ … بيع الحصى فى السوقِ بَيْعَ الجوهر

جبريلُ يَعرضُ، والملائكُ باعةٌ … أينَ المساومُ فى الثوابِ المشترى ؟

ومجاهدين هناكَ عند مُعسكرٍ … ومن المهابةِ بين ألفِ معسكر

مُوفين للأوطانِ بين حياضِها … لا يسمحون بها وبين الكوثر(١)

عرَبٌ على دينِ الأبوّة فى الوغى … لا يطعنون القِرْن مالم يُنْذَر(٢)

أَلِفوا مصاحبةَ السيوفِ، وعُوِّدوا … أخذَ المعاقلِ بالقنا المتشجِّر(٣)

يمشون من تحت القذائفِ نحوَها … لا يسألونَ عن السعيرِ الممطِر

فى أعيُنِ البارى ، وفوق يمينه … جَرْحَى نُجِلُّهمُ، كجرحى خَيْبَر

من كلّ ميمونِ الضِّمادِ ، كأنَّما … دمُ أهل بدرٍ فيه، أو دَمُ حَيْدَر(٤)

جذلانُ ، هَيِّنةٌ عليه جِراحهُ … وجِراحهُ فى قلبِ كلِّ غضنفر

ضُمِدَتْ بأهدابِ الجفونِ ، وطالما … ضُمدتْ بأعراف الجياد الضُّمَّر(٥)

عُوّادُه يتمسّحون برُدْنه … كالوفد مَسَّحَ بالحطِيم الأطهر(٦)

وتكادُ من نور الإلٰه حِيالَه … تبيضُّ أثناءُ (الهلالِ الأحمر)

---

١ ــ أى لا يسمحون بالكوثر بديلامنها لوخيروا بين حياض نيلها وبينه.
٢ــ القرن : الكفء والنظير ــ٣ــ القنا : الرماح ، والمتشجر : المشتبك . ــ٤ــ الحيدر : الأسد ، ولقب من القاب الامام على بن ابى طالب . والضماد : عصابة الجرح ــ٥ــ الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل القليلُ اللحم الدقيق . والأعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس ــ٦ــ الردن : أصل الكم .

الأزهـر (*)

قمْ فى فَمِ الدُّنيا وَحىِّ الأَزهرا ... وانثُرْ على سَمْعِ الزَّمانِ الجوهرا

واجعل مكانَ الدرِّ – إن فصّلته ... فى مدحِهِ – خَرَزَ السماءِ النيِّرا

واذكرْه بعد المسجدَيْن ، مُعظِّمًا ... لمساجدِ الله الثلاثة مُكْبِرا(١)

واخشع مَليًّا ، واقضِ حقَّ أئمَّةٍ ... طلعوا به زُهْرًا ، وماجوا أَبحُرا

كانوا أَجلَّ من الملوكِ جلالةً ... وأَعزَّ سلطاناً ، وأَفخمَ مظْهرًا

زمنُ المخاوفِ كان فيه جَنابُهم ... حَرَمَ الأَمان ، وكان ظِلُّهمُ الذَّرا(٢)

من كلِّ بحرٍ فى الشريعة زاخرٍ ... ويُريكَهُ الخُلُقُ العظيمُ غضنفرا

لا تَحْذُ حذْوَ عِصابةٍ مفتونةٍ ... يجدون كل قديم شىءٍ منكرا

ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا ... من مات من آبائِهم أو عُمِّرا

من كلِّ ماضٍ فى القديم وهَدْمِهِ ... وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا

وأَتى الحضارةَ بالصناعةِ رَثَّة ... والعلمِ نَزْرًا ، والبيانِ مُثَرْثِرا(٣)

* * *

يا معهدًا أفنى القرونَ جِدارُه ... وطوَى الليالىَ رَكْنُهُ والأَعْصُرا

ومشى على يَبَسِ المشارقِ نُورُه ... وأَضاءَ أَبيضَ لُجِّهَا والأَحمرا

وأَتى الزمانُ عليه يحمِى سُنةً ... ويذُودُ عن نُسُكٍ ، ويمنع مَشْعَرا(٤)

(*) قيلت هذه القصيدة بمناسبة اصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه فى سنة ١٩٢٤

١ – المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الاقصى . ٢ – الذرا : الملجأ

٣ – النزر : القليل . والمثرثر : المخلط . ٤ – النسك : العبادة . والمشعر : موضع من مناسك الحج .

فى الفاطميين انتمى ينبوعُه ... عذبَ الأُصول كجَدِّهم متفجِّرا(١)

عينٌ من الفرقان فاض نَميرُها ... وحياً من الفصحى جَرَى وتحدّرا(٢)

ما ضرَّنى أن ليس أُفقُكَ مَطلعى ... وعلى كواكِبهِ تعلمتُ السُّرَى

لا والذى وكَلَ البيان إليكَ ، لم ... أَكُ دون غاياتِ البيانِ مُقصِّرا

لما جرى الإصلاحُ قمت مُهنئًا ... باسم الحنيفةِ بالمزيد مُبشرًا(٣)

نَبأٌ سَرَى ، فكسا المنارةَ حَبْرَةً ... وزها المُصلَّى ، واستخفَّ المِنبرا(٤)

وَسَما بأَرْوِقةِ الهُدى ، فأَحلَّها ... فرعَ الثُّرَيَّا ، وهى فى أَصل الثرى

ومشى إلى الحَلقاتِ ، فانفرجَتْ له ... حلقاً كهالاتِ السماءِ مُنَوَّرا

حتّى ظَنَنَّا الشافِعىّ ، ومالكاً ... وأَبا حنيفة ، وابن جنبل حُضَّرا

إنَّ الذى جعل العتيقَ مثابةً ... جعل الكنانِىَّ المباركَ كوثرا(٥)

العلمُ فيه مناهِلًا ومجانيًا ... يأْتى له النُّزاعُ يبغون القِرى(٦)

* * *

يا فِتيةَ المعمورِ ، سار حديثُكم ... نَدًّا بأَفواهِ الركاب وَعَنبَرا(٧)

المعهدُ القدسِىُّ كان نديِّه ... قُطبًا لدائرة البلاد ومِحْورا

وُلِدَتْ قضيَّتُها على محرابِه ... وَحَبَتْ به طفلًا ، وشبَّتْ مُعصِرا(٨)

وتقدمت تُزجِى الصفوفَ ، كأَنها ... (جانْدَرْكُ) فى يدها اللواءُ مُظَفَّرا

* * *

---

١ ـ جد الفاطميين : امير المؤمنين على بن ابى طالب ، وقد كان مضرب المثل فى التبحر فى العلوم . ـ٢ـ الفرقان : القرآن . والحيا : المطر . والفصحى : اللغة العربية . ـ٣ـ الحنيفة : الشريعة ـ٤ـ المنارة : المئذنة . والحبرة : السرور . ـ٥ـ العتيق : المسجد الحرام . والمثابة : مجمع الزمر . ـ٦ـ النزاع : القصاد والقرى : الضيافة . ـ٧ـ المعمور : الازهر . ـ٨ـ طفلا : اى طفلة ، والمعصر : الفتاة المدركة .

هزُّوا القرى من كهفِها ورقيمِها أنتم ـ لعمْرُ اللهِ ـ أعصابُ القرى
الغافِلُ الأُمِّيُّ ينطقُ عندكم كالببَّغاءِ ، مردِّدًا ، ومُكرِّرا
يُمسِي ويصبحُ فى أوامِرِ دينهِ وأمور دنياه بكم مُستبصِرا
لو قلتم : اخترْ للنيابة جاهلاً أو للخطابةِ باقلاً : لتخيَّرا(١)
ذُكِرَ الرجالُ له ، فألَّهَ عصبةً منهم ، وفسَّق آخرينَ ، وكفَّرا(٢)
آباؤكم قرءُوا عليه ، ورتَّلوا بالأمس تاريخَ الرّجال مُزوَّرا
حتى تلفَّتَ عن محاجر رومةٍ فرأى (عرابى) فى المواكب قيْصَرا
ودعا لمخلوقٍ ، وألَّهَ زائلاً وارتدَّ فى ظُلَمِ العصور القهقرى
وتَفَيَّئوا الدستورَ تحت ظِلالهِ كنفًا أهَشَّ من الرّياض وأنضرا
لا تجعلوه هوًى ، وخُلْقًا بينكم ومَجَرَّ دنيا للنفوسِ ، ومَتْجَرا
اليومَ صَرَّحَتِ الأُمورُ ، فأظهرتْ ما كان من خُدَعِ السياسة مُضمرَا
قد كان وَجْهُ الرأى أن نبقى يدًا ونرى وراءَ جنودِها إنكلترا
فإذا أتتنا بالصفوف كثيرةً جئنا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسَرا
غضِبتْ ، فغضَّ الطرفَ كلُّ مُكابرٍ يلقاكَ بالخدِّ اللطيم مُصعِّرا
لم تلقَ إصلاحاً يُهابُ ، ولم تجِد من كُتلةٍ ما كان أعيا مِلْنَرا(٣)
حَظٌّ رجونا الخيرَ من إقباله عاث المُفرِّقُ فيه حتى أدبرا
دار النيابة هيئت درجاتُها فليرْق فى الدرَج الذوائبُ والذُّرا(٤)

---

١ ـ باقل : عربى يضرب به المثل فى العى والفهاهة . ـ٢ـ فسقه : رماه بالفسق . وكفره : نسبه الى الكفر . ـ٣ـ المراد بالكتلة : الامة مجتمعة . واللورد ملنر : هو أحد الوزراء الأنجليز ، وكان قدم الى مصر فى جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا رغائبها وامالها ، فقاطعتهم البلاد وأحالتهم على الوفد المصرى الذى كانت وكلته فى الدفاع عن حقها اذ ذاك ـ٤ـ المراد بالذوائب والذرا : علية القوم واكفاؤهم .

الصارخون إذا أسيء إلى الحِمَى والزائرون إذا أُغيرَ على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ، ولا الأُلى يمشون فى ذَهَب القيود تبَخْتُرا

وداع فروق

تجلدَ للرحيل ، فما استطاعا وداعاً جَنَّةَ الدنيا وداعا(١)
عسى الأَيامُ تجمعنى ، فإنى أرى العيشَ افتراقاً واجتماعا
ألا ليتَ البلادَ لها قلوبٌ — كما للناسِ — تنفطرُ التِياعا(٢)
وليتَ لدى (فروقٍ) بعضَ بَثّى وما فعل الفراقُ غداةَ راعا(٣)
أما واللهِ ، لو علِمتْ مكانى لأَنطقت المآذنَ والقلاعا
حَوَتْ رِقَّ القواضب والعَوالى فلما ضفتُها حوت اليَراعا(٤)
سأَلتُ القلبَ عن تلك الليالى أكُنَّ لياليًا أم كُنَّ ساعا ؟(٥)
فقال القلبُ : بل مرَّت عِجالاً كدقَّاتى لذكراها سِراعا
أدارَ (محمد) وتراثَ (عيسىٍ) لقد رَضِياكِ بينهما مشاعا(٦)
فهل نبذ التعصُّبَ فيكِ قومٌ يمد الجهلُ بينهم النِزاعا ؟
أرى الرحمٰنَ حصَّنَ مسجديه بأَطولِ حائط. منكِ امتناعا
فكنتِ لبيته المحجوجِ ركناً وكنتِ لبيتِه الأَقصى سِطاعا(٧)

---

١ — تجلد : تكلف الجلد واظهره . والجلد : قوة الصبر .
—٢— تنفطر : تنشق . والالتياع :احتراق القلب من الهم او الشوق .
—٣— فروق : الاستانة والبث : اشد الحزن . راع : أفزع —٤— القواضب : السيوف القاطعة ، مفردها : قاضب ٠ والعوالى : جمع عالية ، وهى من الرمح أعلى رأسه ، أو نصفه الذى يلى السنان ، أو ما دخل منه تحت السنان الى ثلثه . —٥— الساع : جمع ساعة
٦— المشاع (بفتح الميم وضمها) :المشترك غير المقسوم .
٧ — السطاع : عمود البيت .

هواؤكِ والعيونُ مُفجَّرات ... كفى بهما من الدنيا متاعا(١)
وشمسُكِ كلما طلعتْ بأُفْقٍ ... تخطَّرَتِ الحياةُ به شُعاعا
وغِيدُك ، هنّ فوق الأَرض حورٌ ... أوانسُ ، لا نقابَ ولا قِناعا
حَوالَىْ لُجَّةٍ من لازَوَرْدٍ ... تعالى اللهُ خَلْقًا وابتداعا
يروح لُجَيْنُها الجارى ويَغدو ... على الفِردوسِ آكاماً وقاعا(٢)

رحالة الشرق(*)

أَقدِمْ ، فليس على الإقدام مُمتنع ... واصنع به المجدَ ، فهو البارعُ الصَّنَعُ(٣)
للناس فى كل يومٍ من عجائبِه ... ما لم يكن لامرئٍ فى خاطر يقع
هل كان فى الوهم أن الطير يخلُفها ... على السماء لطيفُ الصُّنْع ، مُخْتَرِع؟
وأن أدراجَها فى الجوِّ يسلكها ... جنٌّ ، جُنودُ سليمانٍ لها تَبَع ؟
أعيا العُقَابَ مَداهُم فى السماء ، وما ... راموا من القُبّة الكبرى ، وما فرَعوا(٤)
قل للشباب بمصر : عَصْرُكم بطَلٌ ... بكل غايةِ إقدامٍ له وَلَع
أُسُّ الممالك فيه هِمّةٌ وحِجًى ... لا الترهاتُ لها أُسٌّ ، ولا الخدع
يُعطى الشعوبَ على مقدار ما نبغوا ... وليس يبخسُهم شيئًا إذا برعوا

---

١ ـ العيون : هى عيـــون الماء . ـ٢ـ لجينها : اى اللجنة . واللجين : الفضة . والاكام : التلال . والقاع :ارض سهلة مطمئنـــة انفرجت عنها الجبال والآكام .

(*) بعد رحلة طويلة شـــاقة فى صحراء ليبيا ، استطاع الرحالة المصرى الكبير احمد حسنين ، أن يســـدى الى العلم يدا بيضاء ، وأن يكشـــف للناس عن مجاهل هذه البيداء ، فلما عاد قابلته البلاد بالحفاوة والترحاب ، واحتفل به القوم احتفالا فخما القيت فيه هذه القصيدة . ـ٣ـ الصنع : الحاذق . ـ٤ـ فرع الجبل : صعده .

ماذا تُعدُّون بعد البرلمان له ... إذا خِيارُكمُ بالدُّولة اضطلعوا ؟(١)

البَرُّ ليس لكم فى طوله لُجُمٌ ... والبحر ليس لكم فى عرضه شُرُع(٢)

هل تنهضون عساكُم تلحقون به ؟ ... فليس يلحق أهلَ السير مُضطَجِع

لا يُعجِبنَّكمُ ساعٍ بتفرقةٍ ... إن المِقصَّ خفيفٌ حين يقتطع

قد أشهدوكم من الماضى وما نبشت ... منه الضغائنُ ما لم تشهد الضُّبُع

ما للشباب وللماضى تمرُّ بهم ... فيه على الجيف الأحزابُ والشيَع ؟

إنّ الشبابَ غدٌ ، فليهْدِهم لغدٍ ... وللمسالك فيه الناصحُ الوَرِع

لا يَمنعنَّكُمُ برُّ الأُبوّةِ أن ... يكون صُنعكمُ غيرَ الذى صنعوا

لا يُعجبنَّكُمُ الجاهُ الذى بلغوا ... من الولاية ، والمالُ الذى جمعوا

ما الجاهُ والمالُ فى الدنيا وإن حَسُنا ... إلّا عوارِىُّ حظٍّ ثم تُرتجَع(٣)

عليكُمُ بخيال المجد ، فأْتَلِفوا ... حِيالَهُ ، وعلى تِمثاله اجتمعوا

وأَجْمِلوا الصبرَ فى جِدٍّ وفى عمل ... فالصبر ينفعُ ما لا ينفعُ الجزَع

وإن نَبَغتُمْ ففى علم ، وفى أدب ... وفى صناعات عصرٍ ناسُه صُنُع

وكلُّ بنيان قومٍ لا يقوم على ... دعائم العصرِ من رُكنيهِ ؛ مُنْصَدِع

شريفُ مكة حُرٌّ فى ممالِكه ... فهل تُرى القومُ بالحرّية انتفعوا؟

* * *

كم فى الحياة من الصحراء من شَبَهٍ ... كلتاهما فى مُفاجاة الفنى شَرَع(٤)

وراء كلِّ سبيلٍ فيهما قَدَرٌ ... لا تعلمُ النفسُ ما يأْتى وما يَدَع

---

١ ـ اضطلعوا : أى نهضوا بهـا ـ٢ـ الشرع : جمع الشراع . والمراد بها هنا السفن ، من اطلاق الجـزءعلى الكل . واللجم ، والشرع : يراد بها قوة البر ، وقـوة البحـر .ـ٣ـ العوارى : جمـع عارية ، وهى العطية بلا عوض . ـ٤ ـ شرع : أى سواء .

فلستَ تدرى – وإن كنتَ الحريصَ – متى تهُبُّ رِيحاهما ، أو يَطلعُ السبعُ ؟
ولستَ تأمنُ عند الصحو فاجئةً من العواصف ، فيها الخوفُ والهَلَع
ولست تدرى – وإن قدَّرتَ مجتهِدًا – متى تحُطُّ رحالًا ، أو متى تَضَع ؟
ولست تمْلكُ من أمر الدليل سوى أنَّ الدليلَ – وإن أرداك – مُتَّبَع
وما الحياةُ إذا أظْمَت ، وإن خدَعت إلّا سرابٌ على صحراءَ يلتمِع

* * *

أكبرتُ من (حَسَنينٍ) هِمَّةً طمَحَتْ تَرومُ ما لا يرومُ الفِتيةُ القُنُع
وما البطولةُ إلّا النفْسُ تدفعها فيما يبلِّغُها حَمْدًا ، فتندفع
ولا يُبالى لها أهلٌ إذا وصلوا طاحوا على جَنَباتِ الحمدِ أم رجَعوا
رَحّالةَ الشرق ، إن البيدَ قد علمتْ بأنك الليثُ لم يُخلَق له الفَزَع
ماذا لقيتَ من الدوِّ السحيق ، ومِن قَفْرٍ يَضيقُ على السارى ، ويتسع ؟(١)
وهل مررْتَ بأقوامٍ كفِطرتِهم من عهد آدمَ لا خُبْثٌ ولا طَبَع ؟(٢)
ومن عجيبٍ لغير اللهِ ما سجدوا على الفَلا ، ولغير الله ما ركعوا
كيف اهتدى لهمُ الإسلامُ ، وانتقلتْ إليهمُ الصلواتُ الخمسُ والجُمع ؟
جَزتْكَ مصرُ ثناءً أنتَ موضِعُه فلا تذُبْ من حياءٍ حين تستمِعُ
ولو جزَتْك الصحارى جِئْتَنا مَلِكًا من الملوك ، عليك الريشُ والوَدَع(٣)

---

١ – الدو : المفازة . –٢– الطبع : الشين : والعيب ، والدنس
–٣– الريش والودع : عنوان العظمة فى أواسط افريقيا .

بـــراءة (*)

النَّاسُ للدنيا تَبَع ولمن تُحالِفُه شِيَع
لا تَهجعنّ إلى الزما ن ، فقد يُنَبّه مَنْ هجع (١)
واربأْ بحلْمكَ فى النوا زلِ أن يُلِمّ به الجزع
لا تخلُ من أملٍ ، إذا ذهب الزمانُ فكَمْ رجَع
وانفع بوسعِك كلِّه إن الموفَّقَ مَنْ نفع

* * *

مصر بنت لقضائها ركنًا على النجمِ ارتفع
فيه احتمى استقلالُها وبه تحصّن وامتنع
فليهنِها ، وليهنِنا أن القضاءَ به اضطلع (٢)
اللهُ صان رجالَه مما يُدنِّسُ أو يَضع
ساروا بسيرة منذِرٍ وأبى حنيفة فى الورَع
وكأن أيام القضا ء جميعها بهمُ الجُمَع
قل للمُبرَّإِ مُرْقُصٍ : أنت النقىُّ من الطَّبَع (٣)
هذا القضاءُ رماك بال يُمنَى ، وباليسرى نزع
هذا قضاءُ اللهِ ثُمّ تلَّ الحكومةِ ، مُتّبَع
عُد للمحاماة الشرِد فةِ عَوْدَ مشتاقٍ وَلِع

(*) حرم الاستاذ مرقص فهمى حينا من الاشتغال بالمحاماة ، ثم براه القضاء من تلك التهمـــة التى عزبت اليه ، فاحتفل بعـــودته الى المحاماة احتفالا القيت فيه هذه القصـيدة .

١ ــ الهجوع : النوم . ٢ ــ اضطلع : قوى .

٣ ــ الطبع : الشين والعيب . .

والبسْ ردِاءكَ طاهرًا كرداء مرقص فى البِيَع(١)
وادفع عن المظلوم وال محروم أبلغَ مَنْ دفع
واغفر لحاسِدِ نعمةٍ بالأمسِ نالك أو وقع(٢)
ما فى الحياةِ لأن تعا تِبَ أو تُحاسِبَ ؛ مُتَّسَع

الصحافة(*)

لكلٍّ زمانٍ مضى آيةٌ وآيةُ هذا الزمانِ الصُّحُف
لسانُ البلادِ ، ونبضُ العباد وكهفُ الحقوق ، وحربُ الجنَف(٣)
تسيرُ مسيرَ الضحى فى البلاد إذا العلمُ مزَّق فيها السَّدف(٤)
وتمشى تُعلِّمُ فى أمةٍ كثيرةِ مَنْ لا يخُطُّ الألِف!
فيا فتيةَ الصحْف ، صبرًا إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإنَّ السعادةَ غيرُ الظهو رِ ، وغيرُ الثراءِ ، وغيرُ الترف
ولكنها فى نواحى الضمير إذا هو باللوْم لم يُكتنف
خذوا القصدَ ، واقتنعوا بالكفاف وخلوا الفضولَ يغلْها السَّرف(٥)
وروموا النبوغَ ، فمن ناله تلقَّى من الحظِّ أسنى التحَف
وما الرزقُ مجتنِبٌ حِرْفَةً إذا الحظُّ لم يهجر المحترِف

---

١ ـ البيع : جمع بيعة ، وهى متعبدللنصارى . ـ٢ـ وقع فلان فى فلان: سبه وعابه . (*) ألف اصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم ، وقد القيت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشائها . ـ٣ـ الجنف : الحيف . . ـ٤ـ السدف : الظلام ـ٥ـ الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة وغالها السرف بقولها : اتى عليها .

إذا آختتِ الجوهرىَّ الحظوظ ... كفلنَ اليتيمَ له فى الصَّدف(١)

وإن أعرضت عنه لم يحلُ فى ... عيونِ الخرائد غيرُ الخزف(٢)

* * *

رعى اللهُ ليلتكم ، إنها ... تلت عنده ليلةَ المنتصَف(٣)

لقد طلع البدرُ من جُنْحها ... وأوما إلى صُبحِها أن يقف

جلوتم حواشيَهَا بالفنون ... فمن كل فنٍّ جميل طَرف

فإن تسألوا : ما مكانُ الفنون؟ ... فكم شرفٍ فوق هذا الشرف(٤)

أريكةُ (موليبرَ) فيما مضى ... وعرشُ (شِكسبيرَ) فيما سلف

وعودُ (ابنِ ساعدةٍ) فى عُكاظَ ... إذا سال خاطره بالطُّرَف(٥)

فلا يَرْقَيَنْ فيه إلاَّ فتًى ... إلى درجات النبوغ انصرف

تُعلِّمُ حكمتُه الحاضرين ... وتُسْمِعُ فى الغابرين النُّطف(٦)

* * *

حمدنا بلاءَكُم فى النضالِ ... وأمسِ حمدنا بلاءَ السلف

ومن نسىَ الفضلَ للسابقين ... فما عرف الفضلَ فيما عرف

أليس إليهم صلاح البناء ... إذا ما الأساس سما بالغرف ؟

فهل تأذنون لذى خَلَّةٍ ... يَفضُّ الرياحين فوق الجيف؟

فأين (اللواءُ) ، وربُّ اللواءِ ... إمامُ الشباب ، مثالُ الشرف ؟(٧)

---

١ ـ اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير ـ٢ـ الخرائد : العذارى . ـ٣ـ المنتصف : منتصف شعبان . ـ٤ـ الشرف أولا : العلو والمجد . والشرف ثانيا : الموضع العالى ، وهو هنا المسرح ـ٥ـ عود ابن ساعدة : أى منبر قس بن ساعدة ؛ وهو اخطب خطباء الجاهلية ـ٦ـ الغابرين : الآتين . والنطف : جمع نطفة ، وهى اصل النسل . ـ٧ـ رب اللواء : المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء

وأين الذى بينكم شِبْلُه على غاية الحق نِعْمَ الخلف ؟

ولا بدّ للغرس من نقله إلى من تعهّد ، أو من قطف

فلا تجحدنَّ يدَ الغارسين وهذا الجَنى فى يديك اعترف

أولئك مَرُّوا كدود الحرير شجاها النَّفاعُ وفيه التلف(١)

عيــد الفداء (*)

أما العتابُ ، فبالأحبّة أخلَقُ والحبُّ يصلُحُ بالعتاب ويصدُق

يا من أُحِبُّ ، ومن أُجِلُ ، وحسْبه فى الغِيدِ منزلةً يُجَلُّ ويُعشَق

البُعْدُ أدنانى إليكَ ، فهل تُرى تقسو وتنفرُ ، أم تلين وترفُق ؟

فى جاهِ حسنِك ذِلَّتى وضراعتى فاعطِف ، فذاك بجاهِ حُسنكَ أليق !

* * *

خَلُقَ الشباب ، ولا أزال أصونُه وأنا الوفىُّ ، مَوَدّتى لا تَخلُق(٢)

صاحبته عشرين غيرَ ذميمةٍ حالى به حالٍ ، وعَيْشىَ مُونِق(٣)

قلبى ، ادّكرتَ اليوم غير مُوَفَّقٍ أيامَ أنتَ مع الشبابِ موفَّق

فخفقتَ من ذكرى الشبابِ وعهدِه لهفى عليك ! لكل ذكرى تخفُق

كم ذُبتَ من حُرَقِ الجوَى ، واليوم من أسِفٍ عليه وحسرةٍ تتحرَّق

---

١ ــ النفاع : النفع ۰ (*) كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضــجة هائلة ، ولعلها اســـتمدت معظمها من تلك الابيات التى تنطق فيهاذكرى الشباب، والتى قلما وفق الى مثلها شــاعر ،ولقد نظمت هذه القصيدة معارضــة لأخرى من رويها للمرحوم اسـماعيل صبرى باشا . ــ٢ــ خلق الشىء : بلى .

٣ ــ الحالى : الحلو ، او المزين .

كنتَ الشِّباكَ ، وكان صيدًا فى الصِّبا ... ما تسترِقُّ من الظباء وتُعتِق
خدَعتْ حبائلك المِلاحَ هُنيةً ... واليومَ كلُّ حِبالةٍ لا تَعلَق
هل دون أيام الشبيبة لفتى ... صفوٌ يحيطُ به ، وأُنسٌ يُحدِق؟

نكبة بيروت

يا ربِّ ، أمرُك فى الممالكِ نافذٌ ... والحكمُ حكمُكَ فى الدمِ المسفوك
إن شئت أهرِقْهُ ، وإن شئت احمِهِ ... هو لم يكن لسواك بالمملوك
واحكم بعدلِكَ ، إن عدلَكَ لم يكن ... بالمُمترَى فيه ، ولا المشكوك
ألِأَجل آجال دنت وتهيّأت ... قدّرتَ ضربَ الشاطئِ المتروك ؟
ما كان يحميه ، ولا يُحمَى به ... فُلكان أنعَمُ من بواخر « كوك »(١)
هٰذى بجانبِها الكسيرِ غريقةٌ ... تهوى ، وتلك بركنها المدكوك

* * *

بيروتُ ، مات الأُسْدُ حتفَ أنوفِهم ... لم يُشهروا سيفًا ، ولم يحموك
سبعون ليثًا أحرِقوا ، أو أُغرقوا ... يا ليتهم قُتِلوا على « طبروك »
كلٌّ يصيد الليثَ وهو مقيَّدٌ ... ويعزُّ صيد الضَّيغَمِ المفكوك
يا مضربَ الخِيَم المنيفة للقِرى ... ما أنصف العُجمُ الأُلى ضربوك(٢)
ما كنتِ يوماً للقنابل موضعاً ... ولو أنها من عسجد مسبوك
بيروتُ ، ياراحَ النزيلِ ، وأُنسَهُ ... يمضى الزمانُ علىّ لا أسلوك

---

١ ـ قيلت على أثر ضرب الأسطول الايطالى مدينة بيروت . ـ ١ ـ أى لم تكن تستطيع حمايته هاتان السفينتان الصغيرتان اللتان أعدتا به للرياضة والتنعم ؛ لا للحرب والقتال . ـ٢ـ القرى : الضيافة .

الحسنُ لفظاً في المدائنِ كلِّهَا ووجدتُه لفظًا ومعنًى فيك

نادمتُ يوماً في ظِلالِكِ فتيةً وَسَمُوا الملائكَ في جلالِ ملوك(١)

يُنسونَ (حساناً) عصابة (جِلِّقٍ) حتى يكاد بجلق يفديك(٢)

تاللهِ ما أحدثتِ شرّاً أو أذىً حتى تُراعِي ، أو يُراعَ بَنوك

أنتِ التي يحمى ويمنع عِرضَها سيف الشريفُ، وخِنجرُ الصُّعلوك

إن يجهلوكِ ؛ فإنَّ أمّكِ سوريا والأَبلقَ الفردَ الأَشَمَّ أبوك(٣)

والسابقين إلى المفاخر والعُلا بَلْهَ المكارمَ والندى أهلوك

سالت دماءٌ فيكِ حول مساجدٍ وكنائسٍ ، ومدارسٍ و « بُنوك »

كنا نؤمِّل أن يُمَدّ بقاؤها حتى تَبِلَّ صدَى القنا المشبوك

لكِ في رُبَى النيلِ المبارَك جِيرةٌ لو يقدِرون بدمعهم غسلوك

تكليل أنقرة وعزل الآستانة

قُمْ ناد (أنقرةً) وقل: يَهنيك مُلْكٌ بَنَيْتِ على سيوفِ بَنِيكِ

---

١ ــ وسمه في الحسن فوسمه : أي غلبه فيه ــ٢ــ حسان بن ثابت : شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . وعصابة جلق : هم ملوك غسان . وجلق : هي دمشق . وكان حسان بن ثابت كثيرا ما يفد على آل غسان، ويمدحهم ، وينال منحهم ، فمما يناسب هذا المقام قوله :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه ، كريمة أحسابهم شم الأنوف ، من الطراز الأول

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

(٣) الأبلق : جبل لبنان .

أَعطيتِه ذَوْدَ اللبَاةِ عن الشرى ... فأَخاتِه حُرًّا بغيرِ شريك(١)
وأَقمتِ بالدّم جانبيْه ، ولم تزلْ ... تُبنى المَمالكُ بالدّم المسفوك
فعقدتِ تاجَكِ من ظُبًى مسلولة ... وحللت عرشك من قناً مشبوك(٢)
تاجٌ ترى فيه إذا قلّبته ... جهدَ الشريفَ ، وهِمةَ الصُّعلوك(٣)
وترى الضحايا من معاقد غاره ... وعلى جوانب تِبْرِهِ المسبوك(٤)
وتراه فى صَخَب الحوادث صامتاً ... كالصخر فى عَصْفِ الرياح النُّوك(٥)
خرزاتُه دَمُ أُمّةٍ مهضومة ... وجهودُ شعب مُجْهَدٍ منهوك
بالواجب التمس الحقوقَ ، وخاب مَن ... طلب الحقوقَ بواجب متروك
لا الفردُ مَسَّ جبينَكِ العالى ، ولا ... أعوانُه بأَكفِّهم لمَسوك(٦)
لمَّا نفرْتِ إلى القتال جماعةً ... أَصلَوْك نارَ تلصُّصٍ وفُتوك(٧)
هدروا دماءَ الأُسْدِ فى آجامها ... والأُسْدُ شارعةُ القَنا تحميك(٨)

---

١ — الذود : مصدر ذاده عن الشىء : دفعه عنه . واللبــاة أنثى الاسد . والشرى : مكان فى جــانب الفرات ، تكثر فيه الاسود ، ويضرب به المثل فى ذلك —٢— الظبى : جمــع ظبة . وهى حد السيف والسنان ونحوهما —٣— الجهد ، بضم الجيم وفتحها : الطاقة . وقيل المشقة —٤— المعاقد : مواضع الانعقاد . والغــار : شجر عظيم ، واحدته غــارة ، وكان الاغريق الاقدمون والرومــان أيضــا يضفرون منه أكاليل لابطالهم المنتصرين فى الحروب . والتبر : الــذهب غــير المضروب . المسبوك : المذوب المفرغ فى القالب —٥— الصخب : الصوت شديدا وعصف الرياح : اشتدادها . والنوك : جمع نوكاء ، وهى الحمقــاء —٦— لا الفرد : أى لا الفرد المستبد بالحكم والخطاب لانقرة ، ويريد بالفــــرد . السلطان محمد وحيد الدين وأعوانه : وزراؤه الذين أرادوا أن يخمدوا حركة الاناضول ضد اليونان والانجليز —٧— نفرت الى القتال : ذهبت اليه مسرعة . وأصلوك : أحرقــوك ، أى أولئــك الاعوان . والتلصص : أن يصــــير الانسان لصا . وأن يتخلق بأخــلاق اللصوص . والفتوك : مصــدر فتك : أى بطش . وفتك فلان فى الخبث : اذا بالغ فيه —٨— الأجمة : الشجر الكثير الملتف ، جمعها أجم بفتــح الجيم ، وجمع الجمع آجــام ، وهو الوارد فى البيت . وهو يشير الى فتوى شرعية كانت حكومة الاستانة قد اذاعتهــا فى أول أمر الفاتحين فى الاناضول ، تحلل بها قتالهم .

يابنت (طوروسَ) الممرَّدِ، طأطأتْ ... شُمُّ الجبال رءُوسَها لأَبيك(١)

أمْعنتُما فى العزّ، واستعْصَمْتُما ... هو فى السحاب، وأنت فى أهليك(٢)

نحتَ الشعوبُ من الجبال ديارَهم ... والقومُ من أخلاقِهم نحتوك

فلو انّ أخلاقَ الرجالِ تَصَوَّرتْ ... لرأيتِ صخرتَها أساساً فيك

إنَّ الذين بَنَوْكِ أشبهُ نيَّةً ... بشباب (خيْبرَ)، أو كهولِ (تبُوك)(٣)

حَلفوا على الميثاق؛ لا طَعِموا الكرى ... حتّى تذوقى النصرَ، هل نصروك؟(٤)

زَعموا (الفرنسىَّ) المحجّل صورةً ... فى حلْبةِ الفرسان من حاميك(٥)

(النسرُ) سَلَّ السيفَ يَبْنى نفسَه ... وفتاكِ سَلَّ حسامه يَبنيك(٦)

والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى ... ووجدتُ نسرَكِ ليس بالمملوك

يادولةَ الخلُق التى تاهت على ... ركن السِّماكِ بركنِها المسموك(٧)

بينى وبينك ملَّةٌ وكتابُها ... والشرق يَنميني كما يَنميك

قد ظنّنى اللاحى نطقت عن الهوى ... وركِبت متنَ الجهلِ إذ أطريك(٨)

لم يُنقِذِ الإسلامَ أو يرفعْ له ... رأساً سوى النفرِ الأُلى رفعوك

رَدُّوا الخيالَ حقيقةً، وتطلعوا ... كالحق حَصْحَصَ من وراءِ شكوك(٩)

١ـ طوروس: جبل عظيم فى آسيا الصغرى. والممرد: المطول الملس ـ٢ـ امعنتما: ابعدتما. واستعصمتما: امتنعتما ـ٣ـ خيبر اسم مكان كان به سبعة حصون، غزاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبوك: أرض بين المدينة والشام نسبت اليها غزوة من غزوات النبى ايضا ـ ٤ـ الميثاق: أمور كان القائمون بدعوة القتال قد أخذوا على انفسهم ان يقاتلوا حتى تتم للأمة ـ٥ـ الفرنسى: نابليون بونابرت ـ٦ـ النسر: لقب نابليون. يريد بفتاك ـ فى هذا البيت، وبحاميك ـ فى البيت قبله ـ مصطفى كمال ـ٧ـ السماك: كوكب معررف. والمسموك: المرفوع ـ٨ـ اللاحى: اللائم متن الجبل: ظهره ـ٩ـ حصص الحق: بان بعد كتمانه.

لم أكذِبْ التاريخَ حينَ جعلتُهم ... رُهبانَ نسْك ، لا عجُولَ نسيك(١)

لم ترضَنى ذَنبًا لنجْمكِ همَّتى ... إن البيان بنجمه يُنبيك(٢)

قلمى – وإن جهِل الغبىُّ مكانَه – ... أَبقَى على الأَحقاب من ماضيك(٣)

ظفرتْ بيونانَ القديمةِ حكمتى ... وغزا الحديثة ظافِرًا غازيك

* * *

منى لَعهدكِ يا (فروقُ) تحيَّةٌ ... كعيونِ مائك ، أَو رُبَى واديك(٤)

أَو كالنسيم غدا عليك ، وراح من ... فُوفِ الرياضِ ، ووَشْيِها المحبوك(٥)

أَو كالأَصيل جرى عليك عقيقُه ... أَو سالَ من عِقْيانه شاطيك(٦)

تلك الخمائلُ والعيونُ ، اختارها ... لك من رُبَى جنّاتهِ باريك(٧)

قد أفرَغت فيك الطبيعةُ سحرها ... من ذا الذى من سحرها يَرْقيك ؟

خلعت عليكِ جمالَها ، وتأَمّلت ... فإذا جمالُكِ فوق ما تكسوك

تاللهِ ما فَتَنَ العيونَ ولذَّها ... كقلائد الخُاجانِ فى هاديك

عن جِيدكِ الحالى تلفّتتِ الرُّبى ... واستضحكتْ حُورُ الجِنانِ بفيك

إن أنسَ لا أنس الشبيبةَ ، والهوى ... وسوالفَ اللذاتِ فى ناديك(٨)

وليالِيًا لم ندر أَين عِشاؤها ... من فجرها لولا صياحُ الديك

١– النسيك : الذهب والفضة –٢– ينبيك : يخبرك –٣– الاحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، قيل : هو ثمانون عاما ، وقيل : هو الدهر –٤– فروق : هى الاستانة –٥– فوف الرياض : زهرها ، تشبيهالها بقوف الثياب ، وهى نوع من برود اليمن • والوشي : نمنمة الثوب وتحسينه ، وهو أيضا نوع من الثياب الموشية ، تسميةلها باسم المصدر . والمحبوك – من حبك الحائك الثوب : حسن أثر الصنعة فيه –٦– الاصيل : هو مابعد العصر الى المغرب . والعقيان : الذهب الخالص –٧– الخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف –٨– ان انس لا انس : أى ان نسيت شيئا فلست انسى الشبيبة .. الخ .

وصَبُوحَنا من (بَندِلارَ) وشِرْشرٍ ... وغَبُوقَنا (بتَرابِيا) و (بُيوك)(١)

لو أن سلطانَ الجمالَ مخلَّدٌ ... لمليحة ؛ لعذلتُ من عذلوك

خلعوكِ من سلطانِهم ، فسليهِمُ ... أمن القلوب ومُلكِها خلَعوك ؟

لا يَحزُنَنَّكِ من حُماتِكِ خطةٌ ... كانت هى المُثلى ، وإن ساءُوك

أيُقالُ : فتيانُ الحمى بك قصّروا ... أم ضيَّعوا الحرماتِ ، أم خانوك؟

وهمُ الخفافُ إليك ، كالأنصار إذ ... قلَّ النصير ، وعزَّ مَنْ يفديك

المشتَروكِ بمالهم ، ودمائهم ... حين الشيوخُ بجُبّة باعوك

هدروا دماءَ الذائدين عن الحمى ... بلسان مفتى النارِ ، لا مُفتيك(٢)

شربوا على سرِّ العدوِّ ، وغرّدوا ... كالبُومِ خلف جِدارك المدكوك(٣)

لو كنتِ (مَكَّةَ) عندهم لرأيتِهم ... (كمحمدٍ) و(رفيقِه) هجروك(٤)

* * *

يا راكب الطامى يجوبُ لجاجَه ... مِن كل نَيِّرة وذات حُلوك(٥)

إن جئتَ (مرمرةً) تحثُّ الفُلْكَ فى ... بَهج ، كآفاق النعيم ، ضحوك(٦)

وأتيت (قرن التبر) ثَمَّ تحفُّهُ ... تُحفُ الضحى من جوهرٍ وسلوك(٧)

فاطلع على (دار السعادة) ، وابتهل ... فى بابها العالى ، وأَدِّ ألوكى(٨)

١ــ الصبوح : شراب الصباح . والغبوق : شراب العشى . وبندلار ، وترابيا ، وبيوك : أسماء أمكنة فى الاستانة ــ٢ــ الذائدين عن الحمى : جمع ذائد ، وهو المدافع . ومفتى النار : شيخ الاسلام الذى أفتى بقتالهم ــ٣ــ شربوا : اى الشيوخ ــ٤ــ عندهم : عند فتيان الحمى الذين اشتروك بمالهم ودمائهم ــ٥ــ الطامى: البحر . واللجاج : جمع لجة . من كل نيرة : اى كل لجة نيرة بيضاء . يكنى بذلك عن البحر الابيض المتوسط . وذات حلوك : اى ومن كل لجة سوداء ذات حلوك ، يكنى بذلك عن البحر الاسود ــ٦ــ مرمرة : هو بحر مرمرة تدخله من مضيق الدردنيل ، ويصله بالبحر الاسود مضيق البسفور ــ ٧ــقرن التبر : هو القرن الذهبى ، وهو جزء من السفور ــ٨ــ دار السعادة : هى الاستانة . والالوك : الرسالة .

قُل للخلافةِ قولَ باكٍ شمسَها ... بالأَمس لما آذنت بدُلوكِ(١)

يا جذوةَ التوحيدِ ، هل لك مُطفِئٌ ... واللهُ جلّ جلالُه مُذكيك ؟(٢)

خلتِ القرونُ ، وأَنت حربُ مُمالكٍ ... لم يغفِ ضدُّك ، أَو ينَم شانيكِ(٣)

يرميكِ بالأُممِ الزمانُ ، وتارةً ... بالفرد واستبدادِه يرميك

عودى إلى ماكنتِ فى فجر الهدى ... عُمَرٌ يسوسُك ، (والعتيقُ) يليك(٤)

إن الذين توارثوكِ على الهوى ... بعد (ابن هندٍ) طالما كذبوك(٥)

لم يلبسوا بُردَ النبى ، وإنما ... لبِسوا طقوسَ الروم إذ لبِسوك

إنى أُعيذُكِ أن تُرَىْ جبارةً ... كالبابَوِيَّة فى يَدَىْ (رُدريك)

أَو أن تَزُفَّ لك الوِراثةُ فاسقًا ... (كيزيدَ) ، أَو كالحاكم المأفوك(٦)

فُضِّى نُيوبَ الفردِ ، ثم خذى به ... فى أَىّ ثَوْبَيْه به جاءُوك(٧)

لا فرق بين مُسَلَّطٍ متوّج ... ومُسَلَّط فى غير ثوب مليك

إنى أرى الشورى التى اعتصموا بها ... هى حبلُ ربِّكِ ، أَو زمام نَبِيكِ

١ـ الدلوك : غروب الشمس ـ٢ـ مذكيك : موقدك ـ٣ـ لم يغف : لم ينم . والشانىء : المبغض ـ٤ـ يشير الى ترك الملك المحصور فى أسرة واحدة ، والرجوع الى جعله حقا يتولاه من تبايعه الامة ، كما كان لعهد الخلفاء الراشدين ـ٥ـ ابن هند : هو معاوية بن أبى سفيان أول الخلفاء من بنى أمية ـ٦ـ يزيد : هو يزيد بن الوليد : من ملوك بنى أمية ، كان من أصحاب الدعارة والفسوق . والحاكم : هو الحاكم بأمر الله أحد الملوك الفاطميين فى مصر ، كان فاسقا مختبلا وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسرا ـ٧ـ فضى نيوب الفرد : أنثريها ، ومنه قولهم فض الله فم فلان : أى نثر أسنانه . والنيوب : جمع ناب .

عيد الدهر وليلة القدر(*)

الملكُ بين يديكَ فى إقباله ... عوَّذتُ مُلكَكَ بالنبى وآله(١)

حُرٌّ ، وأنت الحرُّ فى تاريخِهِ ... سمحٌ ، وأنت السمحُ فى أقياله(٢)

فِيضا على الأوطانِ من حُريةٍ ... فكِلاكما المفتكُّ من أغلاله(٣)

سعِدَت بعهدكما المباركِ أمةٌ ... رَقَّت لحالِكَ حقبةً ، ولحاله(٤)

يَفديكَ نصرانيُّه بصليبه ... والمنتمى (لمحمدٍ) بهلاله

وفتى الدروزِ على الحُزون بشيخه ... والموسَوىُّ على السهولِ بماله(٥)

صدَقوا الخليفةَ طاعةً ومحبة ... وتمسكوا بالطُّهر من أذياله

يجدون دولتَك التى سَعِدوا بها ... من رحمةِ المولى، ومن أفضاله

جدّدت عهد (الراشدين) بسيرةٍ ... نسجَ (الرشادُ) لها على مِنواله

بُنيت على الشورى كصالح حكمهم ... وعلى حياةِ الرأى واستقلاله

حقٌّ أعزَّ بك المهيمنُ نصرَه ... والحقُّ منصورٌ على خُذَّاله(٦)

شرُّ الحكومةِ أن يُساسَ بواحدٍ ... فى الملك أقوامٌ عِدادٌ رماله

مُلْكٌ تُشاطِرُهُ ميامنَ حالِه ... وترى بإذن الله حُسنَ مآله(٧)

(*) « قيلت فى احتفال بالمولد النبوى الشريف » -١- الملك بين يديك : الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس -٢- حر : أى الملك ، يريد أنه غير مقيد بسلطة الفرد المستبد . وانت الحر فى تاريخه ، لان الخليفة محمد رشاد أول خليفة دستورى . وسمح ، يقال : رجل سمح ، أى ذو سماحة وعطاء . والاقيال : جمع قيل، وهو الملك -٣- كلاكما : اى انت والملك والمفتك : المطلق ، والأغلال : جمع غل بضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل فى العنق -٤- الحقبة : المدة من الدهر -٥- الحزون : جمع حزن ، بفتح الحاء ، ما غلظ من الارض -٦- الخذال : جمع خاذل ، وهو الذى لا ينصرك -٧- الميامن : جمع ميمنة ، وهى اليمن والبركة .

أخذتْ حكومتُكَ الأمانَ لظبيه … فى مُقفرات البيدِ من رِئباله (١)

مكنتَ للدستور فيه ، وحُزتَه … تاجًا لوجهك فوقَ تاج جلاله (٢)

فكأنك (الفاروقُ) فى كرسيِّه … نَعِمتْشعوبُ الأرضِتحت ظلاله (٣)

أو أنت مثلُ (أبى ترابٍ) ، يُتقى … ويهابُه الأملاكُ فى أسماله (٤)

عهدُ النبىِّ هو السماحةُ والرضى … (بمحمد) أولى وسَمحِ خلاله

بالحق يحملُه (الإمامُ) ، وبالهدى … فى حاضر الدستورِ ، واستقباله

يابْنَ الخواقينِ الثلاثينَ الأُولى … قد جمّلوا الإسلام فوقَ جَماله (٥)

المبلغين الدِّين ذِروةَ سعدِه … الرافعين الملْكَ أوجَ كماله (٦)

الموطِئين من الممالك خيلَهم … ما لم يفُز (إسكندرٌ) بوصاله (٧)

فى عدلِ (فاتحهم) و (قانونيِّهم) … ما يَحتذى الخلفاءُ حذوَ مثاله (٨)

أما الخلافةُ فهى حائطُ بيتكم … حتى يُبين الحشرُ عن أهواله

أُخِذَت بحدِّ المشرفىِّ ، وحازها … لكمُ القنا بِقِصاره وطِواله (٩)

لا تسمعوا للمُرجِفين وجهلِهم … فمصيبةُ الإسلامِ من جُهّاله (١٠)

طمعُ القريبِ أو البعيد بِنَيْلِها … طمعُ الفتى من دهرِهِ بمحاله

١ـ الرئبال : الاسد ـ٢ـ مكنت بلدستور : اى جعلته مكينا ثابِتا . والدستور : هو القانون الذى ينظم حكم الشورى ـ٣ـ الفاروق لقب عمر بن الخطاب ـ٤ـ أبو تراب : كنية على ابن أبى طالب . والاسمال الثياب البالية واحدها سمل بفتح الميم ـ٥ـ الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك ـ٦ـ الأوج : العلو ـ٧ـ اسكندر : هو المقدونى الفاتح العظيم ـ٨ـ فاتحهم وقانونيهم : لقبان أولهما للسلطان محمد الفاتح ، لقب به لانه اول ملك فى الاسلام استطاع أن يفتح القسطنطينية ويقضى على كل سلطة للروم بها . وثانيهما للسلطان سليمان القانونى ، لقب به لانه اول واضع قانون للدولة التركية ـ٩ـ المشرفى : السيف ، نسبة الى موضع فى اليمن كانت تصنع به السيوف ـ١٠ـ المرجفون : من يخوضون فى الاخبار السيئة ليوقعوا الناس فى الاضطراب .

ما الذئبُ مُجترِئًا على ليثِ الشَّرى … فى الغالب مُعتدياً على أشباله(١)
بأَضلَّ عقلا ـ وهى فى أَيْمانكم ـ … مِمَّن يُحاول أخذَها بشماله

* * *

رضى المُهيمنُ ، والمسيحُ ، وأحمدٌ … عن جيشِك الفادى ، وعن أبطاله
الهازئين من الثرى بسهوله … الدائسين على رءُوس جِباله
القاتلين عدوَّهم فى حصنه … بالرأى والتدبير قبل قتاله
الآخذين الحصنَ عزَّ سبيلُه … مثلَ السها أو فى امتناعِ مَناله(٢)
المعرضين ـ ولو بساحة يَلْدزٍ ـ … فى الحربِ عن عِرْضِ العدوّ وماله
القارئين على (علىّ) علمها … وعلى الغزاةِ المتقين رجاله(٣)
الملكُ زُلزِلَ فى (فروقٍ) ساعةً … كانوا له الأَوتادَ فى زلزالهِ
لولا انتظامُ قلوبهم ككفوفِهم … لنثرتُ دمعى اليومَ فى أطلاله(٤)
والمرءُ ليس بصادقٍ فى قوله … حتى يؤيِّدَ قولَه بِفعاله
والشعبُ إن رامَ الحياةَ كبيرةً … خاض الغمارَ دماً إلى آماله(٥)
شكرُ الممالك للسَّخىِّ بروحه … لا السخىّ بقِيله أو قاله
إيهٍ (فروق) الحسن نجوى هائمٍ … يسمو إليك بجدّه وبخاله(٦)
أخرجتِ للعربِ الفِصاحِ بيانَه … قبسًا يُضىءُ الشرقَ مثلَ كماله(٧)

١ـ الاشبال : جمع شبل ، وهو ولد الاسد ـ٢ـ السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى ـ٣ـ على : هو علي بن ابى طالب ، والضمير للحرب ـ٤ـ الاطلال : ما شخص من آثار الديار ـ٥ـ الغمار ، بضم الغين وفتحها لفيف الناس ـ٦ـ ايه : اسم فعل للاستزادة من الحديث . والنجوى : المسارة بالكلام ، وهى السر ايضا . والهائم : المحب ، والذاهب من العشق ، او غيره لايدرى اين يتوجه ، يريد نفسه ، اى انه هائم بحب فروق ، وهى الاستانة ، لما بها من حسن . ومعنى « يسمو اليك بجده وبخاله » : انه من اصل تركي من ناحية ابويه ـ٧ـ اخرجت : الخطاب لفروق ، والضمير للهائم فى البيت قبله .

لم تُكثر (الحمراءُ) من نظرائِه   نَسْلًا ، ولا (بغدادُ) من أمثاله(١)

جعل الإلهُ خيالَهُ (قيسَ) الهوى   وجُعلتِ (ليلى) فِتنةً لخياله(٢)

فى كلِّ عامٍ أنتِ نزهةُ روحِه   ونعيمُ مهجته ، وراحةُ باله

يَغشاكِ قد حنَّت إليكِ مَطِيُّه   ويَئوبُ ، والأشواقُ ملءُ رِحاله

أفراحُه لمَّا رآكِ طليقةً   أفراحُ (يوسفَ) يوم حلِّ عقاله(٣)

وسرورُه بلك من قيودك حرَّةً   كسرورِ (قيس) بانفلاتِ غزاله(٤)

الله صاغَكِ جنتين لخلقه   محفوفتين بأنعمٍ لِعياله

لو أنَّ الله اتخاذَ خميلةٍ   ما اختار غيرَك روضةً لجلاله(٥)

فكأنما الصفتان فى حسنيهما   ديباجَتا خدٍّ يتيهُ بخاله(٦)

وكأنما (البوسفورُ) حوضُ (محمدٍ)   وسطَ الجنان وهنَّ فى إجلاله(٧)

وكأن شاهقةَ القصور حيالَه   حُجراتُ (طَه) فى الجِنان وآله(٨)

وكأن عيدَكِ عيدُها لما مشى   فيها البشيرُ ببِشره وجماله(٩)

١ــ الحمراء : هى مدينة غرناطة بالاندلس . وبغداد : حاضرة العراق ــ٢ــ قيس : هو ابن الملوح ، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالمجنون . وليلى هى محبوبته التى جن بها ، يقول : ان الله صرف خياله فى الشعر الى الاستانة ، فهو يجيد المعانى فى وصفها ، حتى شغف بها كشغف قيس بليلى ــ٣ــ يقول : انه فرح لها كما فرح يوسف عليه السلام بخروجه من السجن ــ٤ــ يشير بقوله : « كسرور قيس بانفلات غزاله » الى ما قيل من ان المجنون رأى ظبية فى حبالة صيادين فسألهما ان يطلقاها ويضع مكانها شاة من غنمه ، ففعلا ــ٥ــ الخميلة : الشجر الكثير الملتف . والروضة : ما اجتمع من الحدائق ــ٦ــ الديباجتان : تثنية ديباجة ، وهى الوجه ، يقال : فلان يصون ديباجته ، والديباجتان (أيضا) : الخدان . والخال : شامة فى الخد ــ٧ــ حوض محمد : يريد الحوض المورود يوم القيامة . ومحمد هو النبى صلى الله عليه وسلم ــ٨ــ حياله : اى قبالته وازاءه . والحجرات : جمع حجرة ، وهى الغرفة . وطه : اسم من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم أيضا ــ٩ــ البشير : من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم أيضا .

تِيهى بعيدكِ فى الممالك ، واسلمى　　فى السلمِ للآلاف من أمثاله
واستقبلى عهدَ الرشادِ مُجمَّلا　　بمحاسن الدستور فى استهلاله
دارُ السعادة أنتِ ، ذلك بابُها　　شُلَّت يدٌ مُدّت إلى إقفاله

وداع اللورد كرومر

أيامُكم ، أم عهدُ إسماعيلا ؟　　أم أنت فرعونٌ يسوسُ النيلا ؟(١)
أم حاكم فى أرض مصر بأمره　　لا سائلاً أبدًا ولا مسئولا ؟
يا مالكا رِقَّ الرقاب ببأسه　　هلّا اتَّخذتَ إلى القلوب سبيلا ؟(٢)
لما رحلتَ عن البلادِ تشهّدت　　فكأنَّكَ الداءُ العياءُ رحيلا
أوسعتَنا يومَ الوداعِ إهانةً　　أدبٌ لعمرك لا يُصيبُ مثيلا
هلَّا بدا لك أن تجاملَ بعد ما　　صاغ الرئيسُ لك الثَّنا إكليلا ؟(٣)
انظر إلى أدب الرئيس ولطفِه　　تجد الرئيسَ مُهذَّبا ، ونبيلا

* * *

فى ملعبٍ للمُضحكات مُشيَّدٍ　　مثَّلتَ فيه المُبكياتِ فصولا(٤)
شهد (الحسينُ) عليه لعنَ أُصوله　　ويُصَدِّر (الأعمى) به تطفيلا(٥)

١ـ اسماعيل : هو الخديو اسماعيل باشا . وفرعون : لقب كل ملك من ملوك مصر الاقدمين ـ٢ـ رق الرقاب: استعبادها . والبأس : الشدة والقوة ـ٣ـ الرئيس : هو مصطفى باشـــا فهمى ، كان رئيس مجلس الوزراء لعهد اللـورد كرومر ، وهو الذى أقام له حفلة توديع فى دار الاوبرا يوم خروجه من مصر ، وخطب له يودعـه ويثنى عليه ، ثم خطب اللورد فاهان الامة ، واهان الخديو اسماعيل فى وجه الامير حسين كامـل « السلطان حسين » ؛ ولم يراع شيئا من الادب ولا المجاملة ـ٤ـ يريد ملعب دار الاوبـرا ـ٥ـ الحسين : هو السلطان حسين كامل . والاعمى : هو الشـيخ عبـد الـكريم سلمان ؛ وكان قد ضعف بصره وكاد يكف .

جُبنٌ أقلُّ وحظٌّ. من قدرَيْهما ... والمرءُ إن يَجبُن يَعِشْ مَرذولا

لما ذكرت به البلادَ وأهلها ... مثَّلتَ دورَ عمانها تمثيلا(١)

أنذرتَنا رِقًّا يدوم ، وذِلَّةً ... تبقى ، وحالاً لا تَرى تحويلا

أحسِبت أن الله دونكَ قدرةً ؟ ... لا يملك التغييرَ والتبديلا ؟

الله يحكم فى الملوكِ ، ولم تكن ... دولٌ تنازعه القُوى لتَدولا(٢)

فرعونُ قبلكَ كان أعظم سطوة ... وأعزَّ بين العالمين قبيلا(٣)

اليوم أخلفَت الوعودَ حكومةٌ ... كنا نظُن عهودَها الإنجيلا

دخلَتْ على حكمِ الوداد وشرعه ... مصرًا ، فكانت كالسُّلالِ دخولا(٤)

هدَمتْ معالمَها ، وهدّت رُكنَها ... وأضاعت استقلالها المأمولا(٥)

قالوا : جلبتَ لنا الرفاهة والغنى ... جحدوا الإلٰهَ ، وصُنعَه ، والنيلا(٦)

كم مِنَّةٍ موهومةٍ أتبعتَها ... منًّا على الفَطِنِ الخبير ثقيلا(٧)

فى كلّ تقرير ، تقولُ : خلقتكم ... أفهل ترى تقريرَك التنزيلا ؟(٨)

هل من نداك على المدارس أنها ... تذرُ العلومَ ، وتأخذ (الفُوتبولا)؟(٩)

أم من صِيانتِك القضاء بمصر أن ... تأتى بقاضى دِنْشِواىَ وكيلا ؟(١٠)

---

١ ـ لما ذكرت به : أى بذلك الملعب ـ٢ـ لتدول : لتظهر على غيرها ويحالفها اقبال الحظ ـ٣ـ القبيل : الجماعة من أصل واحد ـ٤ـ السلال بضم السين : هو داء السل ـ٥ـ المعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشىء الذى يظن الناس فيه وجوده ـ٦ـ قالوا جلبت : الخطاب للورد كرومر ـ٧ـ المن : ان تعد لغيرك ما فعلته معه من الصنائع ، كأن تقول : فعلت لك كذا ، واعطيتك كذا ، وهو قبيح مذموم ـ٨ـ كان اللورد كرومر يضع كل سنة تقريرا مطولا عن الحالة العامة فى مصر والسودان ، وكان فى كل تقرير يدعى لنفسه من وجوه الاصلاح فى مصر ما يكذبه الواقع ـ٩ـ الندى : الكرم . تذر : تترك . والفوتبول : كلمة من لغة الانكليز معناها كرة القدم ـ١٠ـ قاضى دنشواى : هو احمد فتحى زغلول باشا . كان قاضيا فى المحكمة المخصوصة التى عاقبت اهل دنشواى بالشنق والجلد والسجن ، جعله اللورد كرومر بعد هذه المحاكمة وكيلا لوزارة الحقانية ، وقد كان رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الاهلية.

أم هل يَعُدُّ لك الإضاعةَ منةً ... جيشٌ كجيش الهند ،بات ذليلا ؟

انظر إلى فِتيانِه ، ما شأنُهم ؟ ... أوَ ليس شأناً فى الجيوش ضئيلا ؟

حرّمتهم أن يبلُغوا رتبَ العُلا ... ورفعتَ قومَك فوقهم تفضيلا

فإذا تطاعتِ الجيوشُ ، وأمّلت ... مستقبلاً ؛ لم يملِكوا التأميلا

من بعد ما زَفُّوا لإدْوَرْدَ العُلا ... فتحاً عريضاً فى البلادِ ، طويلا(١)

* * *

لو كنتُ من جُمْرِ الثيابِ ؛ عبدتُكم ... من دونِ عيسى ،مُحسِنًا ، ومُنيلا(٢)

أوكنتُ بعضَ الإنكليز ؛ قبلتُكم ... مَلِكًا ، أُقطِّعُ كفَّه تقبيلا

أوكنتُ عضوًا فى (الكلوب) ؛ ملأتُه ... أسفًا لفرقتكم ، بُكًا ، وعويلا(٣)

أو كنتُ قسيساً يَهيمُ مُبشرًا ... رتّلتُ آيةَ مَدْحِكم ترتيلا(٤)

أو كنتُ صِرّافاً بلندن دائنًا ... أعطيتُكم عن طيبةٍ تحويلا

أوكنتُ (تيمسكم) ؛ ملأتُ صحائفى ... مدحاً ، يُردَّد فى الورى موصولا(٥)

أو كنتُ فى مصرٍ نزيلاً جاهدًا ... سبّحتُ باسمك بُكرةً وأصيلا

أوكنتُ (سِريوناً) ، حلفتُ بأنكم ... أنتم حَيَوْتُم بالقناةِ الجيلا(٦)

ما كان من عقباتِها ، وصِعابِها ... ذللتموه بعزمكم تذليلا

١ـ يشير الى فتح السودان ، وان الجيش المصرى هو الذى قام بعبئه كله ، ولم يكن لجنود الانكليز فيه من اثر يذكر . وادوارد : هو ملك الانكليز ـ٢ـ حمر الثياب : هم الانكليز ، يقول : لو كنت انكليزيا لعبدتك ولم أعبد عيسى لأنك أنلت الانكليز واحسنت اليهم بما لا مثيل له من انالة واحسان ، والخطاب للورد كرومر ـ٣ـ الكلوب : دار ندوة فى القاهره ، يشترك فى الانفاق عليه كل من يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الانكليز ـ٤ـ ذلك لان اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية فى مصر ، ويحمى القسوس القائمين به ـ٥ـ أو كنت تيمسكم : اى لو كنت جريدة التيمس الخاصة بكم ـ٦ـ المسيو دى سريون : مدير شركة قناة السويس .

عهدُ الفرنج ـ وأنت تعلم عهدَهم ـ ... لا يبخسون المحسنين فَتيلا

فارحل بحفظِ الله جل صنيعُه ... مستعفيًا إن شئتَ، أو معزولا

واحمل بساقك ربطة فى لندن ... واخلف هناك غِراىَ أو كمبيلا (١)

أو شاطر الملكَ العظيمَ بلادَه ... وسُسِ الممالك، عرضَها والطولا

إنا تمنينا على الله المنى ... والله كان بنيلهنّ كفيلا

من سب دين محمد ؛ فمحمد ... متمكن عند الإله رسولا (٢)

بين الحجاب والسفور

صدّاحُ، يا ملكَ الكَنا ... رِ، ويا أميرَ البُلبلِ (٣)

قد فزتُ منك (بمعبد) ... ورُزقتُ قربَ (الموصلى) (٤)

وأُتيحَ لى (داودُ) مِز ... مارًا، وحسن ترنُّل (٥)

فوق الأسرةِ والمنا ... بر قطُّ لم تترجّل (٦)

تهتز كالدينار فى ... مُرْتَجٍّ لَحْظِ الأَحول (٧)

---

١ ـ واحمل بساقك ربطة: يشير الى نشان عند الانكليز يسمى نشان ربطة الساق، قيل يوم عزل كرومر انه انعم عليه به، وغراى وكمبيل: وزيران من وزراء الانكليز ـ ٢ ـ كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الاسلامى فى تقريره سنة ١٩٠٦، فزعم انه دين لا يصلح لهذا العصر، فشاعرنا يشير الى ذلك بقوله: من سب دين محمد .. الخ ـ ٣ ـ الصداح: الصياح الرفيع الصوت. والكنار: الكنارى: طائر حسن الصوت، ريشه ابيض يضرب الى الصفرة، وقوادم جناحيه طويلة الى الخضرة؛ وينسب الى جزائر كناريا، وهى الجزائر الخالدات. والبلبل: طائر صغير سريع الحركة، يضرب به المثل فى طلاقة اللسان ـ ٤ ـ معبد: مغن مشهور، كان أيام الدولة الاموية. والموصلى: يطلق على اسحاق الموصلى وابنه ابراهيم، وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وادب ـ ٥ ـ داود: النبى. ومزاميره: ما كان يترنم به من الادعية والاناشيد ـ ٦ ـ الترجل: ان ينزل المرء عن ركوبته ويمشى ـ ٧ ـ الاحول: من فى عينه حول.

وإذا خطرتَ على الملا   عبِ ؛ لم تدع لممثّل (١)

ولك ابتداءاتُ (الفرز   دقِ) ، فى مقاطع (جرول)(٢)

ولقد تَخِذت من الضُّحى   صُفرَ الغَلائل والحلِى(٣)

ورويتَ فى بيض القلا   نسِ عن عذارى الهيكل(٤)

* * *

ياليت شعرىَ يا أسيـ   رُ ،شَجٍ فوادُك ، أم خَلى؟(٥)

وحليفُ سهدٍ ، أم تنا   مُ الليلَ حتى يَنجلى؟(٦)

بالرغم منى ما تُعا   لجُ فى النحاس المقفَل(٧)

حرصى عليك هوىً ، ومَن   يُحْرِزْ ثميناً يبخل

والشحُّ تُحدثُه الضرو   رةُ فى الجوادِ المُجزِل(٨)

أنا إن جعلتُكَ فى نُضا   ر بالحريرِ مُجلَّل(٩)

١ـ لم تدع لممثل : اى لم تتركه ما يجيده من التمثيل والغناء ، لانك اجود صوتا وفنا من كل مغن وممثل ـ٢ـ الفرزدق : لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور ، كان فى صدر الدولة الاموية ، وجـرول : اسم الحطيئة ، وهو شاعر ادرك الجاهلية والاسلام . والابتداءات : أوائل القصـائد . والمقاطع : جمع مقطع ، وهو آخر بيت من القصيدة ـ٣ـ الغلائل : واحدتها غلالة ، بكسر الغين ، وهى شعار يلبس تحت الثوب ، يشير بهذا المجاز الى ان طائره الصداح اصفر اللون ـ٤ـ القلانس : جمع قلنسوة نوع من لباس الرأس . والعذارى : جمع عـذراء . وهى البكر . والهيكل : معناه هنـا الموضع فى صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى ، وفى هذا البيت انواع من المجاز ، ثم كناية عن المعنى المقصود ، وهو يريد أن طائره ابيض الرأس كأنه يلبس قلنسوه بيضاء ، كالعذارى الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل ـ٥ـ الشجى : المشـغول . والخلى : الخالى من الهم ـ٦ـ الحليف : كل شىء لزم شيئا آخر فلم يفارقه . والسهد : الارق وعـدم النـوم . وينجلى : يمضى ـ٧ـ ما تعالج ، اى ما تزاول وتمارس . والمراد بالنحاس المقفـل : القفص الذى حبس فيه الطـائر ـ٨ـ الجواد : الـكريم . والمجـزل : المكثر من العطاء ـ٩ـ النضار : الذهب . والمجلل : المغطى .

ولففتُه في سَوسنٍ وحففتُه بقَرنفُل[١]

وحرقتُ أزكى العودِ حو لَيْه ، وأغلى الصَّندل

وحملتُه فوقَ العيو نِ ، وفوق رأس الجدول[٢]

ودعوتُ كل أغرَّ في مُلك الطيورِ محجَّل

فأتتك بين مُطارحٍ ومحبِّذٍ ، ومدلَّل[٣]

وأمرت بِابني فالتقا كَ بوجهه المتهلِّل[٤]

بيمينه فالوذَجٌ لم يُهدَ (للمتوكِّل)[٥]

وزجاجةٌ من فضةٍ مملوءةٌ من سَلسل[٦]

ماكنتُ يا (صدّاحُ) عنـ ـدكَ بالكريم المُمْضل

شهْدُ الحياةِ مشوبةٌ بالرّق ؛ مثلُ الحنظل[٧]

والقيدُ لو كان الجما نَ منظما لم يُحمَل[٨]

ياطيرُ ، لولا أن يقو لوا : جُنّ ؛ قلتُ : تعقَّل

اسمع ، فرُبَّ مُفصِّل لك ؛ لم يفدك كمجمِل

صبرًا لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل

أنت ابنُ رأيٍ للطبيـ ـعة فيك غيرِ مُبدَّل

أبدًا مَرُوعٌ بالإسا ر ، مهدَّدٌ بالمقتل[٩]

١ـ السوسن ـ بفتح السين الاولى وضمها : نبات طيب الرائحة ـ٢ ـ العيون هنا : عيون المـاء ٠والجدول : النهر الصغير ـ٣ـ المدلل، بفتح اللام : المرفه ـ٤ـ المتهلل : المتلالىء ـ٥ـ الفالوذج : حلواء من دقيق وعسل وماء ، والمتوكل احد الخلفاء العباسيين ـ٦ـ السلسل : الخمر اللينة ـ٧ـ الشهد ـ بضم الشين وسكون الهاء : العسل ـ ٨ ـ الجمان : اللؤلؤ ـ٩ـ الاسار : الاسر .

إن طرتَ عن كنفى وقعـ ـتَ على النُّسورِ الجُهَّل(١)

* * *

يا طيرُ ، والأمثالُ تضـ ـربُ للَّبيب الأَمثل(٢)
دنياك من عاداتِها أَلَّا تكونَ لأَعزل(٣)
أو للغبى ، وإن تعلَّـ ـل بالزمان المقبل
جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبتَلى فى ذى الحياةِ ويَبتلى
يَرمى ، ويُرمَى فى جها دِ العيشِ غيرَ مغفَّل
مُستجمعٍ كالليثِ ، إن يُجهَل عليه يَجهل(٤)
أَسمعتَ بالحكَمَيْن فى الـ إسلام يومَ (الجندَل)؟(٥)
فى الفتنة الكبرى ، ولو لا حكمةٌ لم تُشعَل(٦)
رَضِىَ الصحابةُ يومَ ذ لك بالكتاب المُنزَل(٧)
وهمُ المصابيحُ ، الروا ةُ عن النبى المرسل
قالوا : الكتابُ ، وقام كـ ـلٌّ مفسر ومووِّل
حتّى إذا وَسِعتْ (معا وبةً) ، وضاق بها (على)(٨)

١ـ الكنف : الجانب والناحيــة ـ٢ـ الامثل : الافضل ـ٣ـ الاعزل : من لا سلاح عنده ـ٤ـ المستجمع :من يبذل غاية امكانه . ويجهل عليه ، يتسافه عليه ـ٥ـ الحكمان : همــا ابو موسى الاشعرى ، ارتضاه الامــام على حكما له ، وعمرو بن العــاص ،اختاره معاوية حكما له ، وقصة هذا التحكيم مشهورة . ويوم الجنــدل :وهو احــد أيــام الحــرب بين عــلى ومعاوية . والجنــدل اسم مــكان ـ٦ـ ولولا حكمة : اى ولولا حكمــة ارادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة ـ٧ـ رضى الصحابة .. الخ : ذلك ان اصحاب معاوية لما راوا أن الهزيمــة ستكون لهم ، رفعوا المصاحف عــلى اطراف الاسنة ، ونادوا عليا واصحابه ان ينزلوا واياهم على كتاب الله ، فأمر على اصحابه أن يكفوا عن الحــرب ـ٨ـ حتى اذا وسعت معــاوية : اى حتى اذا وسعت ولاية الامر معــاوية بسبب أن الحيلة التى فعلها عمرو بن العاص جازت على ابى موسى الاشعرى رجعوا لقلم .. الى آخر ما فى البيتين التاليين .

رجعوا لظلم كالطبا ئع فى النفوس مؤصَّل

نزلوا على حكم القوىِّ ، وعند رأى الأَحيَل(١)

صدَّاحُ ، حتى ما أقو ل ، حفِلتَ ، أم لم تحفل

جاورتَ أندى روضةٍ وحللتَ أكرمَ منزل

بين الحفاوةِ من حُسَيْ نٍ ، والرعايةِ من على

وحنانِ (آمنةٍ) كأُمِّـــك فى صباكَ الأول(٢)

صِحْ بالصَّباح ، وبشِّر الـ أبناء بالمستقبل

واسأل لمصرَ عنايةً تأْتى وتهبطُ من عَلِ

قل : ربنا افتح رحمةً والخير منك فأَرسل

أدرك كنانتَك الكريـ مةَ - ربَّنا - وتَقبَّل

العلم ، والتعليم ، وواجب المعلم(*)

قمْ للمعلِّم وفِّه التبجيلا كاد المعلمَ أنْ يكون رسولا

أعلمتَ أشرَفَ ، أو أجلَّ مِن الذى يبنى ، ويُنشِئُ أنفساً وعقولا ؟

سبحانك اللَّهُمَّ خيرَ مُعلِّم علَّمتَ بالقلم القرونَ الأُولى

أخرجت هذا العقل من ظلماتِه وهديتَه النورَ المبينَ سبيلا

وطبعتَه بيدِ المعلم تارةً صدِئَ الحديد . وتارةً مصقولا(٣)

١ــ الاحيل : الاكثر حيلة ــ٢ــ حسين ، وعلى ، وآمنة : ابنــــاؤه
(*) القيت هذه القصيدة فى حفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليا ــ٣ــ
طبع السيف : صاغه . وصدىء الحديد : اى غير مجلو ولا مصقول .

أرسلتَ بالتَّوراةِ موسى مُرشِدًا ... وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلا(١)

وفجّرتَ يَنبوعَ البيان محمدًا ... فسقَى الحديثَ ، وناولَ التنزيلا(٢)

علَّمتَ يوناناً ومصرَ ، فزالتا ... عن كل شمسٍ ما تُريد أفولا

واليومَ أَصبحتا بحالِ طُفولةٍ ... فى العلمِ ، تلتمسانِه تطفيلا(٣)

من مَشرِقِ الأَرض الشموسُ تظاهَرتْ ... ما بالُ مغرِبها عليه أُديلا؟(٤)

يا أرضُ ، مُذ فقدَ المعلِّمُ نفسَه ... بين الشموسِ وبين شرقِك حيلا

ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمِهم ... واستعذبوا فيها العَذابَ وَبيلا

فى عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيدًا ... بالفردِ ، مخزوماً به ، مغلولا(٥)

صرعته دنيا المستبد ، كما هوتْ ... من ضربةِ الشمسِ الرءُوسُ ذُهولا

سُقراطُ أعطى الكأسَ وهى مَنِيَّةٌ ... شفتَى محِبٍّ يشتهى التقبيلا

عرضوا الحياة عليه وهى غباوةٌ ... فأَبى ، وآثر أن يموت نبيلا(٦)

إن الشجاعة فى القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

* * *

إن الذى خلق الحقيقةَ عَلْقَمًا ... لم يُخل من أهلِ الحقيقةِ جيلا

ولربما قتل الغرامُ رجالَها ... قُتِل الغرامُ ، كم استباحَ قتيلا

أَوَكُلُّ مَن حامى عن الحقِّ اقتنى ... عند السوادِ ضغائنًا وذُحولا؟(٧)

لو كنتُ أعتقدُ الصَّليبَ وخَطْبه ... لأقمتُ من صَلْبِ المسيح دليلا

* * *

---

١ – البتول : لقب السيدة مريم عليها السلام –٢– التنزيل : القرآن –٣– التطفيل : التطفل –٤– اديل المغرب على المشرق : اى فاقه وانتزع منه الدولة –٥– مخزوما به : اى مسخرا له –٦– النبل : الذكاء –٧– الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

أَمُعلِّمى الوادى ، وساسةَ نَشْئِه والطابعينَ شَبابَه المأمولا
والحاملينَ – إذا دُعوا ليُعلِّموا – عبءَ الأَمانةِ فادحاً مسئولا
كانتْ لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ وَرِمَتْ بدنلوبٍ فكان الفيلا(١)
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبعًا فى العلم ، إن مشتِ الممالك ميلا
تلك الكفورُ – وَحَشْوُها أُمِّيَّةٌ – من عهد «خوفو» لم تر القنديلا
تجدُ الذين بنى «المسلَّةَ» جدُّهم لا يُحسنون لإبرةٍ تشكيلا
ويُدَلَّلون إذا أُريدَ قِيادُهم كالبُهْم تأنُس إذ ترى التدليلا
يتلو الرجالُ عليهمُ شهواتِهم فالناجحون أَلَدُّهم ترتيلا
الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ كيف الحياةُ على يَدَىّ عِزريلا؟
واللهِ لولا أَلسُنٌ وقرائحٌ دارت على فِطَنِ الشباب شَمولا(٢)
وتعهَّدتْ من أربعين نفوسَهم تغزو القنوطَ ، وتغرِسُ التأميلا
عرفتْ مواضعَ جدبهم ، فتتابعتْ كالعينِ فيضًا ، والغمامِ مسيلا
تُسدى الجميلَ إلى البلاد ، وتستحى
من أن تُكافَأَ بالثناء جميلا
ما كان دنلوبٌ ، ولا تعليمُه عند الشدائد ؛ يُغنيان فتيلا

* * *

رَبُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى تجدوهُمُ كهفَ الحقوقِ كهولا
فهو الذى يبنى الطباعَ قويمةً وهو الذى يبنى النفوسَ عُدولا
ويقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ ويُريه رأيا فى الأُمور أصيلا

---

١ – الفيل : ورم يصيب الساق ، ودنلوب : مستشار انجليزى منيت به نظارة المعارف المصرية ، فأساء الى العلم والتعليم –٢– الفطن : جمع فطنة ، وهى الحذق والذكاء . والشمول : الخمر .

وإذا المعلِّمُ لم يكن عدلا ؛ مشى　　روح العدالةِ فى الشباب ضئيلا

وإذا المعلّم ساء لحظَ بصيرةٍ　　جاءت على يده البصائرُ حُولا(١)

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى　　ومن الغرورِ ؛ فسمِّه التضليلا

وإذا أُصيب القومُ فى أخلاقهم　　فأَقِمْ عليهم مأْتما وعويلا

إنى لأعذُركم وأحسبُ عِبْئكم　　من بين أعباءِ الرجال ثقيلا

وجد المساعدَ غيرُكم ، وحُرِمْتمُ　　فى مصرَ عونَ الأُمهاتِ جليلا

وإذا النساءُ نشأْن فى أُمِّية　　رَضَع الرجالُ جهالةً وخمولا

ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من　　همِّ الحياةِ ، وخلَّفاه ذليلا

فأَصاب بالدنيا الحكيمةِ منهما　　وبحسن تربيةِ الزمان بديلا!

إنَّ اليتيم هو الذى تَلْقى له　　أُمًّا تخلَّتْ ، أو أَبا مشغولا(٢)

* * *

مصرٌ إذا ما راجعتْ أَيامَها　　لم تلقَ للسَّبت العظيم مثيلا(٣)

(البرلمانُ) غدًا يُمدُّ رواقُه　　ظلاً على الوادى السعيدِ ظليلا

نرجو إذا التعليم حرّكَ شجوَهُ　　أَلا يكون على البلاد بخيلا

قل للشباب : اليومَ بُورك غرسُكم　　دنت القطوفُ ، وذُلِّلَتْ تذليلا

حيُّوا من الشهداءِ كلَّ مغيَّبٍ　　وضعوا على أحجاره إكليلا

ليكون حظُّ الحىِّ من شُكرانكم　　جمًّا ، وحظُّ الميْتِ منه جزيلا

١ـ الحول : جمع حولاء ؛ والحولاء : من فى عينها حول ؛ والحـول : اقبال الحدقة على الانف ، وهو عيب ـ٢ـ اما تخلت عن تربيتـــه ، وأبا مشغولا عن العناية به وتهذيبه ـ٣ـ السبت : ١٥ مـارس ١٩٢٤ ؛ وهو اليـــوم الذى افتتح فيه (البرلمـان) الأول ، وقد كان هذا اليوم قريبا من يوم الاحتفال .

لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحَه ... حتى يرى جنديَّه المجهولا(١)

ناشدتُكم تلك الدماءَ زكيةً ... لا تبعثوا للبرلمان جَهولا

فلْيسألَنَّ عن الأرائكِ سائلٌ ... أَحملنَ فضلًا ، أم حملنَ فُضولا؟

إنْ أنتَ أطلعتَ الممثِّلَ ناقصًا ... لم تلق عند كماله التمثيلا

فادعوا لها أهلَ الأَمانة ، واجعلوا ... لأُولى البصائِرِ منهم التفضيلا

إن المقصِّرَ قد يَحُولُ ، ولن ترى ... لجهالةِ الطبع الغبيِّ محيلا

فلرُبَّ قولٍ فى الرجالِ سمعتمُ ... ثم انقضى ، فكأَنه ما قيلا

ولكم نصرتم بالكرامة والهوى ... مَن كان عندكمُ هو المخذولا

كرمٌ وصفحٌ فى الشبابِ ، وطالما ... كرُمَ الشبابُ شمائلًا وميولا

قوموا اجمعواشُعَبَ الأُبوةِ ، وارفعوا ... صوتَ الشباب مُحبَّبًا مقبولا

ما أبعدَ الغاياتِ !! إلا أننى ... أجدُ الثباتَ لكم بهنَّ كفيلا

فكِلوا إلى اللهِ النجاحَ ، وثابروا ... فاللهُ خيرٌ كافلًا ووكيلا

بنك مصر (*)

قِفْ بالممالكِ ، وانظرْ دولةَ المالِ ... واذكرْ رجالًا أدالوها بإجمال

وانقلْ ركابَ القوافى فى جوانبها ... لا فى جوانب رسمٍ المنزلِ البالى

ما هيكلُ الهرم الجيزىِّ من ذهبٍ ... فى العين ؛ أزينَ من بُنيانِها الحالى

علا بها الحرصُ أركاناً ، وأخرجها ... على مثالٍ من الدنيا ، ومِنوال

١ـ يريد بالجندى المجهول : من يعمل فى غير جلبة ، ولا ضوضاء ، وفى غير انتظار مكافأة ، او جزاء .

(*) قيلت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشاء بنك مصر بدار (الاوبرا) الملكية .

فيها الشقاءُ لقومٍ ، والنعيمُ لهم ... وبؤسُ ساعٍ ، ونُعمَى قاعدٍ سالى
والمالُ — مُذْ كان — تمثالٌ يطافُ به ... والناسُ — مذ خُلقوا — عُبَّادُ تمثال
إذا جفا الدورَ ؛ فَانْعَ النازلين بها ... أو الممالكَ ؛ فانْدُبْها كأطلال
يا طالباً لمعالى الملك مجتهداً ... خُذْها من العلم أو خُذْها من المال
بالعلمِ والمالِ يَبنى الناسُ مُلْكَهُمُ ... لم يُبْنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلال
سراةَ مصرَ ، عهدناكم إذا بُسطتْ ... يدُ الدعاءِ سراعاً غيرَ بُخَّال
تبيَّنَ الصدقُ من بينِ الأُمور لكم ... فامضوا إلى الماءِ ، لا تَلْوُوا على الآل(١)
لا يذهبِ الدَّهرُ بين التُّرَّهاتِ بكم ... وبين زَهْوٍ من الأَحلامِ قتَّال
هاتوا الرجالَ وهاتوا المالَ ، واحتشدوا ... رأياً لرأى ، ومِثْقالًا لمثقال
هذا هو الحجرُ الدرِّىُّ بينكم ... فابنوا بِنَاءَ قريشٍ بيتَها العالى
دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعكُم ... أودعتم الحَبَّ أرضاً ذاتَ إغلال
آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ ... هل تبخلونَ على مصر بآمال ؟
فابنوا على بركات الله ، واغتنموا ... ما هيَّأَ اللهُ من حظٍّ وإقبال

مرحبا بالهلال(*)

العامُ أقبلَ . قُمْ نُحَيِّ هلالا ... كالتاج فى هامِ الوجود جلالا
طغْرَى كتابِ الكائناتِ لقارئٍ ... يزِنُ الكلامَ ، ويَقدُرُ الأَقوالا
مَلَكَ السماءِ ؛ فكان فى كُرْسِيِّهِ ... بين الملائكِ والملوك مِثالا

---

١ — الآل : السراب

* — قيلت هذه القصيدة فى رأس سنة ١٣٢٩ الهجرية .

تتنافسُ الآمالُ فيه . كأنَّه ثغرُ العنايةِ ضاحكَ الآمالا

والشَّمسُ تُزلِف عيدَها ؛ وتزفُّه بشرَى بمطلعهِ السعيدِ ، وفالا(١)

عيدُ المسيح . وعيدُ أحمد ؛ أقبلا يتباريان وضاءةً وجمالا

ميلادُ إحسانٍ ، وهجرةُ سُؤدَدٍ قد غيَّرا وجه البسيطةِ حالا

* * *

قمْ للهلالِ قيامَ مُحتفِلٍ به أثنى ، وبالغ فى الثناءِ ، وغالى

نورُ السبيلِ هَدَى ، لكلِّ فضيلةٍ يَهدى الحكيمُ لها ، وسَنَّ خِلالا

ما بينَ مولِدِه وبين بلوغه ملأ الحياةَ مآثرًا وفعالا

متواضعٌ ، واللهُ شرّف قدرَه بالشمسِ نِدًّا ، والكواكبِ آلا(٢)

متوددٌ عند الكمالِ ، تخالُه فى راحتَيْكَ ، وعَزَّ ذاك مَنالا

وافٍ لجارةِ بَيْتِهِ ، يرعى لها عهدَ السَّمَوْءَلِ ، عُرْوَةً ، وحِبالا(٣)

عَونُ السُّراة على تصاريفِ النوى أمِنوا عليه وحْشَةً وضلالا(٤)

ويُصانُ من سرِّ الصبابةِ عندَه ما باتَ عند الأكثرين مُذالا(٥)

ويُشَكُّ فيه ؛ فلا يكلِّف نفسَه غيرَ الترفُّعِ والوقار نِضالا

ساءَت ظنونُ الناس حتى أحدثوا للشكِّ فى النور المبين مجالا

والظنُّ يأخذ فى ضميرك مأخذًا حتى يُريكَ المستقيمَ محالا

ومن العجائبِ عند قِمَّةِ مجدِه رام المزيدَ ، فجدّ فيه ، فنالا

يطوى إلى الأَوْجِ السماواتِ العُلا ويشدُّ فى طلب الكمالِ رِحالا

ويَغُلُّ من هُوجِ الرياحِ عزائمًا ويَدُكُّ من موْجِ البحار جبالا

---

١ — تزلفه : اى تقربه .

٢ — الند : النظير · والآل : الاهل

٣ — جارة بيته : هى الزهرة التى تلازمه دائما . وبيته : هو الهالة التى تحيط به .

٤ — السراة : السائرون ليلا .

٥ — السر المذال : الذى لا يكتم .

ويُضىءُ أثناءَ الخمائلِ والرُّبَى حتى تَرى أسحارَها آصالا
ويَجُولُ فى زُهْرِ الرياضِ، كأنه صيْبُ الربيعِ، مشى بهنّ، وجالا

* * *

أُممَ الهلالِ، مقالةً من صادقٍ والصدقُ أليقُ بالرجال مقالا
متلطِّفٍ فى النصحِ، غيرِ مُجادِل والنصحُ أضيعُ ما يكون جدالا
من عادة الإسلام يرفعُ عاملا ويسوِّدُ المِقدامَ والفَعَّالا
ظلمتْه ألسنةٌ تؤاخذُه بكم وظلمتموه مُفرِّطين، كسالى
هذا هلالُكمُ تكفَّلَ بالهُدى هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرَتِ الحضارةُ حقبةً فى ضوئه ومشى الزَّمانُ بنورِه مختالا
وبنى له العربُ الأَجاودُ دُولة كالشمس عرشاً، والنجومِ رجالا
رفعوا له فوق السماكِ دعائمًا من عِلْمِهمْ ومن البيانِ، طوالا
اللهُ جلَّ ثناؤه بلسانِهم خلق البيانَ وعلَّم الأَمثالا
وتخيَّرَ الأَخلاقَ أحسنَها لهم ومكارِمُ الأَخلاقِ منه تعالى
كالرُّسْلِ عَزْماً، والملائِك رحمةً والأُسْدِ بأْساً، والغيوثِ نوالا
عَدلوا، فكانوا الغيثَ وقعاً، كلما ذهبوا يمينًا فى الورى، وشمالا
والعدلُ فى الدُّولاتِ أُسٌّ ثابتٌ يُفنِى الزمانَ، ويُنفِد الأَجيالا
أيامَ كان الناسُ فى جَهلاتِهم مثلَ البهائمِ، أُرْسِلت إرسالا
من جهلِهم بالدين والدنيا معاً عبدوا الأَصمَّ، وأَلَّهوا التمثالا
ضلوا عقولا بعد عرفانِ الهدى والعقلُ إن هو ضلَّ كان عِقالا(١)
حتى إذا انقسموا تقوَّضَ ملكهم والملكُ إن بطلَ التعاونُ زالا
لو أن أبطالَ الحروب تفرقوا غلب الجبان على القَنا الأَبطالا

---

(١) العقال فى الأصل يشد به البعير، وهنا بمعنى القيد .

يا شباب الديار(*)

غالِ فى قيمةِ ابن بُطْرُسَ غالى — علم اللهُ ليس فى الحقّ غالى(١)

نحتفى بالأَديب ، والحق يقضى — وجلالُ الأَخلاق والأَعمال

أَدبُ الأَكثرين قولٌ ، وهذا — أَدب فى النفوس والأَفعال

يُظهرُ المدحُ رونَقَ الرجل الما — جدِ ، كالسيفِ يزدهى بالصِّقال(٢)

رُبَّ مدحٍ أذاع فى الناس فضلا — وأَتاهم بقُدوةٍ ومِثال

وثناء على فتى عمَّ قوماً — قيمةُ العِقْدِ حُسنُ بعضِ اللآلى

إنما يقدُرُ الكرام كريمٌ — ويقيمُ الرجالُ وزنَ الرجال(٣)

وإذا عظَّمَ البلادَ بَنوها — أنزلتهم منازلَ الإجلال

توَّجتْ هامَهم كما توَّجوها — بكريم من الثناء وغالى

إنما (واصفٌ) بناءٌ من الأَخـ — ـلاقِ ، فى دولةِ المشارق عالى

ونجيبٌ ، مهذَّبٌ ، من نجيبٍ — هذَّبتْه تجاربُ الأَحوال

واهبُ المالِ والشبابِ لما يَنـ — ـفع ، لا للهوى ، ولا للضلال

ومذيقُ العقولِ فى الغرب مما — عَصَرَ العُرْبُ فى السنينَ الخوالى

---

* ـ قيلت هذه القصيدة فى تكريم واصف غالى باشا سنة ١٩٠٦ (واصف غالى بك يومئذ) ولعلها كانت أول دعوة الى اتحاد عنصرى هذه الأمة الكريمين . ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب ، فيرى خيال هذا الاتحاد ، ويدعو اليه ، والناس عنه عمون . وحديث المؤتمرين ما زال يومئذ ملء الأفواه والاسماع ، ولقد شاء الله ان يستجيب دعاءه ، وأن يربط بين الأخوين برباط مقدس ، كان لصاحب الديوان فضل الخيط الأول فى نسيجه .

١ ـ غال فى المدح : بالغ فيه . وغالى (الثانية) اما أن يراد بها الأمر ، أو يراد بها اسم والد المكرم المرحوم بطرس باشا غالى .

٢ ـ صقل السيف صقالا : جلاه . ٣ ـ قدره : عظمه .

فى كتابٍ حوى المحاسنَ فى الشـ ـعر ، وأوعى جوائزَ الأمثال(١)
من صفاتٍ ، كأنها العينُ صدقاً فى أداء الوجوه والأشكال
ونسيب ، تحاذِرُ الغِيدُ منه شَرَكَ الحسنِ أو شباكَ الدلال
ونظامٍ ، كأنه فَلَكُ الليـ ـلِ إذا لاحَ وهو بالزهر حالى
وبيانٍ ، كما تجلى على الرُّشْـ ـلِ تجلَّى على رعاةِ الضال(٢)
ما علِمنا لغيرهم من لسان زال أهلوه ، وهْو فى إقبال
بلِيتْ هاشِمٌ ، وبادتْ نزارٌ واللسانُ المبين ليس ببالى
كلّما همّ مجدهُ بزوالٍ قام فحلٌ ، فحالَ دون الزّوال

* * *

يابنى مصرَ ، لم أقلْ أمّةَ الـ ـقبطِ ، فهذا تشبُّثٌ بمحال
واحتيالٌ على خيال من المجـ ـدِ ، ودعوى من العِراض الطوال
إنما نحنُ مسلمينَ وقبطًا أمةٌ وُحِّدَتْ على الأجيال
سبق النيلُ بالأُبوّةِ فينا فهو أصلُ ، وآدمُ الجدُّ تالى
نحن من طينهِ الكريم على الله ، ومن مائِهِ القَراح الزُّلال(٣)
مَرّ ما مَرّ من قرونٍ علينا رُسَّفًا فى القيود والأغلال
وانقضى الدهر ، بينَ زَغرَدةِ العر ـسِ ، وحَثْوِ التراب ، والإعوال
ما تَحلّى بكم يسوعُ ، ولا كُنّـــا لِطه ودينهِ بجَمال
وتُضاعُ البلادُ بالنومِ عنها وتضاعُ الأُمورُ بالإهمال
ياشبابَ الديار ، مصرُ إليكم ولواءُ العرينِ للأشبال

---

١ — يشير الى كتاب فرنسى الفه واصف باشا وكان موضع تكريمه .
٢ — الضال : نوع من الشجر ، والمراد : رعاة ما ياكل الضال من الحيوان؛ اى رعاة الابل .
٣ — الماء القراح : الصافى .

كلَّما رُوِّعتْ بشبهةِ بأْسٍ جعلتكم معاقِلَ الآمال
هَيِّئوها لما يليقُ بمنفٍ وكريمِ الآثارِ والأَطلال
وانهضوا نهضةَ الشعوبِ لِدُنيا وحياةٍ كبيرةِ الأَشغال
وإلى اللهِ من مشى بصليبٍ فى يديهِ ، ومن مشى بهلال

نهج البردة

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلَمِ أَحَلَّ سفكَ دمى فى الأَشهر الحُرُم(١)
رمى القضاءُ بعيْنى جُؤذَر أَسدًا ياساكنَ القاعِ ، أَدرِكْ ساكنَ الأَجم(٢)
لما رَنا حدّثتنى النفسُ قائلةً ياوَيْحَ جنبِكَ ، بالسهمِ المُصيب رُمِى(٣)
جحدتها ، وكتمت السهمَ فى كبدى جُرْحُ الأَحبة عندى غيرُ ذى أَلم(٤)
رزقتَ أَسمح مافى الناس من خُلق إذا رُزقتَ التماس العذْر فى الشِّيَم(٥)

---

١ ــ الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء) : الظبى الخالص البياض . والقاع : الارض السهلة المطمئنة . والبان : جمع بانة ، ضربَ من الشجر . والعلم : الجبل . والاشهر الحرم : أربعة ، ثلاثة متتابعة هى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد ، وهو رجب ، وكانت العرب لا تستحل فيها القتال ، وفى الشطر الثانى طباق بين قوله : « أحل » ، وقوله : « الحرم » ولا يذهب عن القارىء ما فى البيت من براعة الاستهلال .

٢ ــ الجؤزر : ولد البقرة الوحشية والأجم : جمع اجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف ، وهو مسكن الاسد . بريد بالجؤذر : المحبوبة التى شبهها فى البيت السابق « بالريم » ، تشبيها لها بالجؤذر فى جمال عينيه واتساعهما ، ويريد « بالاسد » : نفسه ، وفى الشطر الثانى يستغيث بالمقتول للقاتل ــ لا منه ــ ويستنجد للاسد بالغزال ، وهو بديع .

٣ ــ رنا : ادام النظر مع سكون الطرف . ويا ويح : كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه ، يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه .

٤ ــ جحدتها ، الجحود : الانكار مع العلم .

٥ ــ الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلق والطبيعة .

يا لائمى فى هواه ـ والهوى قدَرٌ ـ لو شفَّكَ الوجدُ لم تَعذِل ولم تلم(١)
لقد أنلتُك أُذْناً غير واعيةٍ ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ فى صَمم(٢)
ياناعس الطرفِ، لاذقتَ الهوى أبدًا أسهرتَ مُضناكَ فى حفظِ الهوى ،فنم(٣)
أفديك إلفًا ؛ ولا آلو الخيالَ فِدًى أغراك بالبخل مَن أغراه بالكرم(٤)
سرَى ، فصادف جُرحا دامياً ، فأسا ورُبَّ فضلٍ على العشاقِ للحُلُم(٥)
مَن الموائسُ باناً بالرُّبى وقَناً اللاعباتُ بِرُوحي، السافحاتُ دمِي؟(٦)
السافراتُ كأمثالِ البُدور ضُحًى يُغِرْنَ شمسَ الضُّحى بالحَلْي والعِصَم(٧)
القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ وللمنيةِ أسبابٌ من السَّقَم
العاثراتُ بألبابِ الرجال ، وما أُقِلْنَ من عثراتِ الدَّلِّ فى الرَّسم(٨)
المضرماتُ خُدودًا ، أسفرت، وَجَلتْ عن فِتنة ، تُسلِمُ الأكبادَ للضرَم(٩)
الحاملاتُ لواءَ الحسنِ مختلفاً أشكالُه ، وهو فردٌ غير منقسِم(١٠)

---

١ ـ شفه الوجد : اهزله وانحل جسمه

٢ ـ انتصت : سكت سكوت مستمع وفى الشطر الثانى من البيت طباق بين قوله : « منتصت » . وقوله : « فى صمم » .

٣ ـ الناعس : الوسنان . والطرف (بالفتح) : العين . والمضنى : الذى اثقله المرض . ومضناك : الذى أضنيته بما لحقه من الوله عليك . وفى الشطر الثانى طباق بين قوله « أسهرت » وقوله : « فنم » .

٤ ـ الألو ، هنا : المنع والتقصير . واغراه بالشىء : زينه له وحرضه عليه

٥ ـ السرى . المشى فى الليل . وأسا الجرح يأسوه : داواه .

٦ ـ الموائس : جمع مائسة ، وهى المتبخترة ، والبان : ضرب من الشجر واحدتها : بانة ، يشبه القوام بأغصانها للدونتها . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . وسفح الدم : سفكه وأساله ٧ ـ يقال : سفرت المراة : كشفت عن وجهها . والحلى : ما تزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة ، والعصم : القلائد ، جمع عصمة ، كعنب وعنبة .

٨ ـ العثرة : الزلة والسقطة . واقاله من عثرته : انهضه منها . والدل قريب المعنى من الهدى : وهما من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك . والرسم . حسن المشى .

٩ ـ الضرم : اشتعال النار .

١٠ ـ اللواء : العلم ؛ وحمل لواء الحسن : كناية عن نهاية الحسن فيه .

من كلِّ بيضاءَ أو سمراءَ زُيِّنتا للعينِ ، والحُسنُ فى الآرامِ كالعُصُمِ(١)

يُرَعْنَ للبصرِ السامى ، ومن عجبٍ إذا أَشَرن أَسرن الليثَ بالعنمِ(٢)

وضعتُ خدِّى ، وقسَّمتُ الفؤادُ ربىً يَرتَعنَ فى كُنُسٍ منه وفى أَكمِ(٣)

يابنت ذى اللُّبَدِ المحمىِّ جانِبُه أَلقاكِ فى الغاب ، أَم أَلقاكِ فى الأُطُمِ ؟(٤)

ما كنتُ أَعلم حتى عنَّ مسكنُه أَن المُنى والمنايا مضرِبُ الخيمِ(٥)

مَنْ أَنبتَ الغصنَ مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ ؟ وأَخرج الريمَ مِن ضِرغامة قرِمِ ؟(٦)

بينى وبينكِ من سُمْرِ القَنا حُجُب ومثلُها عِفَّةٌ عُذرِيَةُ العِصَمِ(٧)

لم أَغش مغناكِ إلا فى غضونِ كرًى مَغناك أَبعدُ للمشتاقِ من إِرَمِ(٨)

---

١ ــ العصم : جمع أعصم ، الذى فيه العصمة بالضم ، وهى بياض اليدين والعصماء من المعز : البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو أحمر ، وحرك الصاد اتباعا لحركة العين قبلها

٢ ــ يرعن : يخفن ، والعنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخصوبة ، وفى البيت جناس بين قوله . « أشرن » وقوله «أسرن»

٣ ــ وضع الخد هنا : كناية عن الخضوع والاستسلام . والكنس (بضمتين) جمع كناس ، وهو مستقر الظباء فى الشجر . والأكم : جمع أكمة وهى الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله .

٤ ــ اللبد : جمع لبدة ، وهى الشعر المتراكب بين كتفى الأسد . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر المتكاثف . والاطم : القصر ، وكل حصن مبنى بالحجارة .

٥ ــ عن الشىء : بان وظهر ، والمنايا : جمع المنية ، وهى الموت ، يريد « بالمنى » : محبوبته أو لقاءها ، و « بالمنايا » : أباها أو لقاءه ، مبالغة ، ومضرب الخيم : المكان الذى تضرب فيه وتقام ، اى حيث تنزل تلك المحبوبة فى جوار أبيها . وفى البيت جناس .

٦ ــ الصمصامة : السيف ، والضرغامة : الأسد . والقرم : شديد الشهوة الى اللحم ، وهنا كناية عن شدة البأس والافتراس ، وأراد « بالغصن » و « الريم » معشوقته ، و « بالصمصامة » و « الضرغامة » : اباها . يتعجب كيف يولد لمثل هذا الرجل ، الشبيه بالسيف فى صلابته ومضائه ، مثل هذه المعشوقة ، التى هى كالغصن فى اللدونة ولطف التثنى ، وايضا : كيف يكون لمن يشبه الأسد فى قوته وسطوته وبأسه ، مثل هذه التى تشبه الغزال فى رقته وضعفه ؟

٧ ــ العفة العذرية : نسبه لقبيلة بنى عذرة ، اشتهر شبابها بالعشق العفاف ، والعصم : جمع عصمة وهى المنع والحفظ

٨ ــ غشى المكان : وافاه . والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله : والكرى : النوم . وارم : هى ارم ذات العماد ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

يا نفسُ ، دنياكِ تُخفى كلَّ مُبكيةٍ ... وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسَم (١)

فُضِّى بتقواكِ فاهاً كلما ضحكتْ ... كما يُفضُّ أذى الرقشاء بالثَّرَم (٢)

مخطوبةٌ — منذُ كان الناسُ — خاطبةٌ ... من أولِ الدهر لم تُرمِل ، ولم تَئِم (٣)

يَفنى الزمانُ ، ويبقى من إساءتِها ... جرحٌ بآدمَ يَبكى منه فى الأَدم (٤)

لا تحفلى بجناها ، أو جنايتها ... الموتُ بالزَّهرِ مثلُ الموت بالفَحَم (٥)

كم نائمٍ لا يَراها ، وهى ساهرةٌ ... لولا الأمانىُّ والأحلامُ لم ينم (٦)

طوراً تمدّك فى نُعْمى وعافيةٍ ... وتارةً فى قرار البؤس والوَصَم (٧)

كم ضلَّلتكَ ، وَمَن تُحجَبْ بصيرتُه ... إن يلقَ صابا يرِد ، أو عَلْقما يَسُم (٨)

يا ويلتاهُ لنفسى ! راعَها ودَها ... مُسْوَدَّةُ الصُّحْفِ فى مُبْيَضَّةِ اللِّمَم (٩)

ركَضْتها فى مَرِيع المعصياتِ ، وما ... أخذتُ من حِمْيَةِ الطاعات للتُّخَم (١٠)

---

١ — المبتسم : بمعنى المصدر ، اى الابتسام ، ويجوز أن يراد به الموضع ، اى الثغر ، والاضافة فيه من اضافة الصفة للموصوف .

٢ — الرقشاء من الحيات : المنقطة بالسواد والبياض . وأذى الرقشاء : سمها . والثرم : كسر السن من أصلها . ٣ — أرملت المراة : اذا مات عنها زوجها . وآمت المرأة من زوجها تئيم . والأيم : التى لا زوج لها ، سواء أكانت بكرا ، أم كان لها زوج فقدته . ٤ — الأدم : الجلد ، يقول : مع أن حالها وحال الناس ما ذكرنا ، فان اساءتها ما تنتهى ، حتى ان آدم (عليه السلام) لاينسى كيدها الى آخر الزمان ، وفى البيت الجناس بين آدم والأدم .

٥ — الجنى : ما يجتنى من الشجرة ويقطف من ثمرها

٦ — يريد بالنائم : المغتر بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها .

٧ — الوصم (بالتحريك) : الألم والمرض ، يقال وصمته الحمى فتوصم : اى آلمته فتألم .

٨ — الصاب : جمع صابة ، شجر مر . والعلقم . الحنظل . ويسم ، من سام يسوم : اى رعى يرعى

٩ — دها : اى دهاها . اللمم : جمع لمة ، وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن . مسودة الصحف : كناية عن العمل السيء . ومبيضة اللمم : الشيب ، والاضافة فيها من اضافة الصفة للموصوف .

١٠ — ركضتها ، أصل الركض : تحريك الرجل ، ويقال ركضت الفرس برجلى : اذا استحثثته ليعدو . والمراد هنا مجرد اطلاق النفس وارسالها فى طريق غوايتها . وفيه تشبيه النفس بالسائمة ، تشبيها مضمراً فى النفس على سبيل الاستعارة المكنية . والمريع : الخصيب . ومريع المعصيات : من اضافة المشبه به للمشبه ، أى المعصيات التى هى شبيهة بالمرعى المريع تستطيبه الدابة ، ففيه تشبيه ضمنى لمن يرسل نفسه فى المعاصى ، بالبهيم الذى يستطيب المرعى ويسترسل فيه . وحمية الطاعات ، كذلك من اضافة =

هامت على أَثَرِ اللّذّاتِ تطلبُها والنفسُ إن يَدْعُها داعى الصِّباتَهِم(١)

صلاحُ أمرِكَ للأَخلاقِ مرجِعُه فقوِّم النفسَ بالأَخلاقِ تستقم

والنفسُ من خيرِها فى خيرِ عافيةٍ والنفسُ من شرها فى مَرْتَعٍ وَخِمِ(٢)

تطغى إذا مُكِّنَتْ من لذّةٍ وهوًى طَغْىَ الجيادِ إذا عَضَّت على الشُّكُم(٣)

إنْ جَلَّ ذَنبى عن الغُفران لى أملٌ فى اللهِ يجعلنى فى خيرِ مُعتصَم(٤)

أُلقِى رجائى إذا عزَّ المُجيرُ على مُفرِّجِ الكرب فى الدارينِ والغمَم(٥)

إذا خفضتُ جَناحَ الذُّلِّ أَسأَله عِزَّ الشفاعةِ ؛ لم أَسأَل سوى أَمَم(٦)

وإن تقدَّم ذو تقوى بصالحةٍ قدَّمتُ بين يديه عَبْرَةَ الندَم(٧)

لزِمتُ بابَ أمير الأَنبياءِ ، ومَنْ يُمْسِكْ بمِفتاح باب الله يغتنِم(٨)

فكلُّ فضلٍ ، وإحسانٍ ، وعارفةٍ ما بين مستلم منه ومُلتزم(٩)

علقتُ من مدحهِ حبلاً أعزُّ به فى يوم لا عِزَّ بالأَنسابِ واللُّحَم(١٠)

= المشبه به للمشبه . اى الطاعات التى شبيهة بالحمية ، وفيه أيضا تشبيه ضمنى لمن يتعفف عن مساورة المعاصى بمن يمسك نفسه ان ينال ما يهيضه من الوان الطعام . والتخم : جمع تخمة ، قيل : هى فساد الطعام فى المعدة وقيل فساد المعدة بالطعام ، وقوله « للتخم » ، اى للتحرز عن التخم .

١ ـ هامت الناقة على وجهها : ذهبت ترعى . وداعى الصبا : اللهو والشباب .

٢ ـ المرتع ـ من رتعت الماشية ترتع رتوعا : اكلت ماشاءت . والمرتع : موضع الرتوع . والوخم : الردىء الوبى .

٣ ـ الشكم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس .

٤ ـ عصمة الله العبد : حفظه مما يوبقه ويهلكه ، والمعتصم : الموضع منها ، أو بمعنى المصدر ، أى الاعتصام .

٥ ـ الغمم : جمع غمة ، وهى الهم والحزن . والمجير هنا : المنقذ . اذا عز المجير ، اى يوم القيامة . ومفرج الكرب فى الدارين : هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه، لأنه أخرج الناس فى الدنيا من ظلمة الغواية الى نور الهدايه . وهو فى الآخرة صاحب الشفاعة العظمى .

٦ ـ الأمم : اليسير . وخفض جناح الذل : كناية عن شدة التواضع والانكسار .

٧ ـ العبرة : تحلب الدمع .

٨ ـ أمير الانبياء : هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولزوم بابه : كناية عن الالتجاء الى كرمه ، وعدم الانحراف عن التوسل به فى قضاء الطلبات .

٩ ـ العارفة : المعروف .

١٠ ـ اللحم : جمع لحمة ، وهى القرابة .

يُزرِى قَرِيضِى زُهَيْرًا حين أَمدحُه ولا يقاسُ إلى جودى لدَى هَرِمِ(١)

محمدُ صفوةُ البارى ، ورحمتُه وبغيَةُ الله من خَلْقٍ ومن نَسَمِ(٢)

وصاحبُ الحوض يومَ الرُّسْلُ سائلةٌ متى الوِرودُ ؟ وجبريلُ الأَمينُ ظَمِى(٣)

سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةً فالجِرمُ فى فلكٍ ، والضوءُ فى عَلَمِ(٤)

قد أَخطأَ النجمَ ما نالت أُبوَّتُه من سؤددٍ باذخ فى مظهَرٍ سَنِمِ(٥)

نُمُوا إليه ، فزادوا فى الورى شرَفاً ورُبَّ أَصلٍ لفرع فى الفخارِ نُمى(٦)

حَوَاه فى سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم نوران قاما مقام الصُّلبِ والرَّحِمِ(٧)

لما رآه بَحيرا قال : نعرِفُه بما حفظنا من الأَسماءِ والسِّيمِ(٨)

سائلْ حِراءَ ، وروحَ القدسِ : هل عَلِما مَصونَ سِرٍّ عن الإِدراكِ مُنْكَتِمِ ؟(٩)

كم جيئةٍ وذهاب شُرِّفتْ بهما بَطحاءُ مكة فى الإِصباحِ والغَسَمِ(١٠)

---

١ — يزرى : يعيب . والقريض : الشعر . وزهير : هو زهير بن أبى سلمى المزنى ، كان سيدا ، غنيا فى الجاهلية ، معروفا بالحلم والحكمة ، شاعرا فحلا . وهرم ، بكسر الراء : هو هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى ، مدح زهير هرما فاحسن ، ووصله هرم فأجزل الصله ، وبالغ فى العط

٢ — النسم : جمع نسمة ، وهى النفس ، أو هى الانسان .

٣ — وجبريل الأمين ظمى : الملائكة لا تظمأ ، فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب أى للناس ، بمعنى ان حاله تقتضى ذلك اشفاقا على حالهم ، لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف

٤ — سناوه : رفعته . وسناه : نوره . والعلم — هنا : العالم

٥ — السؤدد : السيادة . والباذخ : العالى . والسنم (ككتف) : المرتفع . وابوته : اى ذوو ابوته : والابوة : المعنى المأخوذ من الاب ، كالأخوة والبنوة .

٦ — نموا : نسبوا

٧ — السبحات (بضمتين) : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : انواره

٨ — السيم ، كعلب : جمع سيمة ، وهى العلامة . وبحيرا ، بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصرانى المشهور .

٩ — حراء : جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة . وروح القدس : جبريل عليه السلام ، والاضافة فيه من اضافة الصفة للموصوف ، أى الروح القدس ، والقدس : الطهر . ومصون سر : من اضافة الصفة الموصوف ، اى السر المصون . وقوله « منكتم » : وصف مؤكد لسر المصون ، لأن السر لا يكون الا كذلك : وتنكير « سر » للتعظيم . ١٠ — البطحاء : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . والغسم : الامساء وظلمة الليل . « الاصباح والغسم » : أى من كل مرة كان يطلب فيها النبى صلى الله عليه وسلم حراء لا كل صباح وكل عسم ، فانه صلى الله عليه وسلم كان يتزود ، فيقيم فى حراء الليالى والايام .

ووحشةٍ لابنِ عبد الله بينهما | أَشهى من الأُنس بالأحباب والحشَمِ (١)
يُسامِر الوحيَ فيها قبل مهبطِه | ومَن يبشِّرْ بسِيمَى الخير يتَّسِمِ (٢)
لما دعا الصَّحبُ يستسقون من ظمإٍ | فاضتْ يداه من التسنيم بالسَّنِمِ (٣)
وظلَّلتْه . فصارت تستظلُّ به | غمامةٌ جذَبَتْها خِيرةُ الديَمِ (٤)
محبةٌ لرسولِ اللهِ أُشرِبَها | قعائدُ الدَّيرِ : والرُّهبانُ في القِمَمِ (٥)
إنَّ الشمائلَ إن رقَّتْ يكاد بها | يُغرَى الجمادُ ، ويُغرَى كلُّ ذي نَسَمِ
ونُودِيَ : اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها | لم تتصلْ قبل مَن قيلتْ له بفمِ
هناك أَذَّنَ للرحمنِ ، فامتلأت | أَسماعُ مكَّةَ مِن قُدسيةِ النَّغمِ (٦)
فلا تسلْ عن قريش كيف حَيْرتُها ؟ | وكيف نُفْرتُها في السهل والعَلَمِ ؟ (٧)
تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمَّ بهم | رمَى المشايخَ والولدانَ باللَّمَمِ (٨)

---

١ — ابن عبد الله : هو النبي صلى الله عليه وسلم . والحشم : الخدم الخاصون بمولاهم ، والوحشة الخلوة والهم ، والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس .

٢ — مهبطه هنا : بمعنى هبوطه ٣ — التسنيم : ماء بالجنة يجرى فوق الغرف ، وسنم الاناء تسنيما : ملاه ، فكأنه اراد بالسنم هنا الاناء المملوء . والاحاديث الواردة في نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة .

٤ — الديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم .

٥ — القعائد : جمع قعيدة ، وقعائد الدين : ملازموه من متنسكة النصارى والقمم : جمع قمة ، وهى اعلى الراس من كل شيء ، والمراد بها هنا اعالى الجبل .

٦ — اذن للرحمن : أى دعا الى الله وقوله : من قدسية النغم : ترشيح لتشبيه الدعاء الى الله تعالى بالصوت الجميل ، وقدسية النغم : النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكبير الالفاظ واعتصار الحناجر ، وايقاع الاصوات

٧ — فلا تسل : يعنى ان الأمر واضح غنى عن السؤال ، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه : لاتسأل . العلم : الجبل

٨ — الم : نزل . واللمم (محركة) الجنون ، والمعنى أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذى نزل بهم ، وهو ان يقوم رجل ليس له مالهم من البأس والمنعة يزعجهم عما كان يعبد آباؤهم — وهم سادات قريش وجباهها — ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم واخلاقهم المغروزة فيهم ، دهشوا لهذا واستعظموه ، حتى جن منه شيبهم وشبابهم .

يا جاهلين على الهادى ودعوتِه ... هل تجهلون مكانَ الصادقِ العَلَمِ؟ (١)

لقَّبتموهُ أمينَ القومِ فى صِغرٍ ... وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهَمِ

فاق البدورَ . وفاق الأنبياءَ . فكمْ ... بالخُلْقِ والخَلْقِ مِن حسْنٍ ومِن عِظمِ

جاء النبيون بالآيات . فانصرمت ... وجئتنا بحكيمٍ غيرِ مُنصَرِمِ (٢)

آياتُه كلّما طالَ المدَى جُدُدٌ ... يَزِينُهُنّ جلالُ العِتقِ والقِدمِ (٣)

يكاد فى لفظةٍ منه مشرَّفةٍ ... يوصِيك بالحق، والتقوى، وبالرحمِ

يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً ... حديثُك الشّهدُ عند الذائقِ الفَهِمِ

حَلَّيتَ من عَطَلٍ جِيدَ البيانِ به ... فى كلِّ مُنتَثِرٍ فى حسن مُنتظِمِ (٤)

بكلِّ قولٍ كريمٍ أنت قائلُه ... تُحْيِي القلوبَ . وتُحيي ميِّتَ الهِممِ

سَرَتْ بشائرُ بالهادى ومولِده ... فى الشرق والغرب مَسْرى النور فى الظلمِ

تخطَّفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ ... وطيَّرت أنفُسَ الباغين من عجمِ (٥)

رِيعت لها شُرَفُ الإيوان ، فانصدعت ... من صدمة الحق . لا من صدمة القُدُمِ (٦)

أتيتَ والناسُ فَوْضَى لا تمرُّ بهم ... إلاّ على صَنمٍ . قد هام فى صنمِ

والأرض مملوءةٌ جوراً ، مُسَخَّرةٌ ... لكلّ طاغيةٍ فى الخَلْق مُحتكِمِ

مُسَيْطِرُ الفرسِ يبغى فى رعيّتِهِ ... وقيصرُ الروم من كِبْرٍ أصمُّ عَمِ

---

١ ــ العلم : الظاهر المشتهر . والجاهلون على الهادى : المتعنتون : والاستفهام فى قوله « هل تجهلون » انكارى .

٢ ــ انصرمت : انقطعت . منصرم . منقطع . الحكيم : القرآن ، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم فى مواضع منه .

٣ ــ جدد : جمع جديد ، كسرر وسريره .

٤ ــ يقال : عطلت المراة عطلا ، اذا لم يكن عليها حلى .

٥ ــ مهج : جمع مهجة ، وهى د. القلب .

٦ ــ ريعت : ذعرت وخافت وشرف : جمع شرفة وهى ما يوضع على القصور ونحوها . والقدم : جمع قدوم ؛ روى ان شرف الايوان ــ وهو مأوى سلطان الأكاسرة ــ ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ، لم تعمل فيها المعاول ، ولم تهدمها القدم بل تداعت من صدمة الحق .

يُعذِّبان عبادَ اللهِ فى شُبهٍ ويذبَحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم
والخلقُ يَفْتِكُ أقواهم بأضعفِهم كالَّليث بالبَهْم، أوكالحوتِ بالبَلَم(١)
أسرَى بك اللهُ ليلاً ، إذ ملائكُه والرُّسْلُ فى المسجد الأقصى على قدَم(٢)
لما خطرتَ به التفُّوا بسيّدِهم كالشُّهْبِ بالبدرِ، أوكالجُندبالعَلم
صلى وراءك منهم كلُّ ذى خطرٍ ومن يفُز بحبيبِ الله يأتَمم(٣)
جُبْتَ السمٰواتِ أو ما فوقهن بهم على منوّرةٍ دُرِّيَة اللُّجُم(٤)
رَكوبة لك من عزٍّ ومن شرفٍ لا فى الجيادِ، ولا فى الأَيْنُق الرسُم(٥)
مَشِيئةُ الخالق البارِي ، وصَنعتُه وقدرةُ الله فوق الشك والتُّهَم
حتى بلغتَ سماءً لا يُطارُ لها على جَناحٍ ، ولا يُسْعَى على قَدم
وقيل : كلُّ نبيٍّ عند رتبتِه ويا محمدُ ، هذا العرشُ فاستلم
خطَطتَ للدين والدنيا علومَهما ياقارِئَ اللوح ، بل يالامِسَ القَلم(٦)
أحطْتَ بينهما بالسرِّ ، وانكشفتْ لك الخزائنُ من عِلْمٍ ، ومن حِكَم(٧)

---

١ ــ البهم : جمع بهمة ، وهى ولد الضأن والمعز . والبلم : صغار السمك

٢ ــ المسجد الاقصى : بيت المقدس ،وعلى قدم : قائمون محتشدون .

٣ ــ ذى خطر : ذى قدرة ومنــزلة ويأتمم : أى يأتم ، والاصل : ومن يأتم بحبيب الله يفز ، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز .

٤ ــ بهم : أى بملابسه بعضهم فيها ، فانه ورد انه مر ببعضهم فى السموات لاكما هو المتبادر من قوله انهم صاحبوه حين جاب السموات ، ويريــد بقوله « منورة دريه اللجــم » البراق ٥ ــ « من » فى قوله « من عز ومن شرف » للتعليل ، اى لاجل عــزك وشرفك . والأينق الرسم : النــوق الشديدة الوطء لقوتها ، حتى كأنهــا ترسم فى الارض بمشيها أثارا ظاهرة والرسم : واحدها رسوم . والجياد : جمع جواد ، وهو الفرس الرائع البين الجودة .

٦ ــ خطه علوم الدين والدنيــا : كناية عن تعليمها الناس ، وبثها فيهم . وقراءة اللوح ولمس القلم : كناية عن اطلاع الله له على ما أطلعــه عليه ممن الغيوب .

٧ ــ عن ابن عباس رضى الله عنــه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « علمنى ربى ليلة الاسراء علوما شتى : عــلم أخذ على كتمانه . وعلم خيرنى فيــه ، وعلم أمرنى بتبليغه » .

وضاعَفَ القُربُ ماقُلِّدْتَ من مِنَنٍ بلا عِدادٍ ، وما طُوِّقتَ من نِعمِ(١)

سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغارِ سائمةً لولا مطاردةُ المختار لم تُسم(٢)

هل أبصروا الأثرَ الوضَّاءَ ، أم سمِعوا همْسَ التسابيحِ والقرآن من أَمَمِ ؟(٣)

وهل تمثّل نسجُ العنكبوتِ لهم كالغابِ ،والحائماتُ الزُّغْبُ كالرخم ؟(٤)

فأدبروا ، ووجوهُ الأرضِ تلعنُهم كباطلٍ من جلالِ الحق منهزِمِ(٥)

لولا يدُ اللهِ بالجارَيْنِ ما سلِما وعينُه حولَ ركنِ الدين ؛ لم يقم(٦)

تواريا بجَناحِ اللهِ ، واستترا ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَمِ(٧)

ياأحمدَ الخيرِ ، لى جاهٌ بتَسْمِيَتى وكيف لا يتسامى بالرسولِ سمِى ؟(٨)

المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ لصاحبِ البُرْدةِ الفيحاء ذى القَدَمِ(٩)

---

١ — يجوز أن يكون « القرب » فاعلا « لضاعف » ، و « ما » وما بعدها مفعولا به ، والمعنى ان قربه من الله تعالى قد اربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التى لا يدركها العد ، فكانت باضافة القرب اليها أضعاف ما كانت قبله . ويجوز ان يكون مفعولا . والفاعل « ما » وما بعدها ، والمعنى أن ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التى لاتعد واولاه من الفضائل التى لا تحصى ، قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب ، والاول أولى

٢ — عصبة الشرك : اى عصبة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرته . والغار : كالثقب بجبل أسفل مكة . سائمة : راعية .

٣ — « من أمم » : من قرب

٤ — الغاب : الشجر الكثير المتكاثف والحائمات الزغب : الحمام . والرخم : جمع رخمة ، وهى طائر على شكل النسر ، الا انه منقط السواد والبياض

٥ — شبه ادبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وادحاضه قال الله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . ونسبة اللعن لوجوه الارض مجاز عقلى . واللاعن : من فيها من المسلمين والملائكة ، او المراد وجوه اهلها ، اى اعيانهم وافاضلهم .

٦ — الجاران : الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه . والمراد باليد : النعمة . وعينه : عنايته ، وحرف الشرط مقدر فى الجملة الثانية .

٧ — جناح الله : لطفه وستره . ويضم : يلحق به الضيم .

٨ — من أسمائه صلى الله عليه وسلم : احمد . وقد سمى الشاعر به تيمنا باسم الرسول الاكرم ويتسامى : يتعالى . والاستفهام فى البيت انكارى .

٩ — تبع : أخبر بالمصدر مبالغة ، وافرده لانه يستوى فيه الواحد والجمع ، أو على تقدير مضاف ، اى ذوو تبع ، اى مقتدون به . والقدم : التقدم والمنزلة ، وصاحب البردة : هو الامام البوصيرى .

مديحه فيك حبٌّ خالصٌ وهوًى ... وصادقُ الحبِّ يُملى صادقَ الكلمِ(١)

لله يشهدُ أنى لا أعارضُه ... من ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرِمِ؟(٢)

وإنَّما أنا بعض الغابطين ، ومَن ... يغبِطْ. وليَّك لا يُذمَمْ ، ولا يُلَمِ(٣)

هذا مقامٌ من الرحمٰنِ مُقتبَسٌ ... تَرمى مَهابتُه سَحْبانَ بالبَكمِ(٤)

البدرُ دونكَ فى حسنٍ وفى شرفٍ ... والبحرُ دونك فى خيرٍ وفى كرمِ

شُمُّ الجبالِ إذا طاولتَها انخفضت ... والأَنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تسِمِ(٥)

والليثُ دونك بأْساً عند وثبتِه ... إذا مشيتَ إلى شاكى السلاحِ كَمِى(٦)

تهفو إليكَ ــ وإن أَدميتَ حبَّتَها ... فى الحربِ ــ أفئدةُ الأَبطالِ والبُهَم(٧)

محبةُ اللهِ أَلقاها . وهيبتُه ... على ابن آمنةٍ فى كلِّ مُصطَدَمِ(٨)

كأَنَّ وجهَك تحت النَّقْعِ بدرُ دُجًى ... يضىءُ مُلتَثِماً . أَو غيرَ مُلتثِمِ(٩)

بدرٌ تطلَّعَ فى بدرٍ فغُرَّتُه ... كغُرَّةِ النصرِ . تجلو داجىَ الظُّلَمِ(١٠)

ذُكِرْتَ باليُتْمِ فى القرآن تكرمةً ... وقيمةُ اللؤلؤِ المكنونِ فى اليُتُمِ(١١)

---

١ ــ مديحه حب : اى ناشىء من الحب ، أو ذو حب أى دال عليه

٢ ــ الصوب : الانصباب ، ومجىء السماء بالمطر . والعارض : السحاب المعترض فى الافق ؛ والعرم : يريد المطر الشديد .

٣ ــ الغابط : الذى يتمنى مثل ما الغير ؛ وليس هذا القدر بمذموم . ويذمم : يذم . ٤ ــ البكم : الخرس . وسحبان : هو سحبان وائل من بنى باهلة . كان يضرب بفصاحته المثل .

٥ ــ يقال : واسمه فى الحسن فوسمه : غلبه فيه . انخفاض الجبال: كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه . ٦ ــ الكمى : لابس السلاح

٧ ــ تهفو : هفا الظبى فى المشى يهفو هفوا وهفوانا : أسرع وخف فيه ؛ والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها اليه صلى الله عليه وسلم ؛ وحبة القلب : سويداؤه ؛ والبهم : جمع بهمة وهو الشجاع .

٨ ــ مصطدم : بمعنى المصدر ؛ أى الاصطدام ؛ أو : الموضع ، أى موضع الاصطدام ؛ وهو ميدان الحرب .

٩ ــ النقع : غبار الحرب . ١٠ ــ بدر : موضع بين الحرمين الشريفين : وفيه كانت الغزوة المشهورة التى دمغ فيها الشرك وأعز الاسلام .

١١ ــ اليتم فى الناس : فقدان الأب وهو فى الاشياء : التفرد وعدم وجود نظائر لها ؛ واللؤلؤة اليتيمة : التى لا نظير لها فى العقد . ذكرت باليتم فى القرآن : يشير الى قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) ؛ وحرك التاء اتباعا لحركة الياء قبلها فى قوله : اليتم : ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

اللهُ قسّمَ بين الناسِ رزقَهُمُ — وأنت خُيِّرْتَ فى الأرزاق والقِسَم(١)

إن قلتَ فى الأمرِ : «لا» ، أو قلتَ فيه : «نعم» — فخيرَةُ اللهِ فى «لا» منكَ أو «نعم»

أخوك عيسى دَعَا ميْتًا ، فقام لهُ — وأنت أحييتَ أجيالاً مِن الرِّمَمِ

والجهلُ موتٌ ، فإنْ أُوتيتَ مُعْجِزَةً — فابعثْ من الجهل . أو فابعثْ من الرَّجَمِ(٢)

قالوا : غزَوْتَ ، ورسْلُ اللهِ ما بُعِثوا — لقتْلِ نفسٍ . ولا جاءُوا لسفكِ دمِ

جهلٌ ، وتضليلُ أحلامٍ ، وسفسطةٌ — فتحتَ بالسيفِ بعد الفتحِ بالقلمِ

لما أتى لكَ عفوًا كلُّ ذى حَسَبٍ — تكفَّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَمِ(٣)

والشرُّ إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقتَ به — ذَرْعاً ، وإن تَلْقَهُ بالشرِّ يَنحسِمِ

سَلِ المسيحيّةَ الغراءَ : كم شربت — بالصّاب من شَهوات الظالم الغَلِمِ(٤)

طريدةُ الشركِ ، يؤذيها ، ويوسعُها — فى كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَدَمِ(٥)

لولا حُماةٌ لها هبُّوا لنصرَتِها — بالسيفِ ؛ ما انتفعتْ بالرفقِ والرُّحَمِ(٦)

لولا مكانٌ لعيسى عند مُرسِلهِ — وحُرمَةٌ وجبتْ للروح فى القِدَمِ(٧)

---

١ ــ روى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت : لا يارب ، ولكن اشبع يوما واجوع يوما »

٢ ــ والجهل موت : كالترشيح للاستعارة فى البيت السابق ، وهو تشبيه بليغ . وأوتيت : خطاب لغير معين . والرجم : القبر .

٣ ــ العمم : اسم جمع للعامة . ٤ ــ الغلم : الهائج الثائر .

٥ ــ الحدم (بالتحريك) : شدة احتراق النار .

٦ ــ الرحم : الرقة والمغفرة والتعطف .

لم يكن استعمال القوة فى اقامة الدعوة للدين شأن الدين الاسلامى وحده ، وهذه الديانة المسيحية الموصوفه بديانه الرهبنة والسلام . لم تبدأ الدعوة اليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم ، من الطرد والقتل ، والتعذيب ، والتشريد ، والتمثيل بأيدى الجبابرة الطغاة من الملوك والقياصرة ، بل بأيدى الشعوب والأمم ، وتاريخ المسيحية بين اهل رومية مما تشيب له الولدان ، فترى الدين المسيحى دين الرهبنه والسلام ما دخل البلاد الا على رءوس الاسنة ، ولا حمل الى الامم الا على متون السيوف .

٧ ــ المكان : المكانة ، بمعنى القرب وارتفاع المنزلة ، لأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة . ووجبت : ثبتت له من القدم ، لأن الله تعالى علم الأشياء وارادها ازلا فصارت واجبة ، بمعنى أنها لم تتخلف ابدا ، والخبر محذوف فى قوله « مكان » و « حرمة » : أى ثابتان .

لسُمِّرَ البدَنُ الطُّهرُ الشريفُ على   لَوْحَيْن ، لم يخشَ مؤذيه ،ولم يَجِمِ(١)

جلَّ المسيحُ ، وذاقَ الصَّلبَ شانِئُهُ   إن العقابَ بقدرِ الذنبِ والجُرُمِ(٢)

أخُو النبى ، وروحُ اللهِ فى نُزُل   فوقَ السماء ودون العرشِ مُحترَمِ(٣)

علَّمْتَهم كلَّ شىءٍ يجهلون به   حتى القتالَ وما فيه من الذِّمَمِ(٤)

دعوتَهم لِجِهادٍ فيه سؤددُهُمْ   والحربُ أُسُّ نظامِ الكونِ والأُمَمِ

لولاه لم نر للدولاتِ فى زمن   ما طالَ من عمد ، أو قرَّ من دُهُمِ(٥)

تلك الشواهِدُ تَتْرَى كلَّ آونة   فى الأَعصُرِ الغُرِّ ، لا فى الأَعصُرِ الدُّهُمِ(٦)

بالأمس مالت عروشٌ ، واعتلت سُرُرٌ   لولا القذائفُ لم تُثْلَمْ ، ولم تصمِ(٧)

أشياعُ عيسى أعَدُّوا كلَّ قاصمةٍ   ولم نُعِدَّ سِوى حالاتِ مُنقصِمِ(٨)

---

١ ـ لسمر :جواب الشرط فى البيت السابق ، والطهر : الطاهر من أدران المعاصى ، ووصف بالمصدر مبالغة . واللوحان : الصليب الذى أعد له عليه السلام ، والمراد بالتسمير : الصلب . لم يجم : لم يفزع .

٢ ـ جل المسيح : تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الاقاويل، وعما زعموا من انهم صلبوه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وشانئه : مبغضه. وحرك الراء فى قوله « والجرم » اتباعا لحركة الجيم قبلها

٣ ـ اخو النبى : أى فى الرسالة . روح الله : أى روح منه . قال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وسمى روحا ، لاحيائه الموتى باذن الله ، ولأنه نفخة من جبريل ، قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا) ونسبة النفخ الى الله تعالى مجاز ، و « من » فى الآية للابتداء ، فوق السماء : اى السماء الدنيا . محترم : صفة لقوله نزل بضمتين ، وهو فى الاصل : المنزل ، وما هيىء للضيف أن ينزل عليه .

٤ ـ الذمم : جمع ذمة ، وهى العهد والامان ، والحق .

٥ ـ عمد : جمع عمود . وقر : ثبت ودعم : جمع دعام ، وهو عماد البيت والدعم هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك ، ويرتفع به شأن الامم .

٦ ـ الغر : جمع اغر : صفة لذى الغرة ، وهى بياض فى الجهة ، والأعصر الغر : التى ساد فيها العلم وعمت أسباب العدل . الدهم : المظلمة التى شاع فى أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم .

ما زالت الغلبة للقوة ، ولا زالت معتمد الدول ومستند الأمم ، فى رفع عماد الملك ، وتثبيت دعامة الحكم ،استوت فى ذلك الأزمان السالفة التى يظنونها ازمان تأخر وتقهقر ، والأيام الحاضرة التى يزعمونها ايام تقدم وتنور . وفى البيت الطباق   ٧ ـ اعتلت : علت .

٨ ـ قاصمة : كاسرة . ومنقصم :منكسر . فى هذا البيت مقارنة بين أهل الديانة المسيحية ، واهل الديانة الاسلامية ، فذكر أن المتشيعين اليوم الى الدين المسيحى « دين الهدوء والسلام » هم أهل القوة الحربية =

مهما دُعِيتَ إلى الهَيْجَاءِ قُمْتَ لها ترمى بأُسْدٍ ، ويرمى اللهُ بالرُّجُمِ(١)

على لِوَائِكَ منهم كلُّ مُنتقِمٍ لله ، مُستقتِلٍ فى اللهِ ، مُعتزِمِ(٢)

مُسبِّحٍ للقاءِ اللهِ ، مُضطرِمٍ شوقاً ، على سابحٍ كالبرقِ مضطرِمِ(٣)

لو صادفَ الدهرَ يَبغِى نقلةً ، فرمى بعزمِهِ فى رحالِ الدهرِ لم يَرِمِ(٤)

بيضٌ ، مَفاليلُ من فعلِ الحروبِ بهم من أَسْيُفِ اللهِ ، لا الهندِية الخُذُمِ(٥)

كم فى الترابِ إذا فتَّشت عن رجلٍ من ماتَ بالعهدِ ، أو من مات بالقَسَمِ(٦)

= الدائبون على اعـداد المهلكات فى الحروب ، حتى كأنهم اصبحوا ، ولـم يبق لهم من شـغل يشـغلهم ، الا استخراج الذهب من بطـون الارض ، وانفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لطبع آلات الحرب فى طـول الارض وعرض البحر ، وقد افتنوا فى أسباب الاهلاك والتدمير ، ولم يكفهـم أن يدمدموا على الناس ، ويأخذوهـم بالبلاء عن ايمانهم وعن شمائلهم ، ومن خلفهم ومن تحت ارجلهم ، حتى قاموا على تسخير الرياح ، ليرموهم من فوق رءوسهم بكل دهياء ، على حين أن أهل الديانة الاسلامية ، الذين يتهمهـم الظالمون بحب الفتح والجهاد ، ويشينون سمعتهم بحب الطعن والجلاد ، والولوغ فى دماء العباد ، هم القوم اهل السكينة والسلام ، وهيهات ان يدانوا اهـل الديانة المسيحية فى حب الفتوح والحروب ، او يشاكلوهم فى ادخار آلات الحرب واستعداد معدات الكفاح

١ — الهيجاء : الحرب . الرجم : النجوم التى يرمى بها . رجـع الى خطابه صلى الله عليه وسلم ، وشـبه اصحابه بالأسود ، لما لهم من شجاعتهم وبأسهم . ورميه بهم : كناية عن ندبه اياهم للجهاد ، وتقديمهم الى مواطن الطعن والجلاد . والرمى بالرجم يكون للشياطين ، ففيه استعارة مكنية ، اى انهم كالشياطين يرمون بالرجم .

٢ — على لوائك : اى منضو تحت لوائك . استعارة العلو للتحتيـة استعارة تمليحية

٣ — الاضطرام : توقد النار وتأججها سابح : جواد ، شبه حميتهم ونشاطهم فى الحرب وجولاتهم فيها باضـطرام النار : وهو توقدها ، وتأججهـا ، واخذها يمينا وشمالا ، واسـتعار الاضطرام لذلك المعنى ، ثم اشتق منه مضطرم ، على سبيل التبعية

٤ — يبغى : يريد . وشبه العـزم بالسهم ، بجامع المضاء والنفوذ فى كل وشبه الدهر بذى رحال ، بجامـع التحول فى كل ، وحذف المشبه به ، ورمز اليه بلازمه — وهو الرحال — على طريقة الاستعارة المكنية — لم يرم : لم ينتقل ولم يتحول .

٥ — مفاليل : الفل الثلم فى السيف . والهندية : نسبة الى الهنـد كانت مشتهرة بطبع السيوف . والخذم : جمع خذم ، ككتف السيف القاطع . بيض : اى سيوف بيض . شـبههم بالسيوف لازهاقهم نفوس الاعداء وهو تشبه بليغ . ومفاليل ترشيح للتشبيه بالسيوف .

٦ — بالعهد : أى احتفاظا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من نصرته للرسول . من : تفصيل لحال الرجل ، او تفصيل لمعنى « كم » .

لولا مواهبُ فى بعضِ الأنام لما ... تفاوت الناسُ فى الأقدار والقِيَم(١)

شريعةٌ لك فجرت العقول بها ... عن زاخرٍ بصنوفِ العلم ملتطِم

يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها ... كالحلْى للسيف أو كالوشْى للعَلَم(٢)

غرّاءُ . حامت عليها أنفسٌ . ونُهًى ... ومن يَجدْ سَلسَلًا من حكمةٍ يَحُم(٣)

نورُ السبيل يساس العالَمون بها ... تكفَّلتْ بشباب الدهرِ والهَرَم(٤)

يجرى الزمانُ وأحكامُ الزمانِ على ... حُكمٍ لها . نافِذٍ فى الخلق . مُرتَسِم

لما اعتلت دولةُ الإسلامِ واتسعت ... مشتْ ممالِكَهُ فى نورِها التَّمم(٥)

وعلَّمتْ أُمةً بالقفر نازلةً ... رعْىَ القياصرِ بعد الشّاءِ والنَّعَم

كم شَيَّد المصلِحُون العاملون بها ... فى الشرق والغرب مُلكًا باذِخَ العِظَم

للعِلم . والعدلِ . والتمدينِ ما عزموا ... من الأُمور . وما شدُّوا من الحُزُم(٦)

سرعان ما فتحوا الدنيا لِملَّتِهم ... وأنهلوا الناسَ من سَلسالها الشَّبِم(٧)

ساروا عليها هُداةَ الناس . فَهْى بهم ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العَظَم(٨)

---

١ — أشار فى هذا البيت الى ان ما ناله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم . من الفوز بالسعادة ، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى . انما كان بما تقدم لهم من الفضائل . والبلاء فى نصرة الدين ، وتعرضهم للقتل والطعن فى سبيل الله تعالى ، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس ؛ ولا عدت درجتهم منزله غيرهم من العالمين

٢ — الوشى : النقش .

٣ — حامت : عطفت ومالت . ونهى : جمع نهية وهى العقل . والسلسل : الماء العذب .

٤ — نور السبيل : لأنها يهتدى بها الى غاية النجح والفلاح فى الدنيا ، والفوز والسعادة فى الأخرة . وشباب الدهرِ والهرم : كناية عن اوله وآخره . أو عن حالتى اقباله وادباره . وتكفلها بشباب الدهر .. الخ : أى تكفلها بما يعلى اهلها ؛ ويصلح من شأنهم على كل حال من الاحوال . بلا تغيير فى احكامها ولا تبديل لنصوصها .

٥ — التمم : التام — ٦ — الحزم : جمع حزام .

٧ — سرعان : أسم فعل ، يستعمل خبرا محضا ، وخبرا فيه معنى التعجب يقال : سرعان ما فعل كذا : اى ما أسرعه . والنهل : اول الشرب ؛ تقول : انهلت الابل اذا شربت من أول الورد . والسلسال : الماء العذب . والشبم : البارد .

٨ — ساروا عليها : اخذوا بها وجروا على احكامها . هداة الناس : اى حالة كونهم هادين للناس . فهى : أى الملة بهم : أى بسبب قيامهم بها ونشرهم لها .

لا يهدمُ الدهرُ رُكناً شاد عدلُهُمُ وحائط البغى إن تلمسْهُ ينهدمِ

نالوا السعادةَ فى الدارين فاجتمعوا على عميم من الرضوان مقتسم

دعْ عنك روما، وآثينا. وما حوتا كلُّ اليواقيت فى بغدادَ والتُّوَمِ(١)

وخلِّ كِسرى، وإيوانًا يدلُّ به، هوى على أثرِ النيران والأيُمِ(٢)

واتركْ رعمسيسَ. إن الملكَ مظهرُه فى نهضة العدل. لا فى نهضة الهرَمِ(٣)

دارُ الشرائع روما كلّما ذُكِرَتْ دارُ السلام لها ألقتْ يدَ السَّلَمِ(٤)

ما ضارَعَتها بياناً عند مُلتَأَمٍ ولا حكَتها قضاءً عند مُختصَمِ(٥)

ولا احتوت فى طِرازٍ من قياصِرها على رشيدٍ، ومأمونٍ، ومُعتصِمِ(٦)

---

١ ـ روما : هى المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم ، قاعدة لمملكة ايطاليـا ، وكانت فى الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة . وأثينا : قاعـدة مملكة اليونان الآن ، وكانت من اكبر مدن الأمة اليونانية فى العصور السابقة وبغداد : قاعدة الخلافة الاسلامية فى دولة بنى العباس ، والتوم : جمـع تومة ، وهى الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة .

٢ ـ كسرى : لقب لكل من ولى ملك فارس . والنيران . لعله يريد بهـا نيران فارس ، التى خبت ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك أيام كسرى أنو شروان . والأيـم : الدخان .

٣ ـ الهرم : الاهرام فى مصر كثيرة واشهرها أهرام الجيزة الثـلاثة . وأكبرها أشهرها واعجبها ، حتى اذا ذكر لفظ الهرم صرف اليه، ورعمسيس اسم بعض الفراعنة « مـلوك مصر القدماء » ، وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم ، ولعل الشاعر يريد اولئك الفراعين ـ على الجملة ـ الذين ينتسب مجدهم الى مثل هذا العمـل الخطير ، وان كان بانى الهـرم ليس رعمسيس بعينه .

٤ ـ دار السلام : بغداد . والسلم: التسليم .

٥ ـ ملتام : مجتمـع . مختصم : بمعنى المصدر : اى اختصام . كمـا اشتهرت (روما) بقضائها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها ، وكان من عادة الرومانيين انهم اذا نزل بهم الأمر العظيم ، نفروا الى بعض أماكنهم العامة ، فخطبهم الخطباء ، وانشدهـم الشعراء ، الذين كان لفصاحة ألسنتهم فى الناس تأثير عجيب ، ومع هذا فمـا دانوا فى قضائهم شأو بغداد ، التى كان يقضى فيها بدين الله ، وهو اجل من ان يقاس به غيره ، ويوازن به ما سواه ، ولا بلغوا فى فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية ، الذين قالوا فى كل باب ، فهزوا النفوس وخلبوا الالباب ـ ٦ ـ الطراز : علم الثوب ، والجيد من كل شئ . ولا احتوت على رشيد الخ ، اى على أمثالهم فى الفضل والعدل والحزم .. ورشيد : هو هـارون الرشيد . ومأمون : هو عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد الخليفـه العباسى المشهور . ومعتصم : هو ابو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولى الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون .

من الذين إذا سارت كتائبُهم تصرّفوا بحدود الأَرض والتخُم(١)
ويجلسونَ إلى علمٍ ومَعرفةٍ فلا يُدانَوْن فى عقلٍ ولا فَهَمِ
يُطأْطِئُ العلماءُ الهامَ إن نَبَسوا من هيبةِ العلْم ، لا من هيبة الحُكُمِ
ويُمطِرون ، فما بالأَرضِ من مَحَلٍ ولا بمن بات فوق الأَرضِ من عُدُمِ(٢)
خلائفُ الله جلُّوا عن موازنةٍ فلا تقيسنّ أَملاكَ الورى بهم(٣)
مَنْ فى البرية كالفاروق مَعْدَلَةً ؟ وكابن عبدالعزيز الخاشعِ الحشمِ ؟(٤)
وكالإمام إذا ما فَضَّ مزدحماً بمدمع فى مآقى القوم مزدحمِ(٥)
الزاخر العذْب فى علْمٍ وفى أَدبٍ والناصر النَّدْب فى حرب وفى سلمِ ؟(٦)
أَو كابن عفّانَ والقرآنُ فى يدِهِ يحنو عليه كما تحنو على الفُطُمِ(٧)
ويجمع الآى ترتيبًا وينظمُها عقدًا بجيد الليالى غير منفصِمِ ؟
جُرحان فى كبدِ الإسلام ما التأَما جُرْحُ الشهيد ، وجرحٌ بالكتاب دمى(٨)
وما بلاءُ أَبى بكر بمتَّهم بعد الجلائل فى الأَفعال والخِدَمِ

---

١ ـ الكتائب : جمع كتيبة . وهى الجيش . والتخم . كعنق : جمع تخوم وهى الفواصل بين الارضين من معالم الحدود .
٢ ـ المحل : الجدب . والعدم : فقدان المال .
٣ ـ خلائف الله : هذا قول مستأنف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتأخرين وذكر الخلفاء الراشدين بعده من ذكر الخاص بعد العام ، اهتماما بشأنهم . وورعه . وتشبه بهم ، واقتدائه فى عبد العزيز رضى الله عنه ، لشدة فضاله وورعه . وتشبهه بهم . واقتدائه فى حكومته بحكومتهم ، فكان حقيقا ان يذكر فيهم ، ويلحق بهم .
٤ ـ المعدلة : العدل
٥ ـ الامام : هو الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومآقى العيون : أطرافها مما يلى الأنوف . وهى مجارى الدمع .
٦ ـ يقال : رجل ندب ، اى خفيف فى الحاجة سريع ظريف نجيب .
٧ ـ ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . والفطم : جمع فطيم ، وهو الصبى المفصول عن الرضاع .
٨ ـ وجرح بالكتاب دمى : اى وجرح دمى به الكتاب . وقلب للمبالغه . وذلك ان قتلة عثمان رضى الله عنه دخلوا عليه الدار . وخبطوه بالسيوف وهو صائم . والمصحف فى حجره ، وهو يقرأ فيه . فوقع المصحف من يده وسال الدم عليه .

بالحزم والعزم حاطَ الدين فى محنٍ أضلَّت الحلم من كهلٍ ومحتلم(١)
وجِدْنَ بالراشد الفاروق عن رشد فى الموت ، وهو يقينٌ غير منبَهم(٢)
يجادِلُ القومَ مُسْتَلاًّ مهنَّدَه فى أعظم الرسْلِ قدرًا ، كيف لم يدم ؟(٣)
لاتعذلوه إذا طاف الذهولُ به مات الحبيبُ ، فضلَّ الصَّبُّ عن رَغَم

* * *

يارب صَلِّ وسلِّم ما أَردتَ على نزيل عرشِك خيرِ الرسْلِ كلِّهم
مُحيِي الليالى صلاةً ، لا يقطِّعُها إلاَّ بدمع من الإشفاق مُنسجم
مسبِّحاً لك جُنْحَ الليل ، محتملًا ضُرًّا من السُّهد ، أَو ضُرًّا من الورَم
رضيَّةً نفسُه ، لا تشتكى سأماً وما مع الحبِّ إن أخلصت مِن سَأَم
وصلِّ ربِّى على آلٍ لهُ نُخَبٍ جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحرم(٤)
بيضُ الوجوه ، ووجهُ الدهر ذوحَلَكٍ شُمُّ الأُنوف ، وأُنفُ الحادثات حمى(٥)
وأهد خيرَ صلاةٍ منك أَربعةً فى الصحب ، صُحبتُهم مَرْعِيَّةُ الحُرَم

---

١ ــ يشير الى حروب الردة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتصاره على المرتدين .

٢ ــ يقول : ماظنك بتلك المحن التى تنحرف بعمر رضى الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشد ، ووفور العقل ، وصدق اليقين ، وتذهله عن ادراك امر من اظهر البديهيات لديه ، هو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ وذلك انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الناس مات رسول الله ، اسرع عمر الى سيفه وتوعد من يقول ذلك ، وقال انى لارجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم . فلما حضر أبو بكر ، واخبر الخبر ، كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : يأبى أنت وأمى . والله لايجعل الله عليك موتتين ، أما الموته التى كتبت عليك فقد متها . ثم خرج الى الناس ، وقال : الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

٤ ــ النخب : جمع نخبة . وهى الرجل المختار .

٥ ــ الحلك (محركة) : شدة السواد . والشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها ، وهو هنا كناية عن الحمية وشرف النفس . وانف الحادثات حمى : كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الامر .

الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم ما هال من خَلَلٍ ، واشتد من عَمَمِ(١)
الصابرين ونفسُ الأرض واجفةٌ الضاحكين إلى الأخطار والقُحَمِ(٢)
يارب ، هبتْ شعوبٌ من منيّتها واستيقظت أُمَمٌ من رقْدة العدم
سعدٌ ، ونحسٌ ، ومُلكٌ أنت مالِكه تُديلُ مِنْ نِعَمٍ فيه ، ومِنْ نِقَم
رأى قضاؤك فينا رأىَ حكمته أكرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقم
فالطُفْ لأجلِ رسولِ العالمين بنا ولا تزدْ قومَه خسفًا . ولا تُسم
يارب : أَحسنت بَدءَ المسلمين به فتمِّم الفضلَ . وامنحْ حُسنَ مُخْتَتَمِ(٣)

خاتمة رياض (*)

كبير السابقين من الكرام برغمى أن أنالكَ بالملام(٤)
مقامُك فوق ما زعموا . ولكن رأيتُ الحقَّ فوقك والمقام(٥)
لقد وجدوكَ مفتوناً . فقالوا خرجت من الوقار والاحتشام(٦)

---

١ ــ هاله الامر هولا : أفزعه . والجلل ، هنا : الامر العظيم والعمم : التام العام من كل أمر ، يقال : أمر عمم ، أى تام عام .

٢ ــ القحم : جمع قحمة بالضم ، ومن معانيها : الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد ، وهو المراد هنا .

٣ ــ لا يخفى ما فى (حسن مختتم) من حسن الختام

(*) قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا فى مدرسة محمد على الصناعية فى ٨ يونيو سنة ١٩٠٤ .

٤ ــ الخطاب فى هذا البيت لمصطفى رياض باشا ، وكان قد خطب فى افتتاح مدرسة محمد على الصناعيه ، التى انشأتها فى الاسكندرية جمعية العروة الوثقى سنه ١٩٠٤ ، وكان اللورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضرا هذا الافتتاح ، فتملقه الخطيب بكلام ، كقر به نعمة مصر وأصحاب عرشها .

٥ ــ رايت الحق فوقك والمقام : أى وفوق مقامك .

٦ ــ الوقار : الرزانة . والحلم والاحتشام : الاستحياء .

وقال البعضُ : كيدُكُ غيرُ خافٍ ... وقالوا : رميةٌ من غير رام(١)
وقيل : شططْتَ فى الكفران ، حتى ... أرْبَتَ المنعمين بالانتقام(٢)
غمرتَ القومَ إطراءً ، وحمداً ... وهم غمروك بالنِّعم الجِسام(٣)
رأوا بالأمس أنفَك فى الثريا ... فكيف اليوم أصبح فى الرِّغام ؟(٤)
أما والله ما علموك إلا ... صغيراً فى ولائك ، والخصام
إذا ما لم تكن للقول أهلاً ... فما لك فى المواقف والكلام ؟
خطبتَ . فكنتَ خَطْباً ـ لا خطيباً ـ ... أُضِيفَ إلى مصائبنا العِظام
لُهِجْتَ بالاحتلال وما أتاه ... وجُرحُك منه ـ لو أحْسَسْتَ ـ دامى(٥)
وما أغناهُ عمن قال فيه ... وما أغناك عن هذا الترامى(٦)
أحبَّتك البلادُ طويلَ دهرٍ ... وذا ثمنُ الولاء والاحترام
حَقَرْتَ لها زماماً كنتَ فيه ... لَعُوباً بالحكومه والذمام(٧)
محاسنُه غِراسُك والمساوى ... لك الثمرانِ : من حمدٍ . وذام(٨)
نهلاً قلت للشبان قولاً ... يليقُ بحافل الماضى الهمام ؟

---

١ ـ الكيد : المكر والخبث وارادة ضرر الغير خفية . ورمية من غير رام : يريد أنه لم يقصد الكيد بماقاله ؛ وأصل المثل : رب رمية من غير رام ، وهو يقال لمن يصيب فى أمر وعادته أن يخطىء

٢ ـ شططت : أفرطت .

٣ ـ غمرت القوم ، من قولهم : غمرت فلانا بالمعروف والفضل . أى بالغت فى الاحسان اليه ٤ ـ الثريا : سبعة كواكب فى عنق البرج المعروف بالثور . والرغام (بفتح الراء) : التراب ـ٥ـ لهجت بالاحتلال ، من قولهم : لهج بالشىء ، اذا أغرى به فثابر عليه . والدامى : الذى يسيل دمه ٦ ـ وما أغناه ... ألخ : أى ما أغنى الاحتلال عنك ، وما أغناك من أن تترامى على أصحابه بمثل ماقلت .

٧ ـ حقرت (بفتح القاف مخففة) : استصغرت . الزمام (بالزاى) : ملاك الأمر . والذمام (بالذال) : الحق والحرمه ـ٨ـ محاسنه : الضمير للزمام أى انت الذى غرست ما لهذا الزمام من المحاسن والمساوىء ، فلك مايثمر من حمد وذم .

يَبُثُّ تجاربَ الأيامِ فيهم ويدعو الرابضين إلى القِيام(١)

خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ بأنكَ من مَشيبك فى منام

ولولا أن للأوطان حبًّا يُصِمُّ عن الوِشايةِ كالغرام

جنيتَ على قلوبِ الجمع بأساً كأنكَ بينهم داعى الحِمام(٢)

أراعكَ مقتلٌ من مصرَ باقٍ فقمت تزيدُ سهمًا فى السهام؟(٣)

وهل تركتْ لك السبعون عقلاً لعرفانِ الحلالِ من الحرام ؟

ألا أنبيك عن زمنٍ تولى فتذكرَه ودمعُكَ فى انسجام؟(٤)

سل «الحلميةَ» الفيحاءَ عنه وسل دارًا على «نور الظلام»(٥)

وسل من كان حولك عبدَ جاهٍ يُريكَ الحبَّ ، أو باغى حُطام(٦)

رأوا إرثاً سيذهب بعد حينٍ فكانوا عُصْبةً فى الاقتسام

ونالوا السمعَ من أُذُنٍ كريمٍ فنالوا منه أنواعَ المرام(٧)

هُم حزبٌ ، وسائرُ مصرَ حزبٌ وأنت أصمُّ عن داعى الوئام(٨)

وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ سراتُهُمُ عواملُ الانقسام(٩)

---

١ ـ يبث : ينشر ويذيع · والتجارب : جمع تجربه ، وهى اختبار الشىء مرة بعد مرة · والرابضين : جمع رابض ، وهو من يأوى الى المكان فلا يفارقه ·

٢ ـ يقول : لولا أن الذين سمعوك يحبون بلادهم حبا يمنعهم من القعود عن العمل لانقاذها من الاحتلال ، لأصابهم اليأس والقنوط بسبب كلامك ٣ ـ أراعك : أى أفزعك · والمقتل : العضو الذى اذا أصيب لايكاد صاحبه يسلم · يقول : هل أفزعك أن رأيت بعض مقاتل مصر سليمة لم تصب فزدت سهما ليصيبها ·

٤ ـ أنبيك : أخبرك · والانسجام : سيلان الدمع ٥ ـ الحلمية : حى من أحياء القاهرة · ونور الظلام : اسم شارع بهذا الحى فيه دار رياض ·

٦ ـ الباغى : الطالب · والحطام : المال ؛ قل أو كثر ٧ ـ رجل أذن (بضم الذال) : اذا كان يسمع مقال كل أحد ويقبله ٨ ـ الوئام : الوفاق

٩ ـ السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف السخى ·

إذا الأَحلامُ فى قومٍ تولَّتْ أَتى الكبراءُ أَفعالَ الطَّغام(١)
فيا تلك الليالى ، لا تَعودى ويا زمنَ النفاقِ ، بلا سلام(٢)
أحبُّكِ مصْرُ ، من أعماقِ قلبى وحبُّكِ فى صميم القلبِ نامِى(٣)
سيجمعُنى بكِ التاريخُ يوماً إذا ظهر الكرامُ على اللئام(٤)
لأَجلكِ رحتُ بالدنيا شقيًّا أَصدُّ الوجهَ ، والدنيا أمامى
وأنظرُ جَنَّةً جمعتْ ذِئاباً فيصرفُنى الإباءُ عن الزحام(٥)
وهبتُكِ – غيرَ هيابٍ – يَراعاً أشدَّ على العدوِّ من الحسام(٦)
سيكتبُ عنكِ فوقَ ثَرَى رياضٍ وفى التاريخ صفحة الاتهام
أَفى السبعين . والدنيا تولَّت ولا يُرْجَى سوى حسنِ الختام
تكون – وأنت أَنت رياض مصرٍ – عرابى اليوم فى نظر الأَنام ؟

ضجيج الحجيج(*)

ضجَّ الحجازُ ، وضجَّ البيتُ والحرمُ واستصرخت ربَّها فى مكَّةَ الأُممُ(٧)
قد مسها فى حماك الضرُّ . فاقض لها خليفةَ الله ، أنتَ السيدُ الحكم
لك الربوعُ التى رِيع الحجيجُ بها أَللشريفِ عليها أم لكَ العلم ؟(٨)

---

١ – الاحلام : العقول . والطغام (بفتح الطاء) : أو غاد الناس .
٢ – بلا سلام : أى اذهب بلا سلام – ٣ – فى صميم القلب : أى فى القلب والصميم : الخالص من الشىء ٤ – اذا ظهر الكرام على اللئام : أى اذا غلبوهم .
٥ – الاباء : الكبر والنخوة –٦– اليراع القلم . والحسام : السيف .
(*) رفعت الى السلطان عبد الحميد استصراخا من الشريف وأعوانه فى ١٤ ابريل سنة ١٩٠٤ – ٧ – ضج : فزع من شىء خافه فصاح الربوع : جمع ربع ؛ وهو الدار . والحجيج : جمع الحاج .

أُهِينَ فيها ضيوفُ الله ، واضطُهدوا إن أنت لم تنتقم فالله مُنتقم

أفى الضُّحَى – وعيونُ الجند ناظرةٌ – تُسبَى النساءُ ،ويُؤذَى الأهلُ والحشم؟

ويُسفكُ الدمُ فى أرضٍ مقدّسةٍ وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَم؟(١)

يدُ الشريفِ على أيدى الولاةِ علتْ ونَعْلُه – دونَ رُكنِ البيتِ – تُستَلم(٢)

« نيرونُ »إن قيس فى باب الطُّغاةِ به مبالغٌ فيه ، و « الحجاجُ » مُتَّهَم(٣)

أَدِّبْه أَدّبْ – أميرَ المؤمنين – فما فى العفو عن فاسق فضلٌ ولا كرم

لا ترجُ فيه وقارًا للرسول ، فما بين البُغاة وبين المصطفى رَحِم(٤)

ابنُ الرّسولِ فتًى فيه شمائلُه وفيه نخوتُه ، والعهد . والشمَم(٥)

ما كان طَه لرهطِ الفاسقين أباً آل النبى بأعلامِ الهدى خُتِموا(٦)

خليفةَ الله ، شكوى المسلمين رقَتْ لسُدَّةِ الله هل ترقى اليك الكلم ؟(٧)

الحجُّ ركنٌ من الإسلام نُكبِره واليومَ يوشك هذا الركنُ ينهدم(٨)

من الشريف ومن أعوانِه فعلت نُعمى الزيادة ما لا تفعل النقم

عزّ السبيلُ إلى طَه وتربتِه فمن أراد سبيلا فالطريقُ دم(٩)

---

١ – الحرم : جمع حرمة ، وهى مالا يحل انتهاكه – ٢ – تستلم : من استلام الحجر وركن البيت الحرام وغيره ، وهو لمسه باليد أو بالقبلة

٣ – نيرون : طاغية رومانى قديم . والحجاج : طاغية عربى كان واليا على العراق لعبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين –٤– لاترج : لاتخف ، من رجا ، بمعنى خاف . والوقار هنا : العظمة . وفى القرآن الكريم « مالكم لاترجون لله وقارا » : أى لاتخافون لله عظمة –٥– الشمائل : جمع شمال بكسر الشين وهو الطبع . والنخوة : الحماسة والمروءة . والعهد : الوفاء والأمانة . والشمم : التكبر .

٦ – طه : من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم . والرهط : من ثلاثة الى عشرة . ولا تكون فيهم امرأة ٧ – رقت : صعدت . والكلم : اسم جنس جمعى لكلمة –٨– تكبره : تعظمه . ويوشك : يقارب – ٩ – عز السبيل ، من قولهم عز الشىء ، اذا قل فلا يكاد يوجد ولا يقدر عليه .

محمدٌ رُوِّعت فى القبر أعظمُه ... وبات مستأْمنًا فى قومه الصنم (١)

وخان «عونُ الرفيق» العهدَ فى بلدٍ ... منه العهودُ أتتْ للناس والذمم (٢)

قد سال بالدم مِن ذِبْحٍ ومن بَشَرٍ ... واحمرّ فيه الحمى والأَشهرُ الحرم (٣)

وفُزِّعَتٍ فى الخدورِ الساعياتُ له ... الداعياتُ وقرب الله مُغتنم (٤)

آبتْ ثكالَى أيامَى بعد ما أخذَتْ ... مِنْ حَوْلِهن النَّوَى والأَيْنُقُ الرّسُم (٥)

حُرِمْنَ أنوارَ خيرِ الخلقِ من كثبٍ ... فدمعهُنَّ من الحرمان منسجم (٦)

أىُّ الصغائِرِ فى الإسلام فاشية ... تودَى بأيسرها الدولاتُ والأُمم (٧)

يجيشُ صدرى . ولايجرى بهاقلمى ... ولوجرى لبكى واستضحك القلم (٨)

أغضَيْتُ ضنًّا بعرضى أن أَلمّ به ... وقد يروق العمى للحرّ والصمم (٩)

مُوِّه على الناسِ ، أو غالطهمُ عبثًا ... فليس تكتمهم ما ليس ينكتم (١٠)

مِن الزيادةِ فى البلوى وإن عَظُمتْ ... أن يعلم الشامتون اليومَ ما علموا

---

١ ـ الصنم : صورة أو تمثال يتخذ للعبادة ، وقيل : هو كل ماعبد من دون الله ـ٢ـ عون الرفيق : اسم الشريف الذى اقترف تلك المظالم . والذمم : جمع ذمه ، وهى العهد والأمان ٣ ـ الأشهر الحرم ، أربعة : ذو القعدة؛ وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراما : ماعدا بنى خثعم وطيىء . والضمير فى (سال) و (فيه) : للبلد فى البيت المتقدم . واحمرار الحمى والأشهر الحرم : كناية عن اقترافه القتل فيهما ـ٤ـ فزعت : خوفت والخدور: البيوت . والساعيات له : أى لذلك البلد ـ ٥ ـ الثكالى : جمع ثكلى : وهى من فقدت ولدها ، والايامى : جمع أيم ، وهى من لازوج لها . والنوى : البعد . والأينق : جمع ناقة . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة تؤثر أخفافها فى الأرض من شدة الوطء ٦ ـ من كثب : أى من قرب . والمنسجم : السائل ـ٧ـ الصغائر : جمع صغيرة ، وهى من الذنوب أخف من الكبيرة فى حكم الشرع . وتودى : تهلك . والدولات جمع دولة ـ٨ـ يجيش صدرى : يغلى غيظا . استضحك : بمعنى ضحك ـ٩ـ اغضيت : أى صبرت وأمسكت . وضنا : بخلا . وألم به : أى بما يؤذيه ، من قولهم : الم بالذنب اذا فعله . ويروق العمى : من راقه الشىء اعجبه .

١٠ ـ موه على الناس : أى زخرف لهم الأخبار وزورها عليهم .

كلُّ الجراح بآلامٍ ، فما لمستْ ... يدُ العدوّ فثمَّ الجرحُ والألَم

والموتُ أهونُ منها وهى داميةٌ ... إذا أساها لسانٌ للعِدى وفم

* * *

ربَّ الجزيرةِ ، أدرِكْها ، فقد عَبَثَتْ ... بها الذئابُ ، وضلَّ الراعىَ الغنم(١)

إن الذين تولوْا أمرَها ظلموا ... والظلْمُ تصحبُه الأهوالُ والظُّلَم(٢)

فى كلِّ يومٍ قتالٌ تقشعرُّ له ... وفتنةٌ فى ربوع اللهِ تضطرِم(٣)

أزرى الشريفُ وأحزابُ الشريف بها ... وقسموها كإرثِ الميْتِ ، وانقسموا(٤)

لا تجزِهم عنك حلماً ، وأجزهم عَنَتاً ... فى الحلم ما يسِمُ الأفعالَ أو يَصِم(٥)

كفى الجزيرةَ ما جرّوا لها سفهاً ... وما يحاولُ من أطرافِها العجم(٦)

تلك الثغورُ عليها — وهى زينتُها — ... مناهلٌ عَذُبت للقوم ، فازدحموا(٧)

فى كلِّ لجٍّ حواليْها لهم سفُنٌ ... وفوق كل مكان يابسٍ قدم(٨)

والاهُمُ أمراءُ السوءِ ، واتفقوا ... معِ العداة عليها ، فالعداة هُمُ

فجرِّد السيف فى وقتٍ يُفيد به ... فإن للسيف يوماً ، ثم ينصَرِم(٩)

---

١ — رب الجزيرة : أى صاحب الجزيرة ، وهى جزيرة العـــرب ، ٢ — الأهوال : جمع هول ، وهو المخافة من الامر لايعرف الانسان مايهجم منه . والظلم : جمع ظلمة ٣ — تضطرم : تشتعل ٤ — أزرى بها : تهاون . ٥ — العنت : الشدة والهلاك ، ومايسم : أى مايكون سمة وعلامة . وما يصم : أى مايكون وصمة وعيبا ٦ — العجم ، هنا : أهل الغرب ، ممن كانوا يحقدون على الدولة التركيه وجودها ٧ — المناهل : جمع منهل ، وهو المورد . والمراد بالقوم : أولئك العجم ٨ — اللج : معظم الماء ٩ — جرد السيف : سله . وينصرم : يمضى .

استقبال

ياراكبَ الريح ، حيِّ النيلَ والهرَما ... وعظِّمِ السفحَ من سيناءَ ، والحرما(١)

وقف على أثرٍ مرَّ الزمانُ به ... فكان أثبتَ من أطوادِهِ قِمما(٢)

واخفض جناحَك فى الأرض التى حَمَلَت ... موسى رضيعاً ، وعيسى الظهر منفطما

وأخرجَت حكمةَ الأجيالِ خالدةً ... وبيَّنت للعبادِ السيفَ والقلما(٣)

وشُرِّفَت بملوكٍ طالما اتخذوا ... مطيَّهم من ملوك الأرض والخدما(٤)

هذا فضاءٌ تُلِمُّ الريحُ خاشعةً ... به ، ويمشى عليه الدهرُ محتشما(٥)

فمرحبًا بكما من طالعيْن به ... على سوى الطائر الميمونِ ما قدِما(٦)

* * *

عاد الزمانُ ، فأعطى بعدما حَرَما ... وتاب فى أُذُنِ المحزونِ ، فابتسما

فيارَعى اللهُ وفدًا بين أعيننا ... ويرحم الله ذاك الوفد ما رَحِما(٧)

هم أقسموا لتَدِينن السماءُ لهم ... واليوم قد صدّقوا فى قبرِهم قسما(٨)

والناسُ بانى بناءٍ ، أو مُتمِّمُه ... وثالث يتلافى منه ما انهدَما

---

١ ــ السفح : عرض الجبل المضطجع . والحرم : مالا يحل انتهاكه .

٢ ــ الأطواد : الجبال . والقِمم : واحدتها قمة ؛ وهى أعلى كل شىء .

٣ ــ الحكمة : صواب الأمر وسداده . والأجيال : جمع جيل ، وهم أهل الزمن الواحد . والخالدة : الدائمة الباقية ٤ ــ طالما اتخذوا مطاياهم وخدمهم من ملوك الأرض ؛ أولئك هم ملوك مصر الاقدمون ، حين كانوا يأسرون فى حروبهم ملوك الأقطار الأخرى ٥ ــ المحتشم : المستحى . ٦ ــ على الطائر الميمون : مأخوذ من قولهم فى الدعاء للمسافر : سر على الطائر الميمون ٧ ــ كانت الدولة العلية قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة إثنين من ضباطها الطيارين ، فسقطت طيارتهما فى الطريق وماتا . فندبت الدولة غيرهما ؛ فوصلا سالمين والى هذا يشير بالوفدين فى البيت ٨ ــ لتدينن : أى لتخضعن وتذلن .

تعاونٌ لا يحلُّ الموتُ عُرْوَتَه ولا يُرَى بيَدِ الأرزاءِ منفصما(١)

* * *

ياصاحِبِيْ (أدرميدٍ)، حسبُها شرفاً أَنَّ الرياحَ إليها ألقت اللُّجما(٢)

وأنّها جاوزتْ فى القدس مِنْطَقَةً جرى البساطُ فلم يجتز لها حرَما(٣)

مشت على أُفقٍ مرَّ البُراقُ به فقبَّلتْ أثرًا للخُفِّ مُرتَسِما(٤)

ومسَّحَت بالمُصلَّى، فاكتست شرفاً وبالمغار المعلَّى، فاكتست عِظَما(٥)

وكلما شاقها حادٍ على أُفقٍ كانت مزاميرُ داودٍ هى النغما(٦)

جشَّمتاها من الأَهوالِ أربعةً الرعدَ والبرقَ والإعصارَ والظلما(٧)

حتى حوتها سماءُ النيل فانحدرت كالنسر أعيا، فوافى الوَكْرَ فاعتصما(٨)

* * *

يا آلَ عثمانَ أبناءَ العمومةِ، هل تشكون جرحا ولا نشكو له ألما ؟(٩)

---

١ ــ العروة : كل مايوثق به . والمنفصم : المنقطع .

٢ ــ أدرميد : اسم الطيارة التى ركباها الى مصر ٣ ــ القدس : مدينة بيت المقدس فى الشام . والبساط : هو بساط سليمان . وفى التاريخ الدينى : أنه كان يتخذ مع الريح بساطا يجريه حيث يشاء ٤ ــ البراق فى اللغة الدينية : دابة كان يركبها الأنبياء، وقد ركبها النبى محمد صلى الله عليه وسلم ليلة اسرائه من مكة الى بيت المقدس . والخف : أى خف الرسول ؛ ويقال : أن أثره مرتسم هناك ٥ ــ المصلى : مكان الصلاة . والمغار ــ بفتح الميم وضمها : الكهف . والمعلى : المرفوع .

٦ ــ شاقها : هاجها وشوقها . والحادى : سائق الابل الذى يغنى لها . ومزامير داود : ماكان يرتله فى صلاته من الاناشيد والترانيم ٧ ــ جشمتاها : كلفتاها . والأهوال : جمع هول، وهو المخافة من أمر لايعرف مايهجم منه على الانسان . والاعصار : ريح ترتفع بتراب بين السماء والأرض، أو تستدير كأنها عامود . والظلم : جمع ظلمة ٨ ــ حوتها : أى حازتها . وانحدرت : هبطت . والنسر : طائر من الجوارح وكلها تخافه، وهو حاد البصر ؛ وأشد الطيور ارتفاعا، وأقواها جناحا . وأعيا : تعب . ووافى الوكر : أتاه ؛ والوكر : عش الطائر أينما كان فى شجر او فى غيره . فاعتصم به : أى لزمه .

٩ ــ العمومة . مصدر من العم، كالخؤولة من الخال .

إذا حزنتم حزنًا فى القلوب لكم ... كالأُم تحملُ من همّ ابنها سَقما

وكم نظرنا بكم نُعمى فجسَّمها ... لنا السرورُ. فكانت عندنا نِعما(١)

ونبذل المال لم نُحمَل عليه، كما ... يقضى الكريمُ حقوقَ الأَهل والذِّمما(٢)

صبرًا على الدهر إن جلَّت مصائبه ... إن المصائب مما يُوقظ. الأُمَما

إذا المقاتلُ من أخلاقِهم سلمتْ ... فكلٌّ شىءٍ على آثارها سلما

وإنما الأُمم الأَخلاق ما بقيت ... فإن تَولَّت مضوْا فى إثرِهَا قُدُما(٣)

نمتم على كلّ ثارٍ لا قرار له ... وهل ينامُ مُصيبٌ فى الشعوبِ دما؟

فنال من سيفكم من كان ساقيَه ... كما تَنالُ المُدامُ الباسلَ القَدَما(٤)

قال العذولُ: خرجنا في مَحَبَّتِكم ... من الوقارِ، فيا صدقَ الذى زعما

فما على المرءِ فى الأَخلاق من حرج ... إذا رعى صِلَةً فى الله، أو رَحِمَا

ولو وهبتُم لنا عُليَا سيادتِكم ... ما زادنا الفضلُ فى إخلاصنا قدما

نحنو عليكم، ولا ننسى لنا وطنًا ... ولا سريرًا، ولا تاجاً. ولا عَلما

هذى كرائمُ أشياءِ الشعوب. فإن ... ماتت فكلُّ وجود يشبهُ العدَما

---

١ ـ النعمى : ما أنعم به ٢ ـ الذمم : جمع ذمة، وهى العهد ٣ ـ القدم (بضم القاف والدال) : أى يمضى الانسان فلا يعرج على شىء ولا ينثنى .

٤ ـ المدام : الخمر . والباسل : البطل الشجاع . والقدم (بفتح القاف والدال) : الشجاع أيضا .

أرسططاليس وترجمانه(*)

علمتَ بالقلمِ الحكيم وهديتَ بالنّجم الكريم

وأتيتَ من محرابه بأرسططاليسَ العظيم

ملكِ العقول ، وإنها لنهاية الملْكِ الجسيم

شيخ ابن رشد ، وابن سيـ ـنا ، وابن بَرقينَ الحكيم(١)

من كان فى هَدْى المسيـ ـح ، وكان فى رُشْدِ الكليم

وغدا وراح موحِّدًا قبل البَنِيّةِ والحَطيم(٢)

صوت الحقيقة بين رعـ ـدِ الجاهلية والهزيم(٣)

ما بين عاديةِ السّوا م وبين طُغيان المسيم(٤)

يبنى الشرائعَ للعصو ر بناءَ جبّارٍ رحيم

ويفصّل الأخلاقَ للـ أجيال تفصيل اليتيم(٥)

فى واضح لحْبِ الطريـ ـق من المذاهب مستقيم(٦)

ورسائلٍ مثلِ السُّلا فِ إذا تمشّت فى النديم

قدسيةِ النفحاتِ ، تُسـ ـكِر بالمذاقِ ، وبالشّميم

* * *

يالطفِ ، أنت هو الصّدى من ذلك الصوت الرخيم

(*) ترجم الأستاذ أحمد لطفى باشا السيد كتاب أرسططاليس فى علم الاخلاق الى العربية ، فكتب اليـه صاحب الديوان هذه التهنئة

١ — برقين : بلدة المترجم لطفى باشا السيد ٢ — البنيه : الكعبة ٣ — الهزيم : صوت الرعد .

٤ — السوام : المرعية . والمسيم : الراعى ٥ — اليتيم : اللؤلؤ .

٦ — الطريق اللحب : الواسع .

أرجُ الرياضِ نقلتَه ونسختَه نَسْخَ النسيم
وسريتَ من شِعبِ الألمـ بِ به إلى وادى الصّريم(١)
فتجارتِ اللغتان للـ غايات فى الحَسبِ الصميم
لغةٌ من الإغريق قيِّمةٌ ، وأُخرى من تميم
وأتيتَنا بمُفَصَّلٍ بالتبر ، عُلوىٍّ الرقيم
هو ضِنةُ المُثرِى من الـ أخلاق ، أو مالُ العديم(٢)

* * *

مَشَّاء هذا العصرِ ، قفْ حدِّث عن العُصُر القديم(٣)
مَثِّلْ لنا اليونان بيـ نَ العلم والخُلق القويم
أخلاقها نور السبيـ لِ ، وعِلْمها نور الأديم
وشبابُها يتعلمو ن على الفراقد والنجوم
لمسوا الحقيقةَ فى الفنو ن ، وأدركوها فى العلوم
حلَّتْ مكاناً عندهم فوق المعلِّم والزعيم(٤)
والجهلُ حظُّك إن أخذ تَ العلمَ من غير العليم
ولربَّ تعليمٍ سرى بالنشء كالمرضِ المُنيم(٥)
يتلَبَّسُ الحُلمُ اللذيـ ذُ عليه بالحُلُمِ الأليم
ومدارس لا تُنْهِضُ الـ أخلاقَ دارِسَة الرُّسوم
يمشى الفسادُ بنبْتها مشىَ الشرارةِ بالهشيم

---

١ ـ الألمب : جبل من جبال اليونان . والصريم : واد من أودية العرب .
٢ ـ الضنة : الشىء الذى يضن به ٣ ـ المشاءون : تلاميذ أرسططاليس .
٤ ـ هذه اشارة الى قول أرسططاليس المشهور : أفلاطون حبيب الى ولكن الحقيقة أحب الى منه ٥ ـ المرض المنيم : المنوم .

لما رأيتُ سوادَ قو مى فى دُجى ليلٍ بهيم
يُسْقَوْنَ من أُمِّيَّةٍ هى غُصَّةُ الوطن الكظيم
وسراتُهم فى مُقعد من مطلَبِ الدنيا مُقيم
يَسعَوْن للجاه العظيـ ـم ، وليس للحق الهضيم
وبصُرْتُ بالدستور يُزْ هَق وهو فى عُمْر الفطيم
لم يَنجُ من كيدِ العَدو له ، ومن عبثِ الحميم
أيقنت أن الجهلَ عِلَّـــــةُ كلِّ مجتمع سقيم
وأتيتُ – يا ربَّ النشيـ ـر بما تُحبُّ من النظيم
أجزِ اجتهادَكِ فى جَنى الثمراتِ للنَّشَأ النهيم(١)
من روضةِ العلم الصحيـ ـح ، وربوةِ الأدب السليم
العاشقينَ العلمَ . لا يألُونه طلبَ الغريم
المعرضينَ عن الصغا ئر . والسعاية ، والنمم

* * *

قسماً بمذهبك الجميـ ـلِ ،ووجهِ صُحْبَتك القسيم
وقديمِ عهدٍ ، لا ضئيـ ـلٍ فى الوداد ، ولا ذميم
ما كنتَ يوماً للكِنا نةِ بالعدُوِّ ولا الخصيم
لما تلاحى الناسُ لم تنزلْ إلى المرعى الوخيم(٢)
كم شاتمٍ قابلتَه بترفُّع الأَسدِ الشتيم(٣)
وشغلْتَ نفسك بالخصيـ ـب من الجهودِ عن العقيم

---

١ – النهيم : الذى لايشبع ٢ – تلاحى الناس : تلاعنوا ٣ – الشتيم : العابس .

فخدمْتَ بالعلم البلا دَ ، ولم تزلْ أوْفى خَديم(١)
والعلمُ بنَّاءُ المآ ثِر والممالكِ مِنْ قديم
كسروا به نِيرَ الهوا نِ ، وحطَّموا ذُلَّ الشكيم

شهيد الحق(*)

إلامَ الخُلْفُ بينكُمُ ؟ إلاما ؟ وهذى الضجَّةُ الكبرى علاما ؟
وفيمَ يكيدُ بعضُكُمُ لبعض وتُبدون العداوةَ والخِصاما ؟
وأين الفوزُ ؟ لا مصرُ استقرتْ على حالٍ ، ولا السودانُ داما ؟
وأين ذهبتمُ بالحقِّ لما ركبتم فى قضيتِه الظلاما ؟
لقد صارتْ لكمُ حكماً وغُنماً وكان شِعارُها الموتَ الزُّؤاما
وثِقتم واتهمتم فى الليالى فلا ثقةً أدمْنَ ، ولا اتهاما
شببتم بينكم فى القُطر ناراً على مُختَلِّه كانت سلاما
إذا ما راضَها بالعقل قومٌ أجدَّ لها هوى قومٍ ضِراما
ترامَيْتُم ، فقال الناس : قومٌ إلى الخذلانِ أمرُهُم ترامَى

---

١ ــ الخديم : الخادم .

(*) نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا ، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد فى سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر ؛ وأشار الى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله ؛ ثم انتقل من ذلك الى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه ، واستطرد من ذلك الى البحث فيما تحتاج اليه البلاد من وسائل الاصلاح .

وكانت مصرُ أولَ من أصبتم ... فلم تُحصِ الجراحَ ولا الكِلاما(١)

إذا كان الرُّماةُ رماةَ سوءٍ ... أَحَلُّوا غيرَ مرماها السهاما

أبعدَ العُرْوةِ الوُثْقى وصَفٌّ ... كأنياب الغضنفر لن يُراما

تباغيتم كأنكمُ خلايا ... من السرطانِ لا تجدُ الضِّماما؟(٢)

أرى طيَّارَهم أوفى علينا ... وحلَّق فوق أرؤسنا وحاما

وأنظرُ جيشَهم من نصف قرنٍ ... على أبصارنا ضرَب الخياما

فلا أُمناؤنا نقصوه رمحاً ... ولا خُوَّانُنا زادوا حساما

ونُلقى الجوُّ صاعقةً ورعدًا ... إذا قصرُ الدبارةِ فيه غاما

إذا انفجرت علينا الخيلُ منه ... ركبنا الصمتَ، أو قُدْنا الكلاما(٣)

فأُبْنا بالتخاذل والتلاحى ... وآب بما ابتغى منَّا ورِاما(٤)

* * *

ملكنا مارِنَ الدنيا بوقتٍ ... فلم نُحسن على الدنيا القياما(٥)

طلعنا — وهْى مقبلةٌ — أُسودًا ... ورحنا — وهْى مدبرةٌ — نَعاما

ولِينا الأمرَ حزباً بعد حزبٍ ... فلم نَكُ مصلحين ولا كِراما

جعلنا الحُكم تولية وعزلاً ... ولم نَعْدُ الجزاءَ والانتقاما

وسُسْنا الأمرَ حين خلا إلينا ... بأهواءِ النفوس، فما استقاما

إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ ... فَلِمْ جُنَّ الرجالُ به غراما ؟(٦)

---

١ — الكلام (بكسر الكاف) : الجروح ·

٢ — الضمام : ماضممت به شيئا آخر · والسرطان : ورم سوداوى تظهر عليه عروق حمر وخضر متشعبة ٣ — ركبنا الصمت : أى وجدناه خيرا · وقدنا الكلام : استرسلنا فيه ٤ — التلاحى : التلاعن والتلاوم ٥ — المارن : الأنف أو مالان منه ، والمراد بمارن الدنيا : ذروتها وأعلاها ٦ — البراح : الصراح ، والتصريح : تصريح ٢٨ فبراير ، يشير الى موقف بعض الزعماء منه ·

وكيف يكون فى أيدٍ حَلالاً　　وفى أخرى من الأيدى حراما ؟
وما أدرى غداةَ سُقِيتموه　　أتِرْياقا سُقِيتُم ، أم سِماما ؟(١)

* * *

شهيدَ الحقِّ ، قُمْ تره يتيمًا　　بأرضٍ ضُيِّعَت فيها اليَتامى
أقام على الشفاه بها غريبًا　　ومرَّ على القلوب ، فما أقاما(٢)
سَقِمتَ ، فلم تَبِتْ نفسٌ بخيرٍ　　كأَن بمهجةِ الوطن السَّقاما
ولم أر مثلَ نعشِك إذ تهادى　　فغطَّى الأَرضَ ، وانتظم الأَناما(٣)
تحمَّلَ هِمَّةً ، وأقلَّ دِينًا　　وضمَّ مروءةً ، وحوى زماما(٤)
وما أنساكَ فى العشرينَ لما　　طلعتَ حِيالها قمرًا تماما
يشار إليك فى النادى وتُرمَى　　بعَيْنَىْ مَنْ أحبَّ ومَنْ تعامى
إذا جئتَ المنابرَ كنتَ قُسًّا　　إذا هو فى عُكاظَ علا السَّناما(٥)
وأنت ألذُّ للحق اهتزازًا　　وألطفُ حين تنطقه ابتساما
وتحملُ من أديمِ الحقِّ وجهاً　　صُراحاً ، ليس يتخذ اللِّثاما(٦)

* * *

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً　　سهرنا عن معلمهم وناما؟(٧)
مِهارُ الحق بغَّضنا إليهم　　شكيمَ القيصرِية واللجاما (٨)

---

١ ـ السمام : جمع سم . والترياق : مايدفع السموم من الدواء .

٢ ـ أى تلفظه الأفواه ولا تحس به القلوب ٣ ـ تهادى : تمايل على الاعناق .

٤ ـ زمام القوم : مقدمهم وصاحب أمرهم ٥ ـ قس : هو قس بن ساعدة الايادى ؛ ويضرب به المثل فى بلاغة الخطباء ؛ ويروى عنه أنه كان يخطب الناس فى عكاظ وهو على ظهر بعير ٦ ـ الأديم : الوجه والصفحة ٧ ـ سهرنا عن معلمهم : أى تركنا هذا المعلم ينام ، وقمنا نحن على تهذيبهم وانشائهم .

٨ ـ المهار : جمع مهر ، والمراد بالمهار هنا الشباب . والشكيم : جمع شكيمة ، وهى من اللجام حديدة تعترض فم الفرس ، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها : قسوة الاحتلال وجبروته .

لواؤكَ كان يسقيهم بجامٍ وكان الشعرُ بينَ يَدَىَّ جاما(١)

من الوطنيةِ استبقوا رحيقاً فضضْنا عن مُعتَّقِهِ الختاما(٢)

غرسْنا كَرْمَها ، فزكا أُصولاً بكلِّ قَرارةٍ ، وزكا مُداما(٣)

جمعتهم على نبراتِ صوتٍ كنفخ الصُّور حرَّكتَ الرِّجاما(٤)

لك الخُطَبُ التى غَصَّ الأعادى بسَوْرتِها . وساغت للندامى(٥)

فكانت فى مرارتها زئيراً وكانت فى حَلاوتها بُغاما(٦)

بك الوطنيةَ اعتدلتْ ، وكانت حديثاً من خرافة أو مَناما(٧)

بنيتَ قضيَّةَ الأوطانِ منها وصيَّرتَ الجلاءَ لها دِعاما(٨)

هزَزت بنى الزمان به صبيًّا ورُعتَ به بنى الدنيا غلاما

---

١ ــ الجام : اناء من فضــــة . والمعنى : أنك كنت تغذوهم بما كنت تنشر عليهم من لوائك من ثمر الأدب ، وكنت أنا أيضا أغذوهم بما أزجى لهم من زهور الشعر والبيان ــ٢ــ استبقوا الرحيق : تسابقوا اليه . والرحيق : الخمر . والمعتق : القديم ؛ وقــــدم الخمر يحسنها ويزيد لذة شاربهــا . وفضضنا الختام : فتحناه .

٣ ــ الكرم : العنب . وزكا : نما . والمدام : الخمر .

٤ ــ الرجام : القبور .

٥ ــ السورة : الحدة والشدة . وغص بالشىء : اعترض فى حلقه فمنعه التنفس . والمراد بغصــــة الأعادى : غضبهم . والندامى : جمع ندمان ، وهو نديم الشراب ، والمراد بهم الشــــيعة والاصدقاء ــ٦ــ البغــــام : صــوت الظبى .

٧ ــ خرافة : رجــــل عذرى اختطفته الجن فيما زعموا ، ثم رجع الى قومه ، وأخبر بما رأى منها ؛ فكذبوه ؛ وأصبح حديثه مثــــلا لكل حدث باطل .

٨ ــ الدعام : العماد .

تحية للترك

الدهرُ يقظانُ ، والأحداثُ لم تنمِ … فما رقادُكم يا أشرف الأُممِ ؟

لعلكم من مِراسِ الحرب فى نَصَبٍ … وهذه ضجعةُ الآساد فى الأَجَمِ(١)

لقد فتحتم فأعرضتم على شِبَعٍ … والفتح يعترض الدولاتِ بالتُّخمِ(٢)

هبُّوا بكم وبنا للمجدِ فى زمنٍ … من لم يكن فيه ذئباً كان فى الغنمِ

هذا الزمانُ تناديكم حوادثُه … يا دولةَ السيف ، كونى دولةَ القلمِ

فالسيفُ يهدم فجراً ما بنى سَحَرًا … وكلُّ بنيانِ علمٍ غيرُ منهدمِ(٣)

قد مات فى السِّلم مَنْ لا رأْىَ يَعصمُه … وسوَّت الحرب بين البَهْم والبُهَمِ(٤)

وأصبح العلمُ ركنَ الآخذين به … من لا يُقِمْ ركنَه العرفانُ لم يَقُمِ

الناسُ تسحبُ فضفاضَ الغِنى مرحاً … ونحن نلبسُ عنه ضيقةَ العُدُمِ(٥)

يا فتيةَ الترك : حيا الله طلعتكم … وصانكم ، وهداكم صادقَ الخِدَمِ(٦)

أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ : لا برِحا … منكم بخيرِ غدٍ فى المجدِ مبتسمِ(٧)

---

١ ـ مراس الحرب : مزاولتها · والنصب . التعب والضجعة : الرقدة · والآساد : جمع أسد · والاجم (بفتح الجيم) : جمع اجمة ، وهى الشجر الملتف .

٢ ـ فتحتم : تغلبتم على البلاد التى حاربتموها حتى ملكتموها ، والتخم : جمع تخمة · وهى ثقل الأكل .

٣ ـ يهدم فجرا .. الخ : اى يهدم وقت الفجر ما يكون قد بناه وقت السحر ، والمعنى : ان بنيان السيف لا دوام له .

٤ ـ السلم : ضد الحرب . ويعصمه : يحفظه ويقيه . والبهم (بفتح الباء وسكون الهاء) جمع بهمة (بفتح الباء وسكون الهاء أيضا) : وهى أولاد الضأن والمعز والبقر . والبهم (بضم الباء وفتح الهاء) : جمع بهمة (بضم الباء وسكون الهاء) وهى الرجل الشجاع .

٥ ـ الفضفاض : الواسع . والمرح : التبختر والاختيال . والضيقة (بفتح الضاد وكسرها) : سوء الحال · والعدم (بضم العين والدال وتسكن داله ايضا) : الفقر .

٦ ـ صادق الخدم : أى الخدم الصادقة ، وهى جمع خدمة .

٧ ـ انتم غد الملك والاسلام ، أى أنتم الذين تهيئون لهما غدهما ، والمراد مقبل حالهما .

تُحِلُّكم مصرُ منها فى ضمائرِها ... وتعلن الحبَّ جمًّا غيرَ متَّهَم(١)

فنحن – إن بعدتْ دارٌ وإن قربتْ – ... جاران فى الضاد: أو فى البيتِ والحرَمِ(٢)

ناهِيك بالسببِ الشرقىِّ من نسبٍ ... وحبذا سببُ الإسلام من رحِمِ(٣)

شملُ اللغات لدى الأقوامِ ملتئمٌ ... والضَّاد فينا بشمل غير ملتئمِ(٤)

فقرِّبوا بيننا فيها وبينكمُ ... فإنها أوثقُ الأسباب والذِّمم

وكلّنا إن أخذنا بالفلاح يدٌ ... وسعينا قدم فيه إلى قدَمِ

فلا تكونُنَّ «تركيا الفتاة» ، ولا ... تلك العجوزَ ، وكونوا تركيا القِدَم

فسيفُها سيفُها في كل معترك ... وعدْلُها طوّق الإسلام بالنِّعم

الأسطول العثمانى(*)

هزَّ اللواءَ بعزِّك الإسلامُ ... وعَنَتْ لقائم سيفِك الأيام(٥)

وانقادت الدنيا إليك ، فحسبُها ... عذرًا قيادُ أسلَست وزِمام(٦)

ومشى الزّمانُ إلى سريرك تائبًا ... خجلًا ، عليه الذُّلُّ والإرغام

---

١ – جما : كثيرا • وغير متهم : أى غير مشكوك فى صدقه .

٢ – الضاد : تطلق اسما للغـــة العربية ، وذلك أن حرف الضـــاد لا يوجد فى لغة سواها ولا يقوى عليـــه الا اهلها .

٣ – ناهيك : كلمة استعظام وتعجب وتأويلها فى الكلام : أن هذا الشىء هو غاية فيما تطلبه ، حتى انه ينهاك عن طلب غيره ، فمعنى البيت : أن السبب الشرقى هو ما يطلب من النسب بيننا وبينكم ، فلا تطلبوا نسبا ســـواه . وحبذا : كلمة مدح .

٤ – الشمل : ماتفرق من الأمر وما اجتمع منه ، يقال : جمع الله شملهم وفرق الله شملهم . وملتئم : منضم وملتصق •

* – كان صـــاحب الديـــوان فى الاستانة ، وشاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العليـــة من المانيـــا ، فأخذته هزة الطرب ، وعز عليـــه أن يرى المسلمين فى أقطار الارض قاعدين عن اعانة أسطول الدولة ، فجـــرى لسانه بهذه القصيدة

٥ – عنت : خضعت وذلت ، والخطاب فى هـــذا البيت والبيتين بعـــده للخليفة محمد رشاد .

٦ – القياد : ما يقاد به ، ويستعمل بمعنى الطاعة • واسلست : جعلته سلسا ، أى سهلا لينا ، والزمام : مقود البعير .

عرشُ النبي محمدٍ جَنَبَاتُه نورٌ . ورَفْرَفُهُ الطَّهورُ غمام (١)

لما جلستَ سما وعزّ ، كأنما هارونُ وابناه عليهِ قِيام(٢)

البحرُ محشودُ البوارج دونه والبرُّ تحت ظِلاله آجام(٣)

نَعِمَ الرعيةُ فى ذَراكَ ، ونَضَّرتْ أيامَهم فى ظِلِكَ الأَحكام(٤)

فى كل ناحيةٍ ، وكل قبيلةٍ عدلٌ ، وأمنٌ مُورِفٌ ، ووِئام(٥)

حمل (الصليبُ) إليكَ من فتيانه جندًا ،وقاتلَ دونكَ (الحاخام)(٦)

والدينُ ليس برافعٍ ملكاً إذا لم يَبْدُ للدّنيا عليه نظام

بالله قد دان الجميعُ ، وشأنُهم بالله ثم بعرشِك ؛ استِعصام(٧)

* * *

يا ابنَ الذين إذا الحروبُ تتابعت صَلَّوْا على حَدِّ السيوف، وصاموا(٨)

المظهرِينَ لنورِ « بَدْرٍ » بعد ما خِيفَ المحاقُ عليه والإظلام(٩)

---

١ — الجنبات : النواحى ، مفردها جنبة ٠ والرفرف : كل ما فضل فثنى ٠ والطهور هو الطاهر فى نفسه والمطهر غيرها — ٢ — سما : ارتفع ٠ وهارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى ٠ وابناه : هما الأمين ، والمأمون

٣ — البوارج : سفن القتال الكبيرة واحدثها : بارجة ٠ والآجام : جمع أجم والأجم : جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف ، والاسود تتخذها مأوى لها . والضمير فى « دونه » و « ظلاله » للعرش فى البيت المتقدم ، يعنى انه مصون ، تحميه سفن القتال المحشودة فى البحر ، والجيوش المقيمة فى البر كأنها الأسود فى آجامها — ٤ — نعم الرعية : رفهوا واخصبوا . والذرا : الملجأ ونضرت ايامهم الاحكام : جعلها ناضرة . والناضرة : الحسنة — ٥ — مورف : متسع وممتد — ٦ — حمل الصليب ٠٠ الخ : يريد ان رعاياك من النصارى واليهود مخلصون ، يقاتلون من دونك لما اظللتهم به من العدل والامن ٠

٧ — بالله قد دان الجميع : أى أمنوا به ٠ والاستعصام : الاستمساك ٠

٨ — صلوا على حد السيوف وصاموا : اى لزموها كما يلزم المتعبد صلاته وصيامه — ٩ — بدر : اسم الغزوة المشهورة فى صدر الاسلام ، سميت باسم المكان الذى وقعت فيه . والمحاق (مثلث الميم) : قيل : هو اخر الشهر حيث يمحق نور القمر ، وقيل : هو ثلاث ليال من آخره .

عشرون خاقاناً نَمَوْك وعَشْرةٌ ... غرٌّ الفتوح خلائفٌ أعلام(١)

نسبٌ - إذا ذُكِر الملوكُ فإنه ... لِرَفيع أنسابِ الملوكِ سَنام(٢)

لا تحفلنَّ من الجِراح بقيةً ... إن البقيةَ فى غدٍ تلتام(٣)

جرت النحوس لغاية فتبدَّلت ... ولكل شيء غايةٌ وتمام

تعِبت بأُمَّتِك الخطوبُ فأقصرَت ... والدهرُ يُقصِر والخطوب تنام(٤)

لبثَت تَنُوشهمُ الحوادثُ حقبةً ... وتصدُّها الأَخلاقُ والأَحلام(٥)

ولقد يُدَاس الذئبُ فى فلواته ... ويُهابُ بين قيوده الضرغام(٦)

زِدْهم أميرَ المؤمنينَ من القُوَى ... إن التُّقَى عزٌّ لهم وقوام

الملكُ والدُّولاتُ ما يَبنِى القنا ... والعلمُ ، لا ما ترفعُ الأَحلام(٧)

والحقُّ ليس - وإن علا - بمؤيَّدٍ ... حتى يُحَوِّطَ جانبيْه حسام(٨)

خطَّ النبيُّ براحتيهِ خَندقا ... ومشى يُحيط به قناً وسهام(٩)

* * *

يا بربروسُ ، على ثراكَ تحيةٌ ... وعلى سَمِيِّكَ فى البحارِ سلام(١٠)

---

١ - الخاقان : هو كل ملك من الاتراك . ونموك : اى رفعوك بالانتساب اليهم . وعشرة غر الفتوح : أى ونماك أيضا عشرة خواقين . امتازوا . بالفتح والتوسع فى الملك ، فاختصوا بوصف الفاتحين ، فلا يقال هذا الوصف لغيرهم من سلاطين آل عثمان . وخلائف : جمع خليفة - ٢ - السنام : اللحم المرتفع على ظهر البعير -٣- لاتحفلن بقية : أى لاتبال بها . فهى ستبرأ وتلتحم يشير بذلك إلى حوادث كانت تشغل الدولة التركية يومئذ -٤- أقصرت : أى انتهت وأمسكت عنها -٥- تنوشهم : تتناولهم . وتصدها أى تصد الحوادث . والأحلام : العقول - ٦ - الضرغام : الاسد - ٧ - القنا : الرماح والاحلام هنا : جمع حلم ، وهو ما يراه النائم - ٨ - يحوط جانبيه ، بواو مشددة . اى يحفظهما ويتعهدهما . والحسام : السيف - ٩ - الخندق : حفير حول أسوار المدينة - ١٠ - بربروس : هو خير الدين بربروس من أبطال العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه علما لبارجة هى الاولى فى الاسطول العثمانى .

أَعَلِمتَ ما أهدى إليك عصابةٌ غرُّ المآثر من بنيك كرام ؟(١)
نشروا حديثَك فى البرية بعد ما همَّت بطىٍّ حديثِك الأيام
خصُّوك من أُسطولِهم بدعامةٍ يُبنى عليها ركنُه ويقام(٢)
شماءُ فى عرضِ الخِضَمِّ ، كأنها برجٌ بذات الرجع ليس يرام(٣)
كانت كبعض البارجات ، فحفَّها لما تحلَّت باسمِك الإعظام
ما مات من نبل الرجال وفضلهم يحيا لدى التاريخ وهو عظام
يمضى ويُنسَى العالمون ، وإنما تبقى السيوفُ ، وتَخْلُدُ الأَقلام(٤)
وتلاك (طرغودُ) كما قد كنتُما جَنباً لجنبٍ والعُبابُ ضِرام(٥)
أرسى على بابِ الإمام كأنه للفُلك من فرط الجلال إمام(٦)
جمعتكما الأَيامُ بعد تفرُّق ما للقاءِ وللفراق دوام
سيشدُّ أزرَك والشدائدُ جُمةٌ ويُعزُّ نصرَك والخُطوبُ جِسام(٧)
ما السُّفنُ فى عدد الحصى بنوافع حتى يهزَّ لواءَها مِقدام
لما لمحتُكما سكبْتُ مدامعى فرحاً ، وطال تشوُّفٌ وقيام(٨)

---

١ ــ عصابة غر المآثر : هم رجال الحكومة العثمانية الذين أوجدوا البارجة بربروس ــ ٢ ــ الدعامة : عماد البيت ــ ٣ ــ شماء : مرتفعـــة عظيمة . والخضم : البحر • والبرج : واحد بروج السماء • وذات الرجع : هى السماء والرجـــع : المطر بعـــد المطر ــ ٤ ــ وانما تبقى السيوف : أى يبقى مـــا تفعـــله السيوف ويخلد ما تسطره الأقلام ــ ٥ ــ تـــلاك :أى جاء تاليـــا لك • وطرغـــود : هو أيضا من ابطال البحر العثمـــانين ، جعـــلت الحكومة التركية اسمه كذلك علما لبارجة أخرى . والعباب : كثرة السيل وارتفاعه • والمراد به هنا كثرة ماء البحر • والضرام اشتعال النار • والمعنى : أن البارجة التى سميت باسم طرغود ، هى مع البارجة المسماة باسمك ، فهما فى البحر كما كنتما فيه من قبل ، حين كانت تشتعل نار القتال فوق عبابه .

٦ ــ أرسى : وقف وثبت • والفلك :السفن ، يستعمل للمفرد وللجمع بلفظ واحد ، وفى البيت اشارة الى أن مرسى البارجتين كان أمام قصر الخليفة .

٧ ــ الأزر : الظهر • والجمة : الكثيرة • والجسام : العظام جمع جسيم

٨ ــ سكبت : صببت . والتشوف : التطلع •

وسألتُ : هل من (لؤلؤ) أو (طارقٍ) في البحر تخفقُ فوقَه الأعلام ؟(١)

* * *

يا معشرَ الإسلامِ : في أُسطولِكم عزٌّ لكم ، ووقايةٌ ، وسلام

جودوا عليه بمالِكم ، واقضوا له ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام(٢)

لا الهندُ قد كرُمت ، ولا مصرٌ سخت والغربُ قصَّر عن ندًى ، والشام

سيلُ الممالكِ جارفٌ من شدَّةٍ وقُوًى ، وأنتم في الطريق نِيام(٣)

حبُّ السيادة في شمائِل دينكم والجِدُّ روحٌ منه والإقدام(٤)

والعلمُ من آياته الكبرى إذا رجعت إلى آياتِه الأقوام(٥)

لو تُقرِئون صِغارَكم تاريخَه عرف البنون المجدَ كيف يُرام

كم واثقٍ بالنفس ، نهَّاضٍ بها ساد البريةَ فيه وهو عِصام(٦)

الأندلس الجديدة

يا أُختَ أندلسٍ ، عليكِ سلامُ هوَت الخلافةُ عنكِ ، والإسلام(٧)

نزل الهلالُ عن السماء ، فليتها طُوِيَتْ ، وعمَّ العالمين ظلام

---

١ — لؤلؤ : هو حسام الدين لؤلؤ ، أمير الاسطول المصرى في الحروب الصليبية ، وطارق : هو طارق بن زياد بطل الاندلس المشهور — ٢ — الاعلاق : نفائس الاشياء — ٣ — جارف ، من جرف الشيء : ذهب به كله أو أكثره .

٤ — الجد : الاجتهاد في الامر . وروح منه ، أي من دينكم — ٥ — والعلم من آياته : أي من آيات الدين — ٦ — النهاض : مبالغة من النهوض ، وهو القيام . وهو عصام : أي كعصام ، وهو رجل شرف بنفسه وعمله ، لا بنسبه وآبائه ، حتى قيل فيه : « نفس عصام سودت عصاما » ، فضرب به المثل في ذلك — ٧ — يا اخت اندلس : يخاطب مدينة أدرنة ، وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية ، وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الانباء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٢ بعد أن أبلت حاميتها في الدفاع عنها بلاء حسنا .

أزرى به ، وأزاله عن أَوْجِهِ قدَرٌ يَحُطُّ البدرَ وهو تمام(١)
جُرحان تمضى الأَمتان عليهما هذا يسيل، وذاك لا يلتام(٢)
بكما أُصيبَ المسلمون . وفيكما دُفنَ اليراعُ ، وغُيِّب الصَّمصام(٣)
لم يُطوَ مأْتمُها ، وهذا مأْتمٌ لبسوا السوادَ عليكِ فيه وقاموا(٤)
مابين مَصرعِها ومصرعِكِ انقضت فيما نُحِبُّ ونكره الأَيام
خلت القرونُ كليْلةٍ . وتصرَّمت دولُ الفتوحِ كأَنها أَحلام(٥)
والدهرُ لا يأْلو الممالكَ مُنذرًا فإذا غفلنَ فما عليهِ مَلام(٦)

* * *

مقدونيا — والمسلمون عشيرةٌ — كيف الخئولةُ فيكِ والأَعمام؟(٧)
أترينْهم هانوا ، وكان بعزِّهم وعلوِّهم يتخايلُ الإِسلام؟(٨)
إذ أَنتِ نابُ الليثِ ، كل كتيبة طلعت عليكِ فريسةٌ وطعام(٩)
ما زالت الأَيامُ حتى بُدِّلَت وتغيَّرَ الساقى ، وحالَ الجام(١٠)

---

١ — ازرى به : وضع من شأنه . والأوج : العلو — ٢ — جرحان : احدهما خروج أدرنة من ايدى المسلمين ، والثانى خروج الاندلس من أيديهم ، والامتان: هما العرب أيام نكبة الاندلس ، والترك أيام ضياع أدرنه — ٣ — اليراع : القلم والصمصام : السيف — ٤ — لم يطو مأتمها : أى مأتم الاندلس — ٥ — خلت : مضت . وتصرمت : انقضت — ٦ — لا يألو : لا يقصر ولا يبطىء

٧ — مقدونيا : اسم الاقليم الذى تقع فيه أدرنة . والعشيرة : قبيلة الرجل والخئولة النسبة الى الخال ، كالعمومة ، وهى النسبة الى العم — ٨ — يتخايل يتبختر — ٩ — اذ انت ناب الليث : أى مثل ناب الليث ، فى انه مخوف لايمكن الوصول اليه . والكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الاسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا ، حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع ناب الليث على من يريده ، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الاعداء

١٠ — حال : تحول من حال الى حال . والجام : اناء من فضة تسقى فيه الخمر .

أرأيتِ كيف أُديلَ من أُسْدِ الشَّرَى ... وشهدتِ كيف أُبيحتِ الآجامِ؟[١]

زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصبًا ... وهل الممالكُ راحةٌ ومنام؟[٢]

ويقول قومٌ: كنتِ أشأَمَ مَوْرِدٍ ... وأراكِ سائغةً عليكِ زِحام

ويراكِ داءَ المُلك ناسٌ جَهالةً ... بالمُلك منهم علةٌ وسَقام

لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم ... رُكنًا على هام النجوم يُقام[٣]

وهُمُ يقيِّدُ بعضُهم بعضًا به ... وقيودُ هذا العالَمِ الأَوهام

صورُ العمى شتَّى، وأقبحُها إذا ... نظرتْ بغير عيونِهنَّ الهام

ولقد يُقام من السيوفِ، وليس من ... عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

* * *

ومُبَشِّرٍ بالصلحِ قلت: لعله ... خيرٌ، عسى أن تصدقَ الأَحلام[٤]

ترك الفريقان القتالَ، وهذه ... سِلْمٌ أمرُّ من القتالِ عُقام[٥]

ينعى إلينا الملكَ ناعٍ لم يطأْ ... أرضاً، ولا انتقلت به أقدام[٦]

برقٌ جوائبُه صواعقُ كلُّها ... ومن البروقِ صواعقٌ وغمام[٧]

إن كان شرٌّ، زار غيرَ مفارقٍ ... أو كان خيرٌ، فالمزارُ لِمام[٨]

---

١ ـ الشرى: مكان نكثر فيه الاسود. والاجام: جمع اجم، وهو الشجر الملتف نألفه الاسود ايضا ـ ٢ ـ الهم الناصب: المتعب ـ ٣ ـ لو آثروا الاصلاح أى لو اختاروه. والهام: جمع هامة، وهى رأس كل شىء ـ ٤ ـ ومبشر بالصلح: يشير الى ماكان قد جاء من الانباء بأن الصلح سيتم بين المتحاربين.

٥ ـ يقال: داء عقام، أى لايرجى البرء منه، وحرب عقام: أى شديدة، وكلا المعنيين صالح هنا. ويشير بقوله: هذه سلم.. الخ، الى ماكان من ممالأة الدول الاوربية الكبرى، لدول البلقان الصغيرة على تركيا، وارهاقها بشروط الصلح ـ ٦ ـ ينعى الينا.. الخ: يشير الى الانباء البرقية التى تنقل شروط الصلح الظالم. والناعى الذى لم يطأ أرضا.. الخ: هو سلك البرق

٧ ـ الجوائب: الاخبار الطارئة. جمع جائبة ـ ٨ ـ اللمام: جمع لمة، وهى المرة، يقال: انت ماتزورنا الا لماما: أى من حين الى حين.

بالأمس (أفريقا) تولّتْ ،وانقضى ... مُلكٌ على جيدِ الخِضَمِّ جسام(١)

نظمَ الهلالُ به ممالكَ أربعًا ... أصبحنَ ليس لعقدِهن نظام(٢)

من فتحِ هاشمٍ أو أُميةَ ، لم يُضِعْ ... آساسَها تترٌ ولا أعجام(٣)

واليومَ حكمُ الله فى مقدونيا ... لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام

كانت من الغرب البقيةُ ، فانقضت ... فعلى بَنى عثمانَ فيه سلام !

* * *

أخذَ المدائنَ والقُرى بخناقها ... جيشٌ من المتحالفين لُهام(٤)

غطَّت به الأَرضُ الفضاء وجوهَها ... وكست مناكِبَها به الآكام(٥)

تمشى المناكرُ بين أيدى خَيله ... أنَّى مَشى ، والبغىُ ، والإجرام(٦)

ويحثه باسم الكتاب أَقِسَّةٌ ... نَشطوا لما هو فى الكتابِ حرام(٧)

ومسيطرونَ على الممالك ، سخِّرت ... لهم الشعوبُ ، كأنها أنعام(٨)

من كل جزّار يروم الصدرَ فى ... نادى الملوكِ ، وجَدُّه غنام(٩)

---

١ ـ الجيد : العنق . والخضم : البحر . وجسام : عظام جمع : عظيم

٢ ـ ممالك أربعا ، هن : مصر ، وطرابلس ، وتونس والجزائر .

٣ ـ من فتح هاشم أو أمية : أى هذه الممالك الاربع مما فتحه بنو هاشم وبنو امية فى عصر الاسلام الاول . والآساس (بالمد) : جمع أساس

٤ ـ المتحالفون : هم دول البلقان : اليونان ورومانيا ، والبلغار ،والصرب، تحالفوا على حرب الدولة التركية . واللهام بضم اللام : الجيش العظيم ، كانه يلتهم كل شىء ـ ٥ ـ مناكبها : نواحيها . والاكام : التلال ، وقيل : هى الحجارة المجتمعة فى امكنة واحدة ـ ٦ ـ المناكر : جمع منكر ، وهو كل قول او فعل ليس فيه رضاء الله ،وأنى مشى : أى كيف مشى ـ ٧ ـ الاقسة : جمع قسيس . ونشطوا : خفوا واسرعوا ـ ٨ ـ ومسيطرون : أى ويحثه مسيطرون . والمسيطر : المسلط على الشىء ليشرف عليه ويتعهد احواله . والمراد بهم ملوك دول البلقان ـ ٩ ـ يروم الصدر : يطلبه . والصدر ـ هنا ـ معناه اعلى أمكنة النادى .

سِكِّينه ، ويمينُه ، وحزامه ، والصولجانُ ، جميعُها آثام(١)

* * *

« عيسى » ، سبيلُك رحمةٌ ، ومحبةٌ في العالمين ، وعصمةٌ ، وسلام

ماكنتَ سفاكَ الدماء ، ولا امرأ هانَ الضِّعافُ عليه والأيتام(٢)

ياحاملَ الآلامِ عن هذا الورَى كثُرَت عليه باسمك الآلام(٣)

أنت الذى جعل العبادَ جميعَهم رَحِمًا ، وباسمك تُقطَع الأَرحام

أتت القيامةُ فى ولايةِ يوسفٍ واليومَ باسمك مرتين تقام(٤)

كم هاجَه صيدُ الملوكِ وهاجهم وتَكافأَ الفُرسانُ والأَعلام(٥)

البغيُ فى دين الجميع دنيَّةٌ والسِّلمُ عهدٌ . والقتالُ زِمام

واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبٌ هم للإلَه وروحِه ظلاَّم(٦)

خلَطوا صليبكَ والخناجرَ والمُدى كلٌّ أداةٌ للأذى وحمام(٧)

أوما تراهم ذبَّحوا جيرانهم بين البُيوت كأنهم أغنام؟

كم مُرضَعٍ فى حِجْر نعمته غدًا وله على حَدِّ السيوف فطام(٨)

---

١ ـ الصولجان : المحجن هو عصا منعطفة الراس ـ ٢ ـ سفاك الدماء : مريقها بكثرة ـ٣ـ يشير بقوله ياحامل الالام ، الخ الى ما يعتقده النصارى من ان السيد المسيح صلب ليحمل عن بنى آدم خطيئتهم الاولى ، أى ياحامل الالام فيما يزعمه هؤلاء السفاكون الذين يزعمون انهم على طريقك ـ ٤ ـ يوسف: هو السلطان يوسف صلاح الدين الايوبى ، قامت فى ايامه قيامة الصليبيين على المسلمين ، فحاربهم ونصره الله عليهم ـ٥ـ هاجه : أثاره ، والضمير ليوسف . وصيد الموك : جمع أصيد ، وهو الملك ، لانه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، كالبعير الذى اصيب بداء الصيد فى عنقه فلا يلتفت .

٦ ـ العصائب : جمع عصابة ، وهى الجماعة من الرجال ، وقيل ما بين العشرة والاربعين . وظلام : جمع ظالم ـ ٧ ـ خلطوا صليبك : اى الصليب الذى ينسبونه اليك . والحمام : الموت ـ ٨ ـ كم مرضع : اى طفل ترضعه امه . والفطام : فصله عن الرضاع .

وصبيةٍ هُتِكت خميلةُ طُهرها ... وتناثرت عن نَوْرِهِ الأكمام(١)

وأخى ثمانين اسْتبيحَ وقارُه ... لم يُغنِ عنه الضعفُ والأعوام

وجريحِ حربٍ ظامىء وأَدُوه ، لم ... يعطفْهمُ جرحٌ دمٍ وأُوام(٢)

ومهاجرين تنكرت أوطانُهم ... ضلُّوا السبيلَ من الذهول وهاموا(٣)

السيفُ إن ركبوا الفِرارَ سبيلُهم ... والنِّطْعُ إن طلبوا القَرار مُقام(٤)

يتلفتون مودّعين ديارَهم ... واللحظُ ماءٌ ، والديارُ ضِرام(٥)

* * *

يا أمة (بفروقَ) فرّق بينهم ... قَدَرٌ تطيشُ إذا أَتى الأَحلام(٦)

فيم التخاذلُ بينكم ووراءكم ... أمم تُضاع حقوقُها وتُضام؟(٧)

الله يشهدُ لم أكن متحزِّباً ، ... فى الرُّزء لا شِيعٌ ولا أحزام(٨)

وإذا دعوتُ إلى الوِئام فشاعرٌ ... أقصى مُناهُ محبةٌ ووِئام(٩)

من يضجر البلوى فغايةُ جهدِه ... رُجعَى إلى الأقدار واستسلام(١٠)

لا يأْخذنّ على العواقبِ بعضُكم ... بعضًا ، فقِدْماً جارت الأحكام

---

١ ـ الخميلة ، هنا : الدثار ، من المخمل ، وهو ثوب له وبر كالهداب، أو هى الشجر الكثير الملتف • والنور : هو الزهر الابيض • والاكمام : جمع كم – بكسر الكاف – وهو غطاء النور ـ٢ـ وأدوه : أى قتلوه ، كما تقتل البنت بالواد ، وهو دفنها حية • وجرح دم : اى يقطر منه الدم . والاوام : العطش ودوار الراس ـ ٣ ـ هاموا : ذهبوا على وجوههم من الظلم ، فلا يدرون أين يتوجهون ـ٤ـ النطع : بساط من الجلد يفرش لمن يضرب عنقه، والقرار : المكان الذى يقر فيه الانسان ، أو هو الثبات فى المكان والسكون فيه

٥ ـ والديار ضرام : أى مشتعلة نارا ـ٦ـ فروق : والاستانة • والاحلام : العقول ـ٧ـ التخاذل : التدابر وان يخذل بعضهم بعضا ـ ٨ ـ الرزء ، المصيبة . والشيع : جمع شيعة ، وهى اتباع الرجل وانصاره . والاحزام : الاحزاب ـ٩ـ الوئام : الوفاق ـ١٠ـ رجعى الى الاقدار : أى رجوع اليها .

تَقضى على المرءِ الليالى ، أوْ له ... فالحمدُ من سلطانها ، والذّام(١)

من عادة التاريخ ملءُ قضائِه ... عدل وملءُ كِنانَتَيْهِ سِهام(٢)

ما ليس يدفعه المهنَّدُ مصلَتًا ... لا الكتبُ تدفعه ، ولا الأَقلام(٣)

إن الأُلى فتحوا الفتوحَ جلائلًا ... دخلوا على الأُسدِ الغياضَ وناموا(٤)

هذا جناه عليكم آباؤكم ... صبرًا وصفحًا ، فالجناةُ كرام(٥)

رفعوا على السيفِ البناء ، فلم يدم ... ما للبناء على السيوف دوام

أبقى الممالكَ ما المعارفُ أُسّه ... والعدلُ فيه حائطٌ ودِعام(٦)

فإذا جرى رشدًا ويمنًا أمرُكم ... فامشوا بنورِ العلم ، فهو زِمَام

ودعوا التفاخرَ بالتُّراث وإن غلا ... فالمجدُ كسبٌ ، والزمانُ عِصام

إنّ الغرورَ إذا تملَّك أُمةً ... كالزهر يُخفى الموتَ وهو زؤام(٧)

لا يعدلنّ الملك فى شهواتكم ... عرَضٌ من الدنيا بدا وحُطام(٨)

ومناصب فى غير موضِعها ، كما ... حلَّت محلَّ القدوة الأَصنام(٩)

الملك مرتبةُ الشعوب ، فإن يفتْ ... عزُّ السيادة ، فالشعوبُ سَوام

---

١ — الذام : الذم —٢— الكنانتان : تثنيه كنانة ، وهى جعبة السهام ، من الجلد أو من الخشب —٣— المهند : السيف — ٤ — الغياض : جمع غيضة ، وهى مجتمع الشجر فى مغيض ماء ، وهى ايضا الأجمة ، والمعنى : أن أسلافكم منعوا من البلاد التى فتحوها بمجرد الفتح والغلبة ، ولم يلتفتوا الى أن اهلها يضمرون لهم العداوة ، ويتربصون بهم الدوائر — ٥ — هذا ، أى ما انتم فيه من عداوة — ٦ — الدعام : عماد البيت — ٧ — كالزهر يخفى الموت : ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء فى الأمكنة الضيقة . فيحدث الاختناق . والزؤام : السريع من الموت —٨— عرض الدنيا : مالا دوام له منها . وحطامها : ما فيها من مال كثير أو قليل — ٩ — مناصب جمع منصب . بكسر الصاد ، وهو فى كلام المولدين ما يتولاه الرجل من العمل وأصله المقام . والاصنام : جمع صنم ، وهو تمثال انسان أو حيوان يتخذ للعبادة .

ومن البهائم مشبَعٌ ومُذلَّلٌ ومن الحرير شكيمة ولجام
وقف الزمانُ بكم كموقف «طارق» اليأْسُ خلفٌ، والرجاءُ أمام(١)
الصبرُ والإقدامُ فيه إذا هما قُتلا فأقتلُ منهما الإحجام
يُحصى الدليلُ مدى مطالبه، ولا يحصِى مدى المستقبلِ المِقدام
هٰذى البقيةُ — لو حرصتم — دولةٌ صال الرشيد بها، وطالَ هِشام(٢)
قِسْم الأئمة والخلائِف قبلكم فى الأرض لم تُعدَل به الأَقسام(٣)
سرت النبوّةُ فى طَهور فضائِه ومشى عليه الوحىُ والإلهام
وتدفَّق النهران فيه. وأزهرت بغدادُ تحت ظلاله، والشام(٤)
أَثْرَتْ سواحلُه، وطابت أرضُه فالدرُّ لُجٌّ، والنُّضارُ رَغام(٥)

* * *

شرفاً أدرنةُ! هكذا يقفُ الحمى للغاصِبين، وتثبتُ الأَقدام(٦)
وتُرَدُّ بالدم بقعةٌ أُخذت به ويموتُ دون عرينِه الضرغام(٧)
والملكُ يؤخذ، أو يُرَدُّ، ولم يزل يرثُ الحسامَ على البلاد حسام(٨)

---

١ — طارق: هو طارق بن زياد بطل الاندلس المشـــهور، يروى بعض المؤرخين انه لما عبر بجيشه البحر ليقاتل الاعداء: امر فأحرقت السفائن، ثم خطب فى الجيش: أن البحر وراءه والعدو امامه، فاذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك — ٢ — هذى البقية: اى ما بقى للاتراك من البلاد بعد حرب البلقان. ولو حرصتم: اى لو حرصتم عليها. والرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسى. وهشام: هو ابن عبد الملك احد خلفاء بنى أمية — ٣ — القسم (بكسر القاف): النصيب — ٤ — النهران: دجلة والفرات، وبغداد: حاضره العراق —٥— اثرت: كثر فيها الغنى والمال. فالدر لج: أى كثير كاللج. والنضار: الذهب. والرغام: التراب، أى انه لكثرته صار كالتراب — ٦ — شرفا ادرنة: اى لقد شرفت شرفا. والحمى: ما يحمى من الشىء — ٧ — العرين: مأوى الاسد. والضرغام: الاسد.
٨ — الحسام: السيف.

عِرْضُ الخلافةِ ذاد عنه مجاهدٌ   فى الله ، غازٍ فى الرسول ، همام(١)
تستعصم الأوطانُ خلف ظُباته   وتَعزُّ حول قناتِه الأعلام(٢)
(عثمان) فى بُرْدَيْه يمنعُ جيشَه   (وابنُ الوليد) على الحِمى قوّام(٣)
علم الزمانُ مكانَ (شكرى) ، وانتهى   شكرُ الزمان إليه والإعظام(٤)

* * *

صبرًا أدرنةُ ! كلُّ ملكٍ زائلٌ   يوماً ، ويبقى المالك العلاّم(٥)
خفَتَ الأذانُ ، فما عليكِ مُوحِّد   يسعى ، ولا الجُمَعُ الحِسانُ تُقام(٦)
وخبتْ مساجدُ كن نورًا جامعاً   تمشى إليه الأُسد والآرام(٧)
يَدْرُجْنَ فى حَرَمِ الصلاةِ قوانتًا   بِيضَ الإزارِ ، كأنهن حَمام(٨)
وَعَفَتْ قبورُ الفاتحين ، وفُضَّ عن   حُفَر الخلائفِ جَنْدَلٌ ورِجام(٩)
نُبِشَتْ على قَعساء عِزّتِها ، كما   نُبشتْ على استعلائها الأهرام(١٠)
فى ذمّةِ التاريخ خمسةُ أشهرٍ   طالت عليكِ ، فكلُّ يوم عام(١١)

---

١ — العرض : جانب الرجل الذى يصونه من نفسه او سلفه ، أو هو موضع المدح والذم منه . وذاد عنه : طرد عنه العدو ودفعه — ٢ — تستعصم : تلجأ وتمتنع . الظبات : جمع ظبة — بضم الظاء ، وهى حد السيف . وتعز تصير عزيزة مكرمة — ٣ — ابن الوليد : هو خالد بن الوليد ، قائد عظيم من الصحابة

٤ — شكرى هو بطل ادرنة ، وقائد حاميتها الذى تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار — ٥ — صبرا ادرنة : أى اصبرى صبرا — ٦ — خفت : سكن وانقطع . والموحد : من يعتقد ان الله واحد لا شريك له ولا ولد . والجمع : هى صلوات الجمع الاسبوعية — ٧ — خبت : سكنت . والأسد هم الرجال الذاهبون الى المساجد . والارام : النساء الذاهبات اليها . والرئم . الظبى الابيض — ٨ — يدرجن : يمشين ، والضمير للارام فى البيت المتقدم . والقوانت : جمع قانتة ، من القنوت ، وهو الطاعة والدعاء — ٩ — عفت : انمحلت وامحت . وفض جندل ورجام : اى كسر متفرقا . والجندل : الحجارة . والرجام : مايبنى عليه البئر وتعرض فوقه الخشبة للدلو .

١٠ — العزة القعساء : المنيعة الثابتة — ١١ — خمسة اشهر : هى مدة حصار أدرنة .

السيفُ عارٍ . والوباءُ مُسلَّطٌ ... والسيلُ خوفٌ ، والثلوجُ رُكام(١)
والجوعُ فتّاك ، وفيه صحابةٌ ... لو لم يجوعوا فى الجهادِ لصاموا
ضَنُّوا بعرضِكِ أن يُباعَ ويشترى ... عِرْضُ الحرائر ليس فيه سُوام(٢)
ضاقَ الحصارُ كأنما حلقاتُه ... فلَك ، ومقذوفاتُها أجرام(٣)
ورمى العِدَى ، ورميتِهم بجهنمٍ ... مما يصبُّ الله لا الأقوام
بِعْتِ العدوَّ بكل شبر مهجة ... وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام(٤)
مازال بينكِ فى الحصارِ وبينَه ... شُمُّ الحصونِ ، ومثلُهن عِظام(٥)
حتى حواكِ مقابراً ، وحويتِه ... جُثَثاً ، فلا غَبْنٌ ولا استِذمام(٦)

ضيف أمير المؤمنين (*)

رضىَ المسلمون والإسلامُ ... فَرْعَ عثمانَ ، دُمْ ، فِداك الدوامُ(٧)
كيف نحصى على عُلاكَ ثناءً ؟ ... لك منك الثناءُ والإكرام

---

١ ـ السيف عار : اى مجرد من غمده كما يتجرد الانسان من ثيابه ، والمراد ان القتال مستمر . والوباء مسلط : هو الوباء الذى يحدث عادة فى كل مكان يكثر فيه القتل والقتال ويكون محصورا من الخارج . والسيل خوف : اى مخيف . والثلوج ركام : اى متراكم بعضها فوق بعض ـ ٢ ـ الحرائر : جمع حرة . والسوام (بضم السين) : ان تعرض السلعة ويذكر ثمنها .

٣ ـ الفلك : مدار النجوم . والاجرام ، هى الاجسام التى فى الفلك .

٤ ـ المهجة : الروح او دم القلب . اى ان العدو لم ينلك الا بعد ان بذل فى كل شبر من ارضك رجلا من رجاله ـ ٥ ـ شم الحصون : اى الحصون العالية ـ ٦ ـ حواك : ملكك . والاستذمام : فعل ما يقتضى الذم . والمعنى : ان الحصون بقيت ثابتة بينك وبين الاعداء كما كان بينك وبينهم من عظام القتلى اكوام كالحصون ، فلم يأخذك الا بعد ان صرت مقابر لرجاله جثثا هامدة وبهذا لم تفعلى ما فيه غبن ولا ما يقتضى الذم

* ـ نزل صاحب الديوان بالاستانه ، فبلغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما اقام بها

٧ ـ فرع عثمان : هو السلطان عبد الحميد .

هل كلامُ العبادِ فى الشمسِ إلاّ أنها الشمسُ ليس فيها كلام ؟
ومكانُ الإمام أعلى ، ولكن بأحاديثه يَتِيهُ الأنام(١)
إيه « عبدَ الحميد » ، جلَّ زمانٌ أنت فيه خليفةٌ وإمام(٢)
ما رأت مثلَ ذا الذى تَبتنى الأقـــوامُ مجدًا ، ولن يَرى الأقوام
دولةٌ شاد ركنَها ألفُ عام ومئاتٌ ، تعيدها أعوام(٣)
وأساسٌ من عهدِ عثمان يُبنى ثمانٍ ومثلهن يُقام
حكمةٌ حالَ كلُّ هذا التجلِّى دونها أن تنالها الأفهام
يسألُ الناسُ عندها الناسَ : هل فى الناس ذو المقلةِ التى لا تنام ؟(٤)
أم مِن الناسِ – بعدُ – مَنْ قولُه وحْـ ـىٌ كريمٌ ، وفعلُه إلهام ؟(٥)
صدق الخلقُ ؛ أنت هذا ، وهذا يا عظيما ما جازه إعظام(٦)
شرفٌ باذخٌ ، وملكٌ كبيرٌ ويمينٌ بُسطٌ ، وأمرٌ جسام(٧)
(عُمَرٌ) أنتَ ، بَيْدَ أنك ظلٌّ للبرايا ، وعصمةٌ ، وسلام(٨)
ما تتوجتَ بالخلافةِ حتى تُوِّجَ البائسون والأيتام

---

١ ـ يتيه : يتكبر ـ ٢ ـ ايه : اسم فعل ، معناه الاستزادة من الحديث

٣ ـ شاد ركنها الف عام ومئات : اى رفع ركنها الف عام ومئـات ، وهى دولة الاسلام منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام . تعيدها أعوام : اى ترجعها الى مثل قونها اعوام معدودة ، هى التى توليت فيها أمرها .

٤ ـ يسأل الناس عندها : اى عند هذه الحكمة . والمعنى ان بعضهم يسأل بعضا : هل فيهم من هو مثلك ساهر على الملك فلا تنام عينه ؟ ـ ٥ ـ أم من الناس : أى يسألون ايضا : أمنهم من يكون له ذكر بعدك ، انت الذى يصدر عنك القول صادقا مطاعا كأنه الوحى ، ويصدر عنك العمل صوابا كأنه الهام من الله ـ ٦ ـ صدق الخلق : أى صدقوا فى الحالين ، فانت الذى لاتنــام عينك ، وانت القائل المصدق ، والفاعل الصواب ـ ٧ ـ شرف باذخ : طويل ويمين بسط (بضم الباء) : اى مبسوطة مطلقة ، كناية عن الجود والسخاء . امر جسام ـ بضم الجيم : عظيم ضخم ـ ٨ ـ عمر أنت : اى انت كعمر بن الخطاب فى عدله وتقواه .

وسرى الخِصبُ والنماءُ ، ووافى ال   بِشرُ ، والظلُّ ، والجنَى ، والغَمام(١)

وتلقَّى الهلالَ منك جبينٌ   فيه حسنٌ ، وبالعُفاةِ غَرام(٢)

فسلامٌ عليهمُ وعليه   يومَ حيَّتهمُ به الأَيام

وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عَلْ   ياكَ فى الذِّرْوَة التى لا تُرام(٣)

يهرعُ العرشُ ، والملوكُ إليه   وبنو العصر ، والولاةُ الفِخام(٤)

هكذا الدَّهرُ : حالةٌ ، ثم ضدٌّ   ما لحالٍ مع الزمان دوام

ولَأَنت الذى رعيَّتُه الأُسْ   دُ ، ومَسْرَى ظلالها الآجام(٥)

أُمة التركِ ، والعراقُ ، وأهلو   ه ، ولبنانُ ، والربى ، والخيام

عالمٌ لم يكن ليُنْظَم ، لولا   أنك السِّلمُ وَسْطَهُ والوئام(٦)

هذَّبته السيوفُ فى الدهر ، واليو   مَ أَتمتْ تهذيبَه الأَقلام(٧)

أيقولون : سَكرةٌ لن تَجلَّى   وقعودٌ مع الهوى ، وقيام؟(٨)

ليذوقُنَّ للمُهلهِلِ صَحْوًا   تَشرُف الكأْسُ عنده والمدام(٩)

---

١ ــ الخصب : رغد العيش . والجنى : مايجنى من الشجر ــ ٢ ــ وبالعفاة غرام : اى وفيه غرام العفاة . والعفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل والرزق ٣ ــ من علياك ، اى من عليائك. والعلياء : ما علا من الشىء ــ ٤ ــ يهرع : يمشى اليه بسرعة. والفخام : جمع فخم، وهو العظيم القدر ــ ٥ ــ المسرى : السريان ، كما يسرى الماء أو السير عامة الليل · والآجام : جمع أجم ، وهو الشجر الكثير الملتف ــ ٦ ــ ينظم : اى ينتظم . والسلم : ضد الحــرب . والوئام : الوفاق ــ٧ــ هذبته : أصلحته ــ ٨ ــ لن تجلى : اى لن تنجلى، تنفرج وتنكشف ــ ٩ ــ ليذوقن : هنا قسم ، أى والله ليذوقن · والضمير فى هذا الفعل للجماعة ، يرجع الى القائلين الذين يدل عليهم قوله « ايقولون » فى البيت المتقدم . والمهلهل بكسر الهاء الثانية : هو عدى بن ربيعة ، أخو كايب ابن ربيعة ، وكليب هذا كان من الرؤساء فى الجاهلية ، قتله جساس أخو امرأته وخبرهما مشهور فى أيام العرب وحروبهم ، وكان المهلهل صاحب شراب وقمار ونساء ، فلما علم بقتل أخيه هجر النساء والغزل ، وحرم القمار والشراب ، وشغل عن هذا كله بالحرب وطلب الثار · والى هذا يشير بقوله : ليذوقــن للمهلهل صحوا · الخ : أى ليذوقن صحوا كصحو المهلهل ، وحربا كالحرب التى أثارهــا .

وضع الشرقُ فى يديك يديه   وأتت من حُماتِه الأقسام(١)

بالولاء الذى تُريد الأيادى   والولاء الذى يريد المقام(٢)

غيرَ غاوٍ ، أو خائن ، أو حسود   برئت من أولئك الأحلام(٣)

كيف تُهدَى لما تشيد عيونٌ   فى الثرى ملؤها حصًى ورغام ؟ (٤)

مُقَل عانت الظلامَ طَويلاً   فعماها فى أن يزولَ الظلام(٥)

قد تعيش النفوسُ فى الضيم حتى   لترى الضيمَ أنها لا تضام(٦)

أيها النافرون ، عودوا إلينا   ولِجُوا البابَ ؛ إنه الإسلام(٧)

غرضٌ أنتمُ ، وفى الدهر سهمٌ   يومَ لا تدفعُ السهامَ السهام(٨)

نِمتمُ ، ثم تطلبون المعالى   والمَعالى على النيام حرام(٩)

شَرُّ عيشِ الرجال ما كان حُلْمًا   قد تسيغ المنيَّةَ الأحلام(١٠)

ويبيت الزمانُ أندلسيًّا   ثم يُضحِى وناسُه أعجام(١١)

* * *

عالىَ البابِ ، هَزَّ بابُكِ مِنَّا   فسعينا ، وفى النفوسِ مَرام(١٢)

---

١ — الحماة : جمع حام ، وهو المانع الدافع · والاقسام : الايمان : جمع قسم — ٢ — الذى تريد الايادى ·· الخ : أى أتوا يحثهم الولاء الذى تقتضيه أياديك عليهم — جمع يد ، وهى النعمة — والولاء الذى يستوجبه مقامك الرفيع — ٣ — برئت من أولئك : أى من هذه الاصناف الثلاثة . والاحلام : العقول — ٤ — لما تشيد : لما تبنى · والثرى : التراب ، وكذلك الرغام ·

٥ — مقل : جمع مقلة ، وهى العين — ٦ — الضيم : الظلم والقهر ·

٧ — النافرون : المتفرقون المتباعدون لجوا : ادخلوا — ٨ — الغرض : الهدف الذى يرمى اليه — ٩ — المعالى : جمع معلاة (بفتح الميم) وهى الرفعة والشرف — ١٠ — الحلم (بضم الحاء) : ما يراه النائم . جمعه احلام

١١ — أندلسيا : اى كزمان الاندلس أيام عز العرب والاسلام فيها .

١٢ — عالى الباب ؛ اى يا من بابك العالى . هز بابك منا : ى هزنا . وفى النفوس مرام : مطلب .

وتجلَّيتَ ، فاستلمنا ، كَما للنـــاسِ بالركن ذى الجلالِ استلام(١)

نستميحُ الإمامَ نصراً لمصرٍ مثلَما ينصرُ الحسامَ الحسام(٢)

فلمصرٍ – وأنت بالحبِّ أدرى – بكَ – ياحامىَ الحمى – استعصام(٣)

يشهدُ اللهُ للنفوسِ بهذا وكفانا أن يشهدَ العلام

وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو جورَ دهرٍ ، أحرارُه ظُلام(٤)

وعدوها لنا وعوداً كباراً هل رأيتَ القُرى علاها الجهام ؟(٥)

فمللنا ، ولم يكُ الداءُ يحمى أن تملَّ الأَرواحُ والأَجسام(٦)

يمنعُ القيدُ أن تقوم ؛ فهل تا جٌ ؟ فبالتاج للبلاد قيام

فارفع الصوتَ : إنما هى مصرٌ وارفع الصوتَ : إنها الأَهرام

وارعَ مصراً ولم تزل خيرَ راعٍ فلها بالذى أرتكَ زِمام

إن جهد الوفاءِ ما أنت آتٍ فليقم فى وقائك الخدّام(٧)

وليصولوا بمن له الدهرُ عبدٌ وله السعدُ تابعٌ وغلام(٨)

فاللواءُ الذى تلقَّوْا رفيعٌ والأُمورُ التى تولَّوْا عِظام

مَن يُردْ حَقَّهُ فللحق أنصا رٌ كثيرٌ ، وفى الزمانِ كرام

لا تروقنّ نومةُ الحقِّ للبا غى ؛ فللحقِّ هبّةٌ وانتقام

---

١ ـ تجليت : ظهرت • والركن : ركن الكعبة • والاستلام ، التمس أما بالقبلة او باليد ـ ٢ ـ نستميح : نسأل • والحسام: السيف ـ ٣ ـ الحمى : ما حمى من شىء • استعصام : استمساك ـ ٤ ـ الجور : الظلم • وظلام : جمع ظالم ـ ٥ ـ القرى : جمع قرية . والجهام (بفتح الجيم) : السحاب لا ماء فيه ، يعنى ان تلك الوعود كانت كالسحاب الذى لا خير فيه •

٦ ـ ولم يك الداء يحمى .. الخ : اى لم يكن من شأن الداء أن يمنع الارواح والاجسام من أن تمله وتسأمه ـ ٧ ـ ان جهد الوفاء : اى غاية الوفاء . ما أنت آت : أى آتيه وفاعله ـ ٨ ـ وليصولوا : أى وليسطوا بأمرك على من ظلموا مصر حتى يقهروهم •

إنّ للوحش ـ والعظامُ مناها … لمنايا أسبابُهن العظام(١)
رافعَ الضادِ للسُّها ، هل قَبولٌ فيبامى النجومَ هذا النظام؟(٢)
قامت الضادُ فى فمى لك حُبًّا فَهْى فيه تحيةٌ وابتسام
إن فى « يلدز » الهوى لَخلالا أنا صَبٌّ بلُطفها ، مُستَهام(٣)
قد تجلَّت لخير بدرٍ أَقلَّت فى كمالٍ بدت له أعلام(٤)
فالزم التمَّ أيها البدرُ دوما والزم البدرَ أيهذا التمام(٥)

ذكرى دنشواى (*)

يا دِنشوايَ ، على رُباكِ سلامُ ذهبتْ بِأُنسِ رُبُوعِكِ الأَيامُ
شهداءُ حُكمكِ فى البلاد تفرَّقوا هيهاتَ للشملِ الشتيت نظام
مرّت عليهم فى اللحود أَهلَّةٌ ومضى عليهم فى القيودِ العام
كيفَ الأَراملُ فيكِ بعد رجالِها؟ وبأَىِّ حالٍ أصبح الأَيتام ؟
عشرون بيتًا أقفرت ، وانتابَها بعد البشاشةِ وحشةٌ وظلام
ياليت شعرى : فى البروج حمائمٌ أم فى البروج منيةٌ وحِمام ؟
«نيرونُ» :لوأدركتَعهدَ «كرومرٍ» لعرفتَ كيف تُنفَّذ الأَحكام !

١ ـ العظام : جمع عظم ومناها : جمع أمنية . ومنايا : جمع منية ، أى ان الوحوش تجد منيتها فى العظام وهى تطلبها للاكل والغذاء ـ ٢ ـ الضاد : اللغة العربية . والسها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . هذا النظام : أى الشعر ـ ٣ ـ يلدز : قصر السلطان عبد الحميد فى الاستانة ـ ٤ ـ اقلت : حملت ـ ٥ ـ التم والتمام : الكمال .

(*) قيلت بعد مرور عام على حادثةهذه القضيه فى سبيل طلب العفو عن سجنائها .

نوحى حمائمَ دنشواىَ ، وروِّعى ... شعبًا بوادى النيل ليس ينام

إن نامت الأَحياءُ حالتْ بينه ... سَحرًا وبين فراشِه الأَحلام

متوجِّع ، يتمثلُ اليومَ الذى ... ضجَّتْ لشدةِ هَوله الأَقدام

السوطُ يعملُ ، والمشانقُ أَربعٌ ... متوحِّدات والجنودُ قيام

والمستشارُ إلى الفظائع ناظرٌ ... تَدْمَى جلودٌ حوله وعِظام

فى كل ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ ... جزعاً من الملأِ الأَسيف زحام

وعلى وجوهِ الثاكلين كآبةٌ ... وعلى وجوهِ الثاكلات رغام

الهلال الأحمر (*)

يا قَومَ عثمان — والدنيا مداوَلةٌ — ... تعاونوا بينكم يا قومَ عثمان(١)

كونوا الجدارَ الذى يقوى الجدارُ به ... فالله قد جعل الإِسلامَ بنيانا(٢)

أَمسى السبيل لغير المحسنين دماً ... فشأْنكم وسبيلاً نورُهُ بانا

البِرُّ مِنْ شُعبِ الإِيمان أَفضلُها ... لا يقبل اللهُ دون البر إيمانا(٣)

هل ترحمون — لعل الله يرحمُكم — ... بالبيد أَهلاً ، وبالصحراءِ جيرانا؟

فى ذمةِ اللهِ — أَوْفَى ذمةٍ — نَفَرٌ ... على طرابُلُسٍ يقضون شجعانا(٤)

— * — كانت جماعة الهلال الاحمر المصرية قد أحيت ليلة تجمع بها التبرعات ، لاعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى ، حين اغارت ايطاليا عليها ، فقال فى ذلك هذه القصيدة — ١ — مداولة : من داول الله الايام بين الناس ، اى صرفها بينهم — ٢ — الجدار : الحائط — ٣ — البر : الخير والطاعة . والشعب : جمع شعبة ، وهى غصن الشجرة ، أو هى الطائفة من الشىء — ٤ — يقضون : يموتون .

إن سال جرحاهُمُ من غُربةٍ ووغًى باتوا على الجمرِ أرواحاً وأَبدانا(١)

هذا يَحنُّ إلى البسفور مُحتَضَراً رذاك يبكى الغَضَا ، والشيحَ ، والبانا(٢)

يُودِّعون على بعدٍ ديارَهُمُ وينشدون بُنَيّاتٍ وصِبيانا(٣)

أَذَنْبُهم عند هذا الدهر أَنهمُ يحمون أرضاً لهم دِيست وأوطانا؟

ماتوا ، وعِرضُهم الموفورُ بعدهم والعِرضُ لا عزَّ فى الدنيا إذا هانا(٤)

قَومِى - وجلَّت وجُوهُ القوم - مصرُبكم أَلقت على كرماء الدهر نسيانا(٥)

لاتسأَلون عن الأَعوان إن قعدوا وتنهضون إلى الملهوف أَعوانا(٦)

أكلما هَزَّكُم داعٍ لصالحةٍ قمتم كُهولا إلى الداعى وفتيانا؟(٧)

لو صُوِّر الشرق إنساناً أخاكرم لكنتمُ الروحَ ، والأَقوامُ جثمانا(٨)

إذا هُزِزتم تلاقى السيفُ منصَلِتاً والريحُ مُرْسَلةً ، والغيثُ هتَّانا(٩)

إذا المكارمُ فى الدنيا أُشِيدَ بها كانت كتاباً ، وكنا نحن عُنوانا(١٠)

---

١ — جرحاهم : اى الجرحى منهم ، والوغى : الحرب — ٢ — هذا يحن الى البسفور ٠٠ الخ : أى من كان منهم تركيا يحن الى بلاده التى كنى عنها بالسفور ، ومن كان عربيا بكى فرقة بلاده التى كنى عنها بالغضا والبان ، وهما نوعان من الشجر ينبتان فى بلاد العرب ، والشيح : هو نبات طيب الرائحة . والمحتضر : من حضرته الوفاة — ٣ — ينشدون بنيات ٠٠ الخ : يطلبونها ويسألون عنها ، اى ينشدون بنياتهم وصبيانهم — ٤ — ماتوا وعرضهم الموفور : أى ماتوا فى سبيل صيانة عرضهم ، فتركوه عزيزا موفورا ٠

٥ — قومى : أى ياقومى ٠ وجلت وجوه القوم : أى وجوهكم ، وهذه جملة معترضة بين المنادى وما كان من أجله النداء ، وهو الاخبار بانهم لما جاءوا بالخبر العظيم نسى سواهم من الكرماء فى غير مصر ، فلم يعد لهم ذكر

٦ — لا تسألون : اى انتم لا تسألون . وتنهضون : تقومون . والملهوف : المظلوم المستغيث — ٧ — أكلما : الهمزة للاستفهام ، وكلما هى لفظ « كل » مضافة الى « ما » المصدرية الظرفية ، وهى حينئذ تفيد التكرار . ولصالحة: اى فعلة صالحة . والكهول : جمع كهل ، وهو الرجل من اربع وثلاثين الى أحدى وخمسين — ٨ — الجثمان : الجسم — ٩ — السيف المنصلت : المجرد من غمده ٠ والهتان : المنصب — ١٠ — أشيد بها أى ذكرت بالثناء عليها .

إنَّ الحياةَ نهارٌ أو سحابتُه　　فعِشْ نهارَك من دنياك إنسانا

أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ　　ولا أرى لبخيل القومِ وجدانا(١)

* * *

هذا الهلالُ الذى تُحيون ليلتَه　　أبهى الأهلَّةِ عند اللهِ ألوانا(٢)

أراه من بين أعلامِ الوغَى مَلَكاً　　وما سواه من الأَعلامِ شيطانا(٣)

فَانٍ ، ففيه من الجَرْحَى مُشاكلةٌ　　حتى إذا قيل ماتوا اخضرَّ رَيْحانا(٤)

لحامليه جلالٌ منه مقتبَسٌ　　كأنما رفعوا للناسِ قُرآنا(٥)

كأن ما احمر منه حول غُرتِه　　دمُ البرىء ذَكِيِّ الشَّيْبِ عُثْمانا(٦)

كأن ما ابيضَّ فى أثناءِ حُمرته　　نورُ الشهيد الذى قدمات ظمآنا(٧)

كأنه شفقٌ تسمو العيون له　　قد قَلَّدَ الأُفقَ ياقوتاً ومَرجانا

كأنه من دم العُشاق مختضَبٌ　　يُثيرُ حيثُ بدا وجدًا وأشجانا(٨)

كأنه من جمال رائع وهُدًى　　خدودُ يوسفَ لما عَفَّ وَلْهانا(٩)

كأنه وردةٌ حمراءُ زاهيةٌ　　فى الخُلدقدفُتِّحت فى كف رضوانا(١٠)

---

١ ــ الوجدان والعاطفة : من استعمالات المولدين ، يراد بهما الشعور القلبى .

٢ ــ الهلال : اسم لراية الدولة التركية ، وهى حمراء اللون فى وسطها رسم الهلال بلون أبيض ــ ٣ ــ أراه من بين اعلام الوغى : أى من بين الاعلام المنشورة فى الحرب . وملكا : أى كالملك فى تنزهه وطهارة عمله ، وهو واحد الملائكة ــ ٤ ــ المشاكلة : المشابهة ــ ٥ ــ الجلال : التناهى فى عظم القدر . ومقتبس : متخذ ومستفاد .

٦ ــ الغرة : بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم ، شبه بها رسم الهلال لأنه أبيض . وعثمان : هو الخليفة عثمان بن عفان ــ ٧ ــ الأثناء : تضاعيف الشىء ومطاويه ، واحدها ثنى ، بكسر الثاء ــ ٨ ــ مختضب : ملون . والوجد : الحب . والأشجان : الأحزان والهموم ــ ٩ ــ الجمال الرائع : الذى يروع الرائى ، أى يعجبه . ويوسف : هو يوسف الصديق . وعف : كف عما لا يحل . والولهان : الحزين ، أو الذى ذهب عقله حزنا

١٠ ــ رضوان : من الملائكة ، وهو ــ كما يقول رجال الدين ــ موكل بأبواب الجنة .

رومة(*)

صديقى المحترم :

صدرتُ(١) عن باريس وكأنها بابلُ ذات البرج والجسرِ وهى فى دولتها ،
أوطيبةٌ(٢) في الزمن الأول ، إلا أنها مدينة الشمس ؛ وباريس مدينة النور ،
أورومةُ (٣) مقر القياصِرِ ، ومزدحمُ الأجناسِ والعناصر ، وهى فى رِفعة مُلْكِها
الفاخِرِ ، تموج بالأُمم كالبحر الزاخر ، أو الإسكندريةُ (٤) ذاتُ المسلة

---

* ـ نظم صاحب الديوان هذه القصيدة ، وقدمها بكتاب الى صديقه المؤرخ الأستاذ اسماعيل بك رأفت ـ ١ ـ صدرت عن باريس : رجعت وانصرفت . وبابل : مدينة قديمة بناها بختنصر فى آسيا الصغرى ؛ وكان بها بناء عظيم ذو طبقات بعضها فوق بعض ، وهو ما يسمى برجا ؛ وقالوا فى صفته : انه كان ذا طبقات ، طول كل من جوانب الطبقة الأولى بلغ ٢٧٢ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ؛ وفوقها طبقة ثانية طول كل من جوانبها ٢٣٠ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، كانت مائلة فوق الطبقة الأولى الى الطرف الجنوبى الغربى ، وكانت الطبقات الباقية موضوعة هذا الوضع ، وكان طول الثالثة ١٨٨ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، وكان طول الرابعة ١٤٦ والخامسة ١٠٤ ، والسادسة ٦٢ والسابعة ٢٠ ، وكان ارتفاع كل من هذه الطبقات الأربع الأخيرة ١٥ قدما ، ويقولون انه كانت هناك قنطرة أو قبة تغطى رأس الطبقة السابعة أو معظمه ؛ وكان ارتفاعها ١٥ قدما أيضا ، وكان يتألف من ذلك كله هرم منحن ، أضعف ميله الى الشمال الشرقى ، واشده الي الجنوب الغربى ؛ وكان لكل طبقة لون مخصوص ، ويزعمون انه كان فوق هذا كله مذبح ؛ فيه مائدة ذهبية وفراش نفيس ، وكان ارتفاعه ١٥ قدما . وأما جسر بابل فيذكرون عنه أنه كان هناك نهر يشق المدينة من الشمال الى الجنوب ، وكان على كل من جانبى النهر سور له باب عند منتهى كل سوق من أسواق المدينة ، وكان فوق هذا النهر جسر واحد ، هو الجسر المنسوب الى بابل . ويذكرون لها عجائب أخرى ، كالبساتين المعلقة وسواها ـ ٢ ـ طيبة : مدينة مصرية قديمة كانت مقر الملك فى بعض الأزمنة ، وكانت بها عبادة الشمس ، ولهذا سماها مدينة الشمس ـ ٣ ـ رومة :عاصمة الدولة الايطالية فى هذا الزمن ، وكانت مقر ملك الرومان فى الزمن القديم . والقياصر : جمع قيصر ، وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم ـ ٤ ـ الاسكندرية : المدينة الثانية فى الدولة المصرية ، مشهورة فى التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة ، والمسلة التى فى باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن .

- والمبلَّة فى باريس - وهى فى ذروة سعدها ، وأوج كمالها ، تُغيرُ الشمس فى سرير مجدها بجلالها وجمالها ، أو «بغدادُ»(١) فى إبان إقبالها . وسلطان أقيالها ، وأيمنِ أمرها ، وأسعدِ حالها ، فسبحان المنعم ، أعطى « مدينة المعرِضِ » الأسماءَ كلَّها ، وجلت قُدرتُه ، بعث المدائن فى واحدة .

رحلتُ عنها فى اليوم الذى أسفر صباحُه عن ليلةِ الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين ؛ وقد نالها منهم ستون ألفاً أو يزيدون ، كلهم من مشهورى الصُّناع ، وكبار المخترعين ، شيعوا فى ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفناه ، وكأنه نهار مرّ ، أوليلة تقضت بالسمر(٢) ؛ ثم انقلبنا ننفض الأنامل من ترابه ؛ ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغُرر والتحجيل(٣) ، يذكره التاريخُ بالتعظيم والتبجيل ، قام العلمُ فيه على أمتن بُنيان ورُفِعت الحجب بين الحقائق والإنسان ؛ ضُربت له أطولُ سماءٍ من ضروب العرفان ، واستمد من القادر(٤) مبالغ الإمكان ، فاقتاد البرّ بشعرة ، وزمّ البحر بإبرة(٥) ، وفرَق(٦) الأَرض وبلغ الجبال ، وأوشك أنْ يمدّ إلى السماء بحبال ، ونفذَ على النجم المدى ، ووجد على القطب هدى ؛ وغاص على الحروب الماء ، وركب إلى الوقائع الهواءَ ، وكسر شِرَّة الداء(٧) وقتل قَتَّاله وراض العياء ، ودخل ببصرِه على الجسم الأَحشاء ، وأنطق الآلة الصماء ، ونقل الحديث من

---

١ - بغداد : عاصمة العراق العربى ؛ كانت مقر ملك الدولة العباسية . وسلطان أقيالها : قوة ملوكها . وأيمن امرها : أى أتم أمرها يمنا وبركة .

٢ - السمر : حديث الليل - ٣ - الغرر : جمع غرة ؛ وهى بياض قدر الدرهم فى جبهة الفرس . والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس أيضا .

٤ - القادر : اسم من أسماء الله تعالى .

٥ - زم البحر : من قولهم زم الشىء ، اذا شده وجمعه .

٦ - فرق الأرض ، بتخفيف الراء : فصلها وابان مسالكها .

٧ - الداء العياء : الذى لا برء منه .

فضاءِ إلى فضاء ، على انقطاع الصلةِ بين النطق والإصغاء ، وحرَّك الصُّوَرَ وهى هباء ، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأَحياء ، ونال سرائرَ الحوْباء(١) ، وخاض فى الطبائع(٢) والأَهواء ، فانكشف له الغِطاء وبرح الخفاء(٣) ، ونثرَ فكاد يوحَى إليه فى الإنشاء ، ونظم فلم يدعْ من آية فى الأَرض ولا فى السماء .

كل هذا أَيها الأُستاذ عرضته (باريس) للناس فى خير معرضٍ أَخرِج لهم ، فواهاً(٤) له من سوق ثم ينفضّ ، ويا أسفاً على بنيانه يومَ ينقض .

برحتُها وهى تجر الذيلَ على المدائن الكُبَر(٥) ، وتزرى بالحضارات ما حضر منها وما غبر(٦) ، وقصدت إلى رومةَ لعلى أَرد النفسَ إلى الخشوع ، وأَداوى الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى ، فبلغتها وإذا أنا بين أَثر يكاد يتكلم ، وحجرٍ كان لكرامته يُستلم(٧) ، فوقفت أَتـأَمل ذا الجدارَ وذا الجدار(٨) وأنشد(٩) ذلك القصر وتلك الدار ، إلى أن ثار الشعر — والشعر ابن أَبوين : « التاريخ ، والطبيعة » — فنظمت ، وكأَنى بها فى يديك تقرأُ .

أَحبُّ التوفيق إلىّ — أَيها الأُستاذ — إكرام العالم ، وإجلال الصديق ، وأَنت لى — بحمد الله — هذان كلاهما ، فهل تمنّ بقبول هدية هى إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر ؟

* * *

---

١ — السرائر : جمع سريرة ، وهى السر الذى يكتم . والحوباء : النفس ،
٢ — الطبائع : جمع طبيعة ، وهى السجية التى جبل عليها الانسان ، وقيل : هى القوة السارية فى الأجسام ، التى بها يصل الجسم الى كماله الطبيعى — ٣ — برح الخفاء : اى وضح .
٤ — واها : كلمة للتعجب من طيب كل شىء ، اى ما أطيبه ، وتكون للتلهف ، وللتفجع ايضا ، يقال : واها على ما فات — ٥ — الكبر : جمع كبرى .
٦ — ترزى : تضع منها أو تصغر شأنها . وما غبر : ما مضى .
٧ — استلم الحجر : لمسه بالقبلة أو باليد — ٨ — الجدار : الحائط .
٩ — انشد ذلك القصر ... الخ : اسأل عنه ، او اطلبه .

قِفْ بروما ، وشاهد الأَمرَ ، واشهد أن للمُلك مالكاً سبحانَه
دولةٌ فى الثرى ، وأنقاضُ مُلكٍ هدَمَ الدهرُ فى العُلا بنيانه(١)
مَزقت تاجَه الخطوبُ ، وألقت فى الترابِ الذى أرى صولجانه(٢)
طللٌ ؛ عند دِمْنةٍ ، عند رسمٍ ككتابٍ مَحا البِلى عُنوانه(٣)
وتماثيلُ كالحقائقِ ، تزدا دُ وضوحاً على المدى وإبانه(٤)
من رآها يقولُ : هٰذِى ملوكُ الدَّهر ، هذا وقارُهم والرزانه(٥)
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ بين أَخذِ البِلى ودفع المتانه(٦)
عبثَ الدهر بالحوارىِّ فيها و « بيليوس » لم يَهب أرجوانه(٧)
وجرت هاهنا أُمورٌ كبارٌ واصل الدهرُ بعدها جَريانه
راح دينٌ ، وجاءَ دينٌ ، وولَّى ملكُ قومٍ ، وحلَّ مالكٌ مكانه(٨)
والذى حصَّلَ المجدون إهرا قُ دماءٍ خليقةٍ بالصيانه(٩)

---

١ ــ الثرى : التراب . والأنقاض : جمع نقض ، بضم النون ، وهى ما انتقض من البنيان . والعلا : الرفعة والشرف ــ ٢ ــ الصولجان : هو المحجن ، وهو عصا منعطفة الرأس .

٣ ــ الطلل : ما شخص من آثار ، والدمنة : آثار الديار أيضا . والرسم : ماكان لاصقا بالأرض من آثار الدار ــ ٤ ــ تماثيل : جمع تمثال : بكسر التاء . والابانة : الايضاح ــ ٥ ــ الوقار والرزانة : بمعنى واحد ، وهو الحلم والعظمة.

٦ ــ هياكل : جمع هيكل ، وهو هنا اما البنــــاء المرتفع ، واما بيت الأصنام .

٧ ــ الحوارى : الناصر ، والناصح ايضا . وبيليوس : هو بيليوس قيصر احد قياصرة الرومان الاقدمين . والأرجوان : صبغ احمــر ، وقيل هو الحمرة من الالوان ، والمراد به هنا الدم لحمرته ، كناية عن القــوة التى يستحل صاحبها سفك الدماء .

٨ ــ راح دين : ذهب ، وهو دين الرومان قبل النصرانية . وجاء دين : وهو النصرانية . وولى ملك الرومان الاقدمين ، وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ .

٩ ــ والذى حصل المجــدون ... الخ : اى ان اولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ، ليحلوا فى رومة دينا بدل دين ، ويقيموا ملكا جــديدا على انقاض ملك ذاهب ، لم يجنوا من ذلك كله ثمرة ، الا اراقة دماء البشر التى تستحق الصيانة والحفظ .

لیتَ شعری . إلامَ یقتتل النا سُ علی ذی الدَّنِیَّة الفتانه ؟(١)

بلدٌ کان للنصاری قتادًا صارملْكَ القُسوس ، عرش الدیانه(٢)

وشعوبٌ یمحون آیةَ عیسی ثم یُعلون فی البریّةِ شانه

ویُهینون صاحبَ الروح میْتاً ویُعِزُّون بعدَه أکفانه(٣)

عالمٌ قُلَّبٌ ، وأحلامُ خَلْقٍ تتباری غباوةً وفطانه(٤)

رومة الزهوِ فی الشرائعِ ، والحکـ ـمةِ فی الحُکم ، والهوی ، والمجانه(٥)

والتناهی ، فما تعدَّی عزیزًا فیكِ عِزٌّ ، ولا مَهِینًا مهانه(٦)

ما لحیٍّ لم یُمْسِ منكِ قبیلٌ أو بلادٌ یُعدُّها أوطانه(٧)

یصبحُ الناسُ فیك مولی وعبدًا ویری عبدُكِ الوری غِلمانه(٨)

أین مُلكٌ فی الشرقِ والغربِ عالٍ تحسُدُ الشمسُ فی الضحی سلطانه ؟(٩)

قادرٌ ، یمسخُ الممالكَ أعما لاً ، ویعطی وَسِیعَها أعوانه(١٠)

أین مالٌ جَبَیْتِهِ ، ورعایا کلّهم خازنٌ ، وأنتِ الخزانه؟(١١)

---

١ ــ الدنیة الفتانة : هی الدنیا ــ ٢ ــ القتاد : شجر صلب له شوك کالابر ، والمراد ان وصولهم الیه کان صعبا شاقا ، کالمشقة التی یجدها الانسان من القتاد فی خرطه واشاکته .

٣ ــ المعنی فی هذا البیت والبیت الذی قبله أنهم یخالفون شریعة عیسی ، بینما یدعون تعظیمه ــ ٤ ــ القلب ــ بتشدید اللام : المحتل .
٥ ــ الزهو : المنظر الحسن والکبر ، والتیه ، والفخر . والمجانة : الهزل .
٦ ــ التناهی : بلوغ النهایه . فماتعدی عزیزا... الخ : أی انك بلغت النهایة فی کل شیء ،فمن کان فیك عزیزا لم یفته شیء من اسباب العز ،ومن کان مهینا لم یفته شیء من موجبات المهانة ــ ٧ ــ ای لم یکن لغیر أهلك عشیرة یعتزون بها ، ولا بلاد یتخذونها وطنا یلجئون الیه : لأنك أسقطت العشائر والعصبیات ، وغلبت الجمیع علی أوطانهم ــ ٨ ــ یصبح الناس فیك . الخ : یعنی ان أهلك کانوا سادة وعبیدا ، وکان للعبید علی الأجانب عز السادة وسلطانهم .

٩ ــ سلطانه : قوته ــ ١٠ ــ قادر : وصف للملك فی البیت المتقدم . ویمسخ الممالك أعمالا : ای یحولها اعمالا . والأعمال ما یکون من البلاد تحت حکم المملکة ومضافا الیها ــ ١١ ــ جبیته : جمعته .

أين أشرافُكِ الذين طَغَوْا فى الدهـــرِ حتى أذاقهم طغيانه ؟(١)
أين قاضيكِ ؟ ما أناخ عليه ؟ أين ناديكِ ؟ ما دهَى شيخانه ؟(٢)
قد رأينا عليكِ آثارَ حزنٍ ومن الدُّور ما ترى أحزانَه
اقصِرى ، واسألى عن الدهر مصراً هل قضتْ مَرَّتَيْن منه اللُّبانه ؟(٣)
إنَّ من فرَّق العبادَ شعوباً جعل القِسط بينها ميزانه(٤)
هبْكِ أفنيتِ بالحدادِ الليالى لن تَردّى على الورى رومانه(٥)

على قبر نابليون

قِف على كنز بباريسَ دفينْ من فريد فى المعانى وثمين
وافتقِد جوهرةً من شرف صَدَفُ الدهر بِتربَيْها ضنين(٦)
قد توارت فى الثرى ، حتى إذا قَدُم العهدُ توارت فى السنين
غرَّبَت حتى إذا ما استيأست دنتِ الدارُ ، ولكن لاتَ حين
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها وأذابته تباريحُ الحنين(٧)
لا تلوموها ؛ أليست حُرَّةً وهوى الأوطانِ للأحرار دين ؟

* * *

١ ــ الأشراف : جمع شريف ، وكان فى رومة لعهدها القـــديم طائفة الاشراف تسودت على من عداهـــا ، ونشأ بذلك فى الشعب فريقيـــان منفصلان : هما فريق السادة المسيطرين ، وفريق العامة المسخرين .
٢ ــ أين ناديك : المراد به دار ندوةالرومان ، وكانت هى ما نسميه الآن فى النظم الدستورية مجلس الشيوخ . وما دهى : ما أصاب . وشيخـانه : جمع شيخ ، وهو الرجـل تتألف منهومن ســواه جمـــاعة المجلس .
٣ ــ اقصرى : أى انتهى عند هذاالحد وامسكى عن الإسترســـال ، واللبانة : الحاجة ــ ٤ ــ القسط :العدل .
٥ ــ سبك : اسم فعل ، اى افرضى أنك أفنيت ... الخ .
٦ ــ الترب : اللدة والنظير ، والتثنية هنا فى معنى الافراد .
٧ ــ تباريح الشوق : توهجه ، على انه جمع لا مفرد له ، أو هو جمع تبريح .

غيَّبتْ باريسُ ذخرًا ، ومضى تُرْبُها القيِّمُ بالحرزِ الحصين(١)

نزلَ الأرضَ ، ولكن بعد ما نزلَ التاريخَ قبرَ النابغين

أعظُمُ الليثِ تلقَّاها الشَّرى ورفاتُ النسرِ حازته الوكون(٢)

وحوَى الغِمدُ بقايا صارمٍ لم تُقلِّب مثلَه أيدى القُيون(٣)

شيّد الناسُ عليه ، وبَنَوْا حائطَ الشكِّ على أُسِّ اليقين(٤)

لستَ تُحصِى حولَه ألوِيةً أُسِرَت أمسِ ، ورايات سُبين(٥)

نامَ عنها وهى فى سُدَّتِهِ ديْدَبانٌ ساهِرُ الجَفْنِ أمين

وكأىٍّ من عدوٍّ كاشِحٍ لك بالأمس هو اليومَ خَدين(٦)

ووليٍّ كان يسقيك الهوى عسلاً قد بات يسقيك الوزين(٧)

فإذا استكرمتَ وُدًّا فاتَّهم جوهرُ الود — وإن صَحَّ — ظنين(٨)

* * *

مَرْمَرٌ أُضْجِعَ فى مسنونِهِ حَجرُ الأَرض وضِرغامُ العَرين(٩)

جلَّلْته هيبَةُ الثاوى به رَوعةَ الحكمةِ فى الشعر الرصين(١٠)

---

١ — الحرز : الموضع الحصين — ٢ — الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل . والوكون : جمع وكن ، وهو عش الطائر فى جبل أو جدار —٣— الصارم : السيف القاطع . والقيون : جمع قين وهو صانع الحديد . والشرى والوكون والغمد : كلها فى هذين البيتين كنايات عن باريس — ٤ — حائط الشك : كناية عن القبر وأس اليقين : هو الموت الذى يتمثل فيما ضم القبر من رفات — ٥ — يشير الى تلك الاعلام التى غنمها نابليون فى حروبه ، ثم وضعت على قبره ، رمزا لما نال فى هذه الحروب من نصر وتوفيق — ٦ — العدو الكاشح : هو الباطن العداوة . والخدين : هو الصاحب والحبيب — ٧ — الوزين : حب الحنظل المطحون ٨ — الظنين : المتهم .

٩—المرمر المبنون : المصقول .. وحجر الأرض : كناية عن محورها والمراد به نابليون . والضرغام : الأسد — ١٠ — الثاوى : المقيم .

هل دَرى المرمرُ ماذا تحته … من قُوَى نفسٍ ، ومن خَلق متين؟

أيها الغالون فى أجداثهم … ابحثوا فى الأَرض: هل عيسى دفين؟(١)

يمحِّى الميْتُ ، ويبلَى رمسُه … ويَغولُ الربعَ ما غالَ القطين(٢)

حصِّنوا ما شئتمُ موتاكُم ! … هل وراءَ الموتِ من حصنٍ حصين؟

ليس فى قبرٍ – وإن نال السها – … ما يزيد الميتَ وزناً ويزين(٣)

فانزل التاريخَ قبرًا ، أو فنمْ … فى الثرى غُفْلاً كبعضِ الهامدين(٤)

واخدَع الأَحياءَ ما شئتَ ، فلن … تجدَ التاريخ فى المنخدعين!

* * *

يا عصاميا حوى المجد سوَى … فَضلةٍ قد قُسِّمت فى المُعرقين(٥)

أُمُّكَ النفسُ قديماً أكْرَمتْ … وأبوكَ الفضلُ خيرُ المُنجبين(٦)

نَسبُ البدرِ أو الشمسِ – إذا … جِئ بالآباء – مغمورٌ رهين

وأُصولُ الخمر ما أزكى على … خُبْثِ ما قد فعلَت بالشاربين

لا يقولَنَّ امْرُؤ : أَصْلِى ، فما … أَصلُه مسكٌ وأَصل الناس طين

قد تتوجْتَ ، فقالت أُمَم : … ولَدُ الثورةِ عقٌّ الثائرين

وتزوجتَ ، فقالوا : مَالَه … ولحورٍ من بنات المُلْكِ عِين؟(٧)

قسماً لو قدَروا ما احتشموا … لا يَعِفُّ الناسُ إلا عاجزين

* * *

١ – الغالون : جمع غال ، وهو المسرف – ٢ – يمحى : اى يزول . والرمس : القبر . والقطين : السكان – ٣ – السها : كوكب من بنات نعش الصغرى ، يضرب به المثل فى السمو والارتفاع – ٤ – غفلا : اى مجهولا .

٥ – الفضلة : البقية من كل شىء . والمعرق : العريق فى الأصل .

٦ – أكرمت : اى ولدت كراما .

٧ – يشير الى زواجه من مارى لويز ابنة امبراطور النمسا .

أرأيتَ الخيرَ وافى أُمَّةً ... لم ينالوا حظَّهم فى النابغين ؟

يصلُحُ المُلْكُ على طائفةٍ ... هم جمالُ الأرض حيناً بعد حين

مَلَئوا الدنيا ، على قِلَّتهم ... وقديماً مُلِئتْ بالمرسَلين

يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا ... وبهم يزدادُ حسناً آفلين(١)

قد أقاموا قدوةً صالحةً ... ومضوْا أمثلةً للمحتذِين

إنما الأُسوةُ – والدنيا أُسًى – ... سببُ العُمران ، نظمُ العالَمين(٢)

يا صريعَ الموتِ ندمانَ البِلى ... كلُّ حىٍّ بالذى ذُقت رهين(٣)

كِدْتَ من قتْل المنايا خبرةً ... تعلمُ الآجالَ أيّانَ تحين؟(٤)

يا مبيدَ الأُسْد فى آجامها ... هل أبادت خيلُكَ الدودَ المهين؟

يا عزيز السجن بالبابا ، إلى ... كم تردَّى فى الثرى ذلَّ السجين؟(٥)

ربَّ يومٍ لكَ جَلَّى وانثنى ... سائلَ الغُرَّةِ ممسوحَ الجبين(٦)

أحرز الغايةَ نصراً غالياً ... لفرنسا ، وحوى الفتحَ الثمين

قيصرا الأنسابِ فيه نازلَا ... قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين(٧)

مُجلِسَ التاج على مفرِقه ... بيديه ، لا بأيدى المُجلسين(٨)

---

١ – أفول النجم : غروبه ، والمراد به هنا الموت – ٢ – الاسوة : القدوة وجمعها اسى – ٣ – الندمان : النديم على الشراب وندمان البلى : كناية عن الميت .

٤ – يشير الى قول نابليون : « ان الرصاصة التى تخرق هذا الصدر لم تخلق بعد » يقول : انك لكثرة ما اختبرت المنايا بقتل أعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال .

٥ – يشير الى ما فعل نابليون بالبابا – ٦ – جلى : سبق . والغـــرة – فى جبين الفرس : بياض . ومسح الجبين : عادة لسواس الخيل يأتونها بعـــد سبق جيادهم فى حلبة الرهان . ولا يخفى ما فى البيت كله من مراعاة النظير – ٧ – يريد بقيصرى الانساب : ملكى الروسيا والنمسا ، وجد ولدا للملك والسلطان . وقيصر النفس نابليون ، وهو الذى سود نفسه ولم تسوده الانساب .

٨ – الاشارة الى نابليون ، يشير الى أنه هو الذى توج نفســه بيده يوم قدم اليه التاج ، ولم ير لأحد ممن قدموه له حقا فى هذا العمل .

حولَ (استرلتزَ) كان المتلقى ... واصطدامُ النَّسرِ بالمستنسِرين(١)
وُضِع الشطرنْجُ ، فاستقبلْتَه ... ببنانٍ عابث باللاعبين
فإذا المَلْكان : هذا خاضعٌ ... لك فى الجمعِ ، وهذا مُستكين(٢)
صِدْتَ شاهَ الروسِ والنمسا معًا ... من رأى شاهَيْنِ صِيدا فى كمين؟

* * *

يا مُلَقَّى النصرِ فى أحلامِه ... أين من وادى الكرى (سنتِهلين)؟(٣)
يا مُنيلَ التاجِ فى المهد ابنَه ... ما الذى غرّك بالغيبِ الجنين ؟(٤)
اتَّئِدْ فى أُمَّةٍ أرْهَقْتَها ... إنها كالناسِ من ماءٍ وطين
أتعبَ الريحَ مَدَى ما سَلكتْ ... من سُهولٍ وأجازت من حُزون(٥)
من أديم يَهْرَأُ الدبَّ ، إلى ... فلواتٍ تُنضِجُ الضَّبَّ الكنين(٦)
لك فى كلِّ مُغارٍ غارةٌ ... وعليها الدمعُ فيه والأَنين(٧)
ومن المكرِ تَغنِّيك بها ... هل يُزَكِّى الذِّبحَ غيرُ الذابحين ؟(٨)
سُخِّرَ الناسُ وإن لم يشعروا ... لقوىٍّ ، أو غنىٍّ ، أو مُبين
والجماعاتُ ثنايا المرتقى ... فى المعالى ، وجُسورُ العابرين

* * *

با خَطيبَ الدهرِ ، هل مال البلى ... بلسانٍ كان ميزانَ الشئون ؟

---

١ ــ استرلتز : موقعة من المواقع التى انتصر فيها نابليون ــ ٢ ــ الملك : بتسكين اللام ؛ هو الملك ــ ٣ ــ سانت هيلين : الجزيرة التى نفى اليها نابليون .
٤ ــ يشير الى قول نابليون يوم بشر بولى عهده أو كما سماه « ملك رومة » : المستقبل لى ــ ٥ الحزون : جمع حزن ؛ وهو ما غلظ من الأرض .
٦ ــ الأديم هنا : سطح الأرض . وهرأ اللحم : انضجه . والكنين : المستور فى جحره ــ٧ ــ المغار : الغارة على الأعداء . والغار : ورق الكروم ، وقد كان يتخذ منه اكاليل للفاتح المنصور عند القدماء .
٨ ــ التزكية : المدح . والذبح : ما يذبح .

تُرْجَحُ السلمُ إذا حرّكته كِفَّةً ، أو تُرْجَحُ الحربُ الزَّبون
خُطَبٌ لا صوتَ إلّا دونَها فى صداها الخيلُ تجرى والسنين
من قَصيرِ اللفظِ ، فى مكرِ النُّهى وطويلِ الرُّمح ، فى كيدِ الوتين
غيرَ وضّاعٍ ، ولا واشٍ ، ولا مُنكرِ القولِ ، ولا لغو اليمين
سِرْن أمثالاً ، فلو لم يُحيهِ سيفُهُ أحْيينه فى الغابرين(١)

* * *

قُمْ إلى الأهرامِ ،واخشعْ ، واطَّرِحْ خَيْلَةَ الصِّيدِ ، وزهوَ الفاتحين(٢)
وتمهَّلْ ، إنما تمشى إلى حَرَمِ الدهر ومحرابِ القرون
هو كالصخرةِ عند القبط ، أو كالحَطِيمِ الطُّهْرِ عند المسلمين
وتسنَّم مِنْبَرًا من حَجَرٍ لم يكنْ قبلَكَ حظَّ الخاطبين
وادْعُ أجيالاً تولَّتْ يسمعوا لك ، وابعث فى الأُوالى حاشرين
وأَعِدْها كلمات أَربعاً قد أَحاطت بالقرون الأَربعين(٣)
أَلهبت خيلاً ، وحضَّت فَيْلَقًا وأَحالت عسلاً صابَ السَنون
قد عَرَضْتَ الدهرَ والجيشَ معاً غايةٌ قصَّر عنها الفاتحون
ما علمنا قائدًا فى موْطِنٍ صَفحَ الدهرَ ، وصفَّ الدارعين(٤)
فترى الأَحياءَ فى معتَرَكٍ وترى الموتى عليهم مُشرِفين
عظةٌ قومى بها أولى وإن بعُد العهدُ ، فهل يعتبرون ؟
هذه الأهرامُ تاريخُهمُ كيف من تاريخهم لايستحون ؟

* * *

١ ــ الغابر : الماضى والآتى ؛ من أسماء الأضداد ــ ٢ ــ الصيد : الملوك .
٣ ــ يشير الى تلك الجملة المشهورة التى قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل : « ايها الجنود : ان اربعين قرنا تنظر اليكم من قمة الأهرام » .
٤ ــ صفح الكتاب : قلب صفحاته .

ياكثيرَ الصَّيدِ للصَّيد العُلا ... قُمْ تأمَّلْ : كيف صادتْكَ المَنون ؟

قمْ ترَ الدنيا كما غادرتَها ... منزِلَ الغدر ومأْوى الخادعين

وترَ الحقَّ عزيزًا فى القنا ... هيِّنًا فى العُزَّل المستضعفين(١)

وترَ الأمرَ يدًا فوق يدٍ ... وترَ الناسَ ذئاباً وضِئين(٢)

وترَ العزَّ لسيفٍ نَزِقٍ ... فى بناء المُلْكِ ، أو رأيٍ رزين

سننٌ كانت : ونَظْمٌ لم يزلْ ... وفسادٌ فوق باعِ المصلحين

تكريم(*)

وطنٌ يرفُّ هوًى إلى شُبَّانه ... كالرّوض رِفَّته على رَيحانه(٣)

هم نَظْمُ حِليتِه ، وجَوهرُ عِقدِه ... والعِقد قيمتُه يتيمُ جُمانه(٤)

يرجو الربيعَ بهم ويأْمُلُ دولةً ... من حسنِه ، ومن اعتدالِ زمانه(٥)

من غاب منهم لم يغب عن سَمعِه ... وضميرِه ، وفؤادِه ، ولسانه

وإذا أتاه مبشِّر بقدومِهم ... فمن القميص ومن شذى أردانه(٦)

---

١ — القنا : جمع قناة ، وهى الرمح — ٢ — الضئين : الغنم — * — نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية فى احتفال تكريمى اقيم للأساتذة : عبد الملك حمزة ، واسماعيل كامل ، وعوض البحراوى ، فى فندق شبرد — ٣ — يرف هوى الى شبانه : يرتاح اليهم . والروض الأرض المخضرة بالنبات ، جمع روضة — ٤ — نظم حليته : جمعها وضم بعضها الى بعض . واليتيم : الثمين الذى لا نظير له . والجمان : اللؤلؤ . واحدته : جمانة .

٥ — يرجو الربيع ... الخ : اى ان هذا الوطن يرجو أن يكونوا له مثل الربيع ، وهو خير فصول السنة ، ويأمل أن تقوم له دولة منهم ، لها من الحسن والاعتدال مايكون منها للربيع وزمنه — ٦ — واذا أتاه مبشر .. الخ : اى اذا أتى الوطن مبشر بأنهم قادمون عليه من غيبتهم ، كان تاثير هذه البشرى فيه كتأثير قميص يوسف فى أبيه يعقوب . والشذى : قوة ذكاء الرائحة . والأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم .

وَلقد يخُصُّ النافعين بعطفِه كالشيخ خَصَّ نجيبَه بحنانه(١)
هيهات ينسَى بذلَهم أرواحَهم فى حفظِ راحتِه وجلب أمانه
وقفوا له دون الزمانِ وريبِه ومشت حداثتُهم على حدَثانه(٢)
فى شدَّةٍ نُقِلَتْ أناةُ كُهولِه فيها ، وحكمتُهم إلى فتيانه(٣)

* * *

قم ياخطيبَ الجمع ، هات من الحلى ما كنتَ تنثرُه على آذانه
فلطالما أبدى الحنينَ لقُسِّه واهتزَّ أشواقاً إلى سَحبانه(٤)
نادِ الشبابَ ، فلم يزلْ لك نادياً والمرءُ ذو أثر على أخدانه(٥)
أُمْدُدْ حُداءَك فى النّجائبِ تنصرفْ تهوى أعنَّتِهَا إلى تحنانه(٦)
ألْقِ النصيحةَ غيرَ هائبٍ وقعِها ليس الشجاعُ الرأىِ مثلَ جبانه
قل للشباب : زمانُكم مُتحرِّك هل تأخذون القسطَ من دورانه؟(٧)
قمتم على الأحلامِ تلتزمونَها كالعالِم الخالى على أوثانه(٨)
وتنازعون الحىَّ فضلَ ثيابه والميْتَ ما قد رثَّ من أكفانه
ولقد صدقتم هذه الأرضَ الهوَى والحرُّ يصدُق فى هَوى أوطانه
أملٌ بذلتم كلَّ غالٍ دونَه وفقدتمُ ما عزَّ فى وجدانه(٩)
الليثُ يدفعكم بشدةِ بأسِه عنه ، ويطعِمُكم بفرط لِبانه(١٠)

---

١ — يخص النافعين بعطفه : يفردهم به . والنجيب : الولد كرم حسبه وحمد رأيه أو قوله أو فعله — ٢ — الحداثة : صغر السن . والحدثان (بفتح الدال) : نوائب الدهر .

٣ — الأناة : الحلم والوقار — ٤ — قس بن ساعدة : خطيب عربى من نجران يضرب المثل ببلاغته . وسحبان : خطيب كذلك ، وهو من وائل ، والضمير فيهما للوطن .

٥ — الشباب : جمع شاب . والاخدان : الأصدقاء ، جمع خدن — ٦ — الحداء : الغناء للابل لتنشط فى مسيرها . والنجائب : النياق الكريمة . والأعنة : جمع عنان ؛ وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . والتحنان : الحنين — ٧ — القسط : النصيب — ٨ — الاحلام : جمع حلم ؛ وهو ما يراه النائم . والخالى : الماضى . والأوثان : جمع وثن : وهو ما يتخذ للعبادة من حجر ونحوه — ٩ — وجدان الشىء : ادراكه والظفر به — ١٠ — اللبان : اللبن .

ويريد هذا الطيرَ حرًّا مطلقاً لكن بأَغْيُنِه وفى بُستانه

* * *

أَوفدتمُ وفدًا ، وأَوفد ربُّكم معه العنايةَ ، فهْى من أعوانِه
العصرُ حرٌّ ، والشعوبُ طليقةٌ ما لم يَحُزْها الجهلُ فى أرسانه(١)
فاضَ الزمانُ من النبوغ : فهل فتى غمَرَ الزمانَ بعلمه وبيانه ؟
أَين التجارةُ وهى مضمارُ الغنى ؟ أَين الصناعةُ وهى وجهُ عَنانه ؟(٢)
أَين الجوادُ على العلوم بماله ؟ أَين المشاركُ مصرَ فى فدانه ؟(٣)
أَين الزراعةُ فى جنانٍ تحتكم كخمائل الفردوس أَو كجنانه ؟(٤)
أئذا أَصاب القطنَ كاسدُ سوقِه قمنا على ساقٍ إلى أثمانه ؟
يامَنْ لشعبٍ رزؤه فى مالِه أنساه ذكرَ مصابِه بكيانه ؟(٥)
الملكُ كان ، ولم يكن قطنٌ ، فلم يُغلَب أُبوَّتُنا على عُمرانه(٦)
(الفاطميةُ) شيَّدت من عزِّه وبَنَى (بنو أيوبَ) من سلطانه(٧)
بالقطنِ لم يرفعْ قواعدَ مُلكه فرعونُ ، والهرمان من بنيانه
لكن بأَوَّلِ زارعٍ نقض الثَّرى بذكائه . وأثاره ببنانه(٨)

---

١ — الارسان : جمع رسن ، وهو الزمام يكون على أنف الدابة .
٢ — العنان (بفتح العين) : السحاب .
٣ — الجواد : الكريم الكثير الجود — ٤ — الجنان : جمع جنة . والخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والفردوس : الجنة أو نعيمها .
٥ — يامن لشعب ... الخ : كان قد لحق القطن كساد عظيم ، فارتاع له المصريون جميعا ، وكاد يشغلهم أمره عن الجهد فى قضية الاستقلال ، فهو يشير الى ذلك .
٦ — أبوتنا : آباؤنا — ٧ — الفاطمية : أى الخلفاء الفاطميون ، أو الدولة الفاطمية ، وهى احدى الدول التى قامت فى مصر بعد الاسلام ، ومؤسسها المعز لدين الله ، قدم من بلاد المغرب ففتح مصر ، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان . وبنو أيوب ايضا : مؤسسو الدولة الايوبية ، وكان أعظمهم شأنا السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبى .
٨ — الثرى : التراب ، والمراد به الأرض . ونقضها : أى شقها للزرع . والبنان : أطراف الاصابع .

وبكلِّ مُحسنٍ صنعةٍ فى دهرِه تتعجبُ الأَجيالُ من إتقانه
وبهمةٍ فى كلِّ نفسٍ حلَّقت فى الجو ، وارتفعت على كيوانه(١)
ملكٌ من الأَخلاقِ كان بناؤه من نحت أَوَّلكم ومن صَوّانه
فأْتوا الهياكلَ إن بنيتم ، واقبسوا من عرشه فيها ، ومن تِيجانه(٢)

اعتداء(*)

نجَا وتَمَاثَلَ رُبَّانُها ودقَّ البشائر رُكْبانُها(٣)
وهلَّل فى الجو قيْدومُها وكبَّر فى الماءِ سُكَّانُها(٤)
تحوّل عنها الأَذى ، وانثنى عُبابُ الخطوبِ وطوفانُها
نجا (نوحُها) من يدِ المعتدى وضلَّ المقاتلَ عُدْوانُها (٥)
يدٌ للعنايةِ ، لا ينقضى - وإن نَفِد العمْرُ - شُكرانُها
وقى الأَرضَ شرَّ مقاديرِه لطيفُ السماءِ ورَحْمانُها(٦)

---

١ ـ حلقت : من حلق الطائر ، اذا ارتفع فى طيرانه واستدار كالحلقة . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ـ ٢ ـ الصوان ـ بفتح الصاد وتشديد الواو : ضرب من الحجارة شديد .

* ـ اعتزم سعد زغلول السفر الى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها ، وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ ، فترصد له شاب وأطلق عليه النار ، ولكن الله أنجى حياته ، ووقى البلاد شر فتنة كادت تعصف بين الاحزاب ، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له ، ونصيحة لأهل النزق والطيش من الشبان ، وحضا على الاصلاح العمالى ، وتذكيرا بمنزلة السودان وقناة السويس ، اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد ـ ٣ ـ تماثل العليل : اقبل وقارب البرء . والربان : مجرى السفينة

٤ ـ هلل : قال لا اله الا الله . وقيدومها : صدرها . وسكانها ـ بضم السين ـ ذنبها ـ ٥ ـ المقاتل : جمع مقتل : وهو العضو الذى اذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم ـ ٦ ـ المقادير : جمع مقدور ، وهو الأمر المحتوم . والضمير للطيف السماء وهو الله تعالى .

ونجّى الكنانةَ من فتنةٍ   تهدّدتِ النيلَ نيرانها(١)

يسيلُ على قرنِ شيطانها   عقيقُ الدماء وعِقيانها(٢)

فيا (سعدُ) ، جُرحُك ساءَ الرجالَ   فلا جُرِحَتْ فيك أوطانها

وقَتْكَ العنايةَ بالراحتَينِ   وطَوَّقَ جيدَك إحسانها(٣)

منايا أَبى اللهُ إذ ساورتكَ   فلم يلق نابيْه ثُعبانها(٤)

حَوَتْ دَمكَ الأَرضُ فى أَنفِها   زكيًّا ، كأَنك (عثمانها)(٥)

ورقَّت لآثاره فى القميص   كأَن قميصَك قرآنها

ورِيعَتْ كما ريعت الأَرضُ فيك   نواحى السماءِ وأعنانها (٦)

ولو زُلتَ غُيِّبَ (عَمْرُو) الأُمورِ   وأخلى المنابرَ (سَحبانها)(٧)

* * *

رماكَ على غِرَّةٍ يافِعٌ   مُثارُ السريرةِ غضبانها(٨)

وقِدْماً أَحاطت بأَهلِ الأُمورِ   ميولُ النفوسِ وأَضغانها(٩)

تلمَّس نفسَك بين الصفوفِ   ومن دونِ نفسِكَ إيمانها(١٠)

يريدُ الأُمورَ كما شاءها   وتأْبى الأُمورُ وسلطانها

---

١ ـ الكنانة : مصر ـ ٢ ـ العقيان : الذهب ، أى الدماء التى تشبه فى حمرتها العقيق والعقيان ـ ٣ ـ الراحتان : تثنية راحة ، وهى الكف . والجيد : العنق ـ ٤ ـ المنايا : جمع منية ، وهى الموت . وساورتك وثبت عليك

٥ ـ عثمانها : يريد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، قتل وهو جالس يتلو القرآن وفى حجره المصحف ـ ٦ ـ ريعت : فزعت ؛ بتشديد الزاى . وأعنان السماء : نواحيها ـ ٧ ـ عمرو الأمور : أى مصرف الأمور بحذقه وفطنته ، وهو عمرو بن العاص ، وسحبان : خطيب عربى مشهور من بنى وائل ـ ٨ ـ اليافع : من راهق العشرين ، أو من ترعرع وناهز البلوغ . والسريرة : ما يسره الانسان من أمره ـ ٩ ـ الأضغان . الاحقاد ـ ١٠ ـ تلمس نفسك : تطلبها مرة بعد أخرى .

وعند الذى قهر القَيْصَرَيْنِ مصيرُ الأُمور وأحيانها(١)
ولو لم يسابق دروسَ الحياةِ لبصَّره الرُّشدَ لقمانها(٢)
فإن الليالى عليها يَحُول شعورُ النفوس ووجدانها(٣)
ويختلف الدهرُ حتى يَبينَ رُعاةُ العهودِ وخُوَّانها(٤)

* * *

أرى مصرَ يلهو بحدِّ السلاح ويلعبُ بالنار ولدانها(٥)
وراح بغير مجال العقول يُجيل السياسةَ غلمانها
وما القتلُ تحيا عليه البلاد ولا همةُ القولِ عمرانها
ولا الحكمُ أن تنقضى دولةٌ وتُقبِلَ أُخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتدُّ أركانها
فأين النبوغ ؟ وأين العلوم ؟ وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخُلُق حظُّ البلادِ إذا قتل الشيبَ شبانها ؟(٦)
وأين من الرِّبح قسطُ الرجال إذا كان فى الخُلْقِ خسرانها ؟
وأين المعلِّمُ ؟ ما خطبُه ؟ وأين المدارسُ ؟ ما شأْنها ؟
لقد عبثت بالنِّياق الحداةُ ونام عن الإِبْلِ رُعيانها(٧)

---

١ — مصير الأمور : مرجعها . وأحيانها : جمع حين ، وقالوا : انه وقت مبهم يصلح لجميع الازمان طالت أو قصرت . والقيصران : ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الاسلامى والله تعالى هو الذى قهرهما .

٢ — لقمانها ، أى من هو كلقمان ، وهو يضرب به المثل .

٣ — عليها يحول : أى يتحول ويتبدل . والمراد أن ما يكون للنفوس من ميول ووجدان يتغير بمضى الزمن — ٤ — رعاة العهود : الحافظون لها ، جمع راع . وخوانها : جمع خائن — ٥ — الولدان : الصبيان ، جمع وليد .

٦ — الخلق : المروءة والدين والسجية ، ويغلب الآن على السجية الفاضلة والمعنى انه اذا كان شبان البلاد يقتلون شيبها فلا حظ لها من الخلق النافع .

٧ — الحداة : جمع حاد ، وهو من يغنى للابل لتنشط فى سيرها .

إلى الخُلْقِ أنظُرُ فيما أقول　　وتأخذُ نَفسِيَ أشجانها

* * *

ويا (سعدُ) : أنت أمينُ البلاد　　قد امتلأت منك أيْمَانها(١)

ولن ترتضى أن تُقدَّ القناة　　ويُبْتَرَ من مصر سودانها(٢)

وحُجَّتُنا فيهما كالصباح　　وليس بمُعْييك تبيانها(٣)

فمصرُ الرياضُ . وسودانُها　　عيون الرياضِ . وخلجانها(٤)

وما هو ماءٌ : ولكنَّه　　وريدُ الحياةِ وشِريانها(٥)

تُتمِّمُ مصرَ ينابيعُه　　كما تمَّمَ العينَ إنسانها(٦)

وأهلوه منذ جرى عذْبُه　　عشيرة مصرَ وجيرانها

وأما الشريكُ فعِلَّاته　　هى الشركاتُ وأقطانها

وحربٌ مَضَتْ نحن أوزارُها　　وخيلٌ خَلَتْ نحن فرسانها(٧)

وكم مَنْ أتاك بمجموعة　　من الباطل ، الحقُّ عنوانها

فأين من (المَنشِ) بحرُ الغزالِ　　وفيض (نيانزا) وتهتانها ؟(٨)

---

١ ـ أيمانها : جمع يمين ، وهى احدى يدى الانسان ، والمراد أنها تأكدت فيما بلغ اليه حسن ظنها انك أمين عليها ، كما يتأكد الانسان مما يكون فى يده ـ ٢ ـ القد والبتر هنا : بمعنى الضياع ـ ٣ ـ وليس بمعييك : أى بمعجزك

٤ ـ الرياض : أى كالرياض فى نضرتها وجمالها . والسودان : كالعيون والخلجان التى تستقى منها ماءها ، فكما تجف الرياض وتقفر اذا انقطعت عنها العيون والخلجان . كذلك تقفر مصر وتبور اذا فصل عنها السودان ـ ٥ ـ الوريد : عرق فى العنق من الاوردة التى ترتبط بها الحياة . والشريان : العرق الذى يحمل الدم من القلب .

٦ ـ الينابيع : عيون الماء ، واحدها ينبوع . وانسان العين : الدائرة التى ترى فى سوادها ـ ٧ ـ أوزارها : أسلحتها ، جمع وزر ، وهو السلاح ـ ٨ ـ المنش : بحر فى الشمال الغربى لاوربة ، بين انجلترا شمالا وفرنسا جنوبا . وبحر الغزال : أحد فروع النيل الابيض فى السودان . ونيانزا : احدى البحيرات الثلاث التى بخرج منها النيل .

وأين التماسيحُ من لُجّةٍ تموت من البردِ حيتانها !(١)
ولكنْ رءوسٌ لأموالهم يحرّك قَرْنَيْه شيطانها
ودعوى القويِّ كدعوى السباع من النابِ والظفْرِ برهانها

توت عنخ آمون

قفِي – يا أُختَ (يوشَعَ) – خبرينا أحاديثَ القرونِ العابرينا(٢)
وقُصِّى من مصارِعِهم علينا ومن دُولاتهم ما تعلمينا(٣)
فمثلُك من روى الأَخبارَ طرًّا ومن نسب القبائلَ أجمعينا(٤)
نرى لكِ فى السماء خضيبَ قَرْنٍ ولا نُحصى على الأَرض الطعينا(٥)
مشيتِ على الشباب شواظَ نارٍ ودرتِ على المشيبِ رحًى طحونا(٦)

---

١ – وأين التماسيح ... الخ : أى أن مسافة التقاطع وعدم الاتصال بعيدة جدا بين السودان وبلاد الانكليز ، بقدر التناقض بين طبيعتهما ، فهذا تعيش التماسيح فى مائه ، وتلك تموت الحيتان فى مائها – ٢ – الخطاب للشمس ، وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أن يوسع قاتل الجبارين يوم الجمعة ؛ فلما ادبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما أنس لا أنس المليحة اذ بدت دجى ؛ فأضاء الأفق من كل موضع
تحدثت نفسى أنها الشمس اشرقت وأنى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرون : الاجيال الماضية .

٣ – قصى : حدثى ؛ ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » . ومصارعهم ، مهالكهم . ودولاتها : جمع دولة ؛ بضم ففتح ، وهى الداهية ، يقال : جاء الدهر بدولاته ، أى بدواهيه – ٤ – طرا : جميعا من دون أن تترك منها شيئا . ونسب القبائل : ذكر انسابها – ٥ – الخضيب : الملون بالخضاب . والقرن : حاجب الشمس . والطعين : المطعون – ٦ – (بالضم والكسر) : دخان النار .

تُعيِنينَ المَوالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدمينا(١)

فيالكِ هِرَّةً أكلت بنيها وما وَلدوا وتنتظر الجنينا(٢)

* * *

أأمَّ المالكينَ بنى (أمونٍ) لِيهْنِكِ أنهم نزعوا (أمونا)(٣)

ولدتِ له (المآمين) الدواهى ولم تلدِى له قطُّ (الأمينا)(٤)

فكانوا الشُّهبَ حين الأرض ليلٌ وحين الناسُ جِدُّ مضَلَّلينا

مشتْ بمنارهم فى الأرض (روما) ومن أنوارهم قَبستْ (أثينا)(٥)

ملوكُ الدهر بالوادى أقاموا على (وادى الملوكِ) مُحجّبينا(٦)

فربَّ مصفَّدٍ منهم، وكانت تُساقُ له الملوكُ مصفَّدينا(٧)

تقيَّد فى التراب بغير قَيْد وحلّ على جوانبه رهينا

تعالى اللهُ، كان السحرُ فيهم أليسوا للحجارة مُنْطِقينا؟(٨)

---

١ ــ المنايا : جمع منية ؛ وهى الموت ــ ٢ ــ الهرة : القطة ، ويقال فى المثل : « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها . والجنين : الولد ما دام فى الرحم ــ ٣ ــ نزع أباه : اشبهه . اشــــارة الى أم (أمون) . واختلف المؤرخون : هــل كانت أمه زوجــة شرعية لأبيه أو احــدى سرارية ؟ وكان من عادتهم أن لا يتولى الملك الا من كانت أمه زوجة شرعية لأبيــه ؛ الا ان (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون .

٤ ــ اشارة للخليفتين : الأمين والمأمون ؛ وقد اختـــار المأمون ، لأنه كان أفضل بنى العباس حزما ، وحلما ، وعلمــا ، ورأيا ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ، أى ولدت له ابناء صــــاروا ملوكا ، وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون .

٥ ــ روما : عاصمة ايطالية . وقبست : أخذت . واثينا : عاصمة اليونان . وفيه اشارة الى ما أخذته الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة .

٦ ــ وادى الملوك : هو الى الشاطىء الغربى للنيــل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقـــابر الملوك فراعنة مصر من الاسرة الثامنة عشرة وما بعدها . وقد كانوا يبالغون فى العناية بها واتقانهـــا الى حد يفوق الوصف ــ ٧ ــ مصفدين : مقيــدين ، يصف فراعنــة مصر فى مقرهم الاخير . وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة ــ ٨ ــ منطقين : أى أليسوا هم الذين انطقـــوا الحجارة ؟ ويريد انهم انشئوا من الأبنية =

غدَوْا يبنون ما يبقى ، وراحوا ... وراءَ الآبداتِ مُخَلَّدينا

إذا عَمدوا لمأْثرةٍ أَعدُّوا ... لها الإتقان والخلقَ المتينا

وليس الخلدُ مرتبةً تلَقَّى ... وتُؤخذ من شفاه الجاهلينا

ولكن مُنتهى هِمَمٍ كِبارٍ ... إذا ذهبتْ مصادِرُها بقينا

وسِرُّ العبقرية حين يسرى ... فينتظم الصنائعَ والفنونا

وآثارُ الرجال إذا تناهتْ ... إلى التاريخ خيرُ الحاكمينا

وأَخذُك من فمِ الدنيا ثناءً ... وتركُك فى مسامعها طنينا(١)

فغالِ فى بنيك الصيدِ غالى ... فقد حُبَّ الغلوُّ إلى بنينا(٢)

شبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم ... وبُورِك فى الشبابِ الطامحينا(٣)

فناجيهم بعرشٍ كان صِنْواً ... لعرشك فى شبيبتِهِ سَنينا(٤)

وكان العزُّ حليتَه ، وكانتْ ... قوائمُهُ الكتائبَ والسفينا(٥)

وتاجٍ من فرائده (ابنُ سيتى) ... ومن خرزاته (خوفو) و (مينا)(٦)

= ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معناه ؛ وأشهر الابنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة ، وهما من عجب ما بنى البناة ، وفيهما دليل على ان المصريين القدماء كانوا أعلم الامم قاطبة بفن العمارة وهندستها ، وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب . قال احد الحكماء : « كل شىء يخشى عليه الدهر الا الاهرام ، فان الدهر يخشى عليه منها » .

١ — الطنين : صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك .

٢ — الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا — ٣ — شباب قنع : أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا . والطامحون : المتفانون فى طلب المعالى — ٤ — الصنو : الاخ الشقيق والابن . والسنين — بفتح السين — من يكون فى سنك .

٥ — الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجيش .

٦ — ابن سيتى ، هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ، ويلقب بالاكبر لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة ، وطالت مدة حكمه ، وكثرت فيها الآثار المصرية ، وتزايدت العمارات ، حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة الا وعليه اسمه ورسمه . =

عَلا خَدًّا به صَعَرٌ . وأنفًا ترفَّع فى الحوادث أن يدينا(١)

ولستُ بقائلٍ : ظلموا . وجاروا على الأُجراء ، أو جلدوا القطينا(٢)

فإنا لم نُوَقَّ النقصَ حتى نطالبَ بالكمال الأوَّلينا(٣)

وما (البستيلُ) إلا بنت أمسٍ وكم أكلَ الحديدُ بها صحينا(٤)

ورُبَّة بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ بناها الناسُ أمسِ مُسخرينا(٥)

مُشَيَّدةٍ لشافى العُمْيِ (عيسى) وكم سَمَلَ القسوسُ بها عيونا(٦)

* * *

= وولى الملك صغيرا فى حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة ، وأراد أبوه ان يعلمه اقتحام الأهوال ، فأرسله فى جيش الى بلاد الشام ، وكان عمره عشر سنين ، فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة ، وله حروب عظيمة ، ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيا الشمالية ، وكان فى أيامه بنتاءور الشاعر المصرى ، وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه . « خوفو » و « مينا » : من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر فى عهدهم شوطا بعيدا فى المدنيسة ، ومن آثارهما الخالدة الأهرامات — ١ — علا خدا : اى ذلك التاج : والصعر : أن يميل الرجل بخده عن النظر الى الناس تهاونا وكبرا — ٢ — القطين : الخدم ، اى انه لايجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ، ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الأبنية — ٣ — لم نوق النقص : أى لم نحفظ منه — ٤ — البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا اشد انواع العذاب أيام الاستبداد ، فكم هالك فيه فيلسوف عظيم ، وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا . وقد ذكر الفرنسيون « البستيل » واسم « البستيل » ، وعدوه مستقر الظلم ، ومعهد العسف والقسوة ، فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم « البستيل » ، فهدموه ، واقتلعوا أصوله ، وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى أمكنة اللالىء ، اشارة لغلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين ، وكان أخذه فى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ، وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ، ولايزال الفرنسيون يحتفلون بذكره الى الآن — ٥ — البيعة « بكسر الباء » : معبد النصارى . ومسخرين : اى كلفوا عملهم بلا اجرة — ٦ — سمل العين : فقأها بحديد محماة وقلعها .

(أخا اللوردات)، مثلُك من تحلَّى ... بحليةِ آله المُتطوِّلينا(١)

لك الأَصل الذى نَبَتتْ عليه ... فروعُ المجد من (كرنارفونا)(٢)

ومالُكَ لا يُعدّ، وكلُّ مالٍ ... سَيَفْنَى. أَو سَيُفْنِى المالكينا(٣)

وجدتَ مذاق كلِّ تليدِ مجد ... فكيف وجدْت مجدَ الكاسبينا؟(٤)

نشرتَ صفائحًا، فجزتكَ مصرٌ ... صحائفَ سؤددٍ لا ينطوينا

فإن تلكُ قد فتحتَ لها كنوزًا ... فقد فتحتْ لك الفتحَ المبينا(٥)

فلو (قارون) فوق الأَرض إلا ... تمنى لو رضيتَ به قرينا(٦)

سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً ... وعادتُه يكدُّ السالكينا

رأيتَ تنكُّرًا، وسمعت عتباً ... فعذرًا للغضاب المحنقينا(٧)

أُبوَّتُنا وأَعْظُمُهم تُراثٌ ... نحاذرُ أَن يئول لآخرينا(٨)

---

١ — المخاطب اللورد كارنارفون الذى اهتدى الى الكنوز، وكانت وفاته بالقاهرة فى سحر ليلة الخميس ٥ أبريل سنة ١٩٢٣ بفندق الكونتنتال، وكانت قد عضته بعوضة، فطبب خمسة عشر يوما حتى أخذت تزول أعراض التسمم الذى أصابه من هذه العضة، ولكنه لم يقو على احتمال ذات الرئة التى اصيب بها، فأودت به. المتطولين: أصحاب الغنى والسعة — ٢ — لك الاصل .. الخ: وذلك أنه من بيوتات انجلترا القديمة فى المجد — ٣ — ومالك لا يعد .. الخ: فهو يملك فى بلادالانجليز الف فدان

٤ — وجدت مذاق ... الخ: اشارة الى استمراره فى أعمال الحفر والتنقيب فى وادى الملوك، فقد بدأها منذ ست عشرة سنة، ولم يزل حتى اهتدى الى أعظم اثر بين الآثار التى عثر عليها العلماء منذ قرن من الزمن، وقد ضمن له هذا العمل الجليل خلود اسمه، ورفعة ذكره، وكان اهتداؤه الى هذا الكنز الثمين فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٣٢، وفى مدافن ملوك طيبة: تحت مدفن رعمسيس السادس. والصفائح: حجارة القبور.

٥ — اشارة الى ما حواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينة النادرة المثال، واللالىء الغالية القليلة الوجود — ٦ — قارون: رجل كان صاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل فى الغنى — ٧ — التنكر: تغير الرجل عن حال تسره الى حال يكرهها، وفى الاساس تنكر لى فلان: لقينى لقاء بشعا. والمحنقون: الذين ملأهم الغيظ — ٨ — أبوتنا: أى آباؤنا. والتراث: الميراث، وفيه اشارة الى ما قيل يومئذ ونشرته الصحف، من ان اللورد كرنارفون: أخذ خفية أغلى ما فى الكنز من تحف، بينها تاج الملكة وعقدها.

ونأبى أن يَحُلَّ عليه ضَيْمٌ ويذهبَ نهبةً للناهبينا(١)
سَكَتَّ ، فحام حولَكَ كلُّ ظنٍّ ولو صَرَّحت لم تُثر الظنونا(٢)
يقول الناسُ فى سرٍ وجهرٍ ومالكَ حيلةٌ فى المرجفينا :(٣)
أمَن سرقَ الخليفةَ وهو حىٌّ يَعِفُّ عن الملوك مكفَّنينا ؟(٤)

* * *

خليلىَّ اهبطا الوادى ، وميلا إلى غُرف الشموس الغاربينا(٥)
وسيرا فى محاجرِهم رويدًا وطُوفا بالمضاجع خاشعينا(٦)
وخُصَّا بالعمار وبالتحايا رفاتَ المجدِ من (توتنخمننا)(٧)
وقبرًا كاد من حسنٍ وطيبٍ يضىءُ حجارةً ، ويضوعُ طينا(٨)
يُخال لروعةِ التاريخ قُدَّتْ جنادلُه العلا من (طورسينا)(٩)

١ — الضيم : الظلم ؛ أى نابى ان يظلم ذلك التراث بذهابه نهبا كما روت الانباءالبرقية فى ذلك الحين — ٢ — سكت فحام حولك .. الخ ، اى ان الذى قيل وشاع لاقى منك سكوتا عن نفيه . فلحقتك الشبهات بسبب سكوتك — ٣ — المرجفون : من يخوضون فى الاخبار السيئة — ٤ — أمن سرق الخليفة .. الخ ؛ هذا ما يقوله الناس ، وذلك ان انجلترا هى التى نقلت الخليفة وحيد الدين من قصره فى الآستانة . وألجأته الى المدرعة البريطانية « مالايا » هربا من الكماليين . فذهبت به الى مالطة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ ، فاذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء . فلا يبعد على رجالها أن يفعلوه بالملوك الاموات ، وبما فى قبورهم من جواهر ودرر ، وقد ذكرت الأنباء فى اثبات ذلك ، أن اللورد كرنارفون أهدى الى ابنة ملك الانكليز عقدا مصريا قديما له قيمة عظيمة ، وانها لما علمت بوفاته وان بعوضة من القبر عضته ، نزعت من عنقها ذلك العقد خوفا من انتقام توت عنخ آمون الذى نسبت اليه يومئذ وفاة اللورد — ٥ — يريد بالشموس الغاربين : ملوك الفراعنة . وغرفهم : مدافنهم — ٦ — المحاجر : ما يحميه الملوك حول منازلهم ، ومنها محاجر اقيال اليمن ؛ وهى أحماؤهم ؛ اى ما كان حميه كل واحد منهم —٧— العمار : التحية ، وهو ايضا الريحان يزين به مجالس الشراب ، واستعماله هنا على الاطلاق ، اذ لا يليق أن يكون مقيدا بتزيين هذا المجلس . التحايا : جمع تحية . والرفات : كل ما تكسر وبلى .
٨ — يضوع : يتحرك وينتشر . اى كادت حجارته تضىء حسنا ، وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية —٩— الروعة : المسحة من الجمال . والجنادل : جمع جندل، وهو الحجارة . وطور سينا : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى .

وكان نزيلُهُ بالمَلْكِ يُدعَى   فصار يُلقَّبُ الكنزَ الثمينا (١)

وقوما هاتفَيْن به . ولكن   كما كان الأوائلُ يهتفونا (٢)

فثَمَّ جلالةٌ قَرَّتْ ورامت   على مرِّ القرون الأربعينا (٣)

جلالُ الملك أيامٌ وتمضى   ولا تمضى جلالُ الخالدينا (٤)

وقولا للنزيل قدوم سعد   وحيَّا الله مَقْدَمَكَ اليمينا (٥)

سلامٌ يومَ وارتك المنايا   بواديها . ويومَ ظَهرتَ فينا (٦)

خرجتَ من القبور خروجَ عيسى   عليكَ جلالةٌ فى العالمينا (٧)

يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهلٍ   ويخترقُ البُخارُ به الحزُونا (٨)

وأُقسمُ كنتَ فى (لوزانَ) شُغلاً   وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا (٩)

أتعلمُ أنهم صَلِفُوا . وتاهوا   وصَدُّوا البابَ عنا مُوصِدينا ؟ (١٠)

ولو كنا نجر هناك سيفًا   وجدنا عندهم عطفاً ولينا (١١)

---

١ — النزيل : الضيف — ٢ — هاتفين به : اى بالملك الذى هو نزيل القبر ، وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له أيام حياته — ٣ — فثم : فهناك . والجلالة : عظم القدر . ورامت : اقامت . والقرون الأربعون : هى التى مضت منذ عهد توت عنخ آمون — ٤ — اى ان الجلال الصحيح ما خلد به صاحبه فى التاريخ ، أما جلال الملك فلا بقاء له — ٥ — اليمين : المبارك ؛ وهو من اليمن — ٦ — وارتك : اخفتك — ٧ — خروج عيسى : اى كما خرج عيسى من القبر على راى النصارى ، وصاحب الديوان لا يعتقد ذلك ، وانما ينظر فيه الى رايهم — ٨ — يجوب : يقطع . والبرقَ : اسم منقول من معناه الاصلى التلغراف . والبخار : اسم منقول كذلك للوابور ، أو هو من باب تسمية الشىء باسم المؤثر فيه . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض

٩ — لوزان : احدى مدن سويسرة ، وقد عرفت بمؤتمر الدول الذى اجتمع بها للنظر فيما بينهن من الخلاف ، ولتقرير الصلح بين الترك واليونان ، وقد وافق اجتماع المؤتمر ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه — ١٠ — صلفوا : تمدحوا بما ليس فيهم ، وادعوا فوق ذلك اعجابا وتكبرا . وصدوا الباب عنا : منعوه عنا ، اى لم يفتحوه لنا . وموصدين : من اوصد الباب ، اطبقه واغلقه — ١١ — اى لو كانت لنا قوة من السلاح لعاملونا باللين والمودة ، لانهم يدارون الأقوياء ويمالئونهم .

سيقضى (كرزنٌ) بالأمر عنّا وحاجاتُ (الكنانةِ) ما قُضينا(١)

* * *

تعالَ اليومَ خبِّرنا : أكانت نواكَ سِناتِ نومٍ ، أم سنينا ؟(٢)

وماذا جبتَ من ظلماتِ ليلٍ بَعيدِ الصبح . يُنضِى المُدلجينا ؟(٣)

وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت هياكلُها ، وتبلى إن بلينا ؟

وما تلك القبابُ ؟ وأين كانت ؟ وكيف أضلّ حافرُها القرونا ؟(٤)

مُمرَّدة البناء ، تُخالُ برجاً ببطن الأرض محطوطاً دفينا(٥)

تغطَّى بالأثاث فكان قصراً وبالصورِ العِتاق فكان زونا(٦)

حملتَ العرشَ فيه : فهل تُرجِّى وتأملُ دولةً فى الغابرينا ؟(٧)

وهل تَلقَى المهيمنَ فوق عرشٍ ويلقاه الملا مُتَرجلينا ؟(٨)

وما بالُ الطعام يكاد يَقدى كما تركته أيدى الصانعينا ؟(٩)

---

١ ـ كرزن : وزير انكليزى مشهور ، كان هو منـــدوب انكلترا فى مؤتمر لوزان . والكنانة : هى مصر ـ٢ـ تعال اليوم .. الخ : الخطاب لتوت عنخ آمون ، ونواك : بعدك . والسنات : جمع سنه ، بكسر السين ، وهى النعاس ـ٣ـ ينضى : يهزل . والمدلجون الذين يســيرون من أول الليل ـ٤ـ وما تلك القباب .. الخ : أى وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة : وهى ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة . والقرون : جمع قرن ، وهو مائة عام ـ٥ـ ممردة البناء : مملسته ـ٦ـ تغطى : أى هذا البناء تغطى .. الخ والأثاث : متاع البيت ، والصور : جمع صورة ، يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الأشياء . والعتاق : جمع عتيق ، وهو القديم ، أو النجيب من الخيل ، والجارح من الطير . والزون : الموضع تجمع فيه الأصنام .

٧ ـ فى الغابرين : فى الباقين ، وفى القرآن الكريم : « فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » ، ويكون أيضا بمعنى الماضين ، فهو من الكلمات التى تستعمل للاضداد ـ٨ـ المهين : من اسماء الله تعالى . والمترجلون : الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم .

٩ ـ ما بال الطعام : ما حاله . ويقدى : من قدى الطعام ، أى طاب طعمه ورائحته .

ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوماً فكيف صبرتَ أحقاباً مئينا؟(١)

لقد كان الذى حَذِرَ الأوالى وخاف بنو زمانك أن يكونا(٢)

يحبّ المرءُ نبشَ أخيه حيًّا وينبشه ولو فى الهالكينا

سُلِلتَ من الحفائر قبل يومٍ يَسُلُّ من التراب الهامدينا(٣)

فإن تكُ عند بعثٍ فيه شك فإنَّ وراءه البعثَ اليقينا(٤)

ولو لم يعصموكَ لكان خيرًا كفى بالموت معتصَماً حصينا(٥)

يُضَرُّ أخو الحياةِ ، وليس شئٌ بضائره إذا صحبَ المنونا(٦)

* * *

زمانُ الفرد – يا (فرعونُ) – ولَّى ودالتْ دولة المتجبِّرينا(٧)

وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ على حكمِ الرعيةِ نازلينا

---

١ ـ الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، وهو الدهر . والمئين : جمع مائة ـ٢ـ لقد كان : أى لقد حصل الذى حذر الأوالى . والاوالى : جمع أول . والمعنى : ان ما كنتم تخافونه ، وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم ، قد حصل ، ولم تمنعه مبالغتكم فى الوقاية منه ـ٣ـ سللت : أخرجت منها برفق . الحفائر : جمع حفيرة ، واليوم الذى يسل الهامدين من التراب : هو يوم القيامة ـ٤ـ فان تك عند بعث .. الخ : أى فان تكن الان تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك . فلا محالة سيأتى البعث الذى لاتشك فيه ، وهو بعث يوم القيامة .

٥ ـ يعصموك : يمنعوك من المكروه ، أى لو انهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لماأصابك مكروه . لأن الموت يمنع الاذى أن يصل اليك . وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى ـ٦ـ يضر . بضم الياء وفتح الضاد .

٧ ـ زمان الفرد : أى زمان حكم الفرد . ودالت : انقلبت من حال الى حال . والمتجبرون : المتكبرون .

تحية المؤتمر الجغرافى

هل تهبط النيِّراتُ الأَرضَ أحيانا ؟ وهل تَصورُ أفرادًا وأَعيانا؟(١)

نزلنَ أولَ دارٍ فى الثرى رَفعَت للشمس مُلكًا ، وللأَقمارِ سلطانا(٢)

تفننت قبل خلق الفن ، وانفجرت عِلماً على العُصُرِ الخالى وعِرفانا(٣)

أُبوَّةٌ لو سكتنا عن مفاخرهم تواضعًا نطقت صخرًا وصَوَّانا(٤)

هم قلَّبوا كرَةَ الدنيا فما وجدَتْ أقوى على صَولجانِ الملك أَيْمانا(٥)

وصيَّروا الدهرَ هزءًا يسخرون به حتى ينال لهم بالهدمِ بنيانا(٦)

لم يَسلكِ الأَرضَ قومٌ قبلهم سُبُلا ولا الزواخرَ أثباجاً وشُطَّانا(٧)

تقدم الناسَ منهم محسنون مضَوا للموت تحت لواءِ العِلمِ شجعانا

---

١ ـ النيرات : الكواكب ، واحدها نير ، بالياء المشددة . وتصور . تتصور . والاعيان : جمع عين ، وهو شريف القوم . يقول : ان هؤلاء العلماء الذين اقبلوا من البلاد الأخرى ليحضروا المؤتمر فى مصر ، هم الكواكب المنيرة ، ولكنهم مع ذلك أفراد من الناس ، وأعيان شرفاء فى أقوامهم ، فهل الكواكب تهبط الارض وتكون كذلك ؟

٢ ـ نزلن : أى هذه النيرات . وأول دار .. الخ : هى مصر ، وذلك كناية عن انها سبقت العالم الى العلم والمدنية، حتى رسخت قدمها فيهما .

٣ ـ تفننت : تنوعت فنونها ، أو اخذت فى فنون كثيرة . والعصر . بضمتين : الدهر . والخالى : الماضى . ـ٤ـ أبوة : جمع أب ، أى لنا أبوة أو أولئك ابوة . والمفاخر : جمع مفخرة ، بفتح الخاء وضمها ، وهى المأثرة . أو مايفتخر به . والصوان : نوع من الحجارة ـ٥ـ الصولجان : عصا منعطفة الرأس . والايمان : جمع يمين ، وهى اليد ، أى ما وجد ايمانا أقوى على صولجان الملك من أيمانهم ـ٦ـ حتى ينال لهم بالهدم بنيانا : أى وهو لاينال ذلك فهم يسخرون به ابدا ـ٧ـ لم يسلك الارض .. الخ : وذلك أن المصريين القدماء هم أول من طاف الأرض برا وبحرا . والسبل : جمع سبيل . والزواخر : البحار ، مفردها زاخر . والاثباج : جمع ثبج ، وهو معظم البحر . والشطان : جمع شط . وهو الشاطىء .

جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةٍ وأوغلوا فى الفَلا كالأُسْدِ وحْدانا(١)

أَزمانَ لا البرُّ « بالوابور » منتهَبًا ولا « البخارُ » ابنت الماءِ رُبَّانا(٢)

هل شيَّع النشءُ رَكْبَ العلم ، واكتنفوا لعبقريةٍ أحمالًا وأظعانا ؟(٣)

وسايروا الموكبَ المرموقَ مُتَّشِحا عِزَّ الحضارة أعلاماً وركبانا ؟(٤)

يسيرُ تحت لواء العلم مؤتلفًا وان ترى كجنودِ العلم إخوانا

العلمُ يجمعُ فى جنسٍ ، وفى وطنٍ شتى القبائلِ أجناساً ، وأوطانا(٥)

ولم يزِدْكَ كرسمِ الأَرض معرفةً بالأَرض دارًا ، وبالأَحياء جيرانا(٦)

علمٌ أبان عن الغبراء ، فانكشفت زَرعا ، وضرعا ، وإقليما ، وسُكانا(٧)

وقسم الأَرض آكاماً ، وأوديةً وفصل البحرَ أَصدافاً . ومرجانا(٨)

---

١ ـ جابوا : طافوا : والعباب : اكثر السيل ، والمـراد البحر • والعود : الخشب ، والمراد به السفينة • والسارية : عمود ينصب فى وسط السفينة ليعلق القلع به ، والفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء الواسعة ، وقيل : المفازة لاماء فيها . والوحدان : جمع واحد ـ٢ـ أزمان : أى فعلوا ذلك من ازمان لم يكن بها الوابور ينهب البر ، ولا البخار يجرى السفن . والربان : من يجرى السفينة . وجوب الارض على هذه الحال يستدعى عزائم قوية ، ويؤدى الى مخاطر عظيمة ـ٣ـ هل شيع النش . . الخ : أى هل خرجوا مع ركب العلم يودعونهم . والنشء : جمع ناشىء : وهو الغلام جاوز حد الصغر • وركب العلم : هم العلماء الذين جاءوا فحضروا المؤتمر ، ثم رجعوا الى بلادهم ، واكتنفوا احمالا واظعانا : احاطوا بها • والعبقرية : اصلها نسبة الى عبقر ، وهو موضع كانت العرب تزعم انه كثير الجـن ، وقد جعله المعاصرون اسما وأرادوا به التناهى فى حذق الشىء واتقانه ، والاحمال : الهوادج ، واحدها حمل ـ بكسر الحاء وفتحها ، والأظعان : الهوادج أيضا ـ٤ـ المرموق : الذى ينظر اليه طويلا . ومتشحـا : لابسا •

٥ ـ شتى القبائل : أى القبائل المتفرقة ـ٦ـ كرسم الأرض : يريـد العلم الذى يعرف به رسم الارض ،وهو علم الجغرافيا ـ٧ـ ابان عن الغبراء : اوضحها ، والغبراء : الأرض ـ٨ـ الآكام : التلال ، وقيل : ماتجتمع من الحجارة فى مكان واحد . والاودية : جمع واد ، وهو المنفرج بين جبلين أو تلين • والاصداف : جمع صدف ، وهو غشاء الدر • والمرجان : عروق حمر ،تطلع من البحر .

وبيّن الناسَ عادات وأمزجةً ... وميّز الناسَ أجناساً وأديانا

وفدَ الممالكِ ، هزّ النيلُ مَنكبَه ... لما نزلتم على واديه ضِيفانا(١)

غدا على الثغرِ غادٍ من مواكبِكم ... فراح مبتسمَ الأرجاء جذلانا(٢)

جرت سفينتُكم فيه ، فقلَّبها ... على الكرامةِ قَيْدوماً وسكانا(٣)

يلقاكمُ بسماءِ البحر ضاحيةً ... وتارةً بفضاء البَرِّ مُزدانا(٤)

ولو نزلتم به والدهرُ معتدلٌ ... نزلتمُ بعَروسِ المُلكِ عُمرانا(٥)

إذ (الفنارُ) وراءَ البحرِ موتلقٌ ... كأنه فلقٌ من خِدره بانا(٦)

أناف خلف سماء الليل متقدًا ... يُخال فى شُرَفات الجوِّ (كِيوانا)(٧)

تَطْوِى الجوارى إليه اليمَّ مقبلةً ... تجرى بوارجَ أو تنساب خُلجانا(٨)

نورُ الحضارة لا تبغى الركابُ له ... لا بالنهار ولا بالليل برهانا

---

(١) المنكب : هو من الحيوان مجتمع رأس الكتف والعضد ، ومن غير الحيوان ناحية كل شيء وجانبه ، والمراد المعنى الأول ، كناية عن نهوضه لاكرامهم .

(٢) غدا : اقبل . والثغر : هو ثغر الإسكندرية . والمواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركبانا أو مشاة · والأرجاء : النواحى · والجذلان : الفرحان .

(٣) الكرامة : العزازة · والقيدوم : الصدر · والسكان – بالضم : ذنب السفينة

(٤) ضاحية : بارزة منكشفة ، وهو كنايه عن صفائها (٥) ولو نزلتم به : اى بالثغر . ومعتدل : مستقيم ؛ اى ليس منحرفا ولا معوجا عن انصافنا .

(٦) اذ الفنار : اى اذ يكون الفنار . . الخ . والفنار : هو منارة السفن تقام عالية فى الميناء ليهتدى الربابنة فى الليل بنورها . وموتلق : لامع . والفلق : الصبح ، أو ما انفلق من عموده · والخدر : الستر ، وقيل : هو كل ما واراك من بيت ونحوه (٧) اناف : طال وارتفع · وشرفات : واحدتها شرفة ، وهى ما أشرف من بناء القصر . وكيوان : اسم فارسى لكوكب زحل (٨) الجوارى السفن : جمع جارية · واليم : البحر · والبوارج : جمع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال ، وتنساب : تجرى وتتدافع . والخلجان : جمع خليج ، وهو شرم من البحر .

يا موكبَ العلم ، قِفْ فى أَرض منفَ به ... يُناج مَهْداً ، ويذكُرْ للصِّبا شابا(١)

بكى تمائمَهُ طفلاً بها ، ويبكى ... ملاعباً من رُبَى الوادى وأَحضانا(٢)

أَرض ترَعْرَعَ لم يصحَبْ بساحتها ... إلاَّ نبيين قد طابوا ، وكهانا

عيسى ابنُ مريم فيها جرَّ بُردتَه ... وجرّ فيها العصا موسى بن عِمرانا

لولا الحياءُ لناجتْكم بحاجتِها ... لعل منكم على الأَيام أَعوانا

إذا تفرَّقْتمُ فى الغربِ أَلسنةً ... ليَّنتُمُ كلَّ قلبٍ لم يكن لانا

الصليب الأحمر

مر يا (صليبَ) الرِّفقِ فى ساح الوغى ... وانشر عليها رحمةً وحنانا(٣)

وادخل على الموت الصفوفَ مُواسياً ... وأَعِنْ على آلامه الإنسانا

والمسْ جراحاتِ البريَّةِ شافيًا ... ما كنت إلا للمسيح بنانا(٤)

وإذا الوطيسُ رمى الشبابَ بنارِه ... خُضْ (كالخليل) إليهمُ النيرانا(٥)

---

(١) ارض منف : هى الأرض المصرية . ومنف : مدينة مصرية قديمة ، بناها الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية ، وجعلها مقر ملكه ، وبقيت مقرا للملك حتى زالت الأسرة الثامنة . ويناج ، من ناجاه : ساره، والمهد : الموضع يهيأ للصبى ويوطأ . يقول : قف بالعلم فى الأرض التى نشأ فيها ، ليناجى مهده الأول ، ويذكر عهد صباه (٢) بكى : أى العلم . وتمائمه : جمع تميمة ، وهى العوذة التى تعلق للاطفال مخافة العين . والملاعب : جمع ملعب ، وهو مكان اللعب . والربى : جمع ربوة وهى ماارتفع من الارض (٣) الساح جمع ساحة . والوغى : الحرب .

(٤) الجراحات : جمع جراحة . والبنان : اطراف الأصابع ، مفردها بنانة .

(٥) الوطيس : شدة الحرب . والخليل : هو ابراهيم عليه السلام ، وقصة القائه فى النار مشهورة .

واجعل وسيلتَك المسيحَ وأمَّه واضرَع ، وسلْ فى خلقِه الرّحمانا(١)

اللهُ جارُك فى عوانٍ لم تهب للهِ لا بِيَعًا ولا صُلبانا(٢)

وسلمتَ يا « حرمَ المعارك » من يدٍ هَدَمَتْ لِسِلم العالمين كيانا(٣)

* * *

يا أهلَ مصر ، رمى القضاءُ بلطفِه وأراد أمراً بالبلاد فكانا

إن الذى أمرُ الممالك كلِّها بيديه ؛ أحدثَ فى «الكنانة» شانا

أبقى عليها عرشَها فى بُرهةٍ ترمى العروشَ وتنثُر التيجانا(٤)

وكسا البلادَ سكينةً من أهلها ووقى من الفتنِ العبادَ ؛ وصانا

أوَما ترون الأرضَ خُرِّب نصفُها وديارُ مصرٍ لا تزال جِنانا؟(٥)

يرعى كرامتَها . ويمنعُ حوضَها جيشٌ يعاف البغىَ والعُدوانا(٦)

كجنود (عَمْرٍو) . أينما ركزوا القنا عَفُّوا يدًا ، ومُهنَّدًا ، وسِنانا(٧)

إن الشجاعَ هو الجبانُ عن الأذى وأرى الجرىءَ على الشرور جبانا

* * *

أممَ الحضارةِ . أنتمُ آباؤنا منكم أخذنا العلمَ والعرفانا

---

(١) الوسيلة : ما يتقرب به الى الغير . واضرع : من ضرع اليه . خضع وذل . والرحمن : اسم من اسماء الله تعالى .

(٢) العوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد اخرى . والبيع ، بكسر الباء : جمع بيعة ، بكسرها أيضا ، وهى متعبد النصارى .

(٣) السلم : ضد الحرب . وكيان الشيء . وجوده او طبيعته .

(٤) البرهة : قطعة من الزمن طويلة . وتنثرالتيجان: ترميها متفرقة .

(٥) الجنان : جمع جنة . (٦) يعاف : يكره .

(٧) كجنود عمرو : هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب . وركزوا القنا : غرزوها فى الأرض . والقنا : الرماح : جمع قناة . عفوا : تركوا الشهوات . والمهند : السيف . والسنان: نصل الرمح .

رقّت لكم منا القلوبُ ، كأنّما جَرحاكمُ يومَ الوغى جَرحانا
ومن المروءةِ ـ وهْى حائطُ دِيننا ـ أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا(١)
ولئن غزاكم من ذوينا معشرٌ فلرُبَّ إخوان عَزَوْا إخوانا
حتّى إذا الشحناءُ نامت بينهم لم يعرفوا الأَحقاد والأَضغانا(٢)

تحية للترك (*)

بحمدِ اللهِ ربِّ العالمينا وحمدِك يا أميرَ المؤمنينا
لقينا فى عدوِّكَ ما لقينا لقينا الفتحَ والنصرَ المبينا

هُمُ شهروا أذًى ، وشهرتَ حربا فكنتَ أجلّ إقداماً وضربا
أخذت حدودَهم شرقاً وغربا وطهَّرْتَ المواقعَ والحصونا

وقبلَ الحربِ حربٌ منك كانت نتائجُها لنا ظهرت وبانت
ألنْتَ الحادثاتِ بها ، فلانت وغادرت القياصرَ حائرينا

جمعتَ لنا الممالكَ والشعوبا وكانت فى سياستِها ضروبا
فلما هبَّ (جُورجِيهم) هبوبا تلفَّتَ لا يصيبُ له معينا(٣)

(١) الحائط : الجدار ، اى وهى من ديننا كالحائط من الدار .
(٢) الشحناء : عداوة امتلأت منها النفوس - والأضغان : الاحقاد -
(*) قيلت فى الحرب بين اليونان والأتراك سنة ١٣١٤ هجرية ، وقلما نالت قصيدة فى العالم العربى بأجمعه ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار ، وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكم صادفا هــوى فى النفــوس .
(٣) جورجى : ملك اليونان يومئذ .

رأى كيف السبيلُ إلى كريد   وكيف عواقبُ الطيش المزيد
وكيف تنامُ ياعبدَ الحميد   وتغفل عن دماء العالمينا ؟

ولا واللهِ والرسْلِ الكرام   وبيتِك خير بيتٍ فى الأنام
لما كانوا — وسيفُك ذو انتقام —   يعادِلُ جَمعُهم منا جنينا

رأيتَ الحلمَ لما زاد غَرَّا   وجرَّأَ مُلْكَهم حتى تجرّا(١)
فجاءتك الدعاوى منه تتْرَى   وجاءته جنودُكَ مبطلينا

بخيْلٍ فى الهضابِ ، وفى الروابى   ونارٍ فى القلاع . وفى الطوابى
وسيفٍ لا يلينُ ، ولا يحابى   إذا الآجالُ رجَّت منه لينا

وجيشٍ من غُزاةٍ عن غزاة   همُ الأَبطالُ فى ماضٍ وآتى
ومن كرمٍ أذلُّوا كل عاتى   وذَلُّوا فى قتال المؤمنينا

أبعد بلائِهم فى كلِّ حرب   وضربٍ فى الممالكِ أىِّ ضرب
تحاولُ صبيةٌ فى زىِّ شعب   وتطمع أن تدوسَ لهم عَرِينا ؟

جنودٌ للجراحِ الدهرَ ميرهَمْ   يدبِّرها البعيدُ الصيتِ أدهمْ
فأَنجدَ فى تسالِيةٍ وأتْهَمْ   وكانت للعدا حصنا حصيناً(٢)

أروترُ ، لا تدسَّ السم دسَّا   ومهلاً فى التهوّس يا (هَوَسا)(٣)

---

(١) تجرا : مخفف تجرأ .
(٢) تسالية : موقعة من مواقع هذه الحرب . وانجد وأتهم : نزل نجدا وتهامة والمراد انه اتى على كل ما فيها ما ارتفع منه وانخفض .
(٣) هوسا : المراد به هانتاس ، وهى الشركة البرقية المعروفة .

سلِ اليونانَ : هل ثبتت (لرِسّا) وهل حُنِظَ الطريقُ إلى أثينا ؟(١)

معاذَ الله ، كَلَّا ، ثم كَلَّا هم البحارةُ الغرُّ الأجِلا !
وما أسطولُهم فى البحر إلا (شَخاشِخُ) مايَرُحنَ وما يجينا!(٢)

وكم بعثوا جيوشاً من أمانى أتت دارَ السعادة فى أمان
وما سارت سوى يومَيْنِ زمان فأهلاً بالغزاة الفاتحينا !

وكم باتوا على هَرْج ومَرْج وقالوا : المالُ مبذولٌ لجورجى(٣)
وكلُّ المال من دخلٍ وخَرْجٍ ديونٌ لا تقدّرها ديونا!(٤)

وكم فتحوا الثغورَ بلا توانى وبالأُسطولِ جاءوا من موانى
وللبسفورِ طاروا فى ثوانى فأهلاً بالأوزِّ العائمينا(٥)

وفى الآستانة انتصروا انتصارا وبطرسبرجَ دكُّوها حصارا
فيا للمسلمين وللنصارى وقيصرَ والملوكِ الآخرينا !

ويا غليومُ ، أين لك الفِرارُ إذا جورجى وعسكرُه أغاروا ؟
فضاقت عن سفينته البحارُ وضاق البرُّ عنهم واجفينا !

أمورٌ تضحكُ الصبيانَ منها ولا تدرى لها العقلاءُ كُنها

---

(١) لرسا : موقعة من مواقع هذه الحرب .
(٢) شخاشخ : جمع (شخشيخة) وهى لعبة معروفة للاطفال .
(٣) الهرج والمرج : الفتنة والاختلاط .
(٤) لا تقدرها ديونا : أى لضآلتها ، والمراد فى كل هـذه الابيات التهكم باليونان .
(٥) وصف الاوز بجمع المذكر ، قد يراد به التعظيم .

فَسَلْ رِوترْ ، وسَلْ هافاسَ عنها فإنّ لديهما الخبرَ اليقينا

ويومَ مَلونَ إذ صحنا ، وصاحوا ذكرنا الله من فرح ، وناحوا
ودارتْ بينهم بالراح راحُ ودارتْ راحةُ الإيمان فينا(١)

على الجبلين قد بتنا ، وباتوا وقُتناهم منيّتهمُ . وقاتوا
وقد متنا ثباتاً ، واستماتوا وما البسلاءُ كالمستسلينا

خسفنا بالحصون الأرضَ خسفا تزيد تأبّياً فنزيد قذفا
بنار تنسفُ الأجيالَ نسفا وتلقَفُ نارَهم والمطلقينا

مدافعُ ما تثوبُ بغير زادِ براكينٌ تصوبُ بلا نفاد(٢)
نصبناها لهم فى كل وادى فكنّ الموتَ ؛ أو أهدى عيونا

جعلنا الأرضَ تحتَهمُ دماءَ وصيّرنا الدخانَ لهم سماءَ
وإذ راموا من النار احتماءَ حَمَتْ أسيافُنا منهم مئينا

ورُب مجاهدٍ شيخٍ مُبَجَّل ترجلتِ الجبالُ وما ترجّلْ
أراد ليركب الموتَ المحجّل إلى أجدادِه المستشهدينا

وفى لجوادِه ، وحنا عليه وقد شَخَصتْ بنادقُهم إليه
وصابَ رصاصُها يُدْمى يديه وأوشكتِ السواعد أن تخونا

تعوَّدَ أن يصيب ، وأن يُصابا فخوطب فى النزول ، فما أجابا

---

(١) ملون : موقعة ، والراح الاولى : الاكف ، والثانية : الخمر .
(٢) تصوب : أى يسقط حممها كالمطر .

وقال ـ وقد قضى ـ قولاً صوابا : هنا فليطلب المرء المنونا

وقد زاد البسالة من وقار هزبر من ليوث الترك ضارى
تقدم نحو نار أى نار ليسبق نحو خالقه القرينا

جرى ، فأذل هاتيك الألوفا وزحزح عن مواضعها الصفوفا
فخاض إلى مكامنها الحتوفا وما هاب الرماة مسددينا

دعا لله فى وجه الأعادى كليث زائر فى بطن وادى
فلبته الفيالق والأرادى ودار هلال رايتنا يمينا(١)

فلما أذعنوا أنا المنايا وأنا خير من قاد السرايا(٢)
تفرق جمعهم إلا بقايا على قلل الجبال مجندلينا

صلاة الله ربى والسلام على قتلى بفرسالو أقاموا(٣)
هم الشهداء ، حول الله حاموا فأدناهم ، وكانوا الفائزينا

أنالوا الملك فتحاً أى فتح وشادوا للخلافة أى صرح
وجاءوا ربهم منهم بذبح تقبله ، وكان به ضنينا(٤)

سلاماً سفح فرسالو سلاما وكن خير المقام لمن أقاما
وضن بها وإن بليت عظاما تطيف بها الملائك حائمينا

---

(١) الأرادى : جمع أردى . وهو الجيش .
(٢) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش .
(٣) فرسالو : موقعة .
(٤) الذبح : ما يذبح .

أَأَدْهَمُ ، هكذا تُقْنَى المعالى وتُقْنَى بالقواضِب والعوالى(١)
لقد بيَّضْتَ للملْك الليالى بسيفٍ يفضح الفجرَ المبينا

أَخذتَ النصرَ بالجبلين غصبا وكنتَ الليثَ تخطارًا ووثبا
حملْتَ . فماجَتْ الحُمْلانُ رُعْبا يظنُّهمُ الجهولُ مقاتلينا

وفى فرسالَ قد جئتَ العُجابا بسطتَ الجيش تقرؤه كتابا
وقد أَحصيتَه باباً فبابا وكانوا عن كتابك غافلينا

ثبتَّ مؤمَّلا منك الثباتُ توافيكَ الرسائلُ والسُّعاةُ
وحولَكَ أَهلُ شوراك الثقاتُ تسوسون الجيوش مظَفرينا

هناك الصحْفُ سارت حاكيات وطيّرتِ البروقُ محدِّثات
وحدّثتِ الممالكُ آخذاتِ علومَ الحربِ عنكم والفنونا

بنى عثمانَ ، إذا قلد قَدَرنا فتوحَكمُ الكِبَارَ وقد شكرنا
سألنا الله نصرًا ، فانتصرنا بكم ، والله خيرُ الناصرينا

---

(١) القواضب : السيوف . والعوالى : الرماح .

الدستور العثمانى

بشرى البريةِ قاصيها ودانيها — حاطَ الخلافةَ بالدستورِ حاميها(١)

لما رآها بلا ركنٍ تداركَها — بعد (الخليفة) بالشورى، وناديها(٢)

وبالأَبيِّين من قومٍ أماتهم — بُعدُ الديارِ، وأحياهم تدانيها(٣)

حنُّوا إليها كما حَنَّتْ لهم زمناً — وأوشك البينُ يُبليهم، ويُبليها(٤)

مُشتَّتين على الغبراءِ، تحسبُهم — رحَّالةَ البَدْو هاموا فى فيافيها(٥)

لايقربُ اليأْسُ فى البأْساءِ أنفسَهم — والنفسُ إن قَنَطَتْ فاليأْسُ مُرْديها(٦)

* * *

أسدى إلينا (أميرُ المؤمنين) يداً — جلَّت، كما جلّ فى الأملاكِ مُسديها(٧)

بيضاءَ، ما شابَها للأَبرياءِ دمٌ — ولا تكدّر بالآثامِ صافيها(٨)

---

(١) حاط الخلافة : حفظها وتعهدها . وحاميها : هو الله تعالى .

(٢) الشورى : التشاور فى الأمر ، والمراد الرجوع فى الحكم الى راى الأمة .

(٣) الابيون : جمع أبى من الاباء ، وهو الكبر والنخوة (٤) البين : الفرقة .

(٥) البدو : الصحراء . ورحالة البدو : أى الرحالة من أهل البدو . وهاموا : ذهبوا لايدرون أين يتوجهون · والفيافى : جمع فيفاء ، وهى المكان المستوى ، أو المفازة لا ماء فيها ·(٦) اليأس : ان يقطع الانسان أمله من الشيء ، وهو القنوط ايضا (٧) اسدى : احسن · وامير المؤمنين : هو السلطان عبد الحميد · واليد : النعمة ، والمراد الدستور · وجلت : عظمت · والأملاك : الملوك ·

(٨) بيضاء .. الخ : وذلك انه لم تكد أمة تستخلص الحكم من الملك المستبد به ، وتعيده الى رايها ، الا بعد حرب تقع بينه وبينها ؛ ولكن السلطان عبد الحميد لم يكد يعلم ان الجيوش زاحفة لتستخلص الحكم الشورى حتى رضيه وأقره ، فلم تقع يومئذ حرب ، ولا اريقت دماء ، وان كانت قد حدثت بعد ذلك فتنة اريد بها ارجاع الاستبداد ؛ وانتهت بخلع السلطان .

وليس مُستعظَماً فضلٌ ، ولا كرمٌ　　من صاحب (السكة الكبرى) ومُنشيها(١)
إن الندَى والرضَى فيه وأُسرتِه　　والله للخير هاديه وهاديها
قومٌ على الحبِّ والإخلاص قد ملكوا　　وحسبُ نفسك إخلاصٌ يُزكِّيها(٢)
إذا الخلائفُ من بيتِ الهدى حُمِدَتْ　　أعلى الخواقينَ مِنْ عثمانَ ماضيها(٣)
خلافةُ الله فى أحضانِ دولتهم　　شابَ الزمانُ ، وما شابت نواصيها
دروعُها تحتمى فى النائباتِ بهم　　من رمح طاعنِها ، أو سهمِ راميها

* * *

الرأىُ رأىُ «أميرِ المؤمنين» إذا　　حارتْ رِجالٌ وضلَّتْ فى مرائيها(٤)
وإنما هى شُورى اللهِ ، جاء بها　　كتابُه الحقُّ ، يُعليها ، ويُغليها
حقَنتَ عند مناداةِ الجيوش بها　　دمَ البريَّةِ إرضاءً لباريها(٥)
ولو منعت أُريقت للعباد دِماً　　وطاحَ من مُهَجِ الأَجناد غاليها(٦)
وَمَنْ يَسُسْ دولةً قد سُسْتَها زمنًا　　تهُنْ عليه من الدنيا عواديها(٧)
أتى ثلاثون حولاً لمَ تذُقْ سِنةً　　ولا استخفَّكَ للذَّاتِ داعيها
مُسَهَّد الجفنِ ، مكدودَ الفؤادِ بما　　يُضنى القلوبَ ، شجىَّ النفس ، عانيها(٨)

---

(١) السكة الكبرى : هى السكة الحديدية الحجازية ، وقد انشأتها الدولة فى أيامه . (٢) يزكيها : يطهرها .

(٣) الخلائف : جمع خليفة . وبيت الهدى : هو بيت النبوة . والخوافين : جمع خاقان ، وهو أسم لكل ملك من الترك . وعثمان : هو مؤسس الدولة التركية .

(٤) المرائى : الآراء ، جمع مراى .

(٥) حقنت دم البرية : منعته أن يسفك . والبرية : الخلق . والبارى: الخالق

(٦) أريقت ، من أراق الماء : صبه والدما : جمع دم . وطاح ، هلك . والمهج : الأرواح . والأجناد : العسكر ، جمع جند .

(٧) عواديها : جمع عادية من عدا عليه : ظلمه ، أى العوادى التى تصيبه منها .

(٨) مسهد الجفن : من سهده : بالتشديد جعله يسهد . اى لا ينام . ومكدود الفؤاد : متعبه . ويضنى القلوب . يثعلها . وشجى النفس :مشغولها والعانى : الأسير .

تَكادُ من صُحبةِ الدنيا وخِبْرتِها   تسيءُ ظَنَّك بالدنيا ومافيها

* * *

أما ترى المُلكَ فى عرسٍ وفى فرح   بدولةِ الرأيِ والشورى وأهليها؟

لمَّا استعدّ لها الأقوامُ جِئتَ بها   كالماءِ عند غليل النفسِ صاديها؟(١)

فضلٌ لذاتك فى أعناقِنا، ويدٌ   عند الرعيةِ من أسنى أياديها(٢)

خلافةُ اللهِ جرّ الذيلَ حاضرُها   بما منحتَ . وهزَّ العطفَ باديها(٣)

طارت قناها سروراً عن مراكزِها   وألقت الغِمد إعجاباً مواضيها(٤)

هبّ النسيمُ على «مقدونيا» بَرداً   من بعد ماعَصَفَتْ جمراً سوافيها(٥)

تغلى بساكنِها ضِغناً ونائرةً   على الصدور إذا ثارت دواعيها(٦)

عاثت عصائبُ فيها كالذئاب عَدَتْ   على الأقاطيعِ لمَّا نام راعيها(٧)

خَلالها من رسُوم الحكم دارسُها   وغَرَّها من طلول الملك باليها(٨)

---

(١) الغليل : شدة العطش . وغليل النفس : أى مغلولها ، من غل الرجل يضم الغين : اشتد عطشه . والصادى : الشديد العطش ايضا .

(٢) اليد هنا : النعمة (٣) الحاضر : المقيم فى الحضر . والبادى : المقيم فى البادية .

(٤) مراكزها : جمع مركز ، من ركز القناة ، اذا غرزها فى الأرض . والغمد : جفن السيف . والمواضى : السيوف . (٥) مقدونيا : هى اقليم البلقان ؛ من تركية أوربة . والبرد : حب الغمام . والعصف : اشتداد الريح . والسوافى : الرياح تذرى التراب ، جمع سافية . (٦) تغلى : أى مقدونية . والضغن : الحقد . والنائرة : يقال : نارت فى الناس نائرة، أى هاجت هائجة ، ودواعى الصدور : همومها .

(٧) عاثت : أفسدت . والعصائب : جمع عصابة ، وهى الجماعة من الرجال ، قيل : العشرة ، وقيل : مابين العشرة الى الاربعين . عدت : وثبت . والاقاطيع : جمع قطيع ، وهو الطائفة من الغنم . (٨) الرسم الدارس : العافى القديم . والطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار .

فسامَرَ الشرُّ فى الأجبالِ رائحُها وصبَّح السهلَ بالعدوانِ غاديها(١)
مظلومةٌ فى جوار الخوفِ، ظالمةٌ والنفسُ مؤذيةٌ من راحَ يؤذيها
رثتْ لها وبكتْ من رقَّةٍ دولٌ كالبوم يبكى رُبُوعًا عزَّ باكيها(٢)
أعلامُ مملكةٍ فى الغرب خائفةٌ لآل عثمانَ كادَ الدَّهرُ يطويها
لما مُلئنا قنوطاً من سلامتها تَوَثَّبَتْ أُسُدُ الآجام تحميها(٣)
من كل مستبسلٍ يرمى بمهجتِه فى الهول إن هى جاشت لا يراعيها(٤)
كأنها — وسلامُ الملك يطلبها — أمانةٌ عند ذى عهدٍ يؤدّيها

* * *

الدينُ لله، من شاءَ الإلٰهُ هَدَى لكل نفسٍ هَوًى فى الدين داعيها
ما كان مُخْتلِفُ الأديانِ داعيةً إلى اختلافِ البرايا، أو تعاديها
الكُتْبُ، والرسْلُ، والأَديانُ قاطبةً خزائنُ الحكمةِ الكبرى لِواعيها
محبةُ اللهِ أصلٌ فى مراشِدها وخَشيةُ اللهِ أُسٌّ فى مبانيها(٥)
وكل خيرٍ يلقَّى فى أوامرها وكل شرٍّ يوقَّى فى نواهيها
تسامُحُ النفسِ معنًى من مروءتها بل المروءةُ فى أسمى معانيها

---

(١) فسامر الشر: من المسامرة، وهى الحديث ليلا. وصبح، بتشديد الباء: أتاه صباحا. (٢) رثت لها: رحمتها. وهذا البيت والأبيات قبله وصف لحالة مقدونيا، وذلك أن دول أوربة كانت دائما تدبر المكايد للدولة التركية، وكانت تجد مقدونية أصلح مكان لمكايدها؛ لما بين أهلها من اختلاف كثير فى الجنس والدين واللغة، وكانت الدولة العلية لا تكاد تطفىء فتنة فى ناحية منها حتى تشب فتنة فى ناحية أخرى، وكلما كانت تتذرع بالقوة واظهار الحزم فى القضاء على أصحاب الثورات كان يشتد خوف الناس فى هذا الاقليم.

(٣) يريد بأسد الآجام: رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد اعلان الدستور فأذعن لهم.

(٤) المستبسل: المستقتل والمهجة: الروح. والهول: الخوف من الأمر لايدرى ما يهجم عليه منه. وجاشت: اضطربت.

(٥) المراشد: مقاصد الطرق.

تخلَّقِ الصفحَ تسعدْ فى الحياةِ به فالنفسُ يسعدها خُلْق ويُشقيها(١)
اللهُ يعلمُ ما نفسِى بجاهلةٍ مَن أهلُ خِلَّتها ممن يُعاديها ؟(٢)
لئن غدوتُ إلى الإحسانِ أصرفها فإن ذلك أجرى من معاليها
والنفسُ إن كبرت رقَّتْ لحاسدِها واستغفرت كرماً منها لشانيها(٣)

* * *

ياشعبَ عثمانَ من تركٍ ومن عربٍ حيّاكَ مَنْ يبعث الموتى ويُحييها
صبرتَ للحقِّ حين النفسُ جازعةٌ واللهُ بالصبر عند الحقِّ موصيها
نِلْتَ الذى لم ينله بالقنا أحدٌ فاهتفْ (لأنورها) واحمدْ (نيازيها)(٤)
ما بين آمالِك اللائى ظفِرْتَ بها وبين (مصر) معانٍ أنتَ تدريها

---

(١) تخلق الصفح : اى أجعله خلقا لك . والصفح : الاعـراض عن ذنوب الغير .

(٢) الخلة (بكسر الخاء) : المصادقة والاخاء .

(٣) شانيها : مبغضها .

(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . وأنور ونيازى : هم بطلا الدستور العثمانى المشهوران .

الهلال والصليب الأحمران

(جبريل) ، أنت هدى السما ء ، وأنت برهانُ العِنايه (١)
اُبْسُطْ جَنَاحَيْكَ اللذيْ ـن هما الطهارةُ والهدايه
وزدِ (الهلالَ) من الكرا مةِ ، و(الصليبَ) من الرعايه
فهما لربِّك رايةٌ والحربُ للشيطان رايه
لم يخلق الرحمن أكـ بر منهما فى البِرِّ آيه
الأَحمران عن الدم الـ غالى وحرمتِه كنايه(٢)
الغـــادِيان لنجـــدةٍ الرائحان إلى وقايه(٣)
يتـأَلَّقان على الوَغى رشدًا تَبَيَّن من غوايه(٤)
يقفان فى جنب الدِّما كالعُذْرِ فى جنب الجنايه
لو خَيَّما فى (كربلا) لم يُمْنع (السِّبْطُ) السّقايه(٥)
أو أدركا يوم المسيـ ح لعاوناه على النكايه(٦)
ولناولاهُ الشهدَ ، لا الـ خَلَّ الذى تصِفُ الروايه(٧)

---

(١) جبريل : من الملائكة مختص بالوحى .

(٢) الأحمران .. الخ : أى اللذان جعلا أحمرين ليكنى بهما عن الدم وحرمته .

(٣) النجدة : الاعانة . (٤) يتألقان : يلمعـــان ويضيئان .

(٥) كربلا : مدينة فى العراق بها قبر للحسين بن على رضى الله عنهما . والسبط : ولد الولد : والحسين سبط النبى صلى الله عليـه وسلم . يشير بذلك الى مقتل الحسين ؛ وما قيل من أن قتلته منعـوا عنه الماء حين طلبه وهو فى النزع .

(٦) يوم المسيح : اى اليوم الذى يزعم النصارى ان المسيح صلب فيه.

(٧) ولمناولاه الشهد .. الخ : وذلك أن النصارى تدعى ان المسيـح طلب وقت شدة الصلب ماء فاعطوه خلا .

يا أَيها (اللادى) التى أَلقت على الجرحَى حِمايه(١)
أَبلَيْتِ فى نزعَ السها م بلاءَ دَهْرِكِ فى الرمايه(٢)
ومررتِ بالأسرى ، فكنـ ـتِ نسيمَ واديهم سِرايه(٣)
وبناتُ جنسكِ إن بَنَيْـ ـنَ البرِّ أَحْسَنَّ البنايه
بالأَمس لادى (لوثرٍ) لم تأْلُ جيرتَها عنايه(٤)
أَسْدَتْ إلى أهل الجنو د يدًا ، وغالت فى الحفايه(٥)
ومُحجَّباتٍ هنّ أظ هرُ عند نائبةٍ كفايه(٦)
يسْعِفن رِيًّا ، أو قِرًى كنساءِ طَيٍّ فى البدايه(٧)
إن لم يكنَّ ملائكَ الر حمٰن كُنَّ هُمُ حِكايه(٨)
لَبَيْنَ دعوتَكِ الكريـ ـمةَ ؛ واستبقن البرَّ غايه(٩)
المحسنون همُ اللبا بُ ، وسائرُ الناسِ النفايه(١٠)
يا أَيها الباغون ؛ ركا بَ الجهالة والعَمايه

---

(١) اللادى : لقب عام لزوجات لوردات الانكليز ، وهى هنا زوجة المعتمد البريطانى فى مصر أثناء الحرب الكبرى ، وذلك انها قامت بجمع المال اعانة للصليب الأحمر ؛ وتدعو الى ذلك .
(٢) أبليت ؛ من أبلى فى الحرب : اظهر باسه حتى اختبره الناس وامتحنوه .
(٣) السراية : مصدر سرى ، أى تسلل .
(٤) لادى لوثر : انكليزية أخرى . ولوثر : اسم زوجها . والجيرة : الجيران .
(٥) الحفاية : الحفاوة ؛ وهى ان تتلطف بالرجل وتبالغ فى اكرامه وتظهر السرور به ، (٦) ومحجبات : أى ورب نساء محجبات لسن سافرات مثلكن . والكفاية : ما يحمل به الاستغناء والقناعة .
(٧) الرى : (بكسر الراء وفتحها) : اى تشرب الماء حتى تشبع . والقرى : ما قرى به الضيف . وطى : قبيلة من العرب مشهورة بالكرم .
(٨) الملائك : جمع ملك ؛ بفتح اللام .
(٩) لبين : اجبن . واستبقن البر : جاوزنه (١٠) اللباب : المختار الخالص من الشيء . والنفاية (بضم النون وفتحها) : ما نفيته من الشيء لرداءته .

الباعثونَ الحربَ حُبّـــــاً للتوسُّع فى الولايه
إلمدَّعون على الورى حقَّ القيامةِ والوصايه
المثكِلون ، الموتِمو ن ، الهادِمون بلا نهايه(١)
كلُّ الجِراح لها التئا م من عزاءٍ أو نِسايه(٢)
إلاَّ جراح الحقِّ فى عصر الحصافة والدرايه(٣)
ستظلُّ داميةً إلى يوم الخصومة والشكايه

(انتهى)

(١) المثكلون ، من أثكلها ولدها : أماته . والموتمون : الذين يجعلون الابناء يتامى بقتل آبائهم فى الحرب
(٢) النسايه : النسيان .
(٣) الحصافة : استحكام العقل وجودة الرأى .

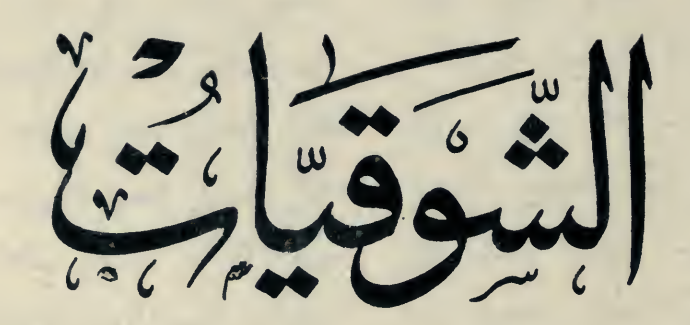


فهــرس
الجزء الأول من الشوقيات

صفحة

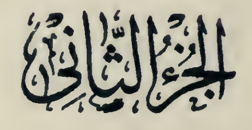
صفحة

صفحة



شعر المرحوم

احمد شوقي





باب الوصف

آيةُ الْعَصْرِ فى سَمَاءِ مِصْرَ

نظمت عند قدوم (فدرين) و(يونيه) طائرين من باريز إلى مصر سنة ١٩١٤ :

يافرنسا ، نِلْتِ أسبابَ السماءْ وتملَّكتِ مقاليدَ الجواءْ(١)
غَلبَ النَّسرُ على دولته وتنحَّى لك عن عرشِ الهواءْ
وأتتْكِ الريحُ تمشى أَمَةً لكِ ـ يابلقيسُ ـ من أوفى الإماءْ(٢)
رُوِّضتْ بعدَ جماحٍ ، وجرتْ طوعَ سُلطانيْنِ : علمٍ ، وذكاءْ
لكِ خَيْلٌ بجَناحٍ أشبهت خَيْلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياء
وبَريدٌ يسحبُ الذيلَ على بُرُد(٣) فى البرِّ والبَحْرِ بِطاءْ(٤)
تطلعُ الشمسُ ، فيَجْرى دُونها فوقَ عُنْقِ الرِّيحِ ، أومتْنِ العَمَاء(٥)
رِحلةُ المشرقِ والمغربِ ما لبثتْ غيرَ صَبَاحٍ وَمَسَاء
بُسلاءُ الإنسِ والجنِّ فِدًى لِفريقٍ من بَنيكِ البُسلاء
ضاقت الأَرضُ بهم ، فاتَّخَذُوا فى السَّمٰوات قبورَ الشهداء
فِتيةٌ يُمْسون جِيرانَ السُّها سُمَرَاءَ النجْمِ فى أوجِ العَلاءْ(٦)
حُوَّماً فوقَ جبالٍ لم تكن للرياحِ الهُوجِ يوماً بِوِطاء
لِسليمانَ بِساطٌ واحِدٌ ولهم ألفُ بساطٍ فى الفضاء
يركبُون الشُّهبَ والسُّحْبَ إلى رِفْعَةِ الذكرِ ، وعَلياءِ الثناء

---

١ ــ أسباب السماء : مراقيها ، أوطرقها ، أو نواحيها ، او أبوابها
٢ ــ الأمة : المملوكة ، وبلقيس : صاحبة نبى الله سليمان الذى سخرت له الريح ــ ٣ ــ برد : جمع بريد ــ ٤ ــ بطاء : جمع بطىء ــ ٥ ــ العماء : السحاب المرتفع ، أو الكثيف ، أو الممطر ، أو الرقيق ــ ٦ ــ السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

يا « نسورًا » هَبطوا « الوادى » على ... سالِف الحُبِّ ، ومَأْثورِ الوَلاء
دارُكم مصرُ ، وفيها قومُكم ... مرحباً بالأَقربينَ الكُرَماء
طِرتمُ فيها : فطارت فرحاً ... بأَعزِّ الضيفِ خيْرِ النزلاء(١)
هَل شجاكم فى ثرى أهرامِها ... ما أَرَقْتُمْ من دُموعٍ ودماء ؟
أين نَسرٌ قد تلقَّى قبلكم ... عِظَة الأَجيالِ منْ أعلى بِناء ؟(٢)
لو شهِدتم عصرَه ! أَضحى له ... عالمُ الأَفلاكِ معقودَ اللواء
جَرَحَ الأَهرامَ فى عِزَّتِها ... فمشى للقبر مجروحَ الإباء
أَخذَتْ تاجاً بتاجٍ ثأْرَها ... وَجزَتْ من صَلفٍ بالكبرياء(٣)
وتمنَّت لو حَوَت أَعْظُمَه ... بين أَبناءِ الشموسِ العُظماء

* * *

جلَّ شأْنُ الله هادى خَلْقِهِ ... بهُدَى العِلم ، ونورِ العلماء
زفَّ من آياته الكبرى لنا ... طِلْبةً طال بها عَهدُ الرجاء
مركبٌ لو سلف الدهرُ به ... كان إحدى مُعجزاتِ القدَماء
نصفُه طيرٌ ، ونصفٌ بشرٌ ! ... يالها إحدى أعاجيب القضاء !
رائعٌ ، مرتفعًا أَو واقعاً : ... أَنفُسَ الشجعانِ قبلَ الجبناء
مُسرَجٌ فى كلِّ حين ، مُلجَمٌ ... كامِلُ العُدَّة ، مَرموقُ الرُّواء(٤)
كبِساطِ الريحِ فى القدرة ، أو ... هُدْهُدِ السيرةِ فى صِدق البلاء
أَو كحُوتٍ يرتمى الموج به ... سابح بين ظُهور وخَفاء
راكب ما شاءَ من أطرافه ... لا يُرَى من مركب ذى عُدَوَاء(٥)

---

١ — الضيف : النزيل على غيره ويكون للواحد والجمع لأنه فى الأصل مصدر .
٢ — يريد به نابليون الأول — ٣ — الصلف : مجاوزة قدر الظرف .
٤ — الرواء : حسن المنظر — ٥ — مركب ذى عدواء : اى ليس بمطمئن .

ملأ الجوَّ فعالاً ، وغدا عَجَبَ الغربانِ فيه والحِداء
وترى السُّحْبَ به راعِدةً من حديدٍ جُمِّعت ، لامن رَواء(١)
حمل الفولاذَ ريشاً ، وجرى فى عنانيْن له : نارٍ ، وماء
وجَنَاحٍ غيرِ ذى قادِمةٍ كجَناح النحل مصقولٍ سَواء(٢)
وذُنابَى ، كلُّ زيحٍ منَّها مسَّهُ صاعقةٌ من كهرُباء
يتراءى كوكباً ذا ذَنَب فإذا جَدَّ فَسهماً ذا مَضاء
فإذا جاز الثريّا للثرى جرّ كالطاوُوس ذيلَ الخُيَلاء
يملأُ الآفاقَ صوتاً وصدًى كعزيف الجنّ فى الأَرض العَرَاء
أرسلته الأرضُ عنها خبراً طَنَّ فى آذانِ سكَّانِ السماء

* * *

ياشبابَ الغدِ ، وأبناى الفِدَى لكُمُ ، أكْرِمْ وأعزِز بالفِداء
هل يمدُّ اللهُ لِى العيشَ ، عسى أن أراكم فى الفريقِ السُّعَداء ؟
وأرى تاجَكُمُ فوق السُّها وأرى عرشَكُمُ فوق ذُكاء؟(٣)
مَن رآكم قال : مصرُ استرجعتْ عِزَّها فى عهد «خوفو» و «مِناء» ـ
أُمَّةٌ للخلد ما تبنى ، إذا ما بنى الناسُ جميعًا للعَفاء(٤)
تَعْصِمُ الأَجسامَ من عادى البلا وتَقِى الآثارَ من عادى الفناء
إن أسأْنا لكُمُ ، أو لم نُسِئْ نحن هَلْكَى ، فلكم طولُ البقاء
إنما مصرُ إليكمْ وبكمْ وحُقوقُ البرِّ أوْلى بالقضاء
عَصرُكم حرٌّ ، ومُستقبَلُكم فى يمين الله خيرِ الأمناء
لا تقولوا : حطّنا الدّهرُ ، فما هو إلّا من خيالِ الشعراء

---

١ ـ الرواء : الماء العذب ـ ٢ ـ القادمة : واحدة القوادم ، وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش ـ ٣ ـ ذكاء : اسم للشمس ـ ٤ ـ العفاء : الدروس والهلاك والفناء

هل علمتم أمةً فى جهلها ظهرتْ فى المجد حسناء الرِّداء ؟
باطِنُ الأُمةِ من ظاهِرِها إنما السائلُ مِن لونِ الإِناء
فخُذوا العلمَ على أعلامه واطلبوا الحكمةَ عندَ الحكماء
واقرءُوا تاريخكم ، واحتفظوا بفصيح جاءكمْ من فصحاء
أنزلَ اللهُ على أَلسُنهِم وَحْيَه فى أَعْصُر الوَحْيِ الوِضاء(١)
واحكموا الدنيا بسلطانٍ ، فما خُلِقتْ نَضْرَتُها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأَرض ، فإن هى ضاقت فاطلبوهُ فى السماء

شِيكِسْبِير

أَعْلى الممالكِ ماكرسيُّه الماءُ وما دِعامتُه بالحقّ شَمَّاءُ(٢)
ياجيرةَ (المَنشِ) ، حَلَّاكم أُبُوَّتُكم ما لم يُطَوِّقْ به الأَبناءُ آباءُ
مُلكٌ يطاول ملكَ الشمس ، عِزَّتُه فى الغرب باذخةٌ ، فى الشرق قَعْساءُ(٣)
تأْوى الحقيقةُ منه والحقوقُ إلى رُكن بَناهُ من الأَخلاق بَنَّاءُ
أعلاه بالنظرِ العالى ، ونطَّقه بحائط الرأْى أشياخٌ أَجِلَّاءُ
وحَاطَهُ بالقَنا فِتيانُ مملكةٍ فى السلم زَهرٌ رُبًى ، فى الروح أرزاءُ
يُسْتَصْرَخون ، ويُرجَى فضلُ نَجدتِهم كأَنهم عربٌ فى الدهر عَرباءُ(٤)
ودولةٌ لا يراها الظنُّ من سَعَة ولا وراءَ مداها فيه عَلْياءُ
عصماءُ ، لاسببُ الرحمنِ مُطَّرَح فيها ، ولا رَحِمُ الإنسانِ قَطْعاءُ

---

١ ــ الوضاء : المشرقة الحسنة ــ٢ ــ الدعامة أو الدعام : عماد البيت .
٣ ــ قعساء : اى ثابتة ــ ٤ ــ العرباء من العرب : الصرحاء الخاص

تلك (الجزائرُ) كانت تحتَهم رُكُنًا ... وراءَهُنَّ لباغى الصَّيدِ عَنْقاءُ(١)
وكان وُدُّهُم الصافى ونُصْرَتُهم ... للمسلمين وراعيهم كما شاءُوا

* * *

دستورُهم عجبُ الدنيا، وشاعرُهم ... يَدٌ على خلقهِ لله بيضاءُ
ماأنجبتْ مثلَ (شيكسبيرَ) حاضرةٌ ... ولا نَمتْ من كريم الطير غَنَّاءُ(٢)
نالتْ به وَحْدَه (إنكلترا) شرفاً ... مالم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاءُ(٣)
لم تُكْشَف النفسُ لولاهُ، ولابُلِيت ... لها سرائرُ لا تُحصَى وأَهْوَاءُ(٤)
شِعرٌ من النَّسَق الأَعلى، يُؤَيِّدُه ... من جانب الله إلهامٌ وإيحاءُ
من كلِّ بَيْتٍ كآيِ الله، تسْكنُه ... حَقيقةٌ من خَيَال الشِّعرِ غرَّاءُ(٥)
وكلِّ معنًى كعيسى فى محاسنه ... جاءتْ به من بناتِ الشعرِ عَذراءُ
أو قِصَّة ككتابِ الدهر جامعة ... كِلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاءُ
مهما تُمَثَّلْ تَرَ الدنيا مُمَثَّلةً ... أو تُتْلَ فهى من الإنجيل أجْزاءُ

* * *

ياصاحبَ العُصُرِ الخالى. ألا خَبَر ... عن عالَمِ الموتِ يَرْوِيه الأَلِبَّاءُ؟(٦)
أما الحياةُ؛ فأَمْر قد وصفتَ لنا ... فهل لِمَا بعدُ تمثيلٌ وإدناءُ؟(٧)
بمن أَماتك قل لى: كيف جُمجمةٌ ... غبزاءُ فى ظُلمات الأَرض جَوْفاءُ؟(٨)
كانتْ سماءَ بيانٍ غيْرَ مُقْلِعةٍ ... شُؤبُوبها عَسَلٌ صافٍ وَصهباءُ(٩)
فأَصبحت كأَصِيصٍ غير مُفتقَد ... جفَتْه ريحانة للشعر فَيْحاءُ(١٠)
وكيف بات لِسَانٌ لم يدع غرضاً ... ولم تَفتْه من الباغين عوْراءُ(١١)

---

١ ـ طائر معروف الاسم مجهول الجسم ـ ٢ ـ الروضة الكثيرة العشب ـ ٣ ـ الجوزاء برج فى السماء ـ ٤ ـ بليت امتحنت ـ ٥ ـ ناصعة
٦ ـ الألباء: العقلاء، جمع لبيب ـ ٧ ـ أدنى الشىء: قربه اليه.
٨ ـ جوفاء: فارغة ٩ ـ مقلعة: ذاهبة، والشؤبوب: الدفعة من المطر. ١٠ ـ الأصيص: نصف الجرة يزرع فيها الرياحين
١١ ـ العوراء: الكلمة او الفعلة القبيحة.

عفا ، فأمسَى زُنابَى عقربٍ بَلِيتْ ... وسُمُّها فى عروقِ الظلم مشّاءُ

وما الذى صنعتْ أيدى البلى بِيَد ... لها إلى الغيب بالأقلامِ إيمَاءُ ؟

فى كلِّ أُنمُلة منها إذا انبجَسَتْ ... بَرْقٌ ، ورَعْدٌ ، وأرواحٌ ، وأنواءُ(١)

أمستْ من الدودِ مثلَ الدودِ فى جَدَثٍ ... قُفّازُها فيه حَصباءٌ وبَوغاءُ(٢)

وأينَ تحت الثرى قلبٌ جَوَانبُه ... كأنهن لوادى الحقِّ أرْجَاءُ ؟

تُصْغى إلى دَقّه أذْنُ البيان ، كما ... إلى النواقيس للرُّهبانِ إصْغاءُ

لئن تمشّى البلى تحت التراب به ... لا يُؤْكَلُ الليثُ إلا وهْوَ أشلاءُ(٣)

* * *

والناسُ صِنْفَان : موتَى فى حَيَاتِهِمُ ... وآخرُون ببطنِ الأرضِ أحْيَاءُ

تأبَى المواهبُ ، فالأحياءُ بينهمُ ... لا يستَوُون ، ولا الأمواتُ أكفاءُ

ياواصِفَ الدّم يجرى هٰهنا وهُنا ... قُمِ انْظر الدمَ ، فهْو اليومَ دَأْمَاءُ(٤)

لامُوكَ فى جَعْلِكَ الإنسانَ ذِئبَ دَمٍ ... واليومَ تبدو لهم من ذاك أشياءُ

وقيل : أكثَرَ ذِكرَ القتل ، ثم أتوْا ... ما لم تَسَعْهُ خيالاتٌ وأنباءُ

كانوا الذئابَ ، وكان الجهلُ داءَهُمو ... واليومَ عِلمُهُمُ الراقى هو الداءُ

لؤمُ الحياة مَشَى فى الناس قاطبةً ... كما مَشَى آدمٌ فيهم وحَوّاءُ

قمْ أيِّدِ الحقَّ فى الدنيا ، أليس له ... كتيبةٌ منكَ تحت الأرضِ خرْسَاءُ؟

وأين صوتٌ تَمِيدُ الراسياتُ له ... كما تمايَدَ يومَ النار سَيناءُ؟(٥)

وأين ماضيةٌ فى الظلم ، قاضيةٌ ؟ ... وأين نافذةٌ فى البَغْى ، نَجْلاءُ؟

أيترُكُ الأرضَ جانوها وليس بها ... صحيفةٌ منك فى الجانين سوداءُ ؟

تأْوى إليها الأيامَى ، فهْىَ تعزيَةٌ ... ويَسْتريحُ اليتامَى ، فهْى تأْسَاءُ(٦)

---

١ ـ انبجست : اى انفجرت ـ ٢ ـ الحصباء : الحصى ، الواحدة حصبة ، والبوغاء : مايثور من الغبار ودقاق التراب . ـ ٣ ـ اشلاء واحدها شلو : العضو والجسد من كل شيء . ـ ٤ ـ الداماء : البحر .
٥ ـ يريد النار التى ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طورسينا ـ ٦ ـ ايامى : جمع ايم ، وهى المراة التى تفقد زوجها ، او الرجل الذى يفقد امراته ، وتاساء : تعزية وتسلية .

أَثَرُ الْبَالِ فى الْبَال

فى وصف ليلة راقصة اقيمت فى قصر عابدين

حَفَّ كأْسَها الحبَبُ فهى فِضة ذَهَبُ(١)
أو دوائرٌ دُرَرٌ مائجٌ بها لبَبُ(٢)
أَو فمُ الحبيبِ ، جلا عن جُمانِهِ الشَنَب(٣)
أَو يَدٌ ، وباطِنُها عاطِلٌ ومختضِب
أو شَقيقُ وجنتِه حينَ لى به لعِب(٤)
راحةُ النفوسِ ، وهَل عند رَاحةٍ تعَب
يانديمُ ، خِفَّ بها لا كبَا بكَ الطرب
لا تقلْ : عواقبُها فالعواقبُ الأَدب
تنجلِي ولى خُلُق ينجلى وينسكِب
يرقُب الرفاقُ له كلما سَرَى شرِبوا
شاعرُ العزيز ، وما بالقليل ذا اللقب
ليلةٌ لسيِّدِنا فى الزمان تُرتَقب
دونها الرشيدُ ، وما أَخلَدْت له الكتُب

---

١ ــ الحبب : الفقاقيع التى تعلوالخمر
٢ ــ اللبب : موضع القــلادة منالصدر .
٣ ــ جلا : أى كشف ، والجمان : اللؤلؤ . والشنب : عذوبة الاسنان .
٤ ــ الشقيق : واحد شـــقائقالنعمان ؛ وهى ازاهر حمراء فيها بقع سوداء .

يُهْرَعُ النزيلُ لها والرّعيَّةُ النُّخَبُ(١)
فالسرايُ جَوْهرةٌ للعُقول تَخْتَلِب
أو كبَاقة زهْرًا لِلعُيون تأْتشِب(٢)
الجَلالُ قبَّتُه والسَّنا لهُ طُنُب(٣)
ثابتٌ ، وذِرْوتُهُ فى الفضاءِ تضطرب
أَشرقَت نوافِذهُ فهْىَ مَنظرٌ عجَب
واسْتنارَ رفرَفهُ والسُّجوفُ والحُجُب(٤)
تعجَب العيونُ له كيف تَسكنُ الشُّهُب ؟(٥)
أَقبلتْ شموس ضُحًى ما لهن مُنتقَب(٦)
الظلامُ رَايتُها وهْىَ جَيْشُهُ اللَّجِب(٧)
فى هَوَادجٍ عَجَلًا بالجيادِ تنسَحِب
قامَ دُونها سَببٌ واستحثَّها سبب(٨)
فهْىَ تارةً مَهَلٌ وهْىَ تارةً خَبَب(٩)
تَرتمى بهنّ حِمًى لا يَجوزُه رَغب(١٠)
بابُه لِداخِلِهِ جَنَّةٌ ، هى الأَرَب

---

١ ـ النخب : جمع نخبــة وهى المختار من كل شىء .
٢ ـ ائتشب الشجر : التــف ، والزهرا : الزهراء .
٣ ـ السناهنا مقصور من السناء : بمعنى الرفعة . والطنب : الوتد ، أو الحبل الذى يشد به سرداق البيت ـ ٤ ـ الرفرف : الرقيــق من ثياب الديباج . والسجوف : الستور جمع سجاف . ـ ٥ ـ يشبه مصــابيح القصر بشهب ثابتة . ـ ٦ ـ المنتقب : النقاب . ـ ٧ ـ الجيش اللجب : ذو الكثرة والضجيج ـ ٨ ـ السبب : الحبل ، ويشير به أولا الى زمام الدابة ، وثانيا الى سوط السائق . ـ٩ ـ الخبب : سرعة عدو الجيــاد .
١٠ ـ ترتمى : بمعـــنى تـرمى ، والرغب : الابتهال ، والمعنى انها تذهب بهن الى ملجأ هو وحده غاية الراجى وكعبة الضارع .

قامتِ السّراةُ به والمعِيَّةُ النجُبُ(١)
وانبرَى النساءُ له عُجْمُهُنّ ، والعرَبُ
العفافُ زينتُها والجمالُ ، والحسَب
أنْجُمٌ ، مَطالِعُهَا عابدينُ والرَّحَب(٢)
سيِّدى لها فلَكٌ وهْيَ منه تقترب
عنْد رُكن حُجْرَتِه بَدْرُه لنا كَثَب(٣)
يزدهى السَّريرُ به والمطارِفُ القُشُب(٤)
حَوْلَ عَرْشِه عَجَمٌ حوْل عرشِه عَرَب
رُتبةُ الجُدُودِ له تستوى بها الرُّتَب
شُرِّفْت به وسَما تالِدٌ ، ومُكْتَسَب(٥)
الليوثُ ماثِلةٌ والظباءُ تنسَرِب
الحريرُ ملبَسُها واللُّجَيْنُ ، والذهب(٦)
والقصورُ مَسْرَحُها لا الرِّمالُ ، والعُشُب
يستفزُّها نَغَمٌ لا صدًى ، ولا لجَب(٧)
يُستعادُ مُرْقِصُه تارةً ويُقْتَضَب
فالقدودُ بانُ رُبًى بَيْدَ أنها تثِب(٨)
يلعبُ العِناقُ بها وهْوَ مُشْفِقٌ حَدِب(٩)

١ — السراة : جمع سرى ، وهوالسيد الشريف فى سخاء ومروءة . والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب . — ٢ — الرحب : جمع رحبة ، وهى الأرض المتسعة . — ٣— الكثب : القريب . — ٤ — المطارف: اردية من خز . والقشب : الجدد . — ٥ — التالد : القديم .
٦ — اللجين : الفضة . — ٧ — اللجب : الضجيج .
٨ — البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله
٩ — الحدب : العطوف .

فهىَ مَرَّةً صُعُدٌ وهىَ مرةً صَبَب(١)
وهىَ ههنا ، وهُنا تَلتقى ، وتَصْطحِب
مِثلما التقتْ أَسَلٌ أوْ تعانقتْ قُضُب(٢)
الرءوس مائلةٌ فى الصدور تحتجِب
والنُّحوزُ قائِمةٌ قاعدٌ بها الوَصَب(٣)
والنُّهودُ هامِدةٌ والخدودُ تلتهب
والخصورُ واهيةٌ بالبنان تَنْجَذِب
سالتِ الأَكفُّ بها فهىَ أَغْصُنٌ نُهب(٤)
الخوانُ دائِرةٌ المَلَا لها قُطُب(٥)
للوفودِ مائدةٌ منه أينما انقلَبوا
والطريقُ مُتَّصلٌ نحوَه : ومُنشعِب
والطعامُ حاضِرهُ والمزيدُ مُنْتَهَب
باردٌ ؛ ومِن عَجَبٍ يُشتهَى ؛ ويُطَّلب
سائغٌ لِذِى سَغَبٍ سائغٌ ولا سَغَب(٦)
حاضرٌ لدَى طَلب حاضرٌ ولا طلب
والمُدامُ أكؤُسُها ما تغيضُ والعُلَب(٧)

---

١ ـ الصعد : جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع . والصبب : المنحدر .
٢ ـ الأسل : الرماح . والقضب : السيوف . ـ ٣ ـ الوصب : التعب.
٤ ـ النهب : جمع نهبة ، وهى المنهوب .
٥ ـ الخوان ـ بكسر الخاء وضمها ـ : ما يوضع عليه الطعام . والقطب . بتسكين الطاء ويخفف : سيد القوم . ـ ٦ ـ السغب : الجوع .
٧ ـ العلب : نوع من الأقداح الضخمة .

وهْيَ بيننا سَلَبٌ   والنُّهَى لها سَلَب(١)

شَرُفتْ منافِحُها   واعتلى بها العِنب

حَوْلَها الحوائمُ : ما   ينقضى لها قَرَب(٢)

يغتبِطْنَ فى حَرَم   لا تناله الرِّيَب

ما سِوى الحديث به   يُبتغى ويُجتذَب

هكذا الكرامُ : كرا   مٌ «وإن همو طَربوا»

ليلةٌ علَتْ : وغلَتْ   ليتَ فجْرَها كَذِب

يكفلُ الأَميرُ لنا   أن تعِيدَها الحِقب(٣)

عاش للندَى مَلكٌ   سيِّدٌ لنا : وأَبُ

حاتمُ الملوكِ إذا   ضاق بالنَّدَى النَّشَب(٤)

السرورُ أنعُمُه   والهناءُ ما يَهب

والنَّدَى سجيَّتُه   والحنانُ ، والحَدَب(٥)

يا عزيزُ : دام لنا   رَوْضُ عِزِّك الأَشِب(٦)

هذه عروسُ نُهًى   فى القبول تَرتغِب(٧)

زفَّها لكم : وجَلا   شاعرُ الحِمَى الأَرِب

احتفى الحضورُ بها   واكتفى بها الغَيَب(٨)

أَنتم الظلالُ لنا   والمنازلُ الخُصُب

لو مَدَحْتكم زَمَنِى   لم أقم بما يَجب

---

١ ــ السلب : مايسلب وينهب .

٢ ــ الحوائم : العطاش . والقرب : سير الليل لورد الغد .

٣ ــ الحقب : جمع حقبة وهى هنا بمعنى السنة . ــ ٤ ــ الندى : الكرم ، والنشب : العقار أو المال

٥ ــ الحدب : العطف والاشفاق .

٦ ــ الروض الأشب : الملتف .

٧ ــ ارتغب فى الأمر : رغب فيه .

٨ ــ الغيب : جمع غائب .

مَرْقَصْ

نظمت هذه القصيدة فى وصف مرقص اقيم بسراى عابدين سنة ١٩٠٤

مالَ واحتجبْ وادَّعَى الغضبْ
ليت هاجرى يشرحُ السبب
عَتْبُه رضًى ليته عتب
علَّ بيننا واشياً كذب
أو مفنِّدًا يخلُقُ الرِّيَب(١)
مَن لِمُدْنَفٍ دمعُه سُحُب ؟(٢)
بات متعَباً همُّهُ اللَّعِب
يستوى خَلٍ عندَه وَصَب
ذقتُ صدَّه غيرَ محتسِب
ضقتُ فيه بالرُّسْل والكتب
كلما مَشى أخجل القُضُب
بيْن عَينه والمها نسب
ماءُ خدِّه شِعْفً عن لَهب
ساقِىَ الطِّلا شُرْبُها وجب(٣)
هاتِها مَشَتْ فوقها الحِقب(٤)
بابِليَّــــــــــــــــةً تنمْتُ الحبَب(٥)
إن كَرْمَها آدمُ العِنَب

١ — مفند : مكذب
٢ — المدنف : الذى أثقله المرض .
٣ — الطلاء : الخمر .
٤ — الحقب : جمع حقبة ، وهى السنة .
٥ — الحبب : الفقاقيع التى تعلو الماء والخمر .

هُذِّبَتْ فى دَنِّها الأَدب
اِسْقِها فتًى خيرَ مَن شرِب
كلما طغَى راضَها الحسب
(عابدينُ) أَمْ هالةٌ عجب ؟(١)
أُسُّهُ الهدَى والعُلا طُنُب(٢)
مُشرِفُ الذرى مائجُ الرَّحَب
قام ربُّه يرفع الحجُب
عند عرشِه عَرشِ (مِنْحُتب)
دون عِزِّه (تُبَّعُ) الغَلب
السُّراةُ من وفده النُّخَب
حول سُدَّةٍ حَقُّها الرَّغَب
طابَ عِندَها الـ عُجْمُ والعرَب
وارتضى المَلا من بنى الصُّلُب
مِن حِسانِهم سِربُ انسرَب
بين كوكبٍ يَسحَب الذَّنب
عند جُؤْذَرٍ فاتنِ الشنب(٣)
عند شادنٍ حاسِر اللَّبَب(٤)
تَذهبُ النُّهَى أَينما ذهب
يَلْفِتُ الملا كلما وثب

---

١ ــ الهالة : دارة القمر . ٢ ــ الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت او الوتد . ٣ ــ الشنب : ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان . ٤ ــ الشادن : ولد الظبية . واللبب : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر .

فى غلائلٍ سُندسٍ قُشُب(١)
دونهنَّ لا يثبت اليَلَب(٢)
قرَّ نَهْدُه عِطْفُه اضطرب
خصرُه هبا صدره صبَب
يُرْكِضُ النُّهَى مَشْيُهُ الخَبَب
رائعاً كما شاءَ فى الكتب
آنساً إلى شِبهِهِ انجذب
يستخِفُّــــه أينما انقلب
مُطربٌ من الَّـ لَحْنِ مُنتَخَب
يَجمَعُ المَلا يُحضِر الغَيَب
ما حدا المها قبلَه طرِب

* * *

يا ابنَ خير أَب يا أبا النُجُب
أنت (حاتمٌ) للقِرَى انتدب
فى خِوانِه كُلُّ ما يجب
لم تقمْ على مِثلِه القُبَب
أنهلَ البرايا وما نضب
أطعم الورى لم يقل جدب
ما بهمْ صدًى ما بهم سغب(٣)

---

١ — قشب : جمع قشيب وهو الجديد ، والقشيب ايضا : الابيض والنظيف .

٢ — اليلب : الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرؤوس ، واليلب : الفولاذ ، واليلب : خالص الحديد .

٣ — السغب : الجوع : وقيل لا يكون الا مع تعب .

قمْ أبا (نوا سِ) انظر النّشب(١)
ما الخصيبُ؟ ما الْ بحرُ ذو العُبُب ؟
هل عهدتَه يُمطِرُ الذهب ؟
ذا هو الجنا بُ الذى خصب
ظلَّلَ الورى روضُه الأشِب(٢)
خيرُ من دعا خيرُ من أدَب(٣)

* * *

(رَبَّ مصر)، عِشْ وابْلُغِ الأرب
لم تزل ليا ليك تُرتَقب
مثلَ صفوِها الـدّهرُ ما وهب
أحبِها لنا عِدّةَ الشُّهب
هاكَ مِدْحة الشـاعر الأرِب(٤)
زفَّها إلى خيرِ منْ خَطب
فارسِـيّةً بزّتِ العَرَب
لم يجِئْ بها شاعرٌ ذهب
إن تُراعِها تسمَعِ العَجَب(٥)
بيدَ أنها بعضُ ما وجَب

---

١ ـ النشب : المال والعقار ٢ ـ الأشب : الملتف . ٣ ـ أدب : أقام المأدبة . ٤ ـ الأرب : الماهر البصير ٥ ـ تراعها : تصغ اليها .

تَحْلِيَةُ كِتَاب

قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عونى

صفة الكتاب – صفة التاريخ – صفة الجبرتى – واقعة الأهرام

أنا من بدَّل بالكتْبِ الصِّحابَا ... لم أَجِد لى وافيًا إلا الكِتابا

صاحبٌ – إن عِبتَه أو لمْ تعِبْ – ... ليسَ بالواجد للصاحبِ عابا

كلّما أخلقتُه جَدَّدَنى ... وكسانى من حلى الفضل ثيابا

صُحبةٌ لم أَشْكُ منها رِيبةً ... ووِدادٌ لم يُكلِّفنى عتَابا

رُبَّ ليلٍ لم نُقصِّر فيه عن ... سَمَرٍ طالَ على الصمت وطابا

كانَ من همٍّ نهارى راحتى ... وندامایَ ، ونَقْلى ، والشرابا(١)

إن يَجِدْنى يتحدَّثْ ، أَو يَجِدْ ... مَللاً يَطوى الأَحاديثَ اقتضابا

تجدُ الكُتْبَ على النقدِ كما ... تجدُ الإخوانَ صِدقاً وكِذَابا

فتَخَيَّرْها كما تختاره ... وادّخِر فى الصَّحْبِ والكُتْبِ اللُّبابا

صالحُ الإخوانِ يبغيكَ التُّقى ... ورشيدُ الكتْب يَبغيك الصوابا

* * *

غالِ بالتاريخ ، واجعل صُحْفَهُ ... مِن كتابِ الله فى الإجلال قابا

قلِّب الإنجيلَ ، وانظر فى الهدَى ... تَلقَ للتاريخ وزنًا ، وحِسابا

رُبَّ مَن سافر فى أسفاره ... بليالى الدهرِ والأَيامِ آبا

واطلب الخلْدَ ، ورُمْهُ مَنزلًا ... تجد الخُلدَ مِن التاريخ بابا

عاشَ خَلْقٌ ، ومَضوْا ، ما نَقَصوا ... رُقعَةَ الأَرضِ ، ولا زادوا التُّرابا

---

(١) النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما.

أخذَ التاريخُ مما تركوا عملًا أحسنَ ، أو قولًا أصابا
ومن الإحسانِ ، أو من ضِدِّهِ نجَح الراغبُ فى الذكر ، وخابا
مَثَلُ القَوْمِ نَسُوا تاريخَهُم كلقيطٍ عَيَّ فى الناس انتسابا
أو كمغلوبٍ على ذاكِرة يشتكى من صِلةِ الماضى انقضابا(١)

* * *

يا أبا «الحُفَّاظِ» ، قد بلَّغتنا طِلْبةً ، بَلَّغك اللهُ الرِّغابا
لكَ فى الفتح وفى أحداثِهِ فَتحَ اللهُ حديثًا وخِطابا
مَن يُطالعْه ، ويسْتأْنِس به يجِد الجِدَّ ، ولا يَعدَم دِعابا
صُحُفٌ ألَّفتَهَا فى شِدَّةٍ يتلاشى دونها الفكرُ انتهابا
لغة «الكامل» فى استرساله «وابنِ خَلْدُون» إذا صحَّ وصابا
إنَّ للفصحَى زِماماً ويَدًا تَجنِب السهلَ ، وتقتادُ الصِّعابا(٢)
لغةُ الذكرِ ، لسانُ المُجْتبى كيف تعْيا بالمُنادين جوابا ؟
كلُّ عَصْرٍ دارُها إن صادفت منزلاً رحْبًا . وأهلاً ، وجَنابا(٣)
إئتِ بالعُمرانِ رَوْضًا يانعًا وادْعُها تجرِ يَنابيعَ عِذابا
لا تجِئها بالمتاع المُقْتَنى سَرَقاً من كلِّ قومٍ ونِهابا
سَل بها أندَلُسًا : هل قَصَّرت دون مضمارِ العُلى حين أهابا ؟
غُرِسَتْ فى كلِّ تُرْبٍ أعْجَمٍ فزَكتْ أصلاً . كما طابت نِصابا
ومَشتْ مِشْيتَها . لم ترتكِب غيرَ رِجْلَيْهَا : ولم تحجل غُرابا(٤)

* * *

إنَّ عَصرًا قمتَ تجلوه لنا لبِس الأيامَ دَجْنا وضَبابا(٥)

---

(١) انقضابا : انقطاعا ٠ ٢ – تجنب : تنحى ٠ ٣ – الجناب : الفناء (٤) لم تحجل غرابا : كناية عن انها لم تقلد كما قلد الغراب الطاوس
(٥) الدجن : الباس الغيم الأرض ٠

المماليك تَمشّى ظلْمُهم ظُلماتٍ ، كدُجى الليل حِجاباً
كلُّهم كافورُ ، أو عبدُ الخَنَا غيرَ أنَّ المتنبي عنه خابا ؟(١)
ولكلٍّ شِيعةٌ من جنسِه إن للشرّ إلى الشرّ انجذابا
ظلماتٌ لا ترى فى جُنْحِها غيرَ هذا الأزهرِ السمْحِ شِهابا(٢)
زيدتِ الأخلاق فيه حائطاً فاحتمى فيها رِواقاً وقبابا
وترى الأعزَالَ من أشياخِه صَيَّروه بسلاح الحقّ غابا(٣)
قسَماً لولاه لم يبقَ بها رَجُلٌ يقرأُ أو يَدرى الكتابا
حَفِظَ الدينَ مَلِيًّا ، ومضى يُنقِذُ الدنيا ، فلم يَملِك ذَهابا(٤)
أوذِيَتْ هَيْبَتُه مِن عَجزه وقُصَارَى عاجزٍ أن لا يُهابا
لم تغادر قلماً فى راحة دَوْلَةٌ ما عَرَفَتْ إلا الحِرابا
أَقعدَ الله (الجبرتىَّ) لها قلماً عن غائب الأقلام نابا(٥)
خَبأً (الشيخُ) لها فى رُدْنِه مِرقماً أدهى من الصِّلِّ انسيابا(٦)
مَلكٌ لم يُغْضِ عن سَيِّئةٍ ياله من مَلَكٍ يَهْوَى السِّبابا (٧)
لا يراه الظُّلمُ فى كاهِلِه وهو يكوى كاهلَ الظلم عِقابا
صُحُفُ (الشيخِ) ، ويَوْمِيَّاتُه كزمان الشيخ سُقماً واضطرابا
من حواشٍ كجَليدٍ لم يذبْ وفصولٍ تشبه التِّبرَ المُذابا
و (الجبرتىُّ) على فِطنَتِه مَرّةً يَغْبَى ، وحيناً يتغابى(٨)

---

(١) كافور : هو كافور الاخشيدى ممدوح المتنبى . وعبد الخنا اى كافور .
(٢) الأزهر : يعنى به معهد الأزهر . — ٣ — الأعزال : الذين لاسلاح لهم .
(٤) لم يملك ذهابا : اى لم يستطع . — ٥ — الجبرتى : المؤرخ المعروف . ٦ — الشيخ يعنى به الجبرتى . والردن : أصل الكم . وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير . والمرقم : القلم . والصل : الثعبان .
(٧) السباب : السب . ٨ — يتغابى : يتغافل .

مُنصفٌ مالم يَرُضْ عاطفةً أو يُعالج لهوى النفسِ غلابا(١)
وإذا الحىُّ تولّى بالهوى سيرةَ الحىُّ بَغَى فيها وحابَى

* * *

وقعَةُ الأهرامِ جلَّتْ مَوْقِعًا وتعالت فى المغازى أن ترابا(٢)
عِظةُ الماضى ، ومُلقَى دَرْسِه لعقولٍ تجعلُ الماضى مَثابا(٣)
من بناتِ الدهرِ ، إلا أنها تَنشُر الدهر وتطويهِ كَعَابا(٤)
ومن الأيامِ ما يَبقى وإن أمْعَن الأبطالُ فى الدهر احتجابا
هى من أىِّ سبيلٍ جِئْتَها غايةٌ فى المجدِ لا تدنو طِلابا
انظُر الشرقَ تَجدها صَرَّفتْ دولةَ الشرقِ استواءً وانقلابا
جلبتْ خيرًا وشرًّا ، وسَقتْ أُممًا فى مهدِهم شُهدًا وصابا(٥)
فى (نصيبينَ) لبسْنَا حُسنَها وعلى التَلِّ لبسناها مَعابا(٦)
إن سِرباً زَحفَ (النَّسرُ) به قطعَ الأَرضَ بِطاحاً وهِضابا(٧)
إن ترامتْ بلدًا عِقبانُه خَطفتْ تاجاً ، واصطادت عُقابا(٨)
شَهِد (الجيزىُّ) منهم عُصْبةً لبسوا الغارَ على الغار اعتصابا(٩)
كذئابِ القفرِ من طول الوغى واختلاف النَقع لوناً وإهابا(١٠)
قادَهم للفتح فى الأَرض فتًى لو تأنَّى حظَّه قادَ السحابا
غَرَّت الناسَ به نكبتُه جَمَعَ الجُرحُ على الليثِ الذبابا

---

(١) غلابا : اى مغالبة ٢ — المغازى : وقائع الحروب والمعانى . ترابا ، اى يشك فى قيمتها بالنظر لعظيم اثرها فى مستقبل الشرق .
(٣) مثابا : اى مرجعا .
(٤) بنات الدهر : اى شدائده . وكعاب : اى وهى صبية لم تكبر .
(٥) الصاب عصارة شجر مر — ٦ — نصيبين اكبر الوقائع واشهرها بين ابراهيم بن محمد على وبين الأتراك . التل: واقعة التل الكبير المشهورة التى جرت على مصر الاحتلال الانجليزى . ٧ — النسر: يعنى به نابليون.
(٨) عقبان : واحدها عقاب وهو طائر من الجوارح . ٩ — الجيزى: يعنى به هرم الجيزة . واعتصب: تتوج . ١٠ — النقع : الغبـــار : والاهاب : الجلد .

بَرَزت بالمنظرِ الضاحى لهم   فيلق كالزهر حُسْنًا والتهابا ؟(١)
حُلَىَ الفُرسانُ فيها جوهرًا   وجِلالُ الخيلِ دُرًّا وذَهابا(٢)
فى سلاح كحُلِىّ الغِيد ، ما   لمسَت طَعْنًا ، ولا مَسَّتْ ضِرابا
طرِحَت مصرٌ ، فكانت (مُومِيًا)   بين لِصَّيْن أراداها جُذابا
نالها الأعرضُ ظفرًا منهما   من ذئاب الحربِ ، والأطولُ نابا
وبنو الوادى رِجالاتُ الحِمَى   وقفوا من ساقة الجيش ذُنابى
موقفَ العاجز من حلفِ الوغى   يَحرُسُ الأحمالَ ، أو يسقى مُصابا

الرَّبِيعُ وَوادِى النِّيلِ

الى (هول كين) الكاتب الروائى الشهير

آذارُ أقبلَ ؛ قُمْ بنا يا صاحِ   حىِّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ
واجمعْ نَدامى الظَّرفِ تحت لوائه   وانشرْ بساحتِه بساطَ الرَّاح
صفوٌ أُتيحَ ، فخذْ لنفسِكِ قِسطَها   فالصفوُ ليس على المدَى بمُتاح
واجلس بضاحكة الرياضِ مُصَفِّقًا   لتجاوُبِ الأوتارِ والأقداحِ
واستأنِسَنّ من السُّقاةِ برُفقَةٍ   غُرٌّ ، كأمثال النجوم ، صِباح
رقَّتْ كنُدمان الملوك خلالُهُم   وتجمَّلوا بمروءةٍ وسَماح
واجعل صَبوحَك فى البكور سَليلةً   للمنجِبَيْنِ : الكرْمِ والتفاح(٣)
مهما فضضتَ دِنانَها فاستضحكت   مُلِئَ المكانُ سَنًى ، وطيبَ نُقاح
تطغَى ، فإن ذكرتْ كريمَ أصولها   خلعت على النشوان حِلْيَةَ صاحى

---

(١) الضاحى : البارز . والزهر : يعنى بها النجوم   ٢ — الجلال : واحدها جل وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به   ٣ — الصبوح : ما أصبح عند القوم من الشراب فشربوه .

(فرعونُ) خبَّأها ليوم ٍ فُتوحه ... وأعدّ منها قُرْبَةً (لفتاح)(١)

ما بين شادٍ فى المجالس أَيْكُهُ ... ومُحجَّباتِ الأَيْكِ فى الأَدواح(٢)

غَرِدٌ على أَوتارِه ، يُوحى إلى ... غَرِدٍ على أَغصانه ، صَدّاح

بِيضُ القلانِسِ فى سواد جَلابِبٍ ... حُلِّينَ بالأَطواق والأَوضاح

رَتَّلْنَ فى أوراقهن مَلاحِنًا ... كالراهباتِ صبيحةَ الإِفصاح

يخطرن بين أرائكٍ ومنابرٍ ... فى هيكل من سُندس فيَّاح

* * *

مَلِكُ النبات ، فكلُّ أرضٍ دارُه ... تلقاه بالأَعراس والأَفراح

منشورَةٌ أعلامُه من أحمرٍ ... قانٍ ، وأبيضَ فى الرُّبَى لمَّاح

لبِستْ لمَقْدَمه الخمائلُ وَشْيَها ... ومَرَحْنَ فى كنَف له وجناح

يغشى المنازلَ منْ لواحظ نرجس ... آناً ، وآناً من ثغور أقاح(٣)

ورءوس «منثورٍ» خَفَضْنَ لعزه ... تيجانَهنَّ عواطرَ الأَرواح

الوردُ فى سُرُر الغصونِ مُفتَّح ... متقابل يُثنى على الفَتَّاح

ضاحِى المواكب فى الرياض ، مُمَيَّزٌ ... دون الزهور بشَوْكةٍ وسلاح

مرَّ النسيمُ بصفحتيه مُقبِّلاً ... مرَّ الشِفَاه على خدود ملاح

هتكَ الردى من حسنِه وبهائه ... بالليل ما نسجتْ يدُ الإِصباح

ينبيك مصرعُه — وكلٌّ زائلٌ — ... أن الحياة كغُدوة ورَواح

ويقائقُ النَّسْرينِ فى أغصانها ... كالدُرِّ رُكِّب فى صدور رماح(٤)

و «الياسَمينُ» ؛ لَطِيفُه ونَقِيُّه ... كسريرة المتنزِّه المِسماح

---

(١) أحد آلهة قدماء المصريين ٢ — الأيك : الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر .
(٣) أقاح : واحدها اقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صفيرة صفراء ٤ — يقائق : جمع يقق ، وابيض يقق أى شديد البياض ناصعه . والنسرين : ورد ابيض عطرى قوى الرائحة .

مُتألِّقٌ خَلَل الغصون ، كأنّه ... فى بُلجَة الأفنانِ ضوءُ صباح(١)

و « الجُلَّنَارُ » دمٌ على أوراقِه ... قانى الحروفِ ، كخاتَم السفاح

وكأن مخزونَ « البنفسَجِ » ثاكلٌ ... يَلْقَى القضاء بخشية وصلاح

وعلى « الخواطرِ » رِقَّةٌ وكآبةٌ ... كخواطر الشُّعراء فى الأَتراح(٢)

والسَّرْوُ فى الحِبَرِ السوابغ كاشفٌ ... عن ساقِه كمليحة مِفْراح(٣)

و « النخلُ » ممشوقُ العُذُوقِ ، مُعصَّبٌ ... متزينٌ بمناطق ووِشاح

كبناتِ فرعونٍ شهدنَ مواكبًا ... تحتَ (المراوح) فى نهارٍ ضاح

وترى الفضاء كخائط. من مَرْمَرٍ ... نُضِدَتْ عليه بدائعُ الألواح

الغَيْمُ فيه كالنَّعام : بَدِينةٌ ... بركتْ ، وأُخرى حَلَّقتْ بجَناح

والشمسُ أبهى من عروسٍ بُرقعتْ ... يوم الزِّفاف بعسجَد وضَّاح

والماءُ بالوادى يُخالُ مَساربا ... من زئبق ، أو مُلقَياتِ صِفاحِ(٤)

بعثتْ له شمسُ النهار أَشعَّةً ... كانت حُلِىَ (النيْلُوفَرِ) السباح

يزهو على ورقِ الغصون نثيرُها ... زَهْوَ الجواهِرِ فى بطون الرّاح

وجرت سواقٍ كالنّوَاداب بالقُرى ... رُغْنَ الشجىَّ بأنَّةٍ ونُوَاح

الشاكياتُ وما عَرَفْنَ صبابةً ... الباكياتُ بمَدْمَع سحَّاح

من كلِّ باديةِ الضلوع غليلةٍ ... والماءُ فى أحشائها ، مِلواح(٥)

تبكى إذا رَتَبَتْ ، وتَضحكُ إن هَفَتْ ... كالعِيس بين تَنَشُّط. ورَزاح(٦)

هى فى السلاسل والغلول ؛ وجارُها ... أعمى ، ينوءُ بنِيرِه الفدّاح

* * *

(١) البلجة : آخر الليل عند انصداع الفجر ٢ ــ الخطر : نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به ٣ ــ الحبر : جمع حبرة بالتحريك ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر ٤ ــ صفاح : واحده صفح وهو عرض السيف ٥ ــ الملواح : السريع العطش .

(٦) رزحت الناقة رزوحا ورزحا : القت نفسها اعياء وهزالا .

إنى لأذكرُ بالربيع وحسنهِ عهدَ الشباب وطِرفِه المِمراحِ(١)
هل كان إلّا زهرةً كزهورِه عجلَ الفناءُ لها بغير جُناحِ؟

* * *

(هول كِين)، مصرُ رواية لاننتهى منها يدُ الكُتّاب والشُّرّاح
فيها من البَرْدِىّ، والمُزْمور، والـ توراةِ، والفرقان، والإصحاح(٢)
(ومِنَا)، (وقمبيزٌ)، إلى (إسكندرٍ) فالقيصَرين، فذِى الجلال (صلاح)
تلك الخلائقُ والدهورُ خزانةٌ فابعثْ خيالَكَ يأْتِ بالمفتاح
أفقُ البلاد — وأنت بين رُبوعها — بالنجم مزدانٌ وبالمصباح

مَسْجدُ أَيَا صُوفْيَا

كنيسةٌ صارت إلى مسجِد هديَّةُ السيِّدِ للسيِّد
كانت لعيسَى حرماً، فانتهت بنُصرة الرُّوح إلى أحمد
شيَّدَها الرومُ وأقيالُهُم على مثالِ الهرَمِ المُخْلَد(٣)
تنبئُ عن عزٍّ، وعن صَولةٍ وعن هوًى للدين لم يخمُد
مَجَامِرُ الياقوتِ فى صَحْنها تملؤهُ من نَدِّها المُوقَد(٤)
ومثل ما قد أودِعَتْ من حُلِىً لم تتَّخذْ دارًا ولم تُحشَد
كانت بها العذراءُ من فضّةٍ وكان روحُ الله من عسجد
عيسى من الأُمِّ لدى هالةٍ والأُمُّ من عِيسَى لدَى فَرْقد
جَلَّاهُما فيها، وحلّاهُما مصوِّرُ الروم القديرُ اليد
وأودعَ الجدرانَ من نقشه بدائعاً من فنِّه المفردَ

---

(١) الطرف: هو الكريم من الخيل ٢ — المزمور: واحد المزامير وهى الأناشيد والأدعية التى كان يترنم بها داود عليه السلام.
(٣) أقيالهم ملوكهم.
(٤) مجامر الياقوت: جمع مجمرة وهو أسم ما يجعل فيه الجمر.

فمن ملاكٍ فى الدُّجَى رائحٍ ... عند ملاكٍ فى الضُّحى مغتدى

ومن نبات عاش كالبَبَّغا ... وهْوَ على الحائط. غَضّ نَدِى

فقلْ لمن شادَ ، فهَدَّ القُوَى ... قوَى الأَجيرِ ، المُتْعَبِ ، المُجهَد

كأَنه فرعونُ لما بنى ... لربّه بيتًا . فلم يَقصِد :(١)

أيُعبدُ اللهُ بسوْمٍ الوَرَى ... ما لا يُسام العَيْرُ فى المِقْود؟(٢)

كنيسةٌ كالفَدَن المعتلِى ... ومسجِدٌ كالقصر من أَصْيدِ(٣)

واللهُ عن هذا وذا فى غنًى ... لو يعقِلُ الإنسان أو يهتدى

قد جاءها (الفاتحُ) فى عُصْبةٍ ... من الأُسُود الرُّكَّع ، السُجَّد

رمى بِهم بنيانَها ، مثلَما ... يصطدِمُ الجلْمَد بالجلْمَد(٤)

فكبَّروا فيها ، وصلَّى العِدا ... واختلط. المشهد بالمشهد

وما توانى الرومُ يَفْدُونَها ... والسيف فى المفْدِىِّ والمفتدِى

فخانها من قيصرٍ سعدُه ... وأيِّدتْ بالقيصرِ الأَسعد

بفاتحٍ . غازٍ . عفيفِ القَنا ... لا يحملُ الحقدَ ، ولا يعتدى

أجارِ من ألقى مقاليدَه ... منهم . وأصفى الأَمنَ للمرتدى

وناب عمّا كان من زُخرفٍ ... جلالةُ المعبود فى المعبَد

فيا لثأْرٍ بيننا بعده ... أقام ، لم يقرُبْ . ولم يبعُد

باقٍ كثأْر (القدس) من قبله ... لا ننتهى منه . ولا يبتدى

فلا يغرّنْك سكونُ الملا ... فالشرُّ حولَ الصَّارمِ المُغْمَد

لن يتركَ الرومُ عباداتِهم ... أو ينزلَ التركُ عن السُّؤدَد

هذا لهم بيت على بيتِهم ... ما أشبهَ المسجد بالمسجد

---

(١) لم يقصد : لم يعدل   ٢ — المعود : ما يقاد به من حبل او غيره .

(٣) الفدن : القصر المشيد   ٤ — الجلمد : الصخر .

فإنْ يُعادوا فى مفاتيحِه فيا ليومٍ للورَى أسود
يَشيب فيه الطفلُ فى مهدِه ويُزعَج الميْتُ من المرقد
فكنْ لنا اللهمَّ فى أمسنا وكن لنا اليومَ ، وكنْ فى غد
لولا ضَلالٌ سابقٌ لم يقمْ من أجلكَ الخلقُ ولم يَقْعُد
فكلُّ شرٍّ بينهم أو أذى أنت بَراءٌ منه طُهْرُ اليد

غَابُ بُولونيَا(١)

يا غابَ بولون ، ولِى ذِمَمٌ عليك ، ولى عُهودْ
زمنٌ تقضَّى لِلهوَى ولنا بِظلّكَ ، هل يعود ؟
حُلُمٌ أُريدُ رجوعَه ورجوعُ أحلامى بعيد
وهَبِ الزّمانَ أعادَها هل للشبيبةِ مَن يُعيد ؟
يا غابَ بولونَ ، وبى وجْدٌ مع الذكرى يَزيدْ
خَفَقَتْ لرؤيتكَ الضلو عُ ، وزُلْزِلَ القلبُ العَميد(٢)
وأراكَ أقسى ما عَهِدْ تُ ؛ فما تَميلُ ، ولا تَميد
كم يا جمادُ قساوةً ؟ كم ؟ هكذا أبدًا جُحود ؟
هلَّا ذكرتَ زمانَ كنَّا والزمانُ كما نريد ؟
نطوِى إليك دُجَى الليا لى ، والدّجَى عنا يَذود
فنقولُ عندكَ ما نقو لُ ، وليس غيرُك من يُعيد
نُطْقِى هوًى وصبابةٌ وحديثُها وَتَرٌ وعُود

---

(١) غاب بولونيا : متنزه مشهور فى باريس .
(٢) العميد : الذى هده العشق .

نَشْرِى . ونَسرحُ فى فضا ئك ، والرياحُ به هُجودْ
والطيرُ أقعدَها الكرى والناسُ نامت والوجود
فنبيتُ فى الإيناس يغ بطنا به النجمُ الوحيد
فى كلّ رُكْنٍ وقفةٌ وبكلِّ زاوية قُعود
نَسقى . ونُسقى . والهوى مابين أعيننا ولِيد
فمِن القلوب تمائم ومن الجُنوبِ له مُهود
والغصنُ يسجُدُ فى الفضا ء . وحبَّذا منه السجود
والنجمُ يلحظنا بعيْ ن ما تَحُولُ ولا تحيد
حتى إذا دَعت النَّوى فتبدَّد الشملُ النضيد
بِتنا : ومما بيننا بحر . ودون البحر بيد
ليلِى بمصرَ ، وليلُها بالغرب ، وهو بها سعيد

المرأةُ العُثمانِيَّةُ

يامَلِكاً تعبَّدا مُصَلِّيًا موحِّدا
مبارَكاً فى يومه والأمسِ ، ميموناً غدا
مُسَخَّرًا لأُمَّة من حقها أن تَسْعَدا
قد جعلَتْه تاجَها وعِزَّها ، والسُّؤددا
وأَعرضتْ حيث مشى وأَطرقَتْ حيث بدا
تُجِلُّه فى حسنه كما تُجِلُّ الفَرْقَدا
أَنت شُعاعٌ من عَلٍ أنزله اللهُ هُدَى

كم قد أضاءَ منزلًا وكم أنار مسجدًا
وكم كسا الأسواقَ من حُسْنٍ ، وزانَ البلدا
لولا التُّقَى لقلتُ : لم يَخْلُقْ سواك الولدا
إن شئت كان العَيْرَ ، أو إن شئت كان الأسدا
وإن تُرِدْ غَيًّا غوَى أو تبغِ رُشْدًا رَشَدا
والبيتُ أنت الصوتُ فيـ ـه ، وهو للصوت صَدَى
كالببَّغا فى قفص قِيل له ، فقلَّدا
وكالقضِيبِ اللَّدنِ ، قد طاوع فى الشكل اليدا
يأْخذ ما عوَّدتَه والمرءُ ما تعوَّدا
مما انفردتَ فى الورَى بفضله وانفردا
وكلُّ ليثٍ قد رَمَى به الإمامُ فى العدا
أنتَ الذى جنَّدتَه وسُقْتَه إلى الردى
وقلتَ : كنْ لله ، والسـ ـلطانِ ، والتركِ ، فِدى

الْهِلَالُ

سنونٌ تُعادُ ، ودهرٌ يعيدْ لَعَمْرُكَ ما فى اللَّيالِى جديد
أضاءَ لآدمَ هذا الهلالُ فكيف تقولُ : الهلالُ الوليد؟
نعدُّ عليه الزمانَ القريبَ ويُحصِى علينا الزمانَ البعيد
على صفحتيه حديثُ القُرى وأيامُ (عاد) ، ودنيا (ثمود)
و (طِيبةٌ) آهلةٌ بالملوك (وطيبةُ) مُقْفِرَةٌ بالصعيد

يزول ببعض سناه الصَّفا ويفنى ببعض سناه الحديد(١)

ومن عجَبٍ وهْوَ جَدُّ الليالى يُبيد الليالىَ فيما يُبيد !!

* * *

يقولون ياعامُ : قد عدتَ لى فياليت شعرى بماذا تعود ؟

لقد كنتَ لى أمسِ مالم أرِدْ فهل أنت لى اليومَ مالا أريد؟

ومَنْ صابَر الدهرَ صبرى له شكا فى الثلاثين شكوى (لَبِيد)(٢)

ظمِئتُ ، ومثلى بِرِىٌّ أحقُّ كأنى حسينٌ ، ودهرى يَزيد(٣)

تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهولَ وداريتُ حتى صحبتُ الحسود

منظر الشروق والغروب فى عالم الماء من أعلى السفينة

لِمَنْ غُرةٌ تَنجلى من بعيد بمرْأى كما الحُلْم ضاح سعيد ؟

تَهُزُّ الوجودَ تباشيرُها كما هزَّ مِنْ والديه الوليد

ويغشى الدُّنا من حُلاها سَنًى أضاء لنا كلَّ حالٍ نضيد(٤)

من الموج مُلْتَمِعٌ ، مثلما تَحَلَّتْ نحورُ الدُّمى بالعقودْ(٥)

أتتنا من الماء مُهتزَّةً منوِّرةً ، تَعتلى للوجود

وتصْعَد من غير ما سُلَّمٍ فيا للمصوِّر هذا الصعود !

وهذا المنيرُ القريبُ القريب وهذا المنيرُ البَعيدُ البعيد

وهذا المنير الذى لن يُرى وهذا المنير وكلٌّ شهيد

---

(١) الصفاء : الصخر ٢ ـ لبيد : هو لبيد بن أبى ربيعة أحد المعمرين .

(٣) حسين : هو الحسين بن على بن أبى طالب . ويزيد : هو يزيد بن معاوية بن ابى سفيان ٤ ـ السنا : الضوء . وحليت المرأة : لبست حليها أى ما تتزين به . ونضيد : اى متسق ٥ ـ الدمى : واحدتها دمية وهى الصورة المنقشية المزينة .

وهذا الجُسامُ الخفيفُ الخُطا | وهذا الجُسامُ الذى ما يَميد
ويا للمصوِّر آثارها | بكل بحارٍ ، وفى كل بيد ! !
وتقليلها كلَّ جمٍّ السنا | وتصغيرها كلَّ عالٍ مَشِيد
من النار ، لكنّ أطرافَها | تدورُ بياقوتة لن تَبيد
من النار ، لكنّ أنوارَها | إلَهيَّةٌ . زُيِّنَتْ للعبيد
هى الشمسُ ، كانت كما شاءها | مماتُ القديمِ ، حياةُ الجديد
تَردّ المياهَ إلى حَدِّها | وتُبلِى جبالَ الصفا والحديد(١)
وتطلُعُ بالعيشِ ، أو بالرَّدى | على الزرعِ : قائمِهِ ، والحَصِيد
وتسعى لذا الناسِ مهما سعتْ | بخيرِ الوعودِ ، وشرِّ الوعيد
وقد تتجلَّى إذا أقبلتْ | بنُعْمى الشقىِّ ، وبؤسى السعيد
وقد تتولَّى إذا أدبرتْ | وليست بمأمونة أن تعود
فما للغروب يَهِيجُ الأَسى | وكان الشروقُ لنا أىَّ عيد ؟
كَذا المرءُ ساعةَ مِيلادِه | وساعةَ يدعو الحِمامُ العنيد
وليس بجارٍ ولا واقعٍ | سوى الحقِّ مما قضاه المُريد

مَنْظَرُ طُلُوعِ الْبَدْرِ مِن سَفِينَةٍ

مَلِكَ السماء ، بَهَرت فى الأَنوار | ففداك كلُّ مُتوَّجٍ من سارى
لما طلعتَ على المياه تُنيرها | سكنتْ ، وقد كانت بغير قرارِ
وزَهَتْ لناظرِها السماءُ ، وقرّ ما | فى البحر من عُبُب ، ومن تيّار(٢)

---

(١) الصفا : الصخر ٢ ـ العبب : الماء المتدفق .

وأهلٌ للهِ السُّراةُ ، وأَزلَفوا … لكَ في الكمالِ تحيَّةَ الإكبار
وتأمَّلوكَ ، فكلُّ جارحةٍ لهم … عينٌ تُسامِرُ نورَها وتسارِي
والبدرُ منكَ على العوالمِ يَجتلِي … بِشْرَ الوجوهِ وزحمةَ الأبصار
مُتقدِّمٌ في النورِ ، محجوبٌ به … مُوفٍ على الآفاقِ بالأسفار
يادُرَّةَ الغوّاصِ أخرجَ ظافرًا … يُمناه يجلوها على النُّظار
مُتَهلِّلا في الماءِ ، أبدَى نصفَه … يَسْمُو بها ، والنصفُ كاسٍ عارِ
وافَى بكَ الأُفُقُ السماءَ ، فأسفرتْ … عن قُفْلِ ماسٍ ، في سِوارِ نُضَارِ
ونهضتَ ، يزهو الكونُ منكَ بمنظرٍ … ضاحٍ ، ويحملُ منكَ تاجَ فَخارِ
الماءُ والآفاقُ حولكَ فِضَّةٌ … والشُّهْبُ دينارٌ لدى دينارِ
والفلكُ مشرقةُ الجوانبِ في الدُّجَى … يبدو لها ذيلٌ من الأنوارِ
بينَا تَخَطَّرُ في لُجَيْنٍ مائجٍ … إذ تَنثنِي في عسجدٍ زَخَّارِ
وكأنها والموجُ منتظمٌ وقد … أوفيتَ ثم دنوتَ كالمُحتارِ
غَيْداءُ لاهيةٌ ، تَخُطُّ لأَغْيَدٍ … شِعْرًا ليقرأَه ، وأنتَ القارِي
فليهْنِ بدرَ الأرضِ أنكَ صِنوُهُ … ونظيرُه قُرْباً وبُعْدَ مَزارِ
وحلاكُما ، ما البدرُ إلا أنتما … وسواكما قمرٌ من الأقمارِ
أنتَ الكريمُ على الوجودِ بوجهه … وهي الضنينةُ بالخيالِ السارِي
هيفاءُ أهواها ، وأعشقُ ذكرَها … لكن أُدارِي ، والمحبُّ يُدارِي
لي في الهوى سِرٌّ أَبِيتُ أَصُونه … واللهُ مُطَّلِعٌ على الأسرارِ

بَلْدَةُ الْمُؤْتَمَرِ لِنَاظِرِهَا فى بَهْجَةِ مَنَاظِرِها

(جنيف وضواحيها)

لا السُّهْدُ يُدنينى إليه . ولا الكرى — طَيْفٌ يزورُ بفضله مهما سرى
تَخِذَ الدُّجَى ، وسماءه . ونجومَه — سُبُلاً إلى جفنيك . لم يرضَ الثرى
وأتاكَ موفورَ النعيم . تخالُه — ملَكًا تنمُّ به السماءُ . مُطهَّرا
عِلِم الظلامُ هبوطَه ، فمشتْ له — أهدابُه يأْخذْنه مُتحدِّرا
وحَمى النسائمَ أن تروحَ وأن تَجِى — حَذَرًا وخوفاً أن يُراع ويُذعَرا
ورقدْتَ تُزْلِف للخيال مكانَه — بين الجفون .وبين هُدبِك، والكرى
فهَنِئْتَهُ مثلَ السعادةِ شائقًا — متصورًا ما شئتَ أن يَتصورا
تَطوى له الرقباء منصورَ الهوى — وتَدوس ألسنةَ الوشاةِ مظفَّرا
لولا امتنانُ العين ياطيفَ الرضا — ماسامحت أيامَها فيما جرى
باتت مُشوَّقةً ، وبات سوادها — زُونَا بتمثال الجمال منوَّرا
تُعطَى المنى ، وتنيلهنَّ خليقة — بك أن تُقدّم فى المنى وتؤخَّرا
وتعانِق القمرَ السَّنِىَّ عزيزةً — حتى إذا ودّعتَ عانَقَت الثرى
فى ليلةٍ قدِم الوجودَ هلالُها — فدنت كواكبُها تُعلِّمه السُّرى
وتريه آثارَ البدورِ ليقتفى — ويرى له الميلادُ أن يتصدّرا
ناجيتُ مَن أهوى ، وناجانى بها — بين المرياض، وبين ماءِ (سُوَيْسِرا)
حيث الجبالُ صِغارُها وكِبارُها — من كل أبيضَ فى الفضاءِ وأخضرا
تَخِذَ الغمامُ بها بيوتاً . فانجلت — مشبوبةَ الأجرام ، شائبةَ الذُّرَى

والصخرُ عالٍ ، قام يشبه قاعدًا   وأناف مكشوفَ الجوانبِ مُنذِرا
بين الكواكب والسحابِ ، ترى له   أُذُناً من الحجر الأصمِّ ومِشفَرا(١)
والسفحُ من أيِّ الجهاتِ أتيتَه   ألفيته دَرَجاً يَموج مُدوَّرا
نثرَ الفضاءُ عليه عِقدَ نجومِه   فبدا زَبَرْجَدُه بهنّ مجوهرا
وتنظَّمتْ بِيضُ البيوتِ ، كأنها   أوكارُ طيرٍ ، أو خَمِيسٌ عسكرا(٢)
والنجمُ يبعث للمياه ضياءه   والكهرباءُ تضيءُ أثناءَ الثرى
هام الفراشُ بها ، وحام كتائبًا   يحكى حوالَيْها الغمامَ منسِّرا
خُلِقت لرحمته ، فباتت نارُه   بَرْدًا ، ونار العاشقين تَسَعُّرا
والماءُ من فوق الديار ، وتحتَها   وخِلالها يجرى ، ومن حول القرى
مُتصوِّبًا ، مُتصعِّدًا ، مُتمهِّلاً   مُتسرِّعاً ، مُتسلسِلًا ، مُتعثِّرا
والأرضُ جِسْرٌ حيث دُرْت ومَعْبَرٌ   يصلان جسرًا فى المياه ومعبرا
والفُلكُ فى ظلّ البيوت مواخِرًا   تطوى الجداولَ نحوها والأنهُرا
حتى إذا هَدأَ المَلا فى ليله   جاذبتُ لَيْلِى ثوبَه متحيِّرا
وخرجت من بين الجسور ، لعلَّنى   أستقبِلُ العَرْفَ الحبيبَ إذا سرَى
آوِى إلى الشجرات ، وهْىَ تهزُّنى   وقد اطمأنَّ الطيرُ فيها بالكرى
ويهزّ منى الماءُ فى لمعانه   فأميلُ أنظر فيه ، أطمعُ أن أرى
وهنالك ازدَهَت السماءُ ، وكان أن   آنَستُ نورًا ما أتمَّ وأبهرا !!
فسريتُ فى لألائه ، وإذا به   بدرٌ تسايره الكواكبُ خُطَّرا
حُلُم أعارتنى العنايةُ سمعها   فيه ، فما استتممْتُ حتى فُسِّرا
فرأيتُ صفوِى جَهرةً ، وأخذتُ أُذ   نى يقظةً ، ومُناىَ لَبَّتْ حُضَّرا

---

(١) المشفر : الشفة من الانسان . ـ ٢ ـ الخميس : الجيش .

وأشرت : هل لُقْيا ؟ فأُوحِيَ : أنْ غدًا ... بالطّود أبيض من جبال (سُوَيْسِرا)

إن أشرقت زهراءُ تسمو للضحى ... وإذا هوت حمراءُ فى تلك الذُّرى

فشروقُها منه أتمُّ معانيًا ... وغروبُها أجلى وأكملُ منظرا

تبدو هنالك للوجود وَلِيدةً ... تهْنا بها الدنيا ، ويغتبط الثرى

وتضىءُ أثناءَ الفضاء بغُرَّةٍ ... لاحَت برأسِ الطَّوْدِ تاجاً أزهَرا

فسمَتْ ، فكانتْ نصفَ طارٍ ، ما بدا ... حتى أنافَ ، فلاحَ طارًا أكبرا

يعلو العوالمَ ، مُسْتَقِلاً ، ناميًا ... مُستعصيًا بمكانه أن يُنْقَرا

سالت به الآفاقُ ، لكنْ عسجدًا ... وتغطت الأَشباحُ ، لكنْ جوهرا

واهتزَّ ، فالدنيا له مُهتزَّةٌ ... وأنار ، فانكشف الوجودُ منوّرًا

حتى إذا بلغ السُّمُوُّ كمالَه ... أذِنت لداعى النقصِ تهوى القهقرى(١)

فدنت لناظرِها ، ودان عنانُها ... وتبدّل المستعظمُ المستصغرا

واصفرَّ أبيضُ كلِّ شىءٍ حولَها ... واحمرَّ بُرْقُعُها وكان الأَصفرا

وسما إليها الطَّودُ يأْخذُها ، وقد ... جعلتْ أعاليَهُ شريطًا أحمرا

مدَّته ، فاشتعلت بها جَنَباته ... وبدتْ ذُراه الشُّمُّ تحمل مِجْمرا

فكأَنما مدَّتْ به نيرانَها ... شَرَكاً لتصطادَ النهارَ المدْبِرا

حرقته ، واحترقت به ، فتولَّيا ... وأتى طُلولَهما الظلامُ فعسكرا

فشروقُها الأَملُ الحبيبُ لمن رأى ... وغروبُها الأَجلُ البغيضُ لمن درى

خَطبانِ قاما بالفناء على الصَّفا ... ما كان بينهما الصفاءُ ليعمُرا

تتغير الأَشياءُ مهما عاودا ... والله عزّ وجلّ لن يتغيرا

أنهارنا تحت (السليف) ، وفوقَه ... ولدى جوانِبه ، وما بين الذُّرى

---

(١) اذنت : انصتت .

رَجْلاً ، ورُكْباناً ، وزَحْلَقَةً على ... عَجلٍ هنالك كهربائىُّ السرَى
فى مركبٍ مُستأْنسٍ ، سالت به ... قُضُبُ الحديدِ ، تعرُّجاً وتحدُّرا
ينساب ما بين الصخور تمهُّلاً ... ويخفُّ بين الهُوَّتين تَخطُّرا
وإذا اعتلى بالكهرباء لِذروةٍ ... عصماء ؛ همّ معانقاً متسوِّرا
لمّا نزلنا عنه فى أُمِّ الذُّرى ... قمنا على فرع (السليف) لننظرا
أَرضٌ تموجُ بها المناظرُ جَمَّةٌ ... وعوالمٌ نِعْمَ الكتابُ لمن قرا
وقُرًى ضربن على المدائنِ هالةً ... ومدائنٌ حَلَّيْنَ أَجيادَ القُرَى
ومزارعٌ للناظرين روائعٌ ... لَبِس الفضاءُ بها طرازًا أَخضرا
والماءُ غُدْرٌ ما أَرقَّ وأَغْزَرا ! ! ... وجداولٌ هنّ اللُّجَيْنُ وقد جرى
فحشون أَفواهَ السهولِ سبائكًا ... وملأْنَ أَقبالَ الرواسخِ جوهرا(١)
قد صغَّر البعدُ الوجودَ لنا ، فيا ... لله ما أَحلى الوجودَ مصغَّرا ! !

وقال يصف مشاهد الطبيعة فى طريقه إلى الآستانة قادما من أوروبا :

تلك الطبيعةُ ؛ قِف بنا يا سارى ... حتى أُريكَ بديعَ صُنْعِ البارى
الأَرضُ حولك والسماءُ اهتزَّتا ... لروائع الآياتِ والآثار
من كلّ ناطقةِ الجلال ، كأَنها ... أُمُّ الكتاب على لسان القارى(٢)
دَلَّتْ على مَلِكِ الملوكِ . فلم تَدَعْ ... لأَدلَّة الفقهاءِ والأَحبار(٣)
مَنْ شَكَّ فيه فنظرةٌ فى صُنْعِهِ ... تمحو أَثيمَ الشكِّ والإِنكار

* * *

---

(١) اقبال الجبال : أى وجوهها ٢ — أم الكتاب : فاتحته .
(٣) الاحبار : جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

كشف الغطاء عن (الطرول) وأشرقت منه الطبيعةُ غيرَ ذاتِ سِتار
شَبَّهْتَهَا (بلقيسَ) فوق سريرها في نَضْرَةٍ . ومواكبٍ ، وجوارى
أو (بابنِ داوُدٍ) وواسعِ مُلكه ومعالمٍ للعزّ فيه كبار(١)
هُوجُ الرِّياح خواشعٌ فى بابه والطيرُ فيه نواكسُ المِنقار(٢)

* * *

قامت على ضاحى الجنان كأنها رضوانُ يُزجى الخُلد للأَبرار(٣)
كم فى الخمائل وهى بعض إمائها من ذاتِ خلخالٍ ، وذاتِ سوار(٤)
وحَسِيرَةٍ عنها الثيابُ . وبَضَّةٍ فى الناعماتِ تجر فضلَ إزار(٥)
وضَحوكٍ سنٍّ تملأُ الدنيا سنًى وغريقةٍ فى دمعها المِدْرار
ووحيدةٍ بالنجدِ تشكو وحشةً وكثيرةِ الأَتراب بالأَغوار(٦)

* * *

ولقد تمرُّ على الغدير تخاله والنَّبْت مرآةً زهتْ بإطار(٧)
حلو التسلْسُل موجُهُ وجريرُه كأَنامل مرَّت على أوتار
مدّت سواعد مائه وتألَّقت فيها الجواهر من حَصًى وجِمار(٨)
ينساب فى مُخضلَّةٍ مُبتلَّةٍ منسوجةٍ من سُندُسٍ ونُضار(٩)
زهراءَ عَوْنِ العاشقين على الهوى مختارةِ الشعراءِ فى آذار
قام الجَليدُ بها وسالَ ، كأَنه دَمعُ الصبابةِ بلَّ غصنَ عذار
وترى السماءَ ضحًى وفى جنحِ الدجى مُنشقَّةً من أنهرٍ وبحار(١٠)

---

(١) المعالم : جمع معلم وهو مايستدل به على الطريق من اثر ونحوه .
(٢) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التى تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت ٣ – الضاحى المكان البارز . ويرجى : يسوق ويستحث .
(٤) الاماء : الجوارى . ٥ – الازار : الملحفة وكل ما ستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : القعر من كل شئ .
(٧) اطار الشئ : كل ما احاط به ٨ – الجمار : جمع جمرة وهى الحصى .
(٩) اخضل الشئ : صار نديا بليلا . والنضار : الذهب .
(١٠) الدجى : الظلمة ، أو سواد الليل .

فى كلِّ ناحيةٍ سلكتَ ومذهبٍ جبلانِ من صخر وماءٍ جارى
من كلِّ مُنهمرِ الجوانبِ والذُّرى غَمْرِ الحضيضِ . مُجلَّل بوقار(١)
عقد الضريبُ له عمامةَ فارعٍ جَمِّ المهابةِ من شيوخ نِزَار(٢)
ومكذِّبٍ بالجنّ ريع لصوتها فى الماءِ منحدراً وفى التيار
مَلأَ الفضاءَ على المسامع ضجَّةً فكأنما ملأَ الجهاتِ ضَوارى
وكأنما طوفانُ نوحٍ ما نرى والفلكُ قد مُسِخَتْ حثيثَ قِطار
يجرى على مثل الصِّراط ، وتارةً ما بين هاويةٍ وجُرْفٍ هارى

* * *

جاب الممالكَ حَزْنَها وسهولَها وطوى شِعابَ (الصرب) (والبلغار)(٣)
حتى رمى برحالنا ورجائنا فى ساحِ مَأْمولٍ عزيزِ الجار
مَلِكٌ بمَفْرِقِه إذا استقبلته تاجان : تاجُ هُدًى ، وتاجُ فَخارِ
سكَنَ (الثريّا) مُستقرَ جلالِه ومشت مكارمُه إلى الأَمصار
فالشرقُ يُسقَى دِيمةً بيمينه والغربُ تمطره غيوثُ يَسار(٤)
ومدائنُ البرَّيْنِ فى إعظامه وعوالمُ البحْرَيْنِ فى الإكبار
اللهُ أيّده بآساد الشّرى فى صورة المُتَدجِّج الجرّار
الصاعدين إلى العدوِّ على الظُّبى النازلين على القنا الخطَّار(٥)
المشترين اللهَ بالأَبناءِ ، والـ أزواجِ ، والأَموالِ ، والأَعمار
القائمين على لواءِ نبيِّه المنزَلين منازلَ الأَنصار

* * *

ياعرشَ (قسطنطينَ) ، نلت مكانةً لم تُعْطَها فى سالف الأَعصار

---

(١) الحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل — ٢ — الضريب: الثلج . والفارع : المرتفع الهيىء الحسن ٣ — الحزن ما غلظ من الارض ٤ — الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ٥ — الخطار : المضطرب .

شرُفتَ بالصِّدّيقِ ، والفاروق ، بل بالأَقربِ الأَدْنى من المُختَار
حامى الخلافةِ مجدِهَا وكِيَانِها بالرأيِ آونةً وبالبَتَّار(١)

* * *

تاهَتْ (فروقُ) على العواصم ، وازدَهت
بجلوسِ أَصْيَد باذِخٍ المقدار(٢)
(جَمِّ الجلالِ ، كأَنما كرسيُّه جُزءٌ من الكرسى ذى الأَنوار)
أَخذت على (البوسفور) زُخْرفَها دُجًى
وتلأْلأَتْ كمنازِلِ الأَقمار
فالبدرُ ينظر من نوافِذِ منزل والشمسُ ثَمَّ مُطِلَّةٌ من دار
وكواكِبُ الجوزاءِ تَخْطُر فى الرُّبَى (والنَّسْر) مطلعُه من الأَشجار
واسم الخليفة فى الجهاتِ منوّر تَبدو السبيلُ ، به ويهدى السَّارى
كتبوه فى شُرفِ القصور ، وطالما كتبوه فى الأَسماع والأَبصار

* * *

يا واحدَ الإسلام غيرَ مُدافَعٍ أَنا فى زمانك واحدُ الأَشعار
لى فى ثنائِك - وهو باقٍ خالدٌ - شعرٌ على الشِّعْرَى المنيعةِ زارى(٣)
أَخلصتُ حبى فى الإمام ديانةً وجعلته حتى المماتِ شِعارى
لم أَلتمس عَرَضَ الحياةِ ، وإنما أَقرضْتُهُ فى الله والمُخْتار
إن الصنيعةَ لا تكون كريمةً حتى تُقَلِّدَها كريمَ نِجار
والحبُّ ليس بصادق مالم تكن حَسَنَ التكرُّمِ فيه والإيثار
والشعر إنجيلٌ إذا استعملته فى نَشْرِ مَكْرُمَةٍ وسَتْرِ عَوار

---

(١) البتار : السيف القاطع - ٢ - الأصيد : الملك ، لأنه لا يلتفت من زهو يمينا وشمالا - ٣ - الشعرى : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر . وزرى عليه فعله : عابه .

وثنَيْتَ عن كدَرِ الحِياضِ عِنانَه ... إنّ الأديبَ مُسامحٌ ومُدارِى
عند العواهِلِ من سياسة دهرهم ... سِرٌّ ، وعندك سائرُ الأسرار
(هذا مُقام أنت فيه محمدٌ ... أعداءُ ذاتك فِرقةٌ فى النار)
(إن الهلالَ – وأنتَ وحدَك كهفُه – ... بين المعاقِل منك والأسوار)
لم يبقَ غيرك مَنْ يقول : أَصونُه ... صُنْه بحولِ الواحدِ القهّار

البُسْفُورُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

على أىِّ الجنانِ بنا تَمُرُّ ؟ ... وفى أىّ الحدائق تَستقِرُّ ؟
رويدًا أيها الفُلْكُ الأَبرُّ ... بلغتَ بنا الربوعَ ، فأنتَ حُرٌّ ؟(١)

* * *

سَهرتَ ولم تنم للركبِ عَيْنُ ... كأَن لَّمْ يُضْوِهم ضَجَرٌ وأَيْنُ(٢)
يَحُثُّ خُطاكَ لُجٌّ . بل لُجَينُ ... بل الإبريزُ ؛ بل أُفقٌ أغرّ(٣)

* * *

على شِبه السهول من المياه ... تُحيط بك الجزائرُ كالشِّياه
وأنتَ لهنّ راعٍ ذو انتباه ... تَكرُّ مع الظلام ولا تَفِرُّ

* * *

يُنيف البدرُ فوقك بالهَباءِ ... رفيعًا فى السموِّ بلا انتهاءِ(٤)
تَخالُكما العيونُ إلى التقاءِ ... ودون المُلتقى كونٌ ودهرُ

* * *

إلى أن قيل : هذا (الدردنيلُ) ... فسِرتَ إليه . والفجرُ الدليلُ

---

(١) الفلك : السفينة ، يؤنث ويذكر ٢ – الاين : الاعياء .
(٣) اللجين : الفضة ٤ – الهباء : الغبار أو مايشبه الدخان .

يُجيزكَ ، والأَمانُ بهِ سبيلُ إذا هو لم يُجزْ فالماءُ خمر

* * *

تَمرُّ من المعاقلِ والجبالِ بعالٍ ، فوقَ عالٍ ، خلفَ عالى
إذا أومَأْن وقَّفَتِ الليالى وتَحمى الحادثات ، فلا تمرّ

* * *

مدافِعُ ، بعضها متقابلاتُ ومنها الصاعداتُ النازلاتُ
ومنها الظاهِرات وأخرياتُ تَوارى فى الصخور وتستسرُّ

* * *

فلو أنّ البحارَ جرتْ مِئِينا وكان اللُّجُّ أَجمعُه سفينا
لِتَلْتى منمذًا ؛ لَلقِينَ حَيْنا ولمّا يمْسَسِ (البوغازَ) ضُرُّ

* * *

وبَعْدَ الأَرخبيل وما يليه وتِيهٍ فى العيالم أىِّ تيه[1]
بدا ضوءُ الصباح فسِرتَ فيه إلى (البسفور) واقترب المَقَرُّ

* * *

تُسايِرُكَ المدائنُ والأَناسِى وفُلْكٌ بين جَوّالٍ وراسى[2]
وتحضُنك الجزائرُ والرّواسى وتجرى رِقّةً لك وهى صخر

* * *

تسير من الفضاءِ إلى المَضِيق فآناً أنتَ فى بحر طليق
وآونةً لدى مَجْرًى سحيق كما الشلالُ قام لديه نهر

* * *

وتأْتى الأُفُقَ تطويه بِمجلاً لآخَرَ كالسَّراب إذا أَضَلَّا

---

(١) العيالم : جمع عيلم وهو البحر — ٢ — الأناسى : جمع انسى .

إذا قلنا : المنازلُ ، قيل : كلّا فدُون بلوغها ظُهرٌ وعصْرُ

* * *

إلى أن حلّ فى الأَوْج النهارُ ولِلرّائى تبيَّنت الدّيارُ
فقلنا : الشمسُ فيها أم نُضار وياقوتٌ ، ومَرْجانٌ ، ودُرٌّ ؟

* * *

ودِدنا لو مَشيتَ بنا الهُوَيْنا وأين لنا الخلودُ لديك ؟ أينا ؟
لِنَبهَجَ خاطرًا ونَقَرَّ عينا بأحسنِ ما رأى فى البحر سَفْرُ

* * *

بلَوْحٍ جامع الصُّور الغَوالى وديوانٍ تفرّد بالخيال
ومِرآةِ المناظر والمجالى تمرّ بها الطبيعةُ ما تمرّ

* * *

فضاءٌ مُثِّلَ الفِردوسُ فيه ومَرْأىً فى البحار بلا شبيه
فإيهٍ – يابنات الشعرِ – إيه فمالَكِ فى عقوقِ الشعر عُذرُ

* * *

لأَجلكِ سِرْتُ فى برٍّ وبحرِ وأنتِ الدهرَ أنتِ بكل قُطْرِ
حننتِ إلى الطبيعة دون مصرِ وقُلتِ لدى الطبيعة : أين مصرُ ؟

* * *

فهلّا هزَّكِ التِّبرُ المذابُ وهذا اللّوحُ . والقلمُ العُجاب
وما بينى وبينهما حجابُ ولا دونى على الآيات ستر ؟

* * *

جهاتٌ ، أَمْ عذارى حالياتُ ؟ وماءٌ ، أم سماءٌ . أم نباتُ ؟
وتلك جزائرٌ . أم نيِّراتُ ؟ وكيف طلوعُها والوقتِ ظهرُ ؟

* * *

جلاها الأُفق صُفْراً وهْيَ خُضْرُ كزَهرٍ دونَه فى الزوض زهرُ
لوى بحرٌ بها . والتفّ بحرٌ كما ملكت جهاتِ الدَّوْحِ غُدْر(١)

* * *

تلوح بها المساجدُ باذخاتٍ وتتَّصل المعاقلُ شامخات
طِباقاً فى العلى . متفاوتات سما بَرٌّ بها . وانحطَّ برٌّ

* * *

وكم أَرضٍ هنالك فوق أَرضٍ ورَوضٍ . فوق روضٍ ، فوق روض
ودُور بعضُها من فوق بعض كسَطرٍ فى الكتاب علاه سطر

* * *

سُطورٌ لا يحيط بهنّ رَسم ولا يُحصى معانيهنّ عِلم
إذا قُرِئتْ جميعًا فهْيَ نَظْم وإن قرئت فُرَادى فهْيَ نثر

* * *

تـأَرَّجُ كلما اقتربت وتزكو ويجمعها من الآفاق سِلك(٢)
تشاكل ما به . فالقصرُ فُلْكُ على بُعْدٍ لنا . والفُلْكُ قصرُ

* * *

ونونٌ دونها فى البحر نونُ من البسفور نقَّطها السَّفين
كأَنَّ السُّبْلَ فيه لنا عيون وإنسانُ السفينة لا يَقِرّ

* * *

هنالك حثّت النُّعْمى خُطانا وحاطتنا السلامةُ فى حمانا
فألقينا المراسِيَ . واحتوانا بناءُ للخلافةِ مُشْمَخِرُّ

* * *

فيامَن يطلب المرأى البديعا ويعشقه شهيدا أو سميعًا
رأيت محاسنَ الدنيا جميعًا فهنّ الواوُ . والبسفورُ عمرو

---

(١) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة المتسعة من أى شجر كانت — ٢ — تأرج : أى فاح .

الرِّحْلَةُ إِلَى الأَنْدَلُسِ

لما وضعت الحربُ الشُؤْمى أوزارها(١) ، وفضحها الله بين خلقه وهتك إزارَها(٢) ، ورمَّ لهم ربوعَ السلم ، وجدّد مَزارَها(٣) ؛ أصبحتُ وإذا العوادى(٤) مُقصِرة ! والدواعى غير مقصِّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ؛ فقصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجِدّ ، والبخار المشتدّ ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط ، الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط(٥) ، فبلغتْ النفس بُرآه الأَرب ، واكتحلت العينُ فى ثراه بآثار العرب ، وإنها لشتى المواقع ، متفرقة المطالِع ، فى ذلك الفلكِ الجامع ، يسرِى زائرُها من حرَم ، كمن يُمسِى بالكرنك ويُصبح بالهرم ؛ فلا تقاربَ غيرَ العِتق والكرم : (طُلَيْطِلة) تُطِلُّ على جسرها البالى ، و (أشبيلية) تُشبِل(٦) على قصرها الخالى ، و (قرطبة) منتبذةٌ ناحية بالبيعةِ(٧) الغراءِ ، و (غرناطة) بعيدةُ مَزارِ الحمراءِ . وكان « البحترى » رحمه الله رفيقى فى هذا الترحال ، وسميرى فى الرحال ، والأحوال تصلح على الرجال ، كل رجل لحال . فإنه أبلغُ مَن حَلّى الأَثر ، وحيًّا الحجر ، ونشر الخبر ، وحشرَ العِبَر ، ومَن قام فى مأتم على الدول الكُبَر ، والملوك البهاليل الغُرر ، عطف على (الجعفرى) حين تَحمل(٨) عنه الملا ، وعطل منه الحُلى ، ووُكِل بعد (المتوكل) للبِلى . فرفع قواعدَه فى السِّير ، وبنى رُكنَه فى الخبر ، وجمع معالمه فى الفِكَر ، حتى عاد كقصور الخُلدِ امتلأَت منها البصيرةُ وإن خلا البصر وتكفل بعد ذلك (لكسرى) بإيوانه ، حتى زال عن الأَرض إلى ديوانه .

---

(١) أوزار الحرب : آلاتها ٢ ــ الازار : الملحفة ٣ ــ المزار : الزيارة ــ ٤ ــ العوادى : العوائق ــ ٥ ــ البسيط : الأرض الواسعة .
(٦) اشبل عليه : أى عطف والمرأة تشبل على أولادها : أقامت عليهم بعد وفاة زوجها ولم تتزوج ٧ ــ البيعة : متعبد النصارى .
(٨) تحمل : ارتحل .

وسينيّتُه المشهورةُ فى وصفه ؛ لبست دونه وهو تحت (كدر) فى رصّه ورَصْفه(١) ، وهى تُريك حسنَ قيامِ الشعرِ على الآثار ، وكيف تتجدد الديار فى بيوته بعد الاندثار . قال صاحب الفتح القُسى فى الفتح القدسى بعد كلام : « فانظروا إلى إيوان كسرى وسينيةِ البحترى فى وصفه ، تجدوا الإيوانَ قد خرّت شَعَفاته ، وعُفّرت شرفاته ، وتجدوا سينية (البحترى) قد بَقِى بها (كسرى) فى ديوانه ، أضعاف ما بَقى شخصُهُ فى (إيوانه) » .

وهذه السينية هى التى يقول فى مطلعها :

صنت نفسى عما يُدنس نفسى　　　وترفعت عن ندى كل جبس

والتى اتفقوا على أن البديع الفرد من أبياتها قوله :

والمنايا مواثل وأنو شر　　　وان يُزجى الجيوش تحت الدَرَفس

فكنت كلما وقفتُ بحجر ، أو أطفتُ بأثر ، تمثّلتُ بأبياتها ، واسترحتُ من مواثل العبر إلى آياتها ، وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترىَّ إيوان كسرى　　　وشفتنى القصورُ من عبد شمس

ثم جعلتُ أروض القولَ على هذا الروى ، وأُعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المُهلهلة ، وأتممت هذه الكلمة الرِّيضة . وأنا أعرضها على القراء راجيًا أن يلحظوها بعين الرضاء ، ويسحبوا على عيوبها ذيل الإغضاء ، وهذه هى :

اختلافُ النَّهارِ والليل يُنسى　　　اذكرا لى الصِّبا ، وأيامَ أُنسى

وصفا لى مُلاوةً من شباب　　　صُوِّرت من تصورات ومَسّ(٢)

---

(١) رصف الحجارة رصفا : ضم بعضها الى بعض .
(٢) الملاوة : البرهة من الدهر .

عصفتْ كالصَّبا(١) اللعوبِ ومرّت　　سِنةً(٢) حُلوةً . ولذَّةُ خَلْس(٣)

وسلا مصرَ : هل سلا القلبُ عنها　　أَو أَسا(٤) جُرحَه الزمان المؤسّى ؟

كلما مرّت الليالى عليه　　رقَّ . والعهدُ فى الليالى تُقسِّى(٥)

مُستَطارٌ(٦) إذا البواخِرُ رنَّتْ(٧)　　أولَ الليلِ . أو عَوَتْ بعد جَرْس(٨)

راهبٌ(٩) فى الضلوع للسفن فَطْن(١٠)　　كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقْس(١١)

يا آبنةَ اليمِّ(١٢) . ما أبوكِ بخيلٌ　　مالَه مولعًا بمنعٍ وحبس ؟

أحرامٌ على بلابله الدَوْ　　حُ ، حلالٌ للطير من كل(١٣) جنس ؟

كلُّ دارٍ أَحقُّ بالأَهل . إلا　　فى خبيثٍ من المذاهب رِجْس(١٤)

نفسى مِرجَلٌ(١٥) ، وقلبى شِراعٌ　　بهما فى الدموع سِيرِى وأرسى

واجعلى وجهَك (الفنارَ) ، ومجرا　　كِ يدَ (الثغرِ) بين (رملٍ) و (مكس)

وطنى لو شُغِلتُ بالخلدِ عنه　　نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وهفا(١٦) بالفؤاد فى سلسبيلٍ　　ظمأٌ للسواد من (عين شمس)(١٧)

شهِد اللهُ ، لم يَغِب عن جفونى　　شخصُه ساعةً ، ولم يخلُ حِسّى

يُصبح الفكرُ و (المسلَّةُ) ناد　　يه ، و (بالسَّرحة الزكية) يُمسى

وكأنى أرى الجزيرةَ أَيْكًا(١٨)　　نَغَمَتْ طَيْرُه بأرخم جَرس(١٩)

---

(١) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش ٢ ـ السنة : النعاس ٣ ـ خلس الشيء : أخذه فى نهزة ومخاتلة ٤ ـ أسا الجرح : داواه ٥ ـ قساه تقسية : أى صيره قاسيا ٦ ـ مستطار : استطير الشيء : طير وانتشر ٧ ـ رن : أى صاح ورفع صوته بالبكاء ٨ ـ الجرس : الصوت ٩ ـ الراهب : هو من تبتل لله ، واعتزل عن الناس الى الدير ، طلبا العبادة ، ويشبه به القلب ١٠ ـ فطن للشيء : أى حذق به ١١ ـ النقس : ضرب النواقيس ١٢ ـ اليم : البحر ١٣ ـ الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة

(١٤) الرجس : المأثم (١٥) المرجل : القدر من الحجارة والنحاس

(١٦) هفا : أى أسرع ١٧ ـ السواد : ما حول البلدة من القرى

(١٨) الأيك : الشجر الكثير الملتف ، وقيل : الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر ١٩ ـ الجرس : الصوت ، أو خفيه .

هى (بلقيسُ) فى الخمائل صَرْحٌ(١) من عُباب(٢)، وصاحبٌ غيرُ نِكس(٣)

حَسْبُها أن تكونَ للنيل عِرْسًا قبلها لم يُجنَّ يومًا بعرس

لبستْ بالأصيل حُلَّةَ وَشْيٍ بين صنعاء(٤) فى الثياب وقَسّ(٥)

قدّها النيلُ، فاستحتْ، فتوارتْ منه بالجسرِ بين عُرْيٍ ولُبس

وأرى النيلَ (كالعقيق)(٦) بواديه وإن كان كوثرَ المتحسّى(٧)

ابنُ ماء السماء ذو الموكب الفخم الذى يَحسُر العيونَ ويُخسى(٨)

لا ترى فى ركابه غيرَ مُثْنٍ بخَمِيلٍ، وشاكرٍ فضلَ عرس

وأرى (الجيزة) الحزينة ثَكْلَى لم تُفِقْ بعدُ من مَناحة (رمسى)(٩)

أكثرتْ ضجّةَ السواقى عليه وسؤالَ اليراع عنه بهَمْس(١٠)

وقيامَ النخيل ضَفَّرْنَ شعرًا وتجرَّدْنَ غيْرَ طَوقٍ وسَلْس(١١)

وكأنَّ الأهرامَ ميزانُ فرعونَ بيومٍ على الجبابر نَحْس

أو قناطيرُه تأنّق فيها ألفُ جَابٍ(١٢) وألفُ صاحبِ مَكْس(١٣)

روْعةٌ فى الضحى، مَلاعِبُ جِنٍّ حين يغشَى الدّجى حماها ويُغسى(١٤)

و(رهينُ الرمال) أفطسُ، إلّا أنه صُنْعُ جِنَّةٍ غير فُطْس(١٥)

تتجلَّى حقيقةُ الناس فيه سَبُعُ الخَلْقِ فى أساريرِ إنسى

---

(١) الصرح: القصر، وكل بناء خال — ٢ — العباب: كثرة الماء، والعباب: معظم السيل، والعباب: ارتفاعه وكثرته — ٣ — النكس: الرجل الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه — ٤ — صنعاء: قصبة بلاد اليمن. وقرية بباب دمشق — ٥ — ثوب قسى وتكسر قافه، منسوب الى قس وهو موضع بين العريش والفرما؛ من أرض مصر.

(٦) العقيق: كل ما شقه ماء السيل فأنهره ووسعه، ويعنى بالعقيق هنا عقيق المدينة، وهو معروف — ٧ — المتحسى: أى الشارب

(٨) يخسى: من خسأ البصر؛ كل وأعيا — ٩ — رمسى: أى رمسيس — ١٠ — اليراع: القصب — ١١ — سلست النخلة سلسا: ذهب كربها — ١٢ — جاب: الجابى الذى يجمع الخراج — ١٣ — المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية.

(١٤) يغسى: يظلم — ١٥ — فطس الرجل: تطامنت قصبة انفه وانتشرت فى وجهه، فهو افطس، والجمع فطس.

لَعِبَ الدَّهرُ فى ثراه صبيًّا ۔۔۔ والليالى كواعبًا غيرَ عُنْس(١)
ركِبتْ صُيَّدُ(٢) المقادير عينيه ۔۔۔ لنَقْدٍ ، ومِخْلَبَيْهِ لفَرْس(٣)
فأصابت به الممالكَ : (كسرى) ۔۔۔ (وهِرَقْلاً) ، (والعبقرىَّ الفرنسى)
يافؤادى ، لكلِّ أمرٍ قرارٌ ۔۔۔ فيه يبدو ويَنْجلِى بعدَ لَبْس
عَقَلتْ(٤) لُجَّةُ الأمورِ عقولًا ۔۔۔ طالتْ الحوتَ طُولَ سَبْح وَغَسّ(٥)
غَرِقتْ حيثُ لا يُصاحُ بطافٍ ۔۔۔ أو غريقٍ ، ولا يُصاخُ لِحِسّ
فَلكٌ يَكسِفُ الشموسَ نهارًا ۔۔۔ ويسومُ البدورَ ليلةَ وَكْس(٦)
ومواقيتُ للأمورِ ، إذا ما ۔۔۔ بَلَغَتْهَا الأمورُ صارتْ لِعَكْس
دُوَلٌ كالرجالِ ، مُرتهناتٌ ۔۔۔ بقيامٍ من الجُدُودِ وتَعْس
وليالٍ من كلِّ ذاتِ سِوارٍ ۔۔۔ لطَمَتْ كلَّ رَبِّ (رُومٍ) (وفُرْس)
سدّدتْ بالهلالِ قوساً ، وسلتْ ۔۔۔ خِنْجَرًا يَنْفُذان من كل تُرس
حكمتْ فى القرون (خوفو) و (دارا) ۔۔۔ وعفت(٧) (وائلا) وألْوَتْ (بعَبس)
أين (مروانُ) : فى المشارق عرشٌ ۔۔۔ أَمَوِىٌّ ، وفى المغارب كرسى ؟(٨)
سَقِمتْ شَمْسُهم ، فردَّ عليها ۔۔۔ نورَها كلُّ ثاقبِ الرأى نَطْس(٩)
ثم غابتْ ، وكلُّ شمسٍ سِوَى هاتِيهِ ۔۔۔ لكَ تَبْلَى ، وتَنطوى تحتَ رَمْس(١٠)
وعظ (البحترىَّ) إيوانُ (كسرى) ۔۔۔ وشَفَتْنِى(١١) القصورُ من (عبدشمس)
رُبَّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرْفى ۔۔۔ وبِساطٍ طويْتُ والريحُ عَنْسى(١٢)

---

(١) عنس : جمع عانس ، وهى الجارية التى طال مكثها فى أهلها بعد ادراكها ولم تتزوج — ٢ — صيد : واحدها صائد — ٣ — الفرس : الافتراس — ٤ — عقلت : قيدت ٥ — غس فى البلاد غسا : دخل فيها ومضى قدما ٦ — ليلة الوكس : اى ليلة دخول القمر فى نجم منحوس ٧ — عفت : درست ومحت ٨ — كرسى : اى عرش
(٩) نطس : اى عالم — ١٠ — الرمس : القبر — ١١ — شفتنى : أى وعظتنى هى أيضا وعظا شافيا — ١٢ — العنس : الناقة

أَنْظِمُ الشرقَ فى (الجزيرة) بالغر … ب ، وأَطْوِى البلادَ حَزْنًا(١) لدَهس(٢)

فى ديارٍ من الخَلائف(٣) دَرْسٍ … ومنارٍ(٤) من الطوائف طمس

ورُبًى كالجنانِ ، فى كنفِ الزيتو … نِ خُضْرٍ ، وفى ذَرا الكَرْمِ طُلْس(٥)

لم يَرُعْنى سوى ثَرىً قُرْطُبِىٍّ … لمستْ فيه عِبْرةَ الدهر خَمسى

يا وقَى اللهُ ما أُصَبِّحُ منه … وسَقَى صَفْوَةَ الحيَا ما أُمَسِّى

قَرْيَةٌ لا تُعَدُّ فى الأَرض ، كانت … تُمسِكُ الأَرضَ أن تَميدَ وتُرْسى

غَشِيتْ ساحلَ المحيط ، وغطَّتْ … لجَّةَ الرُّومِ من شراعٍ وقَلْسِ(٦)

ركِب الدهرُ خاطرى فى ثراها … فأَتى ذلك الحِمَى بعد حَدْس(٧)

فتجلَّتْ لىَ القصورُ ومن فيـ … ـها من العزِّ فى منازلَ قُعْس(٨)

ما ضفتْ(٩) قَطُّ فى الملوكِ على نَذْ … لِ المعالى ، ولا تردَّتْ بنَجْس

وكأَنى بلغتُ للعلمِ بيتًا … فيه ما لِلعقولِ من كل دَرس

قُدُساً فى البلادِ شرقاً وغرباً … حَجَّهُ القومُ من فقيهٍ وقَسّ

وعلى الجمعةِ الجلالةُ ، و (النا … صرُ) نورُ الخميس تحت الدِّرَفس(١٠)

يُنزِل التاجَ عن مفارقِ (دُونٍ) … ويُحَلِّى به جبينَ (البرنس)

سِنَةٌ من كرًى ، وطيفُ أَمانٍ … وصحا القلبُ من ضلالٍ وهَجْس(١١)

وإذا الدارُ ما بها من أنيسٍ … وإذا القومُ ما لَهم من مُحِسٍ(١٢)

ورقيق من البيوت عتيق … جاوز الأَلفَ غيرَ مذموم حَرْس(١٣)

---

(١) الحزن : ما غلظ من الارض — ٢ — الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب — ٣ — الخلائف : جمع خليفة — ٤ — المنار : العلم يجعل للطريق — ٥ — طلس : واحدها أطلس ، وهو ما لونه أسود تخالطه غبرة — ٦ — القلس : حبل السفينة — ٧ — الحدس : السير على غير هداية — ٨ — القعس : العز الثابت — ٩ — ضفت : من ضفا : سبغ واتسع — ١٠ — الخميس : الجيش والدرفس : العلم الكبير — ١١ — الهجس : كل ما وقع فى خلد الانسان

(١٢) محس : أى حاس بهم — ١٣ — الحرس : الدهر

أَثَرٌ من (محمَّدٍ) ، وتُراثٌ ... صار (للروح) ذى الولاء الأَمَسِّ(١)

بَلَغَ النَّجمَ ذِرْوَةً ، وتناهى ... بينَ (ثَهْلاَنَ)(٢)فى الأَساس و(قُدس)(٣)

مَرْمَرٌ تسبَحُ النواظرُ فيه ... ويطول المدى عليها فتُرسى

وسَوارٍ(٤) كأنها فى استواء ... أَلِفاتُ الوزيرِ فى عَرْضِ طِرْس(٥)

فَترَةُ الدهر قد كست سَطَرَيْها(٦) ... ما اكتسى الهدبُ من فتور ونعس

وَيْحَهَا ! كَمْ تزيَّنتْ لعليم ... واحِدِ الدَّهْرِ ، واستعدت لخمس(٧)

وكأَن الرفيفَ(٨) فى مسرح العيـ ... ـن مُلاءٌ مُدَنَّراتُ الدِّمَقس(٩)

وكأَن الآياتِ فى جانبيه ... يتنزَّلن فى معارج قدس(١٠)

مِنبرٌ تحت (مُنذرٍ)(١١) من جلال ... لم يزل يكتسيه ، أو تحتَ (قُسِّ)

ومكانُ الكتاب يُغريكَ رَيَّا ... وَرْدِهِ غائبًا ، فتدنو لِلَمْس(١٢)

صَنْعَةُ (الداخِلِ)(١٣) المبارِكِ فى الغر ... ب ، وآلٍ له مَيامِينَ شُمْس(١٤)

* * *

مَنْ (لحمراءَ) جُلِّلَتْ بغُبار الـ ... دهرِ ، كالجُرح بين بُرْءٍ ونُكس

كَسَنا البرقِ ، لو محا الضوءُ لحظًا ... لمحتها العيونُ من طول قَبْس

حِصْنُ (غرناطة) ، ودارُ بنى (الأحـ ... ـمر) : من غافلٍ ، ويقظانَ نَدْس(١٥)

جَلَّلَ الثلجُ دونَها رأسَ (شِيرى) ... فبدا منه فى عصائبَ بِرس(١٦)

---

(١) الأمس : الأقرب — ٢ — نهلان : جبل بالعالية — ٣ — قدس: جبل عظيم بنجد .

(٤) السوارى : واحدتها سارية ، وهى الاسطوانة (العمود)

(٥) الوزير : يعنى به ابن مقلة المشهور بجودة الخط

(٦) سطريها : صفيها — ٧ — ويحها كم تزينت لعليم اى لمدرس عالم ، واستعدت لاقامة الصلوات الخمس — ٨ — الرفيف : السقف — ٩ — الدمقس : الحرير — ١٠ — المعارج : واحدها معرج وهو السلم والمصعد — ١١ — منذر : هو قاضى الأندلس منذر ابن سعيد المعروف بالعدل والزهد — (١٢) ريا ورده : اى رائحة ورده — ١٣ — الداخل : هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام مؤسس الدولة الأموية بالأندلس — ١٤ — الشمس : الأباة

(١٥) الندس : الفهم — ١٦ — عصائب برس : اى بيض كالقطن .

سَرْمَدٌ شَيْبُهُ . ولم أَرَ شَيْبًا ... قبلَه يُرجى البقاءَ ويُنْسى

مَشَتِ الحادثاتُ فى غُرَفِ (الحمـ ... راءِ) مَشْىَ النَّعِىِّ فى دار عرس

هَتَكَتْ عِزَّةَ الحجابِ . وفضَّت ... سُدَّةَ الباب من سمير وأنس

عَرَصاتٌ تخلَّت الخيلُ عنها ... واستراحت من احتراسٍ وعَسّ(١)

ومَغَانٍ على الليالى . وِضاءٌ ... لم تجد للعَشِىِّ تكرارَ مَسّ

لا ترى غيرَ وافدين على التا ... ريخ . ساعِينَ فى خشوع ونكس

نقَّلوا الطرفَ فى نضارةِ آسٍ ... من نقوش . وفى عُصارة وَرْس(٢)

وقِبابٍ من لازَوَرْدٍ وتِبرٍ ... كالرُّبى الشُّمِّ بين ظل وشمس

وخطوطٍ تكفَّلَتْ للمعانى ... ولألفاظها بأزين لبْس

وترى مجلسَ السباع خَلاءً ... مُقْفِرَ القاعِ من ظباءٍ وخنس

لا (الثُّريَّا) . ولا جوارى الثريا ... يتنزَّلْنَ فيه أقمارَ إنْس

مرْمَرٌ قامت الأُسودُ عليه ... كَلَّةَ الظُّفرِ . لَيِّنَاتِ المَجَسّ

تنثر الماءَ فى الحياض جُماناً ... يَتَنزَّى على ترائبَ مُلس

آخرَ العهدِ بالجزيرة كانت ... بعد عَرك من الزمان وضَرس(٣)

فتراها . تقول : رايةُ جيشٍ ... بادَ بالأَمس بين أسرٍ وحَسّ(٤)

ومفاتيحُها مقاليدُ مُلكٍ ... باعها الوارثُ المُضِيعُ بِبَخْسِ

خرج القومُ فى كتائبَ صُمٍّ ... عن حفاظ . كموكب الدَّفْن خُرْس(٥)

ركِبوا بالبحار نَعْشًا . وكانت ... تحت آبائهم هى العرش أمس

رُبَّ بانٍ لهادِمٍ . وجَمُوعٍ ... لمُشِتٍّ . ومُحْسِنٍ لمُخِسّ

---

(١) العس : احتراس الليل — ٢ — الورس : نبات أحمر اللون .
(٣) الضرس : من ضرس الزمان القوم : اشتد عليهم .
(٤) الحس : القتل .
(٥) الحفاظ : الذب عن المحارم .

إمْرةُ النّاسِ هِمّةٌ ، لا تَأَنّى لجبانٍ ، ولا تسَنَّى لجِبس(١)
وإذا ما أصاب بنيانَ قومٍ وهْىُ خُلْقٍ ؛ فإنه وَهْىُ أُسّ
يا ديارًا نزلتُ كالخُلد ظِلاًّ وَجَنًى دانيًا ، وسَلْسَالَ أنس
مُحسِناتِ الفُصولِ ، لا ناجِرٌ(٢) فيـ ها بِقَيْظٍ ، ولا جُمادَى بِقَرْس(٣)
لا تَحِسُّ العيونُ فوق رُباها غيرَ حُورٍ حُوٍّ(٤)المراشف(٥) ، لُعْس(٦)
كُسِيَتْ أَفرُخى بظلِّكِ رِيشاً وَرَبا فى رُبالِكِ واشتدّ غَرْسى
هم بنو مصرَ ، لا الجميلُ لديهم بمُضاعٍ ، ولا الصنيعُ بمَنسى
من لسانٍ على ثنائكِ وَقْفٌ وجَنانٍ على ولائكِ حَبْس
حَسْبُهم هذه الطلولُ عِظَاتٍ من جديدٍ على الدهور ودَرْس
وإذا فاتك التفات إلى الما ضى فقد غاب عنك وجهُ التأسّى

كُوكْ صُو

قال يصف (كوك صو) وهو موقع جميل فى الاستانة العلية . ومعنى اللفظين اللذين سمى بهما (ماء السماء)

تحية شاعرٍ يا ماءَ (جَكْسو) فليس سواكَ للأرواح أُنْس
فدَتك مياهُ (دِجلةَ) وهى سَعدٌ ولا جُعلتْ فداءَك وهى نحس
وجاءَكَ ماءُ (زمزمَ) وهو طُهْرٌ وأمواهٌ على الأُرْدُنِّ قُدْس
وكان (النيلُ) يعرِس كلَّ عامٍ وأنت على المدى فَرْحٌ وعُرس

---

(١) الجبس : الجبان — ٢ — شهر رجب ، او صفر ، أو شهر من شهور الصيف — ٣ — بقرس : ببارد — ٤ — حو المراشف : اى سمر الشفاه ؛ وهو مستملح من النساء — ٥ — المراشف : الشفاه
(٦) اللعس : سواد مستحسن فى الشفة

وقد زعموه للغادات رَمْسًا   وأنت لِهَمِّهِنَّ الدهرَ رَمْسُ
ورَدنكَ كوثرًا ، وسَفَرنَ حُورًا   وهل بالحور إن أَسفرنَ بأْس ؟
فقل للجانحين إلى حجاب   أَتُحجَب عن صنيع الله نَفسُ ؟
إذا لم يَسترِ الأدبُ الغوانى   فلا يُغنى الحريرُ ، ولا الدمِقس
تأمل . هل ترى إلا جلالاً   تُحِسُّ النفسُ منه ما تحس ؟
كأن الخُود(١) (مريمُ) فى سُفور   ورائيها حوارِىٌّ وقَسّ
تهيَّبها الرجالُ ، فلا ضميرٌ   يهم بها ، ولا عينٌ تُحِس
غَشِيتُك والأَصيلُ يَفيض تبرًا   ويَنسجُ للرُّبى حُللاً ويكسو
وتذهب فى الخليج له وتأْتى   أناملُ تَنْشر العِقيانَ(٢) خَمْس
وفى جِيد الخميلةِ(٣) منه عِقدٌ   وفى آذانها قُرْطٌ وسَلس(٤)
ولألأت الجبالُ فضاءَ سَفْحٍ   يَسُرّ الناظرين ، ونارَ رأس
على فُلكٍ تسير بنا الهُوَيْنى   ومِنْ شعرى نديمٌ لى وجِلس
تُنازِعُنا المذاهبَ حيثُ مِلْنا   زَوارقُ حولنا تجرى وترسو
لها فى الماء مُنسابٌ كطير   تُسِفُّ(٥) عليه أحياناً وتَحسو
صغارِ الحجم ، مُرْهَفَةِ الحواشى   لهاعُرفٌ(٦) إذا خطرت وجَرْس(٧)
إذا المِجدافُ حَرَّكَها اطمأَنَّت   وإنْ هو لم يُحَرِّكْ فَهْىَ رعس(٨)
وإنَّ هوَ جَدَّ فى الماء انسيابا   فكُلٌّ طريقه وَتَرٌ وقَوْس
حَملْنَ اللؤلؤَ المنثورَ عِيناً(٩)   كما حَمَلَتْ حَبابَ الراحِ كأْس

---

(١) الخود : جمع خودة وهى المراة الشابة — ٢ — العقيـان : الذهب الخالص — ٣ — الخميلة : الموضع الكثير الشجر
(٤) السلس : الخيط الذى ينظم بهالخرز الأبيض تلبسه الاماء، وقيل القرط من الحلى — ٥ — اسف الطائر : طار على وجه الأرض
(٦) العرف : لحمة مستطيلة فى اعلى راس الديك — ٧ — الجرس : الصوت ، أو خفيه — ٨ — رعس : من رعس الرجل اذا مشى مشيا ضعيفا — ٩ — العين : جمع عيناه ، وهى المراة التى عظم سواد عينها فى سعة .

كأن سوافِرَ(١) الغاداتِ فيها مَلائكُ هَمُّها نَظَرٌ وهَمْس
كأن براقعَ الغاداتِ تهفو على وجناتها غَيْمٌ وشمس
كأن مآزِر(٢) العِينِ انتسابا زهورٌ لا تُشمُّ . ولا تُمَسُّ
إذا نُشِرتْ ؛ فريحانٌ ووَرْدٌ وإن طُويت ؛ فنَسْرينٌ ووَرْس
عجبتُ لهنّ يجمعُهنَّ حسنٌ ولكنْ ليس يجمعُهنَّ لُبس
فكان لنا بظلِّكَ خيرُ وقتٍ وخيرُ الوقتِ ما لَك فيه أُنس
نمتّع منكَ (ياجكسو) نفوساً بها من دهرها هَمٌّ وبُؤس
إلى أن بان سِرُّكَ فانثنينا وقد طُوِىَ النهارُ . ومات أمس

* * *

وقال فى كلاب الآستانة وكان يضرب بها المثل فى الكثرة والقذارة :

قالوا (فروقُ) الملكِ دارُ مَخاوفٍ لا ينقضى لنزيلها وسْواسُ
وكلابُها فى مأْمنٍ . فاعجب لها أَمِنَ الكلابُ بها . وخاف الناسُ

أَنَسُ الوُجُود

إلى المستر روزفلت

الرئيس الأسبق للولايات المتحدة

أتأذن لرجلٍ تعوّد أن يخرجَ عن دائرةِ (الموظف) كلما عرضَت حال يخدم الوطنَ فيها الرجالُ يرفع لشعرِه ذكره . ويشرِّفَ قدرَه . مهدياً إليكَ منه هذه القصيدة فى لغة (الضاد) ، وهى مما قلتُ فى (أنس الوجود) ذلك الأثر المحتضر ، الذى جمع العِبَر . ومحاه الدهر أو كاد وكان إحدى آياته

(١) سوافر : جمع سافرة ، وهى المرأة التى كشفت عن وجهها .
(٢) مآزر : جمع ازار ، وهو الملحفة .

الكبر ، هياكل « لفرعون » و« بطليموس » ، تورَاثها عن « الكهنة » « القسوس » ، وصارت « للمسيح » وكانت « لهوروس » ، ثم ظهرَ « الأذانُ » فيها على « الناقوس » . ثم لا تكون عَشية أو ضُحاها حتى يهوى فى الماء كلُّ حجر كان يُقبَّل (كالأسْوَد)(١) . وكل ركن كان يُستلم « كالحطيم »(٢) شهدتُ على « أنس الوجود » ما يُعلم الإنسانَ — ولو أنه (روزفلت) علماً وحكمة وأدباً — كيف يَحتقرُ الدنيا ويحترم الدين جميعًا .

دخلتُه ذات يوم وكان « الدوق أوف كونرت » لديه يتمشى فى ظِلالِه ، ويتنقلُ بين رسومِه وأطلالِه . عيناه ونفسه فى إكباره وإجلاله . فكانت منى التفاتة فرأيت « فلّاحا » أقبلَ ثم ألقى عباءته وتوجه يصلى « العصر » غيرَ مُلقٍ بالاً « لفرعون » كيف كان يعبد ويُعبد . ولا « لبطليموس » كيف كان يُعظَّم ويُمجَّدُ . ولا للمسيحية السمحةِ كيف دخلت على « الوثنية » المَعْبَد . ولا « للملكِ إدوارد » الذى تحتل جنودُه الآن مصر وهو فى ثياب أخيه « الدوق » يرفع البصرَ ويُسدِله ممتلئًا من آيات الدهر مهابة وإعجاباً ، مشتغِلا بالتاريخ القائم المجسم . يقرؤه كتاباً كتاباً . دين سهل سَمْح يَسَر . وإله واحد يُعبَد حيث وجِد العابد ، على العَرَاءِ كما فى الهياكل ، والكنائس والمساجد .

التاريخ — أيها الضيفُ العظيم — غابر متجدد . قديمه مِنوال ، وحاضره مِثال . والغدُ بيد الله المتعال . وأنت اليوم تمشى فوق مَهد الأعصُر الأُوَل ، ولحد قواهر الدول . أرض اتخذها « الإسكندر » عريناً . وملأها على أهلها

---

(١) الأسود : هو الحجر الأسود الذى بمكة — ٢ — الحطيم : جدار حجر الكعبة ، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام .

« قيصر » سفيناً ، وخلَّف « ابن العاص » فيها لساناً وجنساً وديناً ، فكان أعظمَ المستعمرين حقيقة وأكبرهم يقيناً ، وهو الذى لم يعلم عليه أن بغى أو ظلم أو سفك الدمَ ، أو نهى ، أو أمر ، إلا بين الرجاء والحذر ، من عدل « عمر » ، الذى تنبيك عنه السِّير .

قمتَ – أيها الضيف العظيم – فى السودان خطيباً فأنصت العصر ، والتفتت مصر ، وأقبل أهلها بعضهم على بعض يتساءلون : « كيف خالف الرئيس سُنة الأحرار من قادة الأُمم وساسة الممالك أمثاله ، فطارد الشعور وهو يهب ، والوجدان وهو يشب ، والحياة وهى تدِب ، فى هذا الشعب ؟ ! ومن حرمة العواطف السامية ، ألا تطارد كأنها وحوش ضارية ، على صحراءِ أو بادية ، كما طاردتَ السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية » .

المصرىُّ – أيها الضيف العظيم – سمح كريم التجاوز ، فقد ظفِرت بمن مهَّد عذرك ، ونفى الظن عن كرمك ، وادخر ودك الذى تخطبه الأُمم المستضعفة ، والشعوب المتاهفة ، المتشوِّفة ؛ إذ قيل : إنما أراد الرئيس أن يمدح ديناً من حقه أن يمدح بكل لسان ، وفى كل مكان ، فكيف به فى بعض معاهده فى السودان؟ ! وأراد كذلك أن يحذِّر من الفتنة فى الجيوش ، وينهى عن إيقاظها ، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته ، ويدعو هذه الأُمة التى حركتَها المستقبلة فى السكون ، إلى العملِ فى ظلٍّ الحق والصبر بإذن الله مضمون ، ومستقبل بمشيئة الله مأمون ، وقديماً فاز بالصبر الصابرون » .

فإن كان ذلك – أيها الضيف العظيم – وهو مالا نعتقد غيره – فمثلك من نصحَ للأُمم ، وبعث العزائمَ والهمم . وعلم باللسان والقلم .

على أننا نرجو أن ستذكرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أنتم جميعًا أهله ، وأن ستعطينا عهدك ، وتصفينا ودّك ، وتملأ من أجمل الظنون وأحسنها بردَك ؛ يوم تقل السفينة عظمتك ومجدَك ، وتنقل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدَك .

على يد الله تجرى إن هى اندفعت — وفى حِمى الله — لا فى الماء — تحتجب

* * *

أيها المنتحى (بأسوان) دارًا — كالثريّا تريد أن تنقضا

اخلع النعلَ ، واخفِض الطرفَ ، واخشع — لا تحاول من آيةِ الدهر غَضّا

قف بتلك (القصورِ) فى اليَمِّ غرقى — مُمسكاً بعضُها من الذعر بعضا

كعذارى أَخْفَيْنَ فى الماءِ بَضًّا(١) — سابحاتٍ به ، وأَبْدَيْنَ بضّا

مُشرفاتٍ على الزوالِ ، وكانت — مشرفات على الكواكب نهضا

شابَ من حولها الزمانُ وشابت — وشبابُ الفنونِ ما زال غضّا

رُبَّ «نَقْشٍ» كأنما نفض الصا — نعُ منه اليَدَيْنِ بالأمس نفضا

و «دهانٍ» كلامع الزيت ، مرّت — أعصرٌ بالسراج والزيت وُضّا(٢)

و «خُطوطٍ» كأنها هدب ريم(٣) — حَسُنَتْ صنعةً ، وطولاً ، وعرضا

و «ضحايا» تكاد تمشى وترعى — لو أصابتْ من قدرَةِ الله نبضا

و «محاريبَ» كالبروج ، بَنتها — عزماتٌ من عزمة الجنّ أمضى(٤)

شيَّدتْ بعضَها الفراعينُ زُلْفَى(٥) — وبَنى البعضَ أجنبٌ يترضَّى(٦)

(١) البض : الرخص الجسد — ٢ — وضا : وضاء — ٣ — ريم : غزال — ٤ — أمضى : أحد — ٥ — زلفى : تقربا — ٦ يترضى : يطلب الرضا .

و «مقاصيرُ» أُبْدِلَت بفُتاتِ الـ مسلكِ تُرْباً ، وباليواقيت قضًّا (١)

حظُّها اليومَ هَدّةٌ ، وقديماً صُرِّفتْ فى الحظوط ، رفعًا وخَفضا

سَقَتِ العالمينَ بالسعد والنحـ س ، إلى أن تعاطت النحس محضا (٢)

صنعةٌ تدهش العقولَ ، وفنٌّ كان إتقانُه على القوم فرضا

* * *

ياقصورًا نظرتُها وهْىَ تقضى (٣) فسكبتُ الدموعَ ، والحقُّ يُقضى

أنتِ سَطرٌ ، ومجدُ مصرَ كتابٌ كيف سامَ البِلى كتابَك فضّا ؟

وأنا المحتفى بتاريخ مصرٍ مَنْ يَصُنْ مجدَ قومه صان عِرضا

رُبَّ سرٍّ بجانبيك مُزالٍ كان حتى على «الفراعين» غمضا

قل لها فى الدعاءِ لو كان يجدى : يا سماءَ الجلالِ ، لا صِرْتِ أرضا

حارَ (فيكِ» المهندسون عقولاً وتولَّت عزائمُ العِلمِ مَرضَى

أين ملكٌ حيالَها وفريد من نظام النعيمِ أصبح فضا ؟ (٤)

أين «فرعونُ» فى المواكب تَتْرَى يركض المالكين كالخيل ركضا ؟

ساق للفتح فى الممالِك عَرضاً وجلا للفخارِ فى السِلم عَرضا

أين «إيزيس» تحتها النيل يجرى حكمت فيه شاطئيْن وعَرضا ؟

أسْدَلَ الطرفَ كاهنٌ ومليكٌ فى ثراها ، وأرسل الرأسَ خفضا

يُعْرَضُ المالكون أسْرَى عليها فى قيود الهوانِ ، عانِينَ ، جَرضَى (٥)

ما لها أصبحت بغيرِ مُجيرٍ تشتكى من نوائب الدهر عضّا ؟

---

(١) قضا . حصى — ٢ — محضا : خالصا — ٣ — تقضى : تفنى .
(٤) فضا : منفضوضا — ٥ — جرضى : مغمومين .

هى فى الأَسْرِ بين صَخْرٍ وبحرٍ مَلكة فى السجون فوق حَضوضَى(١)
أين «هوروسُ» بين سيفٍ ونِطْعٍ ؟ أَبهذا فى شرعهم كان يُقْضَى ؟
ليت شعرى : قضى شهيدَ غرامٍ أم رَماه الوشاةُ حقدًا وبغضًا ؟
رُبَّ ضَربٍ من سَوْطِ فرعونَ مَضٍّ(٢) دونَ فعلِ الفِراقِ بالنفس مَضًّا
وهلاكٍ بسيفه وهْوَ قانٍ دون سيفٍ من اللواحظ. يُنْضَى(٣)
قتلوه ، فهل لذاك حديثٌ ؟ أين راوى الحديثِ نثرًا وقرضا ؟

* * *

يا إمامَ الشعوبِ بالأَمس واليو م ، ستُعطَى من الثناء ، فتَرضى
(مصر) بالنازلين من ساحِ (معنٍ) (٤) وحِمى الجود (حاتم) الجود أفضى
كن ظهيرًا (٥) لأَهلها ونصيرًا وابذل النصحَ بعد ذلك مَحضا
قل لقوم على (الولايات) أيقا ظٍ إذا ذاقت البَرِيَّةُ غُمضا
شيمةُ (النيل) أن يفى ، وعجيب أحرجوه ، فضيّع العهدَ نقضا
حاشه(٦)الماءُ ، فهْوَ صيدٌ كريمٌ ليت بالنيل يوم يسقط. غيضا(٧)
شيد والمال والعلوم قليل أنقذوه بالمال والعلم نقضا(٨)

---

(١) حضوضى : جبل فى البحر — ٢ — مض : موجع .
(٣) ينضى : يسل — ٤ — معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب — ٥ — ظهيرا : نصيرا — ٦ — حاشه : من حاش الصيد : احرجه فى كل مكان — ٧ — غيضا : من غاض الماء غيضا : نقص أو غار فذهب فى الأرض — ٨ — نقضا : ما انتقض من البنـاء ، اى انتكث .

النفس

قال الرئيس ابن سينا :

هبطتْ إليك من المحل الأَرفعِ ورقاءُ ذاتُ تَعَزُّزٍ وتمنُّع
محجوبةٌ عن كلِّ مُقْلَةِ عارفٍ وهى التى سَفَرَتْ ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك ، وربما كرِهت فراقَك وهْيَ ذاتُ تفجُّع
ألِفت وما سكنت ، فلما واصلت ألِفت مجاورةَ الخرابِ البَلْقَع
وأظنها نسيت عهودًا بالحمى ومَنازِلاً بفراقها لم تَقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأَجرَع
عَلِقت بها ثاءُ الثقيل ، فأَصبحت بينَ المعالمِ والطُّلولِ الخُضَّع
تبكى وقد ذكرت عهودًا بالحمى بمدامع تَهْمِى . ولما تُقْلِع
. . . . الخ الخ الخ

وقد قال المقتطف فى الشاعرين بعد كلام طويل : «والاثنان جريا مجرى أفلاطون ، فى حسبان النفس روحاً كانت عند الخالق . ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان ، إلا أن أفلاطون تصورها فرساً مجنحة . غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح . فلما هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان . والفلاسفة يشعرون بشىء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورونه . ويجاريهم الشعراءُ فى التصور ، ويفوقونهم فى الوصف

* * *

ضُمِّى قِناعَك ياسُعادُ . أو ارفَعِى هٰذِى المَحَاسِنُ ماخُلِقْنَ لبُرْقُعِ (١)

---

(١) الخطاب للنفس ، خاطبها كما يخاطبها فيلسوف ، علم بدائعها ، وبحث عن حقيقتها ، فرآها تزيد غموضا كلما زاد بحثا . مع انها أقرب ما يكون اليه .

الضاحياتُ ، الضاحكاتُ ، ودونَها ... سِترُ الجلالِ ، وبُعْدُ شأْوِ المطلعَ(١)
يا دُمْيَةً لا يُستزاد جمالُها ... زيديه حُسْنَ المُحْسِنِ المتبرِّعِ
ماذا على سلطانِه من وقفة ... للضَّارِعين ، وعَطْفةٍ للخُشَّعِ؟
بل ما يضرك لو سمحتِ بجَلْوَة ؟ ... إنَّ العروسَ كثيرةُ المتطلَّعِ
ليس الحجابُ لِمَن يَعِزُّ مَنالُه ... إنَّ الحجابَ لِهيِّنٍ لم يمنعِ
أنتِ التى اتَّخذ الجمالَ لعزِّه ... مِنْ مَظْهرٍ ، ولسرِّه مِن مَوضعِ(٢)
وهو الصَّنَاعُ ؛ يَصوغ كلَّ دقيقةٍ ... وأدقّ منكِ بَنانُه لم تَصْنَعِ(٣)
لمستكِ راحتُه ، ومسَّكِ روحُه ... فأَتى البديعُ على مِثال المُبْدِعِ
اللهَ فى الأَحبار : مِنْ مُتهالكٍ ... نِضْوٍ ، ومَهْتوكِ المُسوحِ مُصَرَّعِ(٤)
من كلّ غاوٍ فى طَوِيَّةِ راشدٍ ... عاصى الظواهرِ فى سريرةِ طَيِّعِ
يَتَوَهَّجون ويَطفأون ، كأَنهم ... سُرُجٌ بِمُعْتَرَكِ الرِّياحِ الأَربعِ
علِموا ، فضاق بهم وشَقَّ طريقُهم ... والجاهلون على الطريق المَهْيَعِ
ذهب (ابنُ سينا) ، لم يَفُزْ بكِ ساعةً ... وتَوَلَّت الحكماءُ . لم تَتَمَتَّعِ
هذا مَقامٌ ؛ كلُّ عِزٍّ دونَه ... شمسُ النهارِ بمثله لم تَطْمَعِ
(فمحمدٌ) لكِ و(المسيحُ) ترَجَّلا ... وترجَّلَتْ شمسُ النهار (لِيُوشَع)(٥)
ما بالُ (أَحمدَ) عَىَّ عنكِ بيانُه ؟ ... بل ما (لعيسى) لم يَقُلْ أَو يَدَّعِ؟
ولسانُ (موسى) انحلَّ . إلا عقدةً ... مِنْ جانبيكِ : عِلاجُها لم يَنْجَعِ؟

---

(١) الضاحيات : الظاهرات البارزات ، وصف بها محاسن النفس ، وقال : انها مع ذلك . مطلعها بعيد وجلالها مستور — ٢ — «من» زائدة ، والمعنى : أن النفس اتخذها الجمال مظهرا لعزه ؛ وموضعا لسره .

(٣) الصناع : الماهر فى الصناعة — ٤ — نصب اسم الجلالة على الاستغاثة ؛ والكلام فى الأبيات الخمسة بعده وصف لما عاناه الأحبار والفلاسفة من البحث عن حقيقة النفس ؛ فشق طريقهم كلما زادوا بحثا ؛ أما الجاهلون ففى راحة سائرون فى المهيع ، اى الطريق الواسع البين .

(٥) الضمير فى ذلك يرجع الى النفس ؛ اراد بها الجوهر الالهى .

لما حللْتِ (بآدمٍ) حلَّ الحبا ومشى على الملإِ السُّجودِ الرُّكَّع(١)

وأرى النبوَّةَ فى ذراكِ تكرَّمَتْ فى (يوسفٍ) . وتكلَّمت فى المُرْضَع(٢)

وسقَتْ (قريشَ) على لسان (محمدٍ) بالبابلىِّ من البيان المُمْتِع(٣)

ومشَتْ (بموسى) فى الظلام مُشَرَّدًا وحدَتْه فى قُلَلِ الجبالِ اللُّمَّع(٤)

حتى إذا طُوِيَتْ ورِثْتِ خِلالَها رُفِعَ الرَّحِيقُ وسِرُّه لم يُرْفَع(٥)

قَسَمَتْ مَنازِلَكِ الحُظُوظُ : فمنزِلاً أُتْرِعْنَ منكِ ، ومنزلاً لم تُتْرِع

وخَلِيَّةً بالنحل منك عَمِيرةً وخليَّةً معمورةً (بالتُّبَع)(٦)

وحَظيرةً قد أُودِعَت غُرَرَ الدُّمَى وحَظيرةً محرومةً لم تودَع(٧)

نظر (الرئيسُ) إلى كمالِكِ نظرةً لم تَخْلُ من بَصَرِ اللبيبِ الأَرْوَع

فرآه منزلةً تعرَّضَ دُونَها قِصَرُ الحياةِ ، وحالَ وَشْكُ المَصْرَع

لولا كمالُكِ فى (الرئيس) ومِثْلِه لم تَحْسُنِ الدنيا ، ولم تَتَرَعْرَع(٨)

اللهُ ثَبَّت أرضَه بدعائمٍ هم حائطُ الدنيا ، وركنُ المجمع

لو أن كلَّ أخِى يراعٍ بالغٌ شأْوَ (الرئيسِ) وكلَّ صاحبِ مِبْضَع

ذهب الكمالُ سُدًى ، وضاع مَحلُّه فى العالَم المتفاوِتِ المتنوِّع

* * *

يانفسُ ، مثلُ الشمسِ أنتِ : أَشِعَّةٌ فى عامرٍ ، وأَشِعَّةٌ فى بَلْقَع

---

(١) حل الحبا : نهض ، والمقصود هنا تقديس الروح العالى الذى نفخ الله فى آدم .

(٢) اراد بيوسف : يوسف الصديق ، ومعنى تكرم النبوة فيه أنها سمت بنفسه وبلغت بها الكمال لما عف ، واراد بالمرضع : السيد المسيح .

(٣) اراد بالبابلى : السحر اشارة الى قوله «ان من البيان لسحرا» .

(٤) اشارة الى العليقة الملتهبة — ٥ — فاعل طويت يعود الى النبوة. والخلال : الصفات والمزايا التى يبقى أثرها كما يبقى أثر الخمر بعد ماتزول

(٦) التبع : يعسوب النحل الأعظم ، وهو ما يسمونه الملكة

(٧) الدمى : الصور ، أو التماثيل الجميلة ، أشار بما فى الأبيات الثلاثة المتقدمة الى تفاوت النفوس فى الناس — ٨ — أى لولا كبار النفوس لما ارتقى العالم وصلحت الأنام ، والمقصود من الكمال هنا : بلوغ النفس الكمال فى النبوة ؛ أو ما يقرب من الكمال فى بعض العبقريين من الناس ، والرئيس منهم .

فإذا طوى اللهُ النهارَ تراجَعَتْ ... شتّى الأشعةِ ، فالتقَتْ فى المرجعِ
لما نُعيتِ إلى المنازل غُودِرَتْ ... دَكًّا ، ومثْلُكِ فى المنازل ما نُعى
ضَجَّتْ عليكِ معالماً ومعاهداً ... وبكَتْ فراقكِ بالدموع الهُمَّع(١)
آذنْتِها بنوًى ، فقالت : ليْتَ لَمْ ... تَصِلِ الحبالَ ، وليتها لم تَقْطع
ورداء جُثمانٍ لبستِ مُرَقَّمٍ ... بيد الشباب على المشيبِ مُرَقَّع
كم بِنْتِ فيه ، وكم خَفيتِ ، كأنه ... ثوبُ الممثِّل ، أو لباسُ المَرْفع؟ (٢)
أسَئِمتِ من دِيبَاجِهِ ، فنزعْتِه ؟ ... والخزُّ أكفانٌ إذا لم يُنْزَع
فزِعَتْ وما خفِيَتْ عليها غايةٌ ... لكنّ مَنْ يَرِدِ القيامةَ يَفْزع(٣)
ضرَعَتْ بأدمُعِها إليك ، ومادَرَتْ ... أنّ السفينةَ أقلعت فى الأدمع
أنتِ الوفيَّةُ ، لاالذِّمامُ لديكِ مَذْ ... مومٌ ، ولا عهدُ الهوى بمُضَيَّع
أزْمَعَتِ ، فانهلَّتْ دموعُكِ رِقَّةً ... ولو استطعتِ إقامةً لم تُزْمِعى
بان الأحبةُ يومَ بَيْنِكِ كلُّهم ... وذَهبتِ بالماضى وبالمتوقَّع

مَيْدَانُ الكُونكُورد

(ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريز ، وهو الذى أعدم فيه الملك لويس السادس عشر فى أيام الثورة الفرنساوية)

أمَيْدانَ الوِفاقِ ، وكنتَ تُدعى ... بميدان العداوةِ والشِّقاقِ
أتدرِى : أىُّ ذنبٍ أنتَ جَانٍ ؟ ... وأىّ دمٍ ذهبتَ بهِ مُراقِ ؟
هَوَى فيك السريرُ ومَنْ عليه ... وماتَ الثائرون ، وأنتَ باق
أصابوا ، واستراح (لويسُ) منهم ... لذا سُمِّيتَ مَيْدانَ الوفاق

---

(١) فاعل ضجت عائد الى المنازل اى الأجسام ، ومعالم ومعاهد منصوبتان على التمييز . اراد بالمعالم : ذوى النفوس الصغيرة ، وبالمعاهد : ذوى النفوس الكبيرة — ٢ — المرفع : الكرنفال الذى يلبس الناس فيه ثيابا مزوقة — ٣ — فزعت : تأهبت أو استجارت ، والضمير عائد الى اجسام واراد بالقيامة : ساعة الموت .

أيُّها النِّيلُ

الى الاستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربيـة فى جامعة اكسفورد

أيها الأُستاذ الكريم :

تذكرتُ «أثينا» مدينةَ الحكمة فى الدهور الخالية . وأياماً غنمناها على رسومها العافِية . وأطلالها البالية . فكأنى أنظر إلى المؤتمر . علماؤه الهالة ، وأنت القمر . أو زُمَرُ الحجيجِ وأنت حادى الزُّمَر . وأرى الملوكَ فى الحفر ، بُنيانهم مصدوعُ الجُدر ، وبيانهم نور البشر ، نزلنا بهم فإذا الدول خبر ، وإذا الممالك أثر . والطولُ شُغْلُ الفؤادِ والبَصر ، منّا العبرات ومنها العِبَر . صَمَت الإنسان ونَطقَ الحجر ، فسبحان العزيز المقتدر القاهرِ فوق عبادِه بالقدَر . كان ذلك والحوادث أجنة ، والأُمور فى أحسن الأعنَّة . والأَرض بالسلم مطمئنة ، مغتبطة بسلامةِ الشبابِ ، منبسطة بتلاقى الأَحباب . والصَّفْوُ فى الدار والأَكدارُ بالباب ، ثم أخذ الله الأممَ بذنوبهم فرماهم بعَوانٍ فى الماء ، ضَروسٍ فى الأَرض والسماء . مَنهومة بالأَموال مُدمِنة للدماء . نزلتْ بالبريَّةِ فعصفتْ بأحسن شبابها ونباتها ، ونَقَضت موفورَ أَمنها وأقواتها ، وهتكتْ فى الثرَى مَصونَ رُفاتها . وخلطتْ فى الخنادقِ أَحياءَها بأَمواتها . وعدَت على الوحشِ فى فلواتِها ، وعلى الطيرِ فى وكناتِها ، وعلى الرِّياح فى مخترقاتها ، وعلى بَلَمِ(١) البحار وأخواتها . وهَوامِّ القِفَار وحشراتها . وعلى بيوت الله فى ستراتها ، والنواقيس فى قِبابها ، والمآذن فى سماواتها . فسبحان الملك الأَكبر ، الذى يَقهر ولا يُقهر ، ويُغَيِّر ولا يَتغيَّر ، والذى يقيم القيامة فى مِيقاتها

---

١ ــ البلم : صغار السمك .

الشعر كالأحلام ؛ تدخل على المسرور الكرى . وتكثر على المحزون فى السُّرى . وقريحة الشاعر كعَين صاحب الأيام ؛ عندها للحزن عَبرة ، وللسرور عِبرة ؛ وهذه أيها — الأستاذ الكريم — كلمة قيلت والهموم سارية ، والأقدار بالمخاوف جارية ، والدموع متبارية ، وذئاب البشر يقتتلون على الفانية . نظمتها تَغَنِّياً بمحاسن الماضى ، وتقييداً لمآثر الأباء ، وقضاءً لحق «النيل» الأسعد الأمجد ، ونسبتها إليك ؛ عِرفاناً لفضلك على لغة العرب ، وما أنفقت من شباب وكهولة فى إحياء علومها ، ونشر آدابها ، وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضَّباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر . فى أعظم جامعات العالم ، فلعلها تقع إليك ، فنتذاكر على النوى تلك الأيام ، ونتنادم من بعد على بِساط الأدب والكلام ، ونسأل الله أن يحقنَ الدماء ، ويتمم جِدارَ السلام .

* * *

مِنْ أىِّ عَهدٍ فى القُرَى تتدَفَّقُ ؟ وبأىِّ كَفٍّ فى المدائن تُغْدِقُ ؟

ومن السماءِ نزلتَ أم فُجِّرتَ من عليا الجِنان جَداوِلًا تترقرق؟

وبأىِّ عَيْنٍ ، أم بأيَّة مُزْنَةٍ(١) أم أىِّ طُوفانٍ تفيض وتَفْهَق ؟(٢)

وبأىِّ نَوْلٍ(٣) أنتَ ناسجُ بُرْدَةٍ للضفَّتيْن ، جَديدُها لا يخلق ؟(٤)

تَسْوَدُّ دِيباجاً إذا فارقتها فإذا حضرتَ اخْضَوْضَرَ الإسْتَبْرَق(٥)

فى كلِّ آونةٍ تُبدِّل صِبغةً عجباً ، وأنت الصابغُ المُتَأنِّق

أَتَت الدهورُ عليكَ ، مَهْدُكَ مُتْرَعٌ(٦) وحِياضُكَ الشُّرق(٧) الشهيَّةُ دُفَّق

تَسْقى وتُطْعِمُ ، لا إناؤكَ ضائِقٌ بالواردين ، ولا خوانُك يَنفَق(٨)

---

١ — المزنة : هى هنا السحابة المطرة — ٢ — تفهق : فهق الاناء اى امتلأ حتى صار يتصبب .

٣ — النول : خشبة الحائك ينسج عليها — ٤ — يخلق : يبلى .

٥ — الاستبرق : الحرير — ٦ — مترع : ممتلىء — ٧ — الشرق : الغرقى

٨ — تنفق : يفنى ويقل .

والماءُ تَسْكُبُه فيُسْبكُ عَسْجَدًا(١) والأرضُ تُغْرِقها فيحيا المُغْرَق
تُعيِي مَذَابِعُك العمَوِلَ ، ويستوى مُتخبِّطٌ . فى علمِها ومُحقِّق
أخلَقْتَ راووقَ(٢) الدهورِ ، ولم تزل بكَ حَمْأةٌ(٣) كالمسكِ ، لاتتروَّق(٤)
حمراءُ فى الأحواض ، إلاّ أنها بيضاءُ فى عُنُق الثرى تتألَّق
دِينُ الأوائِل فيك . دِينُ مُروءة لِمَ لا يُؤلِّه مَنْ يَقُوتُ ويرزُق ؟
لو أن مخلوقاً يُؤلَّه لم تكن لِسواكَ مَرْتبةُ الألوهَةِ تَخْلُق(٥)
جعلوا الهوى لك والوَقارَ عبادةً إنَّ العبادةَ خَشيةٌ وتَعلُّق
دانوا ببحرٍ بالمكارِم زاخرٍ عَذْبِ المشارعِ ، مَدُّهُ لا يُلْحَق
مُتمِّيد بعهودِه ووُعودِه يَجرى على سَنَنِ الوفاءِ ويَصدُق(٦)
يَتقبَّلُ الوادى الحياةَ كريمةً من راحَتَيْكَ عَميمةً تتدفَّق
متقلِّب الجنبيْن فى نَعْمائه يَعْرَى ويُصْبَغُ فى نَداك فيُورِق
فيبيتُ خِصْبًا فى ثَراه ونِعْمة ويعُمُّه ماءُ الحياةِ الموسِق(٧)
وإليك — بَعْدَ اللهِ — يَرجِع تحته ما جَفَّ ، أو ما مات ، أو ما يَنْفُق(٨)

* * *

أين الفراعنةُ الأُلى استذرى(٩) بهم (عيسى) ، و (يوسفُ) ، و(الكَليمُ) المصْعَق ؟
المُورِدونَ الناسَ مَنْهَلَ(١٠) حكمةٍ أفْضَى إليه الأنبياءُ ليَستقوا
الرافعون إلى الضحى آباءَهم فالشمسُ أصلُهمُ الوَضِيءُ المُعْرِق(١١)
وكأنما بين البِلى وقبورِهم عهدٌ على أنْ لا مِساسَ ، ومَوْثِق

١ — العسجد : الذهب — ٢ — الراووق : المصفاة — ٣ — الحمأة : الطين الأسود — ٤ — تتروق : من روق الشراب : صفاه — ٥ — تخلق : اى تكون خليقة وجديرة — ٦ — السنن : النهج .
٧ — الموسق : اسم فاعل من أوسق ، والهمزة فيه للتعدية ، وثلاثيه وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقحت ، أو من وسقت الشىء اذا حملته — ٨ — ينفق : من نفق الرجل والدابة : ماتا ، يعنى ما مات من الانسان ، وما هلك من الحيوان — ٩ — استذرى بفلان : التجأ اليه ، واستذرى بالشجرة : اى استظل بها — ١٠ — المنهل : المورد — ١١ — المعرق: العريق فى النسب .

فحجابُهم تحت الثرى من هَيْبَةٍ ... كحجابِهم فوق الثرى لا يُخرَق

بلغوا الحقيقةَ مِنْ حياة علمُها ... حُجُبٌ مُكَثَّفَةٌ . وسِرٌّ مُغلَق

وتبيَّنوا معنى الوجودِ . فلم يَرَوْا ... دونَ الخلودِ سعادةً تَتحقَّق

يَبنون للدنيا كما تَبني لهم ... خِرَبًا : غرابُ البَيْن فيها يَنْعَق

فقصورُهم : كُوخٌ . وبيتُ بَداوةٍ ... وقبورُهم : صرحٌ أشَمٌّ . وجَوْسَق(١)

رفعوا لها مِنْ جَنْدَلٍ وصفائحٍ ... عَمَدًا . فكانت حائطًا لا يُنْتَق(٢)

تتشايعُ الدَّاران فيه : فما بدا ... دُنْيا . وما لم يَبْدُ أُخرى تَصْدُق

للموتِ سِرٌّ تحتَه . وجِدارُه ... سُورٌ على السرِّ الخفيِّ : وخَنْدَق

وكأنَّ منزلهم بأعماقِ الثرى ... بين المحلَّةِ(٣) والمحلَّةِ : فُنْدُق

مَوْفورةٌ تحت الثرى أَزْوَادُهم(٤) ... رَحْب بهم بين الكهوف المُطْبِق(٥)

* * *

ولِمَنْ هياكلُ قد علا الباني بها ... بين الثريَّا والثَّرى تتنَسَّق؟(٦)

منها المشيَّدُ كالبروجِ . وبعضُها ... كالطَّوْدِ مُضطَجِعٌ أَشَمُّ مُنَطَّق(٧)

جُدُدٌ كأَوَّلِ عهدها . وحِيالَها ... تتقادَمُ الأَرضُ الفضاءُ وتَعْتُق(٨)

مِنْ كلِّ ثقْلٍ كاهلُ الدُّنيا به ... تَعِبٌ . ووَجْهُ الأَرضِ عنه ضَيِّق

عالٍ على باعِ البِلى . لا يَهتدِي ... ما يَعتلِي منه وما يَتسلَّق

مُتمكِّنٌ كالطودِ أصلاً في الثرى ... والفرعُ في حَرَمِ السماءِ مُحلِّق

هي من بناءِ الظلمِ . إلا أنه ... يَبيَضُّ وجهُ الظلمِ منه ويُشْرِق

لم يُرْهِقِ الأُمَمَ الملوكُ بمثلها ... فخرًا لهم يَبْقَى وذكرًا يَعْبَق

---

١ — الجوسق : القصر ٢ — ينتق : يزعزع ٣ — المحلة : المنزل
٤ — الأزواد : جمع زاد وهو الطعام يتخذ للسفر — ٥ — المطبق : السجن تحت الأرض ٦ — تتنسق : تنتظم — ٧ — منطق : مرتفع لا يبلغ السحاب رأسه — ٨ — تعتق : من عتق الشيء قدم .

فُتِنَتْ بشطَّيْكَ العِبادُ . فلم يزل قاصٍ يَحُجُّهُمَا . ودانٍ يَرْمُق

وتضوَّعَتْ مِسْكَ الدهورِ . كأنما فى كلِّ ناحية بَخورٌ يُحْرَق

وتقابلتْ فيها على السُّرُرِ الدُّمى(١) مُسْتَبْرِديات(٢) الذلّ لا تَتَفَنَّق(٣)

عَطِلَتْ(٤) ، وكان مكانُهنّ من العُلى (بِلْقِيسُ)تَقْبِسُ من حلاهُ وتَسْرِق

وعَلا عليهن الترابُ . ولم يكن يَزْكُو بِهِنّ سوى العبير(٥) ويَلْبَق(٦)

حُجُراتُها مَوْطوءَةٌ . وستورُها مَهتوكةٌ . بيد البِلى تَتخرّق

أَوْدَى بزينتها الزمانُ وحَلْيِها والحسنُ باقٍ والشبابُ الرَّيِّق(٧)

لو رُدَّ فِرعونُ الغداةَ ؛ لراعه أنّ الغَرانيق(٨) العُلَى لا تَنطق

خلع الزمانُ على الورى أيامَه فإذا الضُّحى لكَ حِصَّةٌ والرَّوْنَق

لكَ من مواسمه ومن أعياده ما تَحْسِرُ(٩) الأَبصارُ فيه وتَبْرَق

لا (الفرسُ) أُوتوا مثله يوماً . ولا (بغدادُ) فى ظلِّ (الرشيد) و(جِلَّق(١٠))

فَتْحُ الممالك ؛ أوقيامُ (العِجْلِ) ، أو يومُ القبور . أو الزفافُ المُونِق ؟

كم موكب تَتخايلُ الدنيا به يُجْلَى كما تُجْلَى النجومُ ويُنْسق !

(فرعونُ) فيه من الكتائبِ مُقْبِلٌ كالسُّحْب .قَرْنُ الشمس منها مُفتِق(١١)

تَعْنو(١٢) لعزَّتِه الوجوه ؛ ووجهُهُ للشمسِ فى الآفاق عانٍ مُطرِق

آبتْ من السفرِ البعيدِ جنودُه وأَتَتْه بالفتحِ السعيدِ الفَيْلَق(١٣)

---

١ ــ الدمى : جمع دمية ، وهى الصورة المنقشة ٢ ــ مستبرديات : لابسات ــ ٣ ــ تتفنق : تتنعم .
٤ ــ عطلت : من عطلت المرأة لم يكن عليها حلى ــ ٥ ــ العبير : أخلاط من الطيب .
٦ ــ يلبق : يليق ــ ٧ ــ الريق من كل شىء : أوله وأصله .
٨ ــ الغرانيق : جمع غرنيق ، وهو الشاب الأبيض الجميل ، ويقصد التماثيل .
٩ ــ تحسر : من حسر البصر كل لطول مدى ١٠ ــ جلق : دمشق
١١ ــ مفتق : من نتق قرن الشمس أصاب فتقا من السحاب فبدأ منه .
١٢ ــ تعنو : تخضع وتذل ــ ١٣ ــ الفيلق : الكتيبة العظيمة .

ومَشى الملوكُ مُصفَّدِين : خدودُهم   نعلٌ لفرعونَ العظيمِ ونُمْرُقُ(١)

مملوكةٌ أعناقُهم ليمينهِ   يَأْبَى فيَضْرِبُ ، أو يَمُنُّ فيُعتِقِ

ونجيبةٍ بين الطفولةِ والصِّبا   عذراءَ ، تَشْرَبُها القلوبُ وتَعلَق

كان الزفافُ إليكَ غايةَ حَظِّها   والحظُّ إن بلغ النهايةَ مُوبِقُ(٢)

لاقَيْتَ أعراساً ، ولاقَتْ مأتَماً   كالشيخِ يَنْعَمُ بالفتاةِ وتُزْهَق

فى كلِّ عامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بلا   ثمنٍ إليكَ ، وحُرَّةٌ لا تُصدَق(٣)

حَوْلٌ(٤) تُسائِل فيه كلّ نجيبةٍ   سَبقتْ إليكَ :متى يحولُ فتَلْحق ؟

والمجدُ عند الغانياتِ رَغيبةٌ   يُبْغَى كما يُبْغَى الجمالُ ويُعْشَق

إن زوّجوكَ بهنّ فَهْيَ عقيدةٌ   ومن العقائدِ ما يلَبُّ(٥) ويَحْمُق

ما أجملَ الإيمانَ !! لولا ضَلَّةٌ   فى كلِّ دِينٍ بالهدايةِ تُلْصَق

زُفَّتْ إلى مَلِكِ الملوكِ يَحُثُّها   دِينٌ ، ويَدْفعها هَوًى وتَشَوُّق

ولربَّما حَسَدَتْ عليكَ مكانَها   تِربٌ(٦) تَمَسَّحُ بالعروس وتُحْدِق

مَجْلُوَّةٌ فى الفُلْكِ يَحدو(٧) فُلْكَها   بالشاطئَيْن مُزَغْرِدٌ ومُصفِّق

فى مِهْرجانٍ هَزَّتْ الدنيا به   أعطافَها ، واختالَ فيه المشْرِق

فرعونُ تحتَ لوائِه ، وبَنَاتُه   يَجرى بهنّ على السفينِ الزَّوْرَق

حتى إذا بلغتْ مواكبُها المَدَى   وجرى لغايتِه القضاءُ الأَسْبق

وكسا سماءَ المِهرجانِ جلالةً   سيفُ المنية وهو صَلْتٌ(٨) يبرقُ

وتَلفَّتتْ فى اليَمِّ كلُّ سفينةٍ   وانثال(٩) بالوادى الجميعُ وحدَّقوا

ألقتْ إليكَ بنفسها ونفيسِها   وأتتكَ شيِّقةً حواها شَيِّق

---

١ ــ النمرق : الوسادة الصغيرة ٢ ــ موبق : مهلك .
٣ ــ تصدق : من اصدق الرجل المراة اى سمى لها صداقها
٤ ــ الحول : السنة .
٥ ــ يلب : من لب أى صار لبيبا ٦ ــ الترب : من ولد معك .
٧ ــ يحدو : من حدا الابل ساقها وغنى لها ٨ ــ الصلت : السيف الصقيل الماضى ٩ ــ انثال : اى انصب .

خلعَت عليكَ حياءَها وحياتَها
وإذا تَناهى الحبُّ واتفقَ الفِدى
ما العَالَمُ السُّفلِيُّ إلا طِينَةٌ
هى فيه للخِصْبِ العميمِ خميرةٌ
ما كان فيها للزيادةِ مَوْضِعٌ
مُنبثَّةٌ فى الأَرضِ ، تَنتظمُ الثَّرى
منها الحياةُ لنا ، ومنها ضِدُّها
والزَّرعُ سُنْبُلُه يطيبُ ، وحَبُّه
وتَشدُّ بيتَ النحلِ ، فهو مُطنَّبٌ
وتظلُّ بين قوى الحياةِ ، جوائِلاً
هى كِلْمَةُ اللهِ القديرِ ، ورُوحُه
فى النجم والقمرين مظهَرُها ، إذا
والذَّرُّ(٥) والصَّخَراتُ مِمَّا كَوَّرَتْ
فتنتْ عقولَ الأَولين ، فأَلَّهوا
سجَدوا لمخلوق ، وظنُّوا خالقاً
دانت (بآبيسَ) الرعيةُ كلُّها
جاءُوا من المرعى به يمشى ، كما
داجٍ كجنح الليل زان جبينَهُ
العسجد(٨) الوهّاجُ وشْىُ جلالِه

أأعزُّ من هذين شىءٌ يُنْمَق؟
فالروحُ فى بابِ الضحيَّة أَلْيَق
أزليَّةٌ(١) فيه تُضىءُ وتَغسِق(٢)
يَنْدَى بما حملتْ إليه ، ويَبْثُق(٣)
وإلى حماها النقصُ لا يتطرّق
وتنالُ مِمَّا فى السماء ، وتَعْلَق
أبداً نَعودُ لها ، ومنها نُخْلَق
منها ، فيخرج ذا ، وهذا يفلَق
وتمدُّ بيتَ النمل ، فهو مروَّق
لا تستَقِرُّ ، دوائِلاً لا تُمْحَق(٤)
فى الكائنات ، وسرُّه المستغلِق
طلعَتْ على الدنيا ، وساعةَ تَخفُق
والفيلُ مِمَّا صَوَّرَتْ ، والخِرْنِق(٦)
من كلّ شىءٍ ما يَروع ويَخرُق
مَنْ ذا يُمَيِّزُ فى الظلام ويَفْرُق؟
من يستغلُّ الأَرضَ ، أَو من يَعزق
تمشى وتَلْتَفِتُ المهاةُ وترْشُقُ
وَضَحٌ عليه من الأَهلَّة أَشْرَق(٧)
والوردُ مَوْطِئُ خُفِّه ، والزَّنْبَق(٩)

---

١ ـ أزلية : الأزل : القدم ـ ٢ ـ تغسق : تظلم ـ ٣ ـ يبثق : من بثق السيل موضع كذا : خرقه وشقه ـ ٤ ـ تمحق : من محقه أهلكه ٥ ـ الذر : الهباء المنبعث فى الهواء ، الواحدة ذرة ـ ٦ ـ الخرنق : الفتى من الأرنب ٧ ـ الوضح : الغرة ، والوضح : التحجيل فى القوائم ٨ ـ العسجد : الذهب ـ ٩ ـ الزنبق : نبات له زهر طيب الرائحة .

ومن العجائِب بَعْدَ طولِ عبادةٍ يُؤتَى به حوضَ الخلودِ فيُغرَق

ياليت شعرى : هل أضاعوا العهدَ ، أم حَذِروا من الدنيا عليه وأشفقوا ؟

قومٌ وقارُ الدّين فى أخلاقهم والشعبُ ما يَعتاد أو يتخلَّق

يَدْعُون خلفَ السِّتر آلهةً لهم ملأُوا النَّدِىَّ جلالةً ، وتَأبّقوا(١)

واستحجبوا(٢) الكُهّانَ ، هذا مُبلغٌ ما يهتِفون به ، وذاك مُصدِّق

لا يُسأَلون إذا جرت ألفاظُهم مِنْ أين للحجر اللسانُ الأذلَقُ ؟

أوكيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ فيما يَنوب من الأُمور ويَطْرُق ؟

وإذا همو حَجُّوا القبورَ حسبتهم وَفْدَ (العتيقِ)(٣) بهم تَرَامَى الأَيْنُق(٤)

يأْتون (طيبةَ) بالهَدِىِّ(٥) أمامَهم يغشى المدائنَ والقرى ويُطَبِّق

فالبرُّ مشدودُ الزَّواحلِ مُحْدَجٌ(٦) والبحرُ ممدودُ الشِّرَاعِ مُوَسَّق

حتى إذا أَلْقَوْا بهيكلها العصا وَفَّوا النذورَ ، وقَرَّبوا ، واصَّدَّقوا

وجَرَتْ زوارقُ بالحجيج ، كأَنها رُقْطٌ تَدافعُ ، أو سهامٌ تَمْرُق(٧)

من شاطئٍ فيه الحياةُ لشاطئٍ هو مُضْجَعٌ للسابقين ومِرفق(٨)

غربوا غروبَ الشمسِ فيه . واستوى شاهٌ ورُخٌّ(٩) فى الترابِ وبَيْدق(١٠)

حيثُ القبورُ على الفضاء كأَنها قِطَعُ السحابِ ، أو السرابُ الدَّيْسَق(١١)

للحقِّ فيه جَزْلةٌ ، وله سَنًا كالصبح من جَنَبَاتِها يَتَفَلَّق

---

١ ـ الندى : النادى ٢ ـ استحجبوا الكهان : أى ولوهم الحجابة ، وهى خطة الحاجب أى البواب ـ ٣ ـ العتيق : الكعبة ـ ٤ ـ الاينق : جمع ناقة ـ ٥ ـ الهدى : ما يهدى الى الحرم من النعم ، وقيل : هو جمع الهدى . واحدتها هدية ـ ٦ ـ محدج . من حدج الأحمال : شدها ووسقها
٧ ـ رقط : واحدتها رقطاء وهى الحية ـ ٨ ـ المرفق : المتكأ .
٩ ـ الرخ : قطعة شطرنج يلعب بها ـ ١٠ ـ البيدق : قطعة شطرنج يلعب بها .
١١ ـ الديسق : بياض السراب وترقرقه ؛ وهو اسم للسراب أيضا ، ويطلق كذلك على كل شىء ينير ويضىء .

نزلوا بها فمشى الملوكُ كرامةً وجثا المُدِلُّ بماله والمُمْلق(١)
ضاقت بهم عَرَصاتُها . فكأنما رَدَّتْ ودائعَها الفلاةُ الفَيْهَقُ(٢)
وتَنادم الأَحياءُ والموتى بها فكأَنهم فى الدهر لم يتفرّقوا

* * *

أَصلُ الحضارةِ فى صَعيدِكَ ثابتٌ ونَباتُها حَسَنٌ عليك مُخلَّق(٣)
وُلِدَتْ . فكنتَ المهدَ ، ثم ترعرعَتْ فأَظلَّها منكَ الحَفِيُّ المُشْفِق
ملأَتْ ديارَك حكمةً ، مأْثورُها فى الصخر والبَرْدِى الكريمِ مُنَبَّق(٤)
وبَنَتْ بيوتَ العلم باذخةَ الذُّرَى يسعى لهن مُغَرِّبٌ ومُشَرِّق
واستحدثتْ دِينًا ، فكان فضائلاً وبِناءَ أَخلاقٍ يطول ويَشهَق(٥)
مَهَدَ السبيلَ لكلِّ دِينٍ بعدَه كالمسك رَيَّاه بأُخرى تُفْتَق(٦)
يدعو إلى بِرٍّ ، ويرفع صالِحًا ويَعاف ما هو للمروءة مُخْلِق
للناسِ من أسرارِه ماعُلِّموا ولشُعْبةِ الكَهَنوت ما هو أَعْمق
فيه محلٌّ للأَقانيم(٧) العُلى ولجامع التوحيدِ فيه تَعَلُّق
تابوتُ موسى ؛ لا تزال جلالةٌ تبدو عليك له ، وريًّا تُنْشَق(٨)
وجمالُ يوسُفَ ؛ لا يزال لواؤُهُ حَوْلَيك فى أُفُق الجلال يُرنِّق (٩)
ودموعُ إخوته ؛ رسائلُ توبةٍ مَسْطُورُهُنّ بشاطئَيْك مُنمَّق
وصلاةُ مريم ؛ فوقَ زرعك لم يزل يَزكو لذكراها النبات ويَسمُق(١٠)
وخُطَى المسيح عليك روحاً طاهرًا بركاتُ ربِّك ، والنعمُ الغَيْدَق(١١)

---

١ ــ المملق : الفقير ٢ ــ الفيهق : الواسع من كل شىء
٣ ــ مخلق : متطيب .
٤ ــ منبق : مسطر ــ ٥ ــ يشهق : من شهق الجبل : ارتفع .
٦ ــ تفتق : من فتق المسك بغيره استخرج رائحته بشىء يدخله عليه .
٧ ــ الأقانيم : جمع أقنوم وهو الاصل والشخص .
٨ ــ تنشق : تشم ٩ ــ يرنق : يخفق ويتحرك ١٠ ــ يسمق : سمق النبات اى طال وعلا ١١ ــ الغيدق : من غيدق المطر : كثر .

ووDائعُ (الفاروقِ)(١) عندك ، دينه ... ولواؤه ، وبيانُه ، والمنطِق

بعث الصحابةَ يَحملون من الهدى ... والحقِّ ما يُحيي العقولَ ويَفتق

فَتْحُ الفتوح ، من الملائك رَزْدَقٌ(٢) ... فيه ، ومن (أصحاب بدرٍ) رَزْدَق

يبنون لله الكنانةَ بالقنا ... والله من حول البناءِ مُوَفِّق

أحلاسُ(٣) خيل ، بَيْدَ أن حسامَهم ... فى السلم من حذرِ الحوادثِ مُمْلَق

تُطوَى البلادُ لهم ، ويُنْجِدُ جيشُهم ... جيشٌ من الأخلاقِ غازٍ مُورِق(٤)

فى الحقِّ سُلَّ وفيه أُغْمِد سيفُهم ... سيفُ الكريم من الجَهالة يَفْرَق(٥)

والفتحُ بَغْيٌ لا يُهَوِّن وَقْعَه ... إلا العفيفُ حسامُه ، المترفِّق

ماكانت «الفسطاطُ» إلا حائطاً ... يأْوى الضعيفُ لركنه والمُرْهَق

وبه تلوذُ الطيرُ فى طلبِ الكرَى ... ويبيتُ «قيصرُ» وهْو منه مُؤَرَّق

«عَمْرٌو» على شطبٍ(٦) الحصير مُعصَّبٌ(٧) ... بقلادةِ الله العَلِيِّ مُطَوَّق

يدعو له «الحاخامُ» فى صلواته ... (موسى) ويسأل فيه عيسى البَطْرَقُ

يانيلُ ، أنت بطيب ما نَعَتَ «الهدى» ... وبمدحةِ (التوراةِ) أحْرَى أَخْلَق

وإليك يُهْدِى الحمدَ خَلْقٌ حازهم ... كَنَفٌ على مَرِّ الدهورِ مُرَهَّق(٨)

كَنَفٌ «كمَعْنٍ» ، أو كساحة «حاتم» ... خَلْقٌ يُوَدِّعُه . وخَلْقٌ يَطْرُق

وعليك تُجلَى من مَصونات النُّهَى ... خُودٌ ، عرائسُ ، خِدْرُهنّ المُهرَق(٩)

الدرُّ فى لَباتهنّ(١٠) مُنَظَّمٌ ... والطيبُ فى حَبَراتهنّ مُرَقْرَق

لى فيكَ مدْحٌ ليس فيه تكلُّفٌ ... أملاه حُبٌّ ليس فيه تَمَلُّق

---

١ — الفاروق : عمر بن الخطاب ٢ — الرزدق : الصف من الناس — ٣ — احلاس خيل : اى ملازمون ظهورها — ٤ — مورق : هو هنا بمعنى غانم — ٥ — يفرق : يحذر — ٦ — الشطب : السعف الأخضر الرطب من جريد النخل — ٧ — معصب : متوج — ٨ — المرهق : من يغشاه الناس والأضياف كثيرا — ٩ — المهرق : الصحيفة — ١٠ — لباتهن : واحدتها لبة وهى النحر .

مما يُحمِّلنا الهوى لكَ أَفرُخٌ ... سنطير عنها ، وهى عندك تُرزَق
تَهفو إليهم فى التراب قلوبُنا ... وتكاد فيه بغير عِرقٍ تَخفُق
تُرجَى لهم ، واللهُ جلَّ جلالُه ... منا ومنك بهم أَبَرُّ وأرفق
فاحفظ ودائعَك التى استُودِعتَها ... أنت الوفىُّ إذا اؤتمنتَ الأَصدق
للأرض يومٌ ، والسماء قيامةٌ ... وقيامةُ « الوادى » غداةَ تحلّق(١)

نَكبَةُ دِمَشْق

قيلت فى حفلة اقيمت لاعانة منكوبى سوريا
بتياترو حديقة الازبكية فى يناير سنة ١٩٢٦

سلامٌ من صَبا (بَرَدَى)(٢) أَرقُّ ... ودمعٌ لا يُكَفكَفُ يا دِمَشْقُ
ومعذِرة اليَرَاعةِ والقوافى ... جلالُ الرُّزْءِ(٣) عن وَصْفٍ يَدِقُّ
وذكرى عن خواطرِها لقلبى ... إليكِ تلفُّتٌ أبدًا وخَفَق(٤)
وبى مما رَمَتْكِ بهِ الليالى ... جراحاتٌ لها فى القلب عُمْق
دخلتُكِ والأَصيلُ له ائتلاقٌ(٥) ... ووجهُك ضاحكُ القسماتِ طَلْق
وتحتَ جِنانِك الأَنهارُ تجرى ... ومِلْءُ رُباك أوراقٌ ووُرْق(٦)
وحولى فتيةٌ غُرٌّ صِباحٌ ... لهم فى الفضلِ غاياتٌ وسَبْق
على لهواتهم(٧) شعراءُ لُسْنٌ(٨) ... وفى أعطافِهم خُطباءُ شُدْق(٩)
رُواةُ قصائدِى ، فاعجبْ لشعرٍ ... بكلِّ محلَّةٍ يَرْوِيه خَلْق

---

١ — تحلق : تجف ، من حلقت الابل اذا ارتفع لبنها وجف .
٢ — بردى : نهر دمشق — ٣ — الرزء : المصيبة .
٤ — خفق : خفوق — ٥ — ائتلاق : من أئتلق لمع واضاء — ٦ — الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة — ٧ — لهوات : جمع لها ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .
٨ — لسن : من لسن الرجل فصح ، أو تناهى فى الفصاحة والبلاغة .
٩ — شدق : جمع أشدق ، أى بليغ مفوه كريم .

غَمزتْ إباءهم حتى تلظَّتْ   أنوفُ الأُسْدِ واضطرَم(١) المَدَق(٢)
وضجَّ من الشكيمةِ(٣) كلُّ حُرٍّ   أَبِيٍّ من أُمَيَّةَ فيه عِتْق(٤)

* * *

لحاها اللهُ أنباءً توالتْ   على سَمعِ الولىِّ بما يَشُقّ(٥)
يُفصِّلها(٦) إلى الدنيا بَريدٌ   ويُجْمِلُها إلى الآفاقِ بَرْقُ(٧)
تكادُ لروعةِ الأحداثِ(٨) فيها   تخال من الخُرافةِ وَهْى صِدْق
وقيل : معالمُ التاريخ دُكَّت   وقيل : أصابها تلفٌ وحَرق
ألستِ ـ دِمَشقُ ـ للإسلام ظِئْراً(٩)   ومُرْضِعَةُ الأُبُوَّةِ لا تُعَقّ ؟
صلاحُ الدين ؛ تاجُك لم يُجَمَّل   ولم يُوسَم بأزين منه فَرْق
وكلُّ حضارةٍ فى الأرض طالتْ   لها من سَرْحِكِ العُلْوِىِّ عِرْق(١٠)
سماؤكِ من حُلَى الماضى كتابٌ   وأرضُك من حلى التاريخ رق(١١)
بنيْتِ الدولةَ الكبرى ومُلْكاً   غبارُ حضارتَيْه لا يُشَقّ
له بالشامِ أعلامٌ وعُرْسٌ   بشائرُه بأندلُسٍ تدَق

* * *

رباعُ الخلدِ ـ وَيْحَكِ ـ ما دَهاها ؟   أحقٌّ أنها دَرَستْ ؟ أحَقٌّ ؟
وهل غُرَفُ الجِنانِ مُنضَّداتٌ(١٢)؟   وهل لنعيمهن كأمسِ نَسْقُ ؟
وأين دُمًى(١٣)المقاصِر(١٤)من حِجالٍ   مُهَتَّكةٍ ، وأستارٍ تُشَقُّ

---

١ ـ اضطرم ، من اضطرمت النار : اشتعلت ـ ٢ ـ المدق : قصبة الأنف ـ ٣ ـ الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة فى فم الفرس ٤ ـ العتق : الكرم وخلوص الأصل .
٥ ـ الولى : المحب والصديق ـ ٦ ـ فصل : بين ـ ٧ ـ يجمل . من اجمل الكلام : فصله وبينه ـ ٨ ـ الاحداث : المصائب ـ ٩ ـ الظئر : المرضعة ـ ١٠ ـ السرح : الشجر العظام ـ ١١ ـ الرق : جلد رقيق يكتب فيه ـ ١٢ ـ منضد : منسق ـ ١٣ ـ الدمى : واحدتها دمية ، وهى الصورة المنقشة ـ ١٤ ـ المقاصير : واحدتها مقصورة وهى الحجر .

بَرزْنَ وفى نواحى الأَيْكِ نارٌ وخَلفَ الأَيكِ أفراخٌ تُزَقُّ
إذا رُمْنَ السلامةَ من طريق أَتتْ من دونه للموت طُرْق
بِلَيْلٍ للقذائفِ والمنايا وراءَ سمائِه خَطْفٌ ، وصَعْقُ
إذا عصفَ الحديدُ ؛ احْمَرَّ أُفْقٌ على جنباتِه ، وأَسودَّ أُفق
سَلِى مَن راعَ غِيدَك بعدَ وَهْنٍ(١) أَبيْن فؤادِه والصخرِ فَرْق ؟
وللمستعمِرِين – وإن ألانوا – قلوبٌ كالحجارةِ ، لا تَرِقّ
رماكِ بطَيْشِه ، ورمى فرنسا أخو حربٍ، به صَلَفٌ ، وحُمْق
إذا ما جاءه طُلاَّبُ حَقٍّ يقول: عصابةٌ خرجوا وشَقّوا
دَمُ الثّوارِ تعرفُه فرنسا وتعلم أَنه نورٌ وحَقّ
جرى فى أَرضِها ، فيه حياةٌ كمُنْهَلِّ السماءِ ، وفيه رزقُ(٢)
بلادٌ ماتَ فِتيَتُها لِتحيا وزالوا دونَ قومِهمُ ليبقوا
وحُرِّرَت الشعوبُ على قَناها فكيف على قناها تُسْترَق؟(٣)
بنى سوريَّةَ ، اطَّرِحوا الأَمانى وأَلْقُوا عنكمُ الأَحلامَ ، أَلْقوا
فمِنْ خِدَعِ السياسة أَن تُغَرُّوا بأَلقاب الإمارةِ وهْىَ رِقُّ(٤)
وكم صَيَد(٥) بدا لك من ذليل كما مالت من المصلوب عُنْق
فُتُوق المُلكِ تَحْدُثُ ثمّ تمضى ولا يمضى لمختلِفِين فَتْق
نَصَحْتُ ونحن مختلفون دارًا ولكنْ كلُّنا فى الهمِّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونُطْق
وقفتم بين موتٍ أَو حياةٍ فإن رمْتم نعيمَ الدهر فاشْقوا
وللأَوطانِ فى دَمِ كلِّ حُرٍّ يَدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مُستحِق

---

(١) الوهن: نصف الليل ، أو بعده بساعة – ٢ – منهل السماء: أى قطره – ٣ – تسترق: تستعبد – ٤ – الرق: العبودية – ٥ – الصيد: ميل العنق وهو يضرب للكبر .

ومن يَسقى ويَشرب بالمنايا ... إذا الأحرارُ لم يُسقوا ويَسقوا ؟

ولا يبنى الممالكَ كالضحايا ... ولا يُدنى الحقوقَ ولا يُحِقّ

ففى القتلى لأجيالٍ حياةٌ ... وفى الأسرَى فِدًى لهمو وعِتْق(١)

وللحريةِ الحمراءِ بابٌ ... بكلِّ يَدٍ مُضَرَّجةٍ يُدَقّ

جزاكم ذو الجلالِ بنى دِمَشقٍ ... وعِزُّ الشرقِ أوَّلُهُ دِمَشْقُ

نصرتم يومَ مِحنتهِ أخاكم ... وكلُّ أخٍ بنصرِ أخيه حق

وما كان الدُّروزُ قَبِيلَ(٢) شرٍ ... وإن أُخِذوا بما لم يَستحِقّوا

ولكنْ ذادَةٌ(٣) ، وقُراةُ ضيفٍ ... كينبوعِ الصَّفا خَشُنوا ورَقّوا

لهم جبلٌ أشمُّ له شعافٌ ... موارد فى السحاب الجُونِ بُلْق

لكلِّ لبَوءَةٍ ، ولكلِّ شِبْلٍ ... نِضالٌ دونَ غايتِهِ ورَشْق

كأن مِن السَّمَوْألِ (٤) فيه شيئاً ... فكلُّ جهاتِهِ شرفٌ وخلْق

رَمَضانُ وَلّى

الابيات التى بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب

رمضانُ وَلَّى ، هاتِها ياساقى ... مُشتاقةً تسعى إلى مُشتاقِ

ما كان أكثَرَه على أُلّافِها ... وأَقلَّهُ فى طاعةِ الخَلّاق !!

اللهُ غفّارُ الذنوبِ جميعِها ... إن كان ثَمَّ من الذنوبِ بَواقى

بالأمس قد كُنّا سَجِينَىْ طاعةٍ ... واليومَ مَنَّ العيدُ بالإطلاق

---

(١) العتق : الحرية — ٢ — القبيل : جمع قبيلة وهى العشيرة .

(٣) الذادة : جمع ذائد وهو الحامى — ٤ — السموال : هو السموال ابن عادياء اليهودى صاحب القصيدة التى مطلعها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

ضحِكتْ إليَّ مِن السرور ، ولم تزل بنتُ الكُروم ِ كريمةَ الأعراق
هاتِ اسقِنيها غيرَ ذاتِ عواقبٍ حتى نُراعَ لصَيْحَة الصَّفَّاق(١)
صِرفاً مُسَلَّطةَ الشُّعَاعِ ، كأنما من وَجْنَتَيْكَ تُدار والأحداق
حمراءَ أو صفراءَ ، إنّ كريمَها كالغِيدِ ، كلٌّ مَليحةٍ بمذاق
وحَذارِ من دَمِها الزكِيِّ تُريقُهُ يَكفيك - ياساقِي - دَمُ العشاق
لا تَسقِنِى إلا دِهاقاً(٢) ، إننى أَسْقَى بكأْسٍ فى الهموم دِهاق
فلعلَّ سلطانَ المدامةِ مُخْرِجِى مِن عالَمٍ لم يَحْوِ غيرَ نِفاق
(وطنى ، أَسِفْتُ عليكَ فى عيدالمَلا وبكيتُ من وَجْدٍ ، ومن إشفاق)
(لا عيدَ لى حتى أراك بأُمّةٍ شَمَّاءَ راويةٍ من الأَخلاق)
(ذهب الكرامُ الجامعون لأَمرهم وبقِيتُ فى خَلَفٍ بغير خَلاق)
(أَيظلّ بعضُهمُ لبعضٍ خاذِلًا ويقال : شعبٌ فى الحضارة رَاقِى)؟
(وإذا أراد اللهُ إشقاءَ القُرَى جعلَ الهُدَاةَ بها دُعاةَ شِقاق)

* * *

العيدُ بينَ يَدَيْكَ ياابْنَ محمدٍ نَثَرَ السُّعودَ حُلًى على الآفاق
وأتى يقبِّل راحَتَيْكَ ، ويرتجى أن لا يفوتكما الزمانَ تَلاَق
فابلُتَه بسُعودِ وجهك والسَّنا فازداد من يُمْنٍ ، ومن إشراق
فاهنأْ بطالعِهِ السعيدِ يَزينُه عيدُ الفقير ، وليلةُ الأَرزاق
يتنزَّلُ الأَجْرانِ(٣) فى صُبحيْهما جَزْلَيْن عن صَوْم وعن إنفاق
إنى أُجِلُّ عن القتالِ سرائرى إلاّ قِتالَ البؤسِ والإملاق(٤)
وأرى سُمومَ العالَمين كثيرةً وأرى التعاونَ أنجعَ التِّرياق(٥)

---

(١) الصفاق : الديك — ٢ — الدهاق من الكئوس : الممتلئة .
(٣) الأجران : مثنى اجر اى اجر زكاة الفطر والصوم — ٤ — الاملاق : من أملق الرجل انفق ماله حتى افتقر — ٥ — الترياق : دواء مركب يدفع السموم .

قسَمتْ بَنِيها ، واستبدَّتْ فوقَهم ... دُنيا تَعُقُّ ، لَئيمةُ الميثاق

واللهُ أتعبها ، وضلَّل كيدَها ... من راحتيْك بوابلٍ غَيْداق(١)

يَأْسُو جِراحَ اليائسين من الورى ... ويُساعِدُ الأنفاسَ فى الأَرْماق(٢)

بلغ الكرامُ المجدَ حين جرَوْا له ... بسوابقٍ ، وبلَغْتَه (ببُراق)

ورأَوْا غُبارَك فى السُّها ، وتراكَضُوا ... مَنْ للنجومِ ، ومَنْ لهم بلَحاق؟

مَوْلاىَ ، طِلْبَةُ مصرَ أن تَبْقَى لها ... فإذا بَقِيتَ فكلٌّ خيرٍ باق

سبق القريضُ إليك كلَّ مُهَنِّئٍ ... مِن شاعرٍ ، مُتَفَرِّدٍ ، سَبَّاق

لم يَدَّخِرْ إلَّا رِضاكَ ، ولا اقتنَى ... إلَّا وَلاءَك أَنْفَسَ الأَعلاق(٣)

إن القلوبَ — وأنتَ ملءُ صَميمِها — ... بَعَثَتْ تَهَانِيهَا من الأَعماق

وأنا الفتى (الطَّائِىُّ)(٤) فيك ، وهذه ... كَلِمِى هَزَزْتُ بها أبا إسحاق(٥)

مِصْر

(قال وقد كان أعد وليمـــة الى الكاتب الانجليزى المستر هول كين)

أيها الكاتبُ المصوِّرُ ، صَوِّرْ ... مصرَ بالمنظر الأَنيق الخليق

إن مصرًا روايةُ الدهرِ ، فاقرأ ... عِبرَةَ الدهرِ فى الكتاب العتيق

ملْعبٌ مَثَّل القضاءُ عليه ... فى صِبا الدهر آيةَ (الصِّدِّيق)(٦)

وامِّحاءَ(٧) (الكَليمِ)(٨) آنَسَ نارًا ... والتجاءَ (البَتُولِ)(٩) فى وقت ضيق

---

(١) الغيداق : الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية .

(٢) الأرماق : جمع رمق وهو بقية الحياة — ٣ — الأعلاق : جمع علق وهو النفيس من كل شىء ٤ — الطائى : أبو تمام الطائى الشاعر .

(٥) ابو اسحاق : المعتصم بالله — ٦ — الصديق : يوسف عليه السلام

(٧) امحاء : صعق — ٨ — الكليم : موسى عليه السلام — ٩ — البتول : مريم العذراء عليها السلام .

ومنايا (مِنا)، (فكسرى)، فذِى (القرْ
نَيْنِ) : فالقَيْصَرَيْنِ : (فالفاروق)(١)

دُوَلٌ لم تَبِدْ ، ولكنْ توارت   خلْفَ بِسِتْرٍ من الزمان رَقيق
رَوْضَتى ازَّيَّنتْ ، وأبدَتْ حُلاها   حين قالوا : رِكابُكم فى الطريق
مثلَ عَذْراءَ من عجائِزِ (روما)   بشّروها بزَوْرَةِ البطريق
ضَحِكُ الماءِ ، والأَقاحى(٢) عليها   قابلَتْه الغصونُ بالتصفيق
زُرْتُماها والربيعُ فَصْلًا ، فخفَّت   نحوَ رَكْبَيْكُما خُفوفَ المشوق
فانزلا فى عيون نرجِسها الغضِّ   صِياناً ، وفوق خَدِّ الشقيق(٣)

الْبَحْرُ الْأَبْيَضُ الْمُتَوَسِّطُ

أىُّ المَمالِكِ ؟ أَيُّها   فى الدهرِ مارفعتْ شِراعَك؟
يا أبيضَ الآثارِ ، والصَّ   فَحاتِ ؛ ضُيِّعَ مَنْ أضاعَك
إنَّ البيانَ ، وإنَّ حُسْ   نَ العقلِ ؛ ما زالا متاعَك
أبدًا تُذَكِّرنا الذيـ   ـن جَلَوْا على الدنيا شُعاعك
وبَنَوْا منارَك عالياً   مُتَأَلِّقًا ، وبَنَوْا قِلاعك
وتحكَّموا بك فى الوجو   دِ ، تَحَكُّمًا كان ابتداعَك
حتى إذا جئتَ الأَنا   مَ بأهل حكمتِه أطاعَك
واليومَ عَقَّ ، كأنما   ينسى جميلَك واصطناعَك
فابْلَعْ — فَدَيْتُكَ — كلَّ ما   ئك ، فالملا ينوى ابتلاعك

(١) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله عنه — ٢ — الأقاحى : جمع أقحوانة وهو نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء .
(٣) الشقيق : زهر .

وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار فى المعرض بباريس سنة ١٩٠١ :

رزق اللهُ أهلَ باريسَ خيرًا ... وأرى العقلَ خيرَ ما رُزِقوه
عندهم للثمارِ والزهرِ ممّا ... تُنجِب الأرضُ مَعْرِضٌ نَسَقوه
جنّةٌ تَخلِب العقولَ ، وروضٌ ... تجمع العينُ منه ما فرقوه
من رآه يقول : قد حُرِموا الفر ... دوسَ ، لكنْ بسحرهم سرقوه
ماترى الكَرْمَ قد تشاكلَ ، حتى ... لو رآه السُّقاةُ ما حقّقوه ؟
يُسْكِرُ الناظرين كَرْمًا ، ولمّا ... تَعْتَصِرْهُ يَدٌ ، ولا عتّقوه
صوّروه كما يشاءُون ، حتى ... عَجِبَ الناسُ : كيف لم يُنْطِقُوه ؟
يجدُ المتّقى يدَ الله فيه ... ويقول الجَحودُ : قد خلَقوه

بَارِيسُ

جَهْدُ الصَّبابةِ ما أُكابدُ فيكِ ... لو كان ما قد ذُقْتُه يكفيك
حتّامَ هِجرانِى ؟ وفيمَ تَجنُّبى ؟ ... وإلامَ بى ذُلُّ الهوى يُغرِيكِ ؟
قد مُتُّ من ظَمَإٍ ، فلو سامَحْتِنى ... أن أشتهى ماءَ الحياةِ بفِيكِ ! !
أَجِدُ المنايا فى رضاكِ هى المُنَى ... ماذا وراءَ الموتِ ؟ ما يُرْضيك ؟
يابنتَ مَخضوبِ الصوارمِ والقنا ... بَرِئتْ بَنانُكِ من سلاحِ أبيك
فخضابُ تلك ؛ من العيونِ وِقايةٌ ... وخضابُ ذاك من الدمِ المسفوك
جَفْناكِ ؛ أيُّهما الجرىءُ على دمى ؟ ... بأَبى هُمَا مِنْ قاتلٍ وشَريك ! !
بالسيفِ . والسحرِ المُبينِ ، وبالطِّلَى ... حَمَلا علىَّ ، وبالقَنا المَشْبوك(١)

---

(١) الطلى : الخمر .

بهما وبى سقمٌ ، ومِنْ عَجَبِ الهوى ... عُدْوَانُ مُنْكَسِرٍ على مَنْهوك

رِفقاً بمسْبِلَةِ(١) الشئونِ(٢) قريحةٍ(٣) ... تسلو عن الدنيا ولا تَسْلوك

أَبكيتَها ، وقعدتِ عن إنسانِها(٤) ... يا لَلرِّجالِ لِمُغْرَق متروك

ضَلَّت كَرَاها(٥) فى غَياهِب(٦) حالكٍ ... ضَلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديك

رقَّ النسيمُ على دُجاه لِأَنَّتِى ... ورَثَى لحالى فى السماء أخوك(٧)

قاسيتُه ، حتى انجلى بالصبح عن ... سِرِّى المَصُونِ ، ومَدْمَعِى المهتوك

سُلَّت سيوفُ الحقِّ ، إلَّا واحداً ... إفرِنْدُه(٨) فى جَفْنِه يَحْميك

جَرَّدْتِه فى غيرِ حقٍّ ، كالأُلَى ... سَلُّوا سيوفَهمُ على أهليك

طلعتْ على حرَمِ الممالكِ خيلُهم ... ناراً سَنابِكُها(٩) على (البلجيك)

البأْسُ والجبروتُ فى أعْرافِها(١٠) ... والموتُ حولَ شَكيمِها(١١) المعْلوك(١٢)

عَرتْ (لياجَ) عن الحصونِ ، وجَرَّدَتْ ... (نامورَ) عن فُولاذِها المشكوك(١٣)

تمشى على خَطِّ الملوكِ وخَتْمِهم ... وعلى مَصُونِ مَواثِقٍ وصُكُوك(١٤)

والحربُ لا عقلٌ لها فتسومها ... ما يَنبغى من خُطَّةٍ وسلوك

دَكَّت حصونَ القوم إلَّا مَعْقِلاً ... من نَخْوَةٍ ، وحَمِيَّةٍ ، وفُتوك

وإذا احتمى الأَقوامُ باستقلالهم ... لاذوا بركنٍ ليس بالمدْكوك

ولقد أقول وأدمُعى مُنْهَلَّةٌ : ... (باريز) : لم يعرفْكِ مَنْ يَغزوكِ

---

(١) مسبلة : من أسبل الدمع : أى ارسله — ٢ — الشئون : الدموع

(٣) قريحة : اى ذات قرحة ، وهى الجرح — ٤ — انسانها : انسان العين ، وهو المثال يرى فى سوادها ٥ — كراها : نومها ٦ — غياهب : جمع غيهب وهو الظلمة .

(٧) اخوك : يعنى البدر — ٨ — الافرند : جوهر السيف ووشيه .

(٩) سنابكها : جمع سنبك ، وهو طرف الحافر — ١٠ — أعرافها : الواحد عرف ، وهو شعر عنق الفرس .

(١١) شكيمها : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس

(١٢) المعلوك : من علك الفرس اللجام : لاكه وحركه فى فمه .

(١٣) المشكوك : أى المشدود — ١٤ — أى انها انتهكت المعاهدات .

ما خِلْتُ جَنَّاتِ النعيمَ ولاالدُّمَى(١) تُرْمَى بمشهود النهار(٢) سَفوك

زعموكِ دارَ خلاعةٍ ، ومَجانةٍ ودَعارةٍ : يا إفْكِ ما زعموك !

إن كنتِ للشهواتِ رِيًّا ؛ فالعُلا شَهَوَاتُهُنَّ مُرَوَّيَاتٌ فيك

تلِدِينَ أعلامَ البيانِ . كأنهم أصحابُ تيجانٍ . ملوكُ أريك

فاضت على الأجيال حكمةُ شِعرهم وتفجَّرَتْ كالكوثر المعْروك(٣)

والعلمُ فى شرقِ البلادِ وغربِها ما حجَّ طالبُه سوى ناديك

العصرُ ؛ أنتِ جمالُه . وجلالُه والركنُ من بُنْيَانِه المَسْمُوك(٤)

أخذَتْ لواءَ الحقِّ عنكِ شُعوبُه ومشَتْ حَضارتُه بنور بَنيك

وخِزانَةُ التاريخِ ، ساعةُ عَرْضِها للفَخْرِ ؛ خيرُ كنوزِها ماضيك

ومن العجائبِ أنواديكِ الشَّرَى(٥) ومَراتع الغزلانِ فى واديك

يامكتبى قبلَ الشبابِ . ومَلْعبى ومَقيلَ أيامِ الشباب النُّوك(٦)

ومراحَ لذَّاتى . ومَغْداها على أُفُقٍ كجنّاتِ النعيم ضَحُوك

وسماءَ وَحْىِ الشِّعر من مُتدفِّقٍ سَلِسٍ على نَوْلِ(٧) السماءِ مَحُوك(٨)

لما احتملتُ لكِ الصَّنيعةَ لم أجد غيرَ التوافى ما به أجزيك

إن لَّم يَقُوكِ بكل نفسٍ حُرَّةٍ فاللهُ جلَّ جلالُه واقيك

وقال فى صاحب أهوج كثير الحركة والكلام :

لنا صاحبٌ قد مُسَّ إلا بقيَّة فليس بمجنون . وليس بعاقل

له قَدَمٌ لاتستقرُّ بموضع كمايتنَزَّى(٩)فى الحصى غيرُناعل

---

(١) الدمى : جمع دمية . وهى الصورة المنقشة — ٢ — يعنى الحرب .
(٣) ماء معروك : أى مزدحم عليه — ٤ — المسموك : المرتفع .
(٥) الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل ٦— النوك : جمع أنوك ؛ وهو الأحمق . وقيل : العاجز الجاهل — ٧ النول : خشبة الحائك ينسج عليها — ٨ — محوك : من حاك أى نسج .
(٩) يتنزى : يثب .

إذا ما بدا في مجلسٍ ظُنَّ حافلاً   من الصَّخَب العالى ، وليس بحافل
ويُمطرنا من لفظهِ كلَّ جامدٍ   ويُمطرنا من رَيْلِه(١) شرَّ سائل
ويُلقى على السُّمَّارِ كتفًا دِعابُها   كعَضَّةِ بَرْدٍ في نواحي المفاصل

وقال يشيع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر . وفيها وصف لبعض الأماكن المقدسة :

(محجوبُ) : إن جئتَ «الحجا   زَ» ، وفى جوانحك الهوى له
شوقاً ، وحباً بالرسو   ل ، وآلهِ أزكى سُلاله
فلَمحتَ نَضْرَةَ (بانِه)   وشممتَ كالرَّيْحان (ضالَه)
وعلى (العتيق)(٢) مَشَيْتَ تنـ   ـظر فيه دمعَك وانهماله
ومضى السُّرى بك حيثُ كا   ن الروحُ يسرى والرِّساله
وبلغتَ (بيتًا) بالحجا   ز ، يُبارك البارى حِياله
اللهُ فيه جلا الحرا   مَ لخلقه ، وجلا حلاله
فهناك طِبُّ الروحِ ، طِـ   ـبُّ العالَمين من الجهاله
وهناكَ أطلالُ الفصا   حةِ . والبلاغةِ ، والنَّباله
وهناك أزكى مسجدٍ   أزكى البريَّة قد مشى له
وهناك عُذرِيُّ الهوى   وحديثُ (قَيْسٍ)(٣) والغزاله
وهناك مُجْرِى الخيل ، يجرى   فى أعنتها خياله
وهناك مَنْ جمعَ السماحةَ . والرجاحة . والبساله(٤)

---

(١) الريل : اللعاب . من رال الصبى ريلا أى جرى لعابه .

(٢) العتيق : الحرم المكى — ٣ — هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون بنى عامر ، وله أحاديث يرجع اليها فى الأغانى ، ومنها حديث الغزالة الآنفة.

(٤) البسالة : الشجاعة .

وهناك خَيَّمَت النُّهَى والعلمُ قد ألقى رِحاله
وهناك سَرْحُ حضارةٍ الله فَيَّأنا ظِلالَه
إنّ الحسينَ بنَ الحسـ ـينِ أميرَ مَكَّةَ والإيالَه
قمرُ الحجيجِ إذا بدا دارُ الحجيجِ عليه هاله
أنتَ العليلُ ، فلُذْ به مُستشفيًا ، واغنم نَواله
لا طِبٌّ إلا جَدُّه شافى العقولِ من الضَّلاله
قَبِّل ثراه ، وقُلْ له عنى ، وبالِغْ فى المقاله
أنا يا ابنَ أحمدَ بعدَ مَدْ حى فى أبيك بخير حاله
أنا فى حِمَى الهادى أبيـ ـك ، أُحِبُّهُ ، وأُجِلُّ آلَه
شوقى إليك على النَّوى شوقُ الضرير إلى الغزالة(١)
يا ابنَ الملوك الراشديـ ـن ، الصالحين ، أولِى العَداله
إن كان بالملك الجلا لةُ ؛ فالنبىُّ لكم جلاله
أوَلَيس جدُّكمُ الذى بلغَ الوجودُ به كماله ؟

طُوكيُو

وصف نكبة اليابان الاخيرة بالزلزال الشهير

قِف (بطوكيو) ، وطُف على (يوكاهامَه)
وسل القريتيْن : كيف القيامه ؟
دنت الساعةُ التى أنذرَ النا سُ ،وحَلَّتْ أشراطُها(٢)والعلامه

---

(١) الغزالة : الشمس . — ٢ — الأشراط : المفرد شرط : العلامة .

قِفْ، تأمَّلْ مَصارعَ القوم، وانظُرْ   هل ترى من ديار عادٍ دِعامه؟

خُسِفَت بالمساكنِ الأَرضُ خَسْفًا   وطوَى أَهلُها بِسَاطَ الإِقامه(١)

طوَّفَتْ بالمدينتين المنايا   وأَدارَ الردَى على القوم جامَه(٢)

لا تَرى العينُ منهما أَين جالت   غيرَ نِقْضٍ(٣)، أَو رِمَّةٍ، أَو حُطامه(٤)

حازَهم من مراجِل(٥) الأَرضِ قبرٌ   فى مدى الظَّنِّ — عُمْقُه أَلفُ قامه

تحسبُ الميْتَ فى نواحيه يُعيي   نفخةَ الصور أن تَلُمَّ عِظامه

أَصبحوا فى ذَرا الحياة، وأَمسَوْا   ذهبَتْ رِيحُهم وشالوا نَعامه(٦)

ثِقْ بما شئتَ من زمانكِ، إِلَّا   صحبةَ العيشِ، أَو جِوارَ السلامه

دولةُ الشرق وهى فى ذِرْوَةِ العزِّ   تَحارُ العيونُ فيها فخامه

خانها الجيشُ وهْوَ فى البرِّ دِرْعٌ   والأَساطيلُ وهْىَ فى البحر لامه(٧)

لو تأَمَّلْتَها عشيَّةَ جاشتْ   خِلْتَها فى يد القضاءِ حمامه

رجَّها رجَّةً أَكبَّتْ على قَرْ   نَيْهِ (بوذا)، وزلزلتْ أَقدامه

استعذنا بالله من ذلك السَّيْـــــــلِ الذى يكسحُ البلادَ أَمامه

مَن رأَى جَلْمَدًا يَهُبُّ هُبوباً   وحميماً(٨) يَسُحّ سحَّ الغمامه؟

ودخاناً يَلُفُّ جُنْحًا بجُنْحٍ(٩)   لا ترى فيه مِعْصَميها اليَمامه؟(١٠)

وهَزِيماً كما عوى الذئبُ فى كـ   لِّ مكانٍ، وزَمْجَرَ الضِّرغامه؟

* * *

أَتَت الأَرضُ والسماءُ بطوفا   نٍ يُنَسِّى طوفانَ نوحٍ وعامه

---

(١) اى ارتحلوا — ٢ — الجام : الكاس — ٣ — النقض : اسم البنـاء المنقوض .

(٤) الحطامة : ما تحطم من الشىء المحطوم ، أى ما تكسر منه .

(٥) مراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة والنحاس .

(٦) اى ارتحلوا وتفرقوا

(٧) اللامة : الدرع — ٨ الحميم : الماء الحار — ٩ — جنح الليل : طائفة منه — ١٠ — هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر .

فترى البحرَ جُنّ ، حتى أجاز(١) الـــــبرَّ . واحتلَّ مَوْجُه أعلامه
مُزْبِدًا . ثائرَ الُّجاجِ . كجيشٍ قوَّضَ العاصفُ الهَبوبُ خيامه
فُلْكُ نوحٍ تعوذُ منه بنوحٍ لو رأته ، وتستجير زِمامه
قد تخيَّلْتُهم مَتابيلَ سحرٍ من قراعِ القضاءِ صَرْعَى مُدامه
وتخيّلتُ مَنْ تخلَّف منهم ظَنَّ ليلَ القيامِ ذاك . فنامه
أبراكينُ تلكَ ، أم نَزَواتٌ(٢) من جراحٍ قديمةٍ مُلْتامه ؟
تجد الأَرضُ راحةً حيثُ سالتْ راحةُ الجسم من وراءِ الحجَامه(٣)
ما لها لا تَضِجُّ مما أقلَّتْ من فساد ، وحُمِّلَت من ظُلامه ؟
كلما لُبِّسَتْ بأَهل زمانٍ شهِدَتْ من زمانهم آثامه
استووا بالأذى ضِرِيًّا ، وبالشـرِّ وُلوعا ، وبالدماءِ نَهامه
لبَّسَتْ هذه الحياةُ علينا عالَمَ الشَّرِّ : وَحْشَه ، وأنامه
ذاك من مُؤْنساتِه الظُّفْرُ والنَّا بُ ، وهذا سلاحُه الصَمْصَامه
سِرُّهُ من أُسامةَ البَطْشُ والفتـ كُ ، فسَمَّى وليدَه بأُسامه(٤)
لَؤُمَتْ منهما الطباعُ ، ولكن وَلَدُ العاصِيَيْنِ شرٌّ لآمه !(٥)

طَابَعُ الْبَرِيد

(العيد الفضى – ١٠ سبتمبر سنة ١٩٠٠ –
لطابع البوستة فى جنيف – سلام على لسان البريد)

أنا من خمسة وعشرين عاما لم أُرِحْ فى رِضاكمُ الأَقْداما
أركبُ البحرَ تارةً ، وأجوبُ الـ بَرَّ طَوْرًا . وأقطعُ الأَيّاما

---

(١) اجاز الموضع : سلكه – ٢ – نزوات الجرح : سوراته ونزفاته .
(٣) الحجامة : الفصد .
(٤) أسامة : الأسد ٥ – العاصيين : آدم وحواء .

ويُوافى النفوسَ مِنّى رسولٌ لم يكن خائنًا ، ولا نَمّاما

يَحمِلُ الغِشَّ والنصيحةَ ، والبغضاءَ والحُبَّ ، والرِّضَى والمَلاما

ويَجِى ما تُسِرُّه من كلامٍ ويُؤدِّى كما وَعَاهُ الكلاما

ولقد أُضْحِكُ العَبُوسَ بيومٍ فيه أُبْكِى المُنَعَّمَ البسّاما

وأُهنِّى على النوَى وأُعزِّى وأُفِيدُ الحِرْمانَ والإنعاما

وجزائِى عن خدمتى ووَفائى ثمنٌ لا يُكلِّف الأَقواما

رُبَّ عبدٍ قد اشترانى بمالٍ وغُلامٍ قد ساقَ مِنّى غُلاما

عرفَ القومُ فى (جنيفا) مَحلِّى وجَزَوْنى عن خدمتى إكراما

جامَلونى إذ تَمَّ لى رُبْعُ قَرْنٍ مِثْلَما جامَلوا الملوكَ العِظاما

ويوبيلُ الملوكِ يَلْبَثُ يوماً ويوبيلى يدوم فى الناس عاما

الطَّيّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون

قُمْ (سليمانُ) ؛ بِساطُ الريح قاما مَلكَ القومُ من الجوِّ الزِّماما

حينَ ضاقَ البرُّ والبحرُ بهم أَسْرَجوا الريحَ ، وساموها اللِّجاما(١)

صارَ ما كان لكم مُعْجِزَةً آيةً للعلمِ آتاها الأَناما

قدرةٌ كنتَ بها مُنْفَرِدًا أصبحَتْ حِصَّةَ مَنْ جَدَّ اعتزاما

(عينُ شمسٍ) قام فيها مارِدٌ من عفاريتك يُدْعَى (شاتهاما)

يملأُ الجوَّ عزيمًا كُلَّمَا ضرب الريحَ بسَوْطٍ والغَماما

مَلِكُ الجوِّ تليه عُصْبَةٌ جمعتْ شَهْمًا ، ونَدْباً ، وهماما(٢)

---

(١) سام : من سام فلانا الأمر : كلفه اياه — ٢ — الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، لأنه اذا ندب اليها خف لقضائها .

اسْتَوَوْا فوقَ « مَناطيدهمُ » ما يُبالونَ : حياةً ، أم حِماما
وقبوراً فى السَّموات العُلا نزلوا ، أم حُفَرات ورَغاما(١)
مُطْمئِنِّين نفوساً ، كلَّما عبَسَت كارثةٌ زادوا ابتساما
صهوةَ العِزِّ اعتلوْا ، تحسبهم جَمْعَ أملاكٍ على الخيل تَسامى
رفعوا « لَوْلَبَها » ، فاندفعَتْ هل رأيتَ الطيرَ قد زَفَّ وحاما ؟(٢)
شال(٣) بالأذناب كلٌّ ، ورَمَى بجَناحَيْهِ كما رُعْتَ النَّعاما
ذهبتْ تَسْمُو ، فكانت أعْقُبًا(٤) فنسوراً ، فصقوراً ، فَحماما
تَنْبَرِى فى زَرَقِ الأفْقِ ، كما سبحَ الحُوتُ بدأْماءٍ وعاما(٥)
بعْضُها فى طلبِ البعضِ ، كما طاردَ « النّسرُ » على الجوِّ القُطاما(٦)
ويراها عالَمٌ فى زُحَلٍ(٧) أرسلتْ من جانب الأرضِ سِهاما
أو نجوماً ذاتَ أذنابٍ بدتْ تُنْذِرُ الناسَ نُشوراً وقِياما(٨)
أترى القوّة فى جُؤجُؤهِ(٩) وهو بالجؤجؤ ماضٍ يَترامى؟
أم تراها فى الخوافى(١٠)خَفِيَتْ أم مَقَرُّ الحَوْلِ(١١)فى بعض القُدَامى؟(١٢)
أم ذُناباه إذا حرّكه يَزِنُ الجسمَ هُبوطاً وقِياما ؟
أم بعينيه إذا ما جالتا تكشفان الجوَّ غيثًا أم جَهاما ؟(١٣)
أم بأظفارٍ إذا شبّكها نشبت فى الريح دفْعًا واستلاما ؟
أم أمدّتْهُ بروحٍ أمُّه يوم ألقمته وما جاز الفطاما ؟

---

(١) الرغام : التراب — ٢ — زف الطائر : رمى بنفسه أو بسط جناحيه.
(٣) شالت الناقة بذنبها : رفعته — ٤ — أعقبا : جمع عقــاب ، وهو طائر من الجوارح
(٥) الدأماء : البحر — ٦ — القطاما : الصقر — ٧ — زحل : كوكب من الخنس ، سمى به لبعده وتنخيسه ٨ — نشورا : من نشر الله الموتى : أحياهم ٩ — الجؤجؤ من الطائر : الصدر ١٠ — الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، وقيل : هى الأربع اللواتى بعد المناكب .
(١١) الحول : القوة والقدرة على التصرف — ١٢ — القدامى : جمع قادمة ، وهى عشر ريشات فى مقدم الجناح ١٣ — الجهام : السحاب الذى لاماء فيه .

فتلقَّاه أَبٌ ، كم من أَبٍ دونَه فى النّاس بالوُلْدِ اهتماما !
فَلَكِيٌّ هو ، إلّا أنه لم يَنَلْ فَهْمًا ، ولم يُعْطَ الكَلاما
طِلْبةٌ قد رامها آباؤنا وابتغاها من رأى الدهرَ غُلاما
أسقطَتْ «إيكارَ» فى تَجْرِبَةٍ «وابنَ فِرْناسٍ» ، فماالسْتطاعاقِياما
فى سبيلِ المجدِ أَوْدَى نَفَرٌ شهداءُ العلمِ أَعلاهُمْ مَقاما
خلفاءُ الرُّسْلِ فى الأَرض همو يَبْعَثُ اللهُ بهم عاماً فعاما
قطرةٌ من دمهم فى مُلْكه تملأُ الملكَ جمالاً ونظاما

* * *

رَبِّ ، إن كانت لخيرٍ جُعِلَتْ فاجعل الخيرَ بناديها لزاما
وإن اعتزّ بها الشرُّ غدًا فتعالَتْ تُمطِرُ الموتَ الزُّؤاما
فاملأ الجوَّ عليها رُجُمًا رحمةً منكَ ، وعدلاً ، وانتقاما

* * *

يا «فرنسا» ، لا عَدِمنا مِنَنًا لكِ عند العلمِ والفنِّ جُساما
لَطفَ اللهُ «بباريسَ» ، ولا لَقِيَتْ إلّا نعيمًا وسلاما
رَوَّعَتْ قلبى خُطوبٌ رَوَّعَتْ سامِرَ الأَحياءِ فيها والنِّياما
أنا لا أدعو على «سِينٍ» طَغَى إنَّ «للسِّينِ» - وإن جار - ذِماما
لستُ بالناسى عليه عِيشَةً كانت الشهدَ ، وأحباباً كراما
اجعلوها رُسْلَكم أهلَ الهوى تحملُ الأَشواقَ عنكم والغراما
واستعيروها جَناحاً طالما شَغفَ الصَّبَّ وشاقَ المستَهاما
يحمِلُ المُضْنَى إلى أرض الهوى «يَمَنًا» حلَّ هَوَاهُ ، أم «شَآما»

* * *

أركبُ الليثَ ، ولا أَركبُها وأرى لَيْثَ الشَّرَى أوفى ذِماما

غَدَرَتْ «جيرونَ». لم تَحْفِلْ به ... وبما حاوَلَ مِنْ فَوْزٍ وراما

وقعتْ ناحيةً . فاحترقت

مِثْلَ قُرْصِ الشَّمسِ بالأُفْقِ اضطراما

راضَها باليُمْنِ مِنْ طَلْعَتِه ... خيرُ مَنْ حَجَّ . وَمَنْ صَلَّى . وصاما

كخليلِ الله : فى حَضْرته ... خَرَّتِ النارُ خُشُوعاً واحتراما

* * *

ما (لروحى) صاعداً ماينتهى؟ ... أتُراه آثرَ الجوَّ . فَرَاما ؟

كلَّما دارَ به دوْرَتَه ... أبدَت الريحُ امْتِثالا وارْتِساما

أنا لو نِلْتُ الذى قد ناله ... ماهَبطْتُ الأَرضَ أرضاها مُقاما

هل ترى فى الأَرضِ إلا حَسَداً ... ورياءً . ونِزاعاً . وخِصاما ؟

* * *

مُلْكُ هذا الجوِّ فى مَنْعَتِه ... طالما للنَّجمِ والطَّيْرِ استقاما

حَسَدَ الإنسانُ سِرْبَيْهِ(١) بما ... أُوتِيا فى ذرْوَةِ العزِّ اعتصاما

دخلَ العُشَّ على «أنْسُرِهِ» ... أتُرى يغشى من النَّجمِ السَّناما(٢)؟

أيُّها الشرق . انْتَبِهْ من غفلةٍ ... ماتَ مَنْ فى طُرُقاتِ السَّيل ناما

لا تقولَنَّ : عِظامِىٌّ أنا ... فى زمانٍ كان للناسِ عِصاما

شاقت العلياءُ فيه خَلَفاً ... ليس يَأْلُوها طِلاباً واغتناما

كلَّ حينٍ منهمو نابغةٌ ... يفضُلُ البدرَ بهاءً وتماما

* * *

خالِقَ العُصْفورِ . حَيَّرْتَ به ... أُمَماً بادوا وما نالوا المَراما

أفْنَوا النَّقْدَيْنِ فى تقليدِه ... وهو كالدِّرهم ريشاً وعِظاما

---

(١) السرب : القطيع من الظباء والنساء وغيرها .
(٢) السنام : حدبة فى ظهر البعير .

وَصْفُ مَرْقَصٍ

وقال يصف « البال » الخديوى الذى اقيم سنة ١٩٠٣ بسراى عـــابدين

طال عليها القِدَم فهى وجودٌ عَدَمْ
قد وُئِدَتْ فى الصِّبا(١) وانبعثَتْ فى الهَرَم
بالغَ فِرعونُ فى كَرْمَتِها من كرَم
أهرَق عُنقودَها تَقْـــدِمةً للصنم
خَبَّــأها كاهِنٌ ناحِيةً فى (الهَرَم)
اكتُشِفَتْ فامَّحَتْ(٢) غيرَ شَذًا (٣) أو ضَرَم(٤)
أو كخيال لها بعد متابٍ ألَمّ(٥)
نَمَّ بها دَنُّها وهْىَ عليه أنمّ
بى رَشَأٌ ناعمٌ(٦) ما عرف العمرَ هَمّ
أخرجها اللهُ كالـ زّهرة ، والحسنُ كِمّ(٧)
تخطُر عن عادلٍ لم يُرَ إلَّا ظَلَم
تَبْسِمُ عن لؤلؤٍ قَدَّرَه مَنْ قَسم
كرَّمه فى النَّوَى هذَّبه فى اليتم (٨)
مُضطهَدٌ خَصْرُها جانِبُه مُهْتَضَم
طاوعَ مِنْ صَدْرِها أىَّ قَوِىٍّ حَكَم

---

(١) وئدت : من واد ابنته دفنها فى القبر وهى حية — ٢ ـ امحى الشىء ذهب اثره .

٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة . ـ ٤ ـ الضرم : الاشتعال

(٥) أى كخيال الخمر اذا الم بالتائب عنها ٦ ـ رشا : الرشا ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى .

(٧) الكم : غطاء النور ـ ٨ ـ اليتم مصدر : يقال : درة يتيمة اى ثمينة لا نظير لها .

حَمْراء ثِقْلَه ثُمَّ عليه ادَّعم(١)
تسأل أترابَها مُومِئَةً بالعَنَم(٢)
أَىُّ فتًى ذٰلِكُنَّ العربىّ العَلَم ؟
يشربها ساهرًا ليلتَه لم يَنَم
قُلْنَ : تجاهَلْتِه ذلك ربُّ القلم
شاعرُ مصرَ الذى لو خَفِى النَّجمُ لَم
قلتُ لها : ليتَ لم نُرْمَ وفى نُتَّهَم
عاذلَتِى فى الطِّلى(٣) لو أنصفتْ لم أُلَم
إن عَبِس العيشُ لى عُذْتُ بها فابتسم
يشربُها كابرٌ(٤) بين ضلوعى أَشَمّ
يبذلُ ، إلَّا النُّهَى يَهتِك ، إلَّا الحُرَم
يُكْسِبُها خُلْقَه يَمزجُها بالشِّيم
يَمنعها حلمَه إن دفعتْه احتشم
تلك شموسُ الدّجَى أم ظَبياتُ الخِيَم ؟
تُقبِلُ فى موكبٍ شَقَّ سناه الظُّلَم
خِلْتُ بأنواره قرْنَ ذُكاءٍ نَجَم(٥)
مقصِدُها سُدَّةٌ آلَ إليها العِظَم
حيث كبارُ الملا بعضُ صغارِ الخدم
قد وقفوا للمَها فانسربتْ(٦) من أَمَم(٧)

---

(١) ادعم : ارتكز ٢ — العنم : شجرة حجازيه لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب — ٣ — الطلى : الخمر — ٤ — الكابر : الكبير ، والكابر : الرفيع الشأن والشرف .
(٥) ذكاء : الشمس ٦ — اسربت : يقال إنسرب الظبى اذا دخل فى سربه — ٧ — مَن أمم : أى من قريب .

تخْطِر مِن جمعهم بين ليوثٍ بُهَم(١)
خارجةً مِن شَرًى داخلةً فى أجَم
ناعِمةً لم تُرَعْ لاهيةً لم تَجم
انتثرت لؤلؤًا فى المُهَجاتِ انتظم
تَمرَح فى مَأْمَنٍ مثْلَ حَمَامِ الحَرَم
مُؤتلِفٌ سِربُها حيث تلاقى التْأَم
مندفعاتٌ على مختلفاتِ النَّغم
بين يَدٍ فى يَدٍ أو قَدَم فى قدَم
تذهب مَشْىَ القطا ترجع كَرَّ النَّسَم
تبحث أنَّى بَدَتْ ضوءَ جبينٍ وفم
تُعْجِل خطوًا تَنِى(٢) فاتنة بالرَّسَم (٣)
تجمع مِنْ ذَيلها تتركه لَمْ يُلَمّ
ترفُل فى مُخْمَلٍ نَمَّ ولمَّا يَنم
تَتبعُ . إلَّا الهوى تَقْرَبُ ، إلَّا التُّهَم
فاجتمعتْ فالتقتْ حولَ خِوانٍ نُظِم
مُنْتَهَب كلَّما ظُنَّ به النقصُ تَم
مائدةٌ مَدَّها بحرُ نوالٍ خِضَمّ
تحسَبها صُوِّرَتْ من شهواتِ النَّهم
لم تُرَ فى (بابلٍ) ما عُهِدَتْ فى (إرَم)
(حاتِمُ) لو شامَها أقلعَ عما زَعَم

---

(١) بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع — ٢ — تنى : تتأنى .
(٣) الرسم : حسن المشى .

(مَعْنُ) لو انتابها أدركَ معنى الكرم
أَشبَهُ بالبحر ، لا يُخرِجُها مُزْدَحَم
قام لديها المَلا يبلغ أَلفين ثَم
مقترحاً ما اشتهى ملتقياً ما رَسَم
لو طَلَب الطيرَ من أيكتِه ما احترم(١)
ياملِكًا لم تضِق ساحتُه بالأُمَم
تجمعُ أَشرافَها من عَرَبٍ أَو عَجَم
تُخْطِر مَنْ أَمَّها بين صنوف النِّعَم
سادةُ أفريقيا لُجَّتِها والأُكَم
أنت رشيدُ العُلَى فى المَلأَيْنِ احتَكِم(٢)
ليلتُكم قدْرُها فوقَ غوالى القِيَم
مُشرِقةٌ ، مثلُها فى زمنٍ لم يَقُم
لا برح الصفوُ فى ظِلِّكمو يُغْتَنَم
ما شربوها وما طال عليها القِدَم

تُوت عَنْخ آمُونَ وحضَارَةُ عَصْرِه

دَرَجَتْ على الكنزِ القُرونْ وأَتتْ على الدَّنِّ السُّنونْ(٣)
خيرُ السيوفِ مضى الزما نُ عليه فى خيرِ الجفون(٤)

---

(١) احترم الشيء : منعه — ٢ — الملأين : العرب والعجم
(٣) الدن : باطية الخمر — ٤ — الجفون : الأغماد .

في منزلٍ كمُحَجَّب الـ ـغَيْبِ استَسَرَّ عن الظنون(١)
حتى أتى العلمُ الجسو رُ ففضَّ خاتَمَه المَصون
والعلم (بَدْرِيٌّ)(٢) ، أُحِـ ـلَّ لأهله ما يصنعون
هتكَ الحِجالَ(٣) على الحضا رةِ ، والخُدورَ على الفنون
واندسَّ كالمِصباح في حُفَرٍ مِنَ الأجْداثِ جُون(٤)
حُجَرٌ مُمَرَّدَةٌ(٥) المعا قِلِ في الثَّرى ، شُمُّ الحُصون
لا تهتدي الريحُ الهَبو بُ لها ، ولا الغيثُ الهَتون
خانت أمانةَ جارِها والقبْرُ كالدُّنيا يَخون

* * *

يا ابنَ الثواقبِ من (رَعٍ) وابنَ الزَّواهِرِ من (أمُونْ)(٦)
نَسَبٌ عريقٌ في الضُّحى بَذَّ القبائلَ والبُطون
أرأيتَ كيف يَئُوب من غَمْرِ القضاءِ المُغْرَقون ؟
وتدولُ آثارُ القرو نِ ، على رَحَى الزَّمنِ الطَّحون ؟
حُبُّ الخلودِ بَنَى لكم خُلُقًا به تتفرَّدون
لم يأخذِ المتقدِّمو ن به ولا المتأخِّرون
حتى تسابقتم إلى الإ حسان فيما تعملون
لم تتركوه في الجليـ ـلِ ولا الحقيرِ من الشئون
هذا القيامُ . فقل لنا : الـ يومُ الأخيرُ متى يكون ؟
البعثُ غايةُ زائلٍ فانٍ ، وأنتم خالدون

---

(١) استسر : توارى ـ ٢ ـ بدرى : نسبة الى بدر ، وفى الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم ـ ٣ ـ الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس فى جوف البيت .
(٤) جون : سود ـ ٥ ـ ممرده : مطولة ـ ٦ ـ رع وامون : معبودان مصريان قديمان .

السَّبْقُ مِن عاداتِكم أَتُرى القيامةَ تسبِقون ؟
أنتم أَساطينُ الحضا رةِ والبُناةُ المحسِنون
المتقِنون ، وإنما يُجزَى الخلودَ المتقنون

* * *

أَنَزَلْتَ حُفرةَ هَالكٍ أم حجرةَ الملكِ المَكينْ ؟
أم فى مكانٍ بينَ ذ لكَ يُدهش المتأمّلين ؟
هو من قبور المُتْلَف ين ، ومن قصور المُتْرَفين
لم يبقَ غالٍ فى الحضا رةِ لم يَحُزْهُ ، ولا ثَمين
ميْتٌ تُحيط به الحيا ةُ ، زمانُه معه دَفين
وذخائرٌ من أعْصُرٍ ولَّتْ ، ومن دُنيا ودين
حملَتْ على العَجَبِ الزَّما نَ وأَهلَه المستكبِرين
فتلفَّتَتْ (باريسُ) تَحْ سَبُ أنها صنعُ البنين

* * *

ذهبٌ ببطنِ الأَرضِ لم تذهبْ بلَمْحَتِه القُرون
استحدثتْ لك جَنْدَلاً وصفائحًا منه القُيُون(١)
ونَواوِسًا(٢) وَهَّاجَةً لم يتَّخذها الهامدون
لو يفطنُ الموتى لها سَرَحوا الأَنامِلَ يَنبِشُون
وتنازعوا الذهبَ الذى كانوا له يتفاتَنون

* * *

أَكفانُ وَشْىٍ فُصِّلتْ برقائق الذهب الفَتِينْ(٣)
قد لفَّها لَفَّ الضِّما دِ مُحَنِّطٌ آسٍ رَزين
وكأنهنَّ كمائمٌ وكأنكَ الوردُ الجَنين

(١) القيون : الصناع ــ ٢ ــ نواوس : توابيت ــ ٣ ــ الفتين : المحرق.

وبكلِّ رُكنٍ صورةٌ   وبكلِّ زاويةٍ رَقِين(١)
وترى الدُّمَى ، فتخالها إذْ   تَثَرَتْ على جَنَباتِ زُون(٢)
صُوَرٌ تُرِيكَ تَحَرُّكًا   والأَصلُ فى الصُّوَرِ السُّكون
ويمرُّ رائعُ صَمْتِها   بِالحِسِّ كالنُّطقِ المُبين
صحبَ الزمانَ دِهانُها   حينًا عهيدًا بعدَ حين(٣)
غَضٌّ على طول البِلَى   حَىٌّ على طول المَنُون
خَدَعَ العيونَ ولم يَزلْ   حتى تَحَدَّى اللّامِسين
غِلمانُ قَصْرِك فى الرِّكا   بِ يُناولونَ ، ويَطْرُدون(٤)
والبوقُ يهتِفُ ، والسِّها   مُ تَرِنُّ ، والقوسُ الحَنون
وكلابُ صيدِكَ لُهَّثٌ   والخيلُ جُنٌّ لها جُنون
والوحشُ تَنْفِرُ فى السُّهو   لِ ، وتارةً تَثِبُ الحُزُون
والطيرُ تَرسُفُ فى الجِرا   حِ ، وفى مَناقِرِها أنين
وكأَنَّ آباءَ البريِّـ   ـةِ فى المدائن مُحضَرون
وكأَنَّ دُولةَ (آلِ شمـ   ـسٍ) عن شِمالكَ واليَمين(٥)

* * *

مِلكَ الملوكِ ، تحيَّةٌ   وولاءُ مُحتفِظٍ أمين
هذا المقامُ عرفتُه   وسبقتُ فيه القائِلين
ووقفتُ فى آثارِكم   أَزِنُ الجلالَ وأستبين
وبنيتُ فى العشرينَ من   أحجارِها شِعْرِى الرَّصين
سالتْ عيونُ قصائدى   وجَرى من الحجَرِ المَعين

---

(١) الرقين : الرقيم وهو الكتاب ــ ٢ ــ الزون : معرض الأصنام
(٣) العهيد : القديم ــ ٤ ــ يطردون : يزاولون الصيد
(٥) آل شمس : الفراعنة .

أقْعَدتْ جِيلاً الهوى وأقمتْ جِيلاً آخَرين
كنتمْ خيالَ المجدِ يُزْ فعُ للشبابِ الطامِحين
وكم استعرتَ جلالَكم لمحمَّد والمالكين(١)
تاجٌ تنَقَّلَ فى الخيا لِ ؛ فما استقر على جَبين
خرَزاتُه السيفُ الصقيـ لُ يَشدُّه الرمحُ السَّنين

* * *

قلْ لى : أحينَ بدا الثَّرى لكَ ؛ هل جزِعتَ على العَرِين ؟
آنَسْتَ مُلْكًا ليس بالشا كى السِّلاحِ . ولا الحَصين
البَرُّ مغلوبُ القنا والبحرُ مَسلوبُ السفِين
لما نظرتَ إلى الديا رِ صدَفتَ بالقلب الحزين(٢)
لم تلقَ حولكَ غيرَ (كرْ تَرَ) . والنِّطاسِيِّ المُعين
أقبلتَ من حجُبِ الجلا لِ على قبيلٍ مُعرِضِين
تاجُ الحضارة حين أشر قَ لم يجدْهم حافِلين
واللهُ يعلم لم يَرَوْ هُ من قرونٍ أربعين

* * *

قسَماً بمن يُحيي العظا مَ . ولا أزيدُكَ من يَمين
لو كان مِنْ سَفَرٍ إيا بُكَ أمسِ ؛ أو فتحٍ مُبين
أو كان بعثُكَ من دبيـ ـبِ الرُّوح ، أو نَبْضِ الوَتِين
وطلعتَ من وادِى الملو كِ ؛ عليكَ غارُ الفاتحين
الخيلُ حولَك فى الجِلا لِ العَسْجَدِيَّةِ يَنْثنين(٣)

---

(١) الخديو محمد توفيق الأول — ٢ — صدفت : اعرضت .
(٣) الجلال : جمع حل وهو غطاء الفرس .

وعلى نِجادِكَ هالتا نِ من القَنا ، والدَّارعين
والجندُ يدفعُ فى ركا بكَ بالملوكِ مُصَفَّدين
لرأيتَ جِيلاً غيرَ جيـ ـلِك ، بالجبابرِ لا يَدِين
ورأيتَ محكومِين قد نصبوا ، ورَدُّوا الحاكمين
روحُ الزَّمانِ ونَظْمُه وسبيلُه فى الآخرين
إن الزمانَ وأهلَه فرَغا من الفردِ اللعين
فإذا رأيتَ مَشايخًا أو فِتيةً لك ساجدين
لاقِ الزمانَ ، تَجِدْهمو عن رَكْبِه مُتخلِّفين
همْ فى الأَواخرِ مَوْلِدًا وعقولُهم فى الأَولين !

دِمَشْق

قم ناجِ جِلَّقَ(١) ، وانْشُدْ رسمَ مَن بانوا
مَشَتْ على الرَّسم أحداثٌ وأزمان

هذا الأَديمُ(٢) كتابٌ لا كِفاءَ له رَثُّ الصحائفِ، باقٍ منه عُنوان
الدِّينُ والوَحْىُ والأَخلاقُ طائفةٌ منه . وسائرُه دُنْيا وبُهتان
ما فيه إن قُلِّبَتْ يوماً جواهرُهُ إلّا قرائحُ مِن رادٍ وأذهان(٣)
بنو أُمَيَّةَ للأَنباء مافتحوا وللأَحاديثِ ما سادوا وما دانوا(٤)
كانوا ملوكاً ، سَريرُ الشرقِ تَحْتَهُمُ فهل سألتَ سريرَ الغرب : ما كانوا؟
عالِينَ كالشمسِ فى أطرافِ دولتِها فى كلّ ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان

---

(١) جلق : دمشق — ٢ — الأديم : الارض — ٣ — الراد : الزاديوم •
(٤) مادانوا : ماغلبوا من الامم وقهروا •

ياويحَ قلبيَ! مهما انتاب أَرْسُمَهُم سَرى به الهمُّ ، أَو عادتهُ أشجان

بالأَمس قمتُ على (الزهراء) (١) أَندُبُهم

واليومَ دمعى على (الفَيْحَاء) هَتَّان(٢)

فى الأَرضِ منهم سماواتٌ ، وأَلْوِيَةٌ ونَيِّراتٌ ، وأَنواءٌ ، وعقبان

معادنُ العزِّ قد مالَ الرَّغام (٣) بهم لو هانَ فى تُرْبهِ الإِبْرِيزُ ماهانوا

لولا دِمَشْقُ لمَا كانت (طُلَيْطِلَةٌ) ولا زَهتْ ببنى العبّاسِ بَغْدان(٤)

مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أَسأَله هل فى المُصَلّى أوالمحرابِ (مَرْوان)؟

تَغيَّرَ المسجدُ المحزونُ ، واختلفَتْ على المنابرِ أَحرارٌ وعِبدان

فلا الأَذانُ أَذانٌ فى منارته إذا تعالى . ولا الآذانُ آذان

* * *

آمنتُ بالله ، واستثنيتُ جَنَّتَه دمشقُ رَوْحٌ . وجَنَّاتٌ ، ورَيْحان

قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائلُها : الأَرضُ دارٌ لها (الفيحاءُ) بستان

جَرَى وصفَّقَ يلقانا بها (بَرَدَى) (٥) كما تلقَّاك دونَ الخُلْدِ رضوان

دخلتُها وحواشيها زُمُرُّدَةٌ والشمسُ فوق لُجَينِ الماءِ عِقْيان(٦)

والحورُ فى (دُمَّر) (٧) ، أو حولَ (هامَتِها)

حورٌ(٨) كَوَاشِفُ عن ساقٍ ، وولدان

و (رَبْوَةُ) الوادِ فى جِلبابِ راقصةٍ الساقُ كاسِيَةٌ ، والنحرُ عُريان

والطيرُ تَصدح من خلف العيون بها وللعيونِ كما للطَّير أَلحان

---

(١) الزهراء : قصر خلفاء بنى امية بالأندلس — ٢ — الفيحاء : دمشق .
(٣) الرغام : التراب ٤ — بغدان : احدى لغات كثيرة فى بغداد .
(٥) بردى : نهر دمشق .
(٦) العقيان : الذهب الخالص — ٧ — دمر : ضاحية دمشق .
(٨) الحور : شجر عظيم يشبه السرو .

وأقبلتْ بالنَّبات الأَرضُ مُختلِفًا أفوافُه . فهْوَ أصباغٌ وألوان(١)

وقد صَغَا (بَرَدَى) للرِّيح ، فابترَدَتْ (٢)

لدى ستورٍ . حَواشيهنَّ أفنان

ثم انثنت لم يزل عنها البلال(٣) ، ولا جفَّتْ من الماء أذيالٌ وأردان(٤)

خَلَّفتُ (لُبنانَ) جنّاتِ النعيم ، وما نُبِّئْتُ أن طريقَ الخلدِ لُبنان

حتى انحدرتُ إلى فيحاءَ وارفةٍ فيها النَّدَى ، وبها (طَيٌّ) (وشَيْبان)(٥)

نزلتُ فيها بفِتْيَانٍ(٦) جَحَاجِحَةٍ آباؤهم فى شبابِ الدَّهرِ غَسَّان(٧)

بِيض الأَسِرَّةِ(٨) ، باقٍ فيهُمُ صَيَدٌ (٩)

من (عبد شمسٍ)(١٠) وإن لم تَبْقَ تِيجان

يافتيةَ الشام ، شكرًا لاانقضاءَ له لو أن إحسانَكم يَجزيه شُكران

مافوقَ راحاتِكم يومَ السماحِ يَدٌ ولا كأَوطانكم في البشر أوطان

خميلةُ اللهِ وشَّتْها يَداهُ لكم فهل لها قَيِّمٌ منكم وجَنَّان ؟ (١١)

شِيدُوا لها المُلكَ ، وابنوا ركنَ دَولتها فالملكُ غرسٌ ، وتجديدٌ ، وبنيان

لو يُرجعُ الدهرُ مفقودًا له خَطرٌ لآبَ بالواحد المُبْكِيِّ ثُكلان

المُلكُ أَنْ تعملوا ما اسْطَعْتُمو عملاً وأن يَبِينَ على الأَعمالِ إتقان

الملكُ أَن تُخرَجَ الأَموالُ ناشِطةً لمطلبٍ فيه إصلاحٌ وعُمران

الملكُ تحتَ لسانٍ حولَه أدبٌ وتحتَ عقلٍ على جَنْبَيْهِ عِرفان

---

(١) افوافه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب ، والمراد هنا الزهر .

(٢) ابتردت : اغتسلت — ٣ — البلال : اى البلل — ٤ — أردان : جمع ردن وهو الكم .

(٥) طى وشيبان : قبيلتا حاتم ومعن ٦ — جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع الى المكارم — ٧ — غسان : أبو قبيلة باليمن ، منهم ملوك غسان وكانوا ملوكا للشام .

(٨) الأسرة : الوجوه ٩ — الصيد : رفع الراس كبرا ١٠— عبد شمس يعنى بنى امية ١١ — جنان : بستانى .

الملكُ أن تتلاقَوْا فى هوى وطنٍ   تفرّقت فيه أجناسٌ وأديان

* * *

نصيحةٌ مِلؤها الإخلاصُ ، صادِقةٌ   والنُّصحُ خالصُه دِينٌ وإيمان
والشِّعر مالم يكن ذكرى وعاطفةً   أو حكمةً ؛ فهو تقطيع وأوزان
ونحن فى الشرق والفُصْحى بنو رَحِمٍ   ونحن فى الجُرح والآلام إخوان

أُختُ أَمينَة

وقال وقد رأى فى الفلك وهى ترجع به الى مصر طفلة فيها من كريمته امينة مشابهة :

هذه نورُ السفينة   هذه شِبْهُ (أمينهْ)
هذه صورتُها مُذْ   بِنْتُ عنها مُبينه
هذه لؤلؤةٌ عنـ   ـدى لها مِثْلٌ ثمينه
من بناتِ الرومِ ، لكن   لم تكن عندى مَهينه
أنا مَنْ يترك للديّـ   ـان فى الدنيا شُئونه
ياملاكَ الفُلْكِ ، لى صِنْـ   ـوُكِ فى تلك المدينه(١)
أنتِ فى الفُلْك بَهاءٌ   وهو فى (حُلْوَانَ) زِينه
ناجِهِ ، واذكرْ له وجْـ   ـدَ أبيه ، وحَنِينَه
وأَفِدْهُ : أننى فى الـ   ـبحر مذْ دُسْتُ عَرِينه
لستُ بالنفس ضَنيناً   وبه نفسى ضَنينه
أسأل الرحمٰنَ يُرْعِيـ   ـكَ وإيّاهُ عُيونَه

---

(١) الصنو : الأخ .

أَنْدَلُسِيَّةٌ

نظمها فى منفاه باسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز
ويصف كثيرا من مشاهده ومعاهده .

يانائح (الطلْحِ)(١) ،أشباهُ عَوَادِينا(٢) نَشْجى لِوَادِيكَ ، أم نَأْسَى لوادينا ؟
ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أنَّ يداً قصَّتْ جَناحك جالت فى حواشينا؟
رمى بنا البينُ أيكاً غيرَ سامِرنا -أخا الغريب- وظِلاًّ غيرَ نادينا
كلٌّ رَمَتْه النَّوى : رِيشَ(٣) الفِراقُ لنا سَهمًا ، وسُلَّ عليكَ البينُ سِكّينا
إذا دعا الشوقُ لم نَبرحْ بمُنْصَدِعٍ من الجناحين عىٍّ لا يُلَبِّينا
فإن يَكُ الجنسُ يا ابنَ الطَّلْحِ فرّقنا إنّ المصائبَ يجمعْنَ المُصابينا
لم تألُ ماءك تَحْناناً ، ولا ظمأً ولا ادّكارًا(٤) ، ولاشجْوا أفانينا(٥)
تَجُرُّ من فنَنٍ(٦) ساقاً إلى فَنَنٍ وتسحبُ الذيلَ ترتادُ المؤاسينا
أُساةُ(٧)جسمِكَ شتّى حين تطلبهم فمَنْ لروحك بالنُّطْس(٨) المُداوينا؟

* * *

آها لنا نازِحَيْ أيْكٍ(٩) بأندلُسٍ وإن حَلَلْنَا رفيقًا(١٠) من رَوَابينا !!
رَسْمٌ وقفنا على رَسْمِ الوفاء له نَجيش بالدَّمع ، والإجلالُ يَثنينا
لِفِتْيَةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم ولا مَفارقَهم إلَّا مُصلِّينا (١١)
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبَهةٌ(١٢) للناسِ ؛ كانت لهم أخلاقُهم دينا

(١) الطلح نوع من الشجر ، سمى به واد بظاهر اشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به — ٢ — عوادينا : عوادى الدهر النازلة بنا ، وهى مصائبه .
(٣) ريش : من راش السهم الصق عليه الريش — ٤ — ادكارا ،تذكرا.
(٥) افانين : اجناس — ٦ — الفنن : الغصن المستقيم .
(٧) الأساة : الأطباء .
(٨) النطس : الاطباء الحذاق — ٩ — الايك : الشجر الكثيف الملتف .
(١٠) الرفيف : الخصب — ١١ — يقصد بهم ملوك الاندلس
(١٢) منبهة : أى شرف ورفعة .

لم نَسْرِ من حرَمٍ إلّا إلى حَرَم — كالخمر من (بابلٍ) سارت (لدارينا)(١)
لما نَبا الخلدُ نابت عنه نُسْختُه — تماثُلَ الوردِ (خِيريًّا) و (نسْرينا)(٢)
نسْقِى ثراهُمْ ثَنَاءً ، كلّما نُثِرتْ — دُموعُنا نُظِمتْ منها مراثِيا
كادت عيونُ قوافينا تُحرّكُه — وكِدْنَ يوقِظْنَ فى التُّرْبِ السلاطينا
لكنّ مصرَ وإن أغضتْ على مِقَةٍ(٣) — عَيْنٌ من الخُلْدِ بالكافور تَسقينا
على جوانبِها رَفّتْ تَمائمُنَا — وحولَ حافاتِها قامتْ رَواقينا(٤)
ملاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مَآرِبُنا — وأَربُعٌ أنِسَتْ فيها أمانينا
ومَطْلَعٌ لِسُعودٍ من أَوَاخِرِنا — ومَغْرِبٌ لجُدُودٍ من أَوَالينا(٥)
بِنّا ، فلم نَخْلُ من رَوْحٍ(٦) يُراوِحُنا — من بَرِّ مصرَ ، ورَيْحَانٍ يُغادِينا
كأُمِّ موسَى ، على اسمِ الله تكْفُلُنا — وباسمهِ ذهبتْ فى اليَمِّ تُلقِينا(٧)
ومصرُ كالكَرْمِ ذى الإحسان : فاكهةٌ — لحاضِرِينَ ، وأكوابٌ لبَادينا

* * *

ياسارىَ البرقِ يَرمِى عن جوانِحنا — بعدَ الهدوءِ ، ويهمِى عن مآقينا
لما ترقرق فى دمع السماء دماً — هاج البكا ، فخَضبْنَا الأرضَ باكِينا
الليلُ يشهد لم نَهتِك دَيَاجِيَهُ — على نيامٍ ، ولم نهتِف بسالينا
والنَّجمُ لم يَرَنا إلّا على قدمٍ — قيامَ ليل الهوى ، للعهد راعِينا
كزفْرَةٍ فى سماء الليل حائرةٍ — ممّا نُرَدِّدُ فيه حين يُضْوِينا

---

(١) بابل ودارينا مدينتان مشهورتان بجودة الخمر ٢ — خيريا ونسرينا : نوعان من الزهر — ٣ — المقة : المحبة — ٤ — الرواقى : واحدها راقية ، وهى التى ترقى الصبى اذا كان به سحر — ٥ — الجدود : الحظوظ .
(٦) الروح : الرحمة والرزق .

(٧) شبه مصر — حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج الى المنفى — بأم موسى عليه السلام حين القته فى اليم صبيا وسألت الله ان تكفله .

بالله إن جُبتَ ظلماءَ العُبابِ على نَجائبِ النُّورِ مَحْدُوًّا (بجرينا)
تَرُدُّ عنك يداه كلَّ عادية إنساً يَعِثْنَ فسادًا ، أو شياطينا
حتى حَوَتْكَ سماءُ النيلِ عالية على الغيوث ، وإن كانت مَيامينا
وأحرزتكَ شُفوفُ اللّازوَرْدِ على وَشْيِ الزَّبرْجَدِ من أفوافِ وادينا(١)
وحازكَ الريفُ أرجاءً مُؤَرَّجَةً ربَتْ خمائِلَ ، واهتزَّت بساتينا
فقِف إلى النيل ، واهتف فى خمائِله وانزل كما نزل الطلُّ الرَّياحينا
وآسِ ما بَاتَ يَذْوِى من منازلنا بالحادثات ، ويَضوَى من مغانينا

* * *

ويا مُعطِّرَةَ الوادى سرَتْ سَحَرًا فطابَ كلُّ طرُوحٍ من مرامينا
ذكِيَّةَ الأَيل ، لو خِلْنَا غِلالتها قميصَ يوسفَ لم نُحْسَبْ مُغالينا
جَشمتِ شَوْكَ السُّرَى حتى أتيْتِ لنا بالوَرْدِ كُتْبًا ، وبالرَيَّا عناوينا
فلو جزيناكِ بالأرواح غاليةً عن طيب مَسْراك لم تنهض جَوازينا
هل من ذيولكِ مسْكىٌّ نُحَمِّلُه غرائبَ الشوق وَشْيًا من أمالينا ؟
إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرِهمُ دُنْيَا ، وودُّهمو الصافى هو الدينا

* * *

يا من نَغارُ عليهم من ضمائرنا ومن مَصون هواهم فى تناجِينا
ناب الحنينُ إليكم فى خوَاطِرنا عن الدّلال عليكم فى أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا فى النائبات ، فلم يأخذ بأيدِينا
وما غُلبنا على دمع ، ولا جلَدٍ حتى أتتنا نَواكُمْ من صَياصِينا(٢)

---

١ ـ الشفوف : واحدها شِف : الثوب الرقيق ، واللازورد : حجر صاف شفاف أزرق ، والافواف : يريد بها الخمائل ٢ ـ الصياصى : الحصون وكل ما امتنع به .

ونابِغِيٌّ (١) كأنَّ الحشرَ آخرُه ... تُميتُنا فيه ذكراكم وتُحيِينا
نَطوى دُجَاه بجُرحٍ من فراقِكمو ... يكاد فى غلَس الأَسحار يَطوِينا
إذا رَسا النجمُ لم ترْقأْ مَحاجِرُنا ... حتى يزولَ ، ولم تهدأْ تراقِينا
بِتنا نقاسِى الدواهى من كواكِبه ... حتى قعدنا بها حَسْرَى تُقاسِينا
يبدو النهارُ فيخفيه تجلُّدُنا ... للشامتين ، ويَأْسُوه تأسِّينا

* * *

سَقْيًا لعهدٍ كأَكنافِ الرُّبَى رِفةً (٢) ... أنَّى ذهبنا : وأعطافِ الصَّبا لِينا
إذِ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهِيةٌ ... تَرِفُ أوقاتُنا فيها رَيَاحِينا
الوصلُ صافِيَةٌ ، والعيشُ ناغِيَةٌ ... والسعدُ حاشيةٌ ، والدهرُ ماشِينا
والشمسُ تَختال فى العِقْيان، تَحْسبها ... (بِلقيسَ) تَرْفُلُ فى وَشْىِ اليمانِينا
والنيلُ يُقْبِل كالدنيا إذا احتفلتْ ... لو كان فيها وفاءٌ للمُصافِينا
والسعدِ لوْ دامَ ، والنعمَى لوِ اطَّردتْ ... والسيلِ لَو عَفَّ ، والمقدارِ لَوْ دِينا
أَلقى على الأَرضِ — حتى ردَّها ذَهبًا — ... ماءً لمَسنا به الإِكْسِيرَ ، أو طِينا
أعداه من يُمْنِه (التابوتُ) ، وارتسَمَتْ ... على جوانبه الأَنوارُ من سِينا
له مَبالغُ ما فى الخُلْقِ من كرَمٍ ... عهدُ الكِرامِ ، وميثاقُ الوفيِّينا
لم يَجرِ للدهرِ إعذارٌ (٣) ولا عُرُسٌ ... إلَّا بأيَّامِنا ، أو فى ليالينا
ولا حوى السعدُ أطْغَى فى أَعِنَّتِه ... منَّا جِيَاداً ، ولا أَرْحَى ميادِينا
نحن اليواقيتُ ، خاض النارَ جَوهَرُنا ... ولم يَهُنْ بيَدِ التَّشْتيتِ غالِينا
ولا يَحُول لنا صِبغ ، ولا خُلُقٌ ... إذا تلوّن كالحِرْباء شانِينا

---

١ — يريد به الليل الذى ماؤه الهم والارق اشارة الى قول النابغة :
كلينى لهم يا اميمة ناصب ... وليل اقاسيه بطىء الكواكب
٢ — الرفة : النضرة — ٣ — الاعذار : طعام يتخذ لسرور حادث

لم تنزلِ الشمسُ ميزاناً ، ولاصعدَتْ ... فى مُلْكِها الضخمِ عرشاً مثلَ وادينا

ألم تُؤَلّهْ على حافاتِهِ ، ورأتْ ... عليه أبناءها الغرُّ الميامينا ؟

إن غازلتْ شاطئيه فى الضحى لبِسا ... خمائلَ السُّنْدُسِ المَوْشِيَّةِ الغِينا(١)

وبات كلُّ مُجاجٍ (٢) الوادِ من شجَرٍ ... لوافِظَ القزَّ بالخيطان ترمِينا

وهذه الأَرضُ من سَهْلٍ ومن جبلٍ ... قبل (القياصر) دِنَّاها (فراعينا)

ولم يَضَعْ حجَرًا بانٍ على حجرٍ ... فى الأَرضِ إلَّا على آثار بانِينا

كأَن أهرامَ مصرٍ حائطٌ نهضت ... به يَدُ الدهرِ ، لا بنيانُ فانِينا

إيوانُه الفخمُ من عُليا مقاصرِهِ ... يُفْنِى الملوك ، ولا يُبقِى الأَواوينا(٣)

كأَنها ورمالا حولها التَطمتْ ... سفينةٌ غَرِقتْ إلَّا أساطينا(٤)

كأَنها تحت لألاءِ الضُّحَى ذَهباً ... كنوزُ (فِرْعوْن) غَطَّيْنَ الموازينا

* * *

أرضُ الأُبُوةِ والميلادِ طيَّبها ... مَرُّ الصِّبا فى ذيول من تصابِينا

كانت مُحَجَّلةً فيها مواقِفُنا ... غُرًّا مُسَلْسَلَةَ المَجْرى قوافينا

فآبَ مِنْ كُرَةِ الأيامِ لاعِبُنا ... وثابَ مِنْ سِنَةِ الأَحلامِ لاهِينا

ولم نَدَعْ لليالى صافياً ، فدَعتْ ... (بأَن نغَصَّ ، فقال الدهرُ : آمينا)

لو استطعنا لخُضْنَا الجوَّ صاعِقةً ... والبرَّ نارَ وَغًى ، والبحرَ غِسْلِينا(٥)

سَعْيًا إلى مصرَ نقضِى حقَّ ذاكرنا ... فيها إذا نَسِىَ الوافى ، وباكِينا

كَنْزٌ (بحلوان) عندَ اللهِ نطلبُهُ ... خيرَ الودائعِ من خير المؤَدِّينا(٦)

لو غاب كلُّ عزيز عنه غَيْبَتَنا ... لم يَأْتِهِ الشوقُ إلَّا من نواحينا

إذا حمَلْنا لمصرٍ أو له شَجَنًا ... لم ندْرِ : أَىُّ هوى الأُمَّيْن شاجِينا ؟

---

١ ـ الغين : واحدها اغين : الخضر ٢ ـ المجاج : ما تمجه الارض من شجر وغيره اى ما تخرجه ـ ٣ ـ جمع ايوان ـ ٤ ـ الاساطين : واحدتها اسطوانة ، وهى السارية ٥ الغسلين : الصديد ٦ ـ اشارة الى المرحومة والدة الناظم .

وَصْفُ الْغَوَّاصَة ونَكبَةُ الباخِرةِ لُوزِيتَانْيا

قال فى حادثة نسف غواصة المانية للباخـــــرة لوزيتانيا :

رأيت على لَوْحِ (الخيالِ)(١)يتيمةً … قضى يومَ (لوسيتانيا) أبَواها

فيالك من حالٍ أمين مُصَدَّقٍ … وإن هاج للنفس البُكا وشَجَاها

فوَاهًا عليها ، ذاقت اليُتْمَ طِفلةً … وقُوِّضَ رُكْناها ، وذَلَّ صِباها

وليت الذى قاست من الموت ساعة … كما راح يَطْوى الوالديْن طواها

كفَرْخٍ رمى الرامى أباهُ فغالهُ … فقامتْ إليه أُمُّهُ فرماها

فلا أبَ يَسْتَذْرِى(٢) بظلّ جناحِه … ولا أمَّ يَبغى ظِلَّها وذَراها(٣)

ودبّابةٍ(٤) تحتَ العُباب بمَكمَنٍ … أمينٍ ، تَرى السارى وليس يَراها

هى الحوتُ ،أوفى الحوت منهامَشابِهٌ … فلو كان فولاذًا لكان أخاها

أبَتْ لأَصحابِ السَّفين غوَائِلا … وألأَمُ ناباً حينَ تَفْغرُ فاها

خَئُونٌ إذا غاصتْ ، غدورٌ ، إذا طَفت … مُلعَّنةٌ فى سَبْحِها وسُراها

تُبَيِّتُ(٥) سُفْنَ الأَبرياءِ من الوغى … وتَجنى على من لا يخوض رَحاها

فلو أدركت تابوت موسى لسَلَّطتْ … عليه زُبانَاها(٦) ، وحرَّ حُمَاها

ولو لم تُغَيَّبْ فُلْكُ نُوحٍ وتحتَجبْ … لما أَمِنَتْ مَقذوفَها ولَظَاها

فلا كان بانيها ، ولا كان رَكْبُها … ولا كان بحرٌ ضمَّها وحواها

وأفٌّ على العلم الذى تَدَّعونه … إذا كان فى علمِ النفوس رَدَاها

---

١ ـ الخيال : السينما توغراف ـ ٢ ـ يستذرى : يستظل ـ ٣ ـ الذرى بالفتح:الفناء ـ ٤ ـ الدبابة : يعنى بها الغواصة ـ ٥ ـ يقال : بيت العدو اذا اوقع به ليلا من دون أن يعلم ـ ٦ ـ زبانا العقرب : قرناها .

جِسْرُ الْبُسْفُور

هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان
عبد الحميد وطلبها وقراها باهتمام

أمير المؤمنين ، رأيتُ جسرًا ... أَمرُّ على الصراطِ ، ولا عليْهِ
له خشبٌ يجوع السوسُ فيه ... وتمضى الفأْرُ لا تأْوى إليه
ولا يتكلّفُ المِنْشارُ فيه ... سوى مرِّ الفطِيمِ بساعديْهْ
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه ... وخَلَّف فى الهزيمة حافِريْه
وأسمجُ منه فى عينى جُباةٌ(١) ... تراهم وَسْطَه وبجانِبيْه
إذا لاقيتَ واحِدهم تَصدَّى ... كعِفريتٍ يُشيرُ براحَتيْه
ويمشى (الصدرُ)(٢) فيه كلَّ يومٍ ... بموكِبه السَنِىِّ وحارِسَيْه
ولكن لا يمرُّ عليه إلّا ... كما مرّتْ يَداه بعارِضَيْه
ومن عجبٍ هو الجسرُ المعلَّى ... على البسفور ، يجمع شاطِئيْه
يُفيدُ حكومةَ السلطانِ مالاً ... ويُعطيها الغنى من مَعْدِنيْه
يجود العالَمون عليه هذا ... بعَشْرتِه ، وذاك بعَشْرَتَيْه
وغايةُ أمرِه أنّا سمِعنا ... لسانَ الحال يُنشِدُنا لديه
(أليس من العجائب أنَّ مثلى ... يرَى ما قلَّ مُمتنِعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعًا ... وما من ذاك شىءٌ فى يديه) ؟

---

١ ـ جباة : جمع جابى وهو المحصل ـ ٢ ـ يريد به الصدر الأعظم : وهو كبير الوزراء

كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا ، يستهديه لكرمة ابن هانى بالمطرية شجيرات ، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها

إلى حسينٍ حاكمِ القَنالِ ... مثالِ حُسْنِ الخُلْق فى الرِّجال

أُهْدِى سلاماً طيّباً كخُلْقِهِ ... مع احترامٍ هو بعضُ حَقِّه

وأحفظ العهدَ له على النَّوَى ... والصدقَ فى الودّ له وفى الهوى

وبَعدُ فالمعروفُ بين الصَّحبِ ... أنَّ التهادِى من دواعى الحبِّ

وعندك الزّهرُ ، وعندى الشِّعرُ ... كلاهما فيما يقال نَدْرُ

وقد سَمعتُ عنك من ثِقاتِ ... أنك أَنتَ مَلِكُ النباتِ

زهرُك ليس للزهور رَوْنَقُه ... تكاد من فَرْطِ اعتناءٍ تَخلُقه

ما نظرتْ مثلَكَ عينُ النرجسِ ... بعد ملوك الظرف فى الأَندلسِ

ولى من الحدائق الغنَّاءِ ... رَوْضٌ على (المطْرِيَّةِ) الفيْحاءِ

أَتيتُ أَستهدى لها وأَسأَلُ ... وأَرتضى النَّزْر ولا أَثَقِّلُ

عشرَ شُجيْرَاتٍ من الغوالى ... تَندُر إلَّا فى رياض الوالى

تزكو وتزهو فى الشتا والصيف ... وتجمع الأَلوانَ مثلَ الطيْفِ

تُرسلها مُؤمّنًا عليها ... إن هلَكَتْ لى الحقُّ فى مِثليْها

والحق فى الخرطوم أيضا حقِّى ... والدرسُ للخادم كيف يسقِى

وبعد هذا لى عليك زورَهْ ... لكى تدور حول روْضِى دوْرهْ

فإن فعلت فالقوافى تفعلُ ... ما هو من فعل الزهور أجملُ

فما رأيتُ فى حياتى أَزينا ... للمرء بين الناس من حُسْنِ الثَّنَا

باب النسيب

خَدَعُوها

خدعوها بقولهم : حسناءُ — والغوانى يَغُرُّهن الثّناءُ
أَتُراها تناست اسمِىَ لمّا — كثُرت فى غرامِها الأَسماءُ ؟
إن رأتنى تميل عنى ، كأَن لَّم — تكُ بينى وبينها أشياءُ !
نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ — فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
يومَ كُنا – ولا تسلْ : كيف كُنّا ؟ – — نتهادَى من الهوى ما نشاءُ
وعلينا من العَفافِ رقيبٌ — تَعِبَتْ فى مِراسه الأَهواءُ
جاذبتنى ثوبى العصِىَّ وقالت : — أَنتمُ الناسُ أَيُّها الشعراءُ
فاتقوا اللهَ فى قلوبِ العذارَى — فالعذارى قلوبُهنّ هواءُ

أخذ البيت الرابع فزاد قوله :

نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ — فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ
ففراقٌ يكون فيه دواءٌ — أو فراقٌ يكون منه الداءُ

وقال :

لا السُّهْدُ يَطويه ولا الإِغضاءُ — لَيْلٌ عِدادُ نُجُومِه رُقَباءُ
داجِى عُبابِ الجُنْحِ ، فَوْضَى فُلْكُه — ما للهموم ولا لها إرْساءُ
أَغزالة الإِشراق ، أَنتِ من الدُّجى — ومن السُّهادِ إذا طلعْتِ شِفاءُ
رفقًا بجفنٍ كلّما أَبْكَيْتِهِ — سال العَقيقُ(١) به ، وقام الماءُ

---

١ – العقيق : كناية عن الدم

ما مَدَّ هُدْبَيْهِ ليصطادَ الكرى   إلَّا وطيفُكِ فى الكرى العَنْقَاءُ
مَنْ لى بهنّ ليالياً نَهِل(١) الصِّبا   مما أَفَضْنَ وَعَلَّت(٢) الأَهواءُ ؟
أَلَّفْنَ أوطارى ؛ فعَيْشِيَ والمُنَى   فى ظلّهنّ الكأسُ والصهباءُ

وقال :

سُوَيْجعَ النيلِ ، رِفْقًا بالسُّوَيْداء   فما تُطيق أنينَ المفردِ النائى(٣)
لله وادكما يَهْوَى الهوى عَجَبٌ   تركتَ كلَّ خَلِيٍّ فيه ذا داء
وأنتَ فى الأَسْرِ تشكو ماتكابده   لصخرةٍ من بنى الأَعجام صَمَّاء
اللهَ فى فَنَنٍ تلهو الزمانَ به   فإنما هو مشدودٌ بأَحشائى
وفى جوانحك اللّاتى سمحْت بها   فلو ترفَّقْت لم تسمح بأَعضائى
ماذا تريد بذى الأَنّاتِ فى سهرى ؟   هٰذى جفونى تَسْقِى عهدَ إغفائى
حَسْبُ المضاجعِ منى ماتعالج من   جَنْبى ، ومن كَبدٍ فى الجَنْب حَرّاء
أُمْسِى وأُصْبِحُ مِنْ نَجْواك فى كَلَفٍ   حتى لَيعْشَقُ نُطقى فيك إصغائى
الليلُ يُنهِضنى من حيث يُقعدنى   والنَّجمُ يَملأُ لى ، والفكرُ صَهبائى
آتى الكواكبَ لم أنقل لها قَدَمًا   لا ينقضى سهرى فيها وإسرائى
وألحظُ الأَرضَ ، أطوِى مايكون إلى   ما كان مِنْ آدمٍ فيها وحَوّاء
مُؤيَّدًا بك فى حِلّى ومُرْتَحَلِى   وما هما غيرُ إصباحى وإمسائى
تُوحِى إلىّ الذى تُوحِى ، وتسمع لى   وفى سماعك بعد الوحى إغرائى

قال أبو نواس :

ياويْحَ أَهْلِيَ ؛ أَبْلَى بينَ أَعيُنِهم   على الفراشِ ، ولا يَدْرُون مادائى

---

١ — نهل ، من نهلت الابل : شربت أول الشرب — ٢ — علت ، من علـل الرجل : شرب شربة ثانية — ٣ — سويجع : تصغير ساجع . والسويداء حبة القلب

وطلب إليه تشطير هذا البيت فقال :

ياويحَ أهلىَ ، أبلَى بين أعينهم ويَدْرُجُ الموتُ فى جسمى وأعضائى
وينظرون لجنْبٍ لا هدوءَ له على الفراشِ ، ولا يدرون ما دائى

وقال :

منكَ ياهاجرُ دائى وبكفَّيْكَ دَوائى
يا مُنَى روحى ، ودنيا ىَ ، وسُؤْلى ، ورجائى
أنت إن شئتَ نعيمى وإذا شئتَ شقائى
ليس مِنْ عُمْرِىَ يومُ لا ترى فيه لِقائى
وحياتى فى التَّدانى ومماتى فى التَّنائى
نَمْ على نسيان سُهدى فيك ، واضحكْ من بُكائى
كلُّ ما ترضاه يا مَوْ لاىَ يرضاه وَلائى
وكما تعلم حُبِّى وكما تدرى وَفائى
فيك يا راحة روحى طال بالواشى عَنائى
وتوارَيْتُ بدمعى عن عيون الرُّقَباء
أنا أهواكَ ، ولا أرْ ضَى الهوى مِن شُرَكائى
غِرْتُ . حتى لَترى أر ضِىَ غَيْرَى من سمائى
ليتنى كنتُ رِداءً لك ، أو كنت رِدائى
ليتنى ماؤك فى الغُ لَّةِ ، أولَيْتَكَ مائى

وقال :

لقد لامنى ياهندُ فى الحب لائمٌ . مُحِبٌّ إذا عُدَّ الصِّحابُ حبيبُ
فما هو بالواشى على مذهب الهوى ولا هو فى شَرع الوداد مُريب

وصفتُ له مَنْ أنتِ ، ثم جرى لنا حديثٌ يَهُمُّ العاشقين عجيب
وقلت له : صبرًا ؛ فكلُّ أخِي هَوى على يَدِ مَنْ يَهْوى غدًا سيتوب

وقال :

على قدرِ الهوى يأْتى العِتابُ ومَنْ عاتبتُ يَفْدِيه الصِّحابُ
أَلومُ مُعذِّبى ؛ فأَلومُ نفسى فأُغضِبها ويُرضيها العذاب
ولو أَنى استطعتُ لتبتُ عنه ولكنْ كيف عن روحى المتاب؟
ولى قلب بأَن يهْوَى يُجَازَى ومالِكُه بأَن يَجْنِى يُثاب
ولو وُجد العِقابُ فعلتُ ، لكن نِفارُ الظَّبْى ليس له عِقاب
يلوم اللائمون وما رأَوْه وقِدْماً ضاع فى الناس الصَّواب
صَحَوْتُ . فأَنكر السُّلْوان قلبى علىّ ، وراجع الطَّرَب الشباب
كأَنَّ يَد الغرامِ زِمامُ قلبى فليس عليه دون هَوًى حِجاب
كأَنَّ روايةَ الأَشواقِ عَوْدٌ على بَدءٍ وما كمل الكتاب
كأَنى والهوى أَخَوا مُدامٍ لنا عهدٌ بها ، ولنا اصطحاب
إذا ما اعْتَضْتُ عن عشقٍ بعشقٍ أُعِيدَ العهدُ ، وامتد الشَّراب

وقال :

أُريدُ سُلوَّكم ، والقلبُ يأْبَى وأَعتِبُكم ، وملءُ النفس عُتْبَى
وأَهجركم ، فيهجرنى رُقادى ويُضْوِينى الظلامُ أَسىً وكرْبا(١)
وأَذكركم برؤيةِ كلِّ حُسْنٍ فيصبو ناظرى ، والقلبُ أَصْبَى(٢)
وأَشكو من عذابى فى هواكم وأَجزيكم عن التعذيبِ حُبّا
وأَعلمُ أَن دَأْبكُمُ جفائى فما بالى جعلتُ الحبَّ دأْبا ؟

---

١ ـ يضوينى : يضعفنى ؛ من أضواه الأمر : اضعفه ٢ ـ والقلب أصبى : اى اشد صبوة .

وربٌّ مُعاتَبٍ كالعيشِ ، يُشكى ومِلءُ النفس منه هَوًى وعُتْبى
أتَجزيني عن الزُّلْفَى نِفارًا ؟ عَتَبْتُكَ بالهوى ، وكفاكِ عَتبا
فكلُّ ملاحةٍ فى الناس ذنبٌ إذا عُدَّ النِّفارُ عليكَ ذنبا
أخذتُ هواكَ عن عينى وقلبى فعينى قد دَعَتْ ، والقلبُ لَبّى
وأنتَ من المحاسن فى مِثال فديتكَ قالَباً فيه وقَلْبا
أُحِبُّكَ حين تثنى الجيدَ تِيهًا وأخشى أن يصيرَ التِّيهُ دَأْبا
وقالوا : فى البديلِ رضاً ورَوْحٌ لقد رُمْتُ البديلَ ، فرمتُ صَعْبا
وراجعتُ الرشادَ عَساى أسلو فما بالى مع السُّلوانِ أصْبى ؟
إذا ما الكأْسُ لم تُذْهِبْ همومى فقد تَبَّتْ يدُ الساقى ، وتَبّا
على أنى أعَفُّ مَن احتساها وأكرمُ مِنْ عَذارَى الدير شربا
ولى نفسٌ أُرَوِّيها فتزكو كزهر الورد نَدَّوْهُ فهبَّا

وقال :

رَوَّعوه ؛ فتولَّى مُغْضَبا أعلِمتم كيف ترتاعُ الظِّبا ؟
خُلِقت لاهِيةً ناعمةً رُبَّما رَوَّعها مرُّ الصَّبا
لى حبيبٌ كلَّما قيل له صَدَّقَ القولَ ، وزكَّى الرِّيَبا
كذب العُذَّالُ فيما زعموا أمَلى فى فاتِنى ما كذبا
لو رَأَوْنا والهوى ثالثُنا والدُّجى يُرْخِى علينا الحُجُبا
فى جِوار الليل ، فى ذمَّتِه نذكر الصبحَ بأنْ لا يقربا
مِلءُ بُرْدَينا عفافٌ وهوى حفظ الحسنَ ، وصنتُ الأدبا
يا غزالاً أهِلَ(١) القلبُ به قلبىَ السَّفحُ وأحنى ملْعبا

---

١ — اهل به : عمر

لك ما أحببتَ مِنْ حَبَّتِه … مَنهلاً عَذباً ، ومَرْعًى طَيِّبا
هو عندَ المالكِ الأَوْلَى بِه … كَيف أَشكو أَنه قد سُلِبا ؟
إن رأى أَبَقى على مملوكه … أو رأى أتلفه واحتسبا
لكَ قدٌّ سجدَ البانُ له … وتمنَّتْ لو أَقلَّتْه الرُّبى
ولِحاظٌ ، من معانى سحرِه … جمع الجفنُ سهاماً وظُبى(١)
كان عن هذا لقلبى غُنْيَةٌ … ما لقلبى والهوى بعد الصِّبا ؟
فِطرتى لا آخُذ القلبَ بها … خُلِقَ الشاعِرُ سَمحًا طَرِبا
لو جَلَوْا حُسْنَكَ أو غَنَّوْا به … « لِلَبيدٍ » فى الثمانين صَبا(٢)
أيها النفسُ ، تجدّين سُدًى … هل رأيتِ العيشَ إلا لَعِبا ؟
جَرِّبى الدنيا تَهُنْ عندكِ ، ما … أَهونَ الدنيا على من جرّبا ! !
نلتِ فيما نِلْتِ من مَظهرها … ومُنِحْتِ الخلدَ ذكرًا ، ونبَا

وقال والمعنى لشاعر تركى :

ما تلكَ أهدابى تَنَظَّ … مَ بينها الدمعُ السَّكوبْ
بل تلك سُبحةُ لؤلؤٍ … تُحْصَى عليكَ بها الذنُوب

وقال :

لا والقوامِ الَّذِى ، والأَعينِ اللَّاتى … ما خُنْتُ رَبَّ القَنا والمَشْرَفيَّاتِ
ولا سَلوْتُ ، ولم أَهْمُمْ ، ولاخطرَتْ … بالبالِ سَلْوَاكِ فى ماضٍ ولا آت
وخاتَمُ الملكِ للحاجات مُطَّلَبٌ … وثَغْرُكِ المتمنَّى كلُّ حاجاتى

---

١ — الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف — ٢ — هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذى قال حين بلغ الثمانين وقد شكا ثقل السمع وتهدم الشيخوخة :
ان الثمانين — وبلغتها — … قد احوجت سمعى الى ترجمان

وقال :

لَحظها لَحظها ، رُوَيْدًا رُوَيْدا　　كم إلى كم تَكيد للروح كَيْدا ؟
كُفَّ أو لا تكُفَّ ؛ إنّ بجنبي　　لَسِهامًا أَرْسَلْتَها لن تُرَدّا
تصِلُ الضربَ ما أرى لك حدًّا　　فاتّقِ اللهَ ، والتزِمْ لك حدًّا
أو فصُغ لى من الحجارة قلبا　　ثم صُغ لى من الحدائدِ كِبْدا
واكفِ جَفْنَىَّ دافقًا ليس يرْقا　　واكْفِ جَنْبَىَّ خافِقا ليس يَهْدا
فمن الغَبْنِ أن يصير وعيدًا　　ما قطعتُ الزمانَ أَرجوه وعْدا

وقال :

الرُّشْدُ أَجملُ سِيرة يا أَحمدُ　　ودُّ الغوانى مِنْ شَبابِكَ أَبعدُ
قد كان فيك لِوُدِّهنّ بَقِيَّةٌ　　واليومَ أَوْشَكَتِ البقيةُ تَنْفَدُ
« هاروتُ » شِعْرِكَ بعدَ « ماروتِ » الصبا
أَعيا ، وفارقه الخليلُ المُسعِد
لما سَمِعْنَكَ قُلْنَ : شعرٌ أَمْرَدٌ　　ياليت قائلَهُ الطَّرِيرُ الأَمرَدُ
ما لِلّوَاهِى الناعماتِ وشاعرٍ　　جعل النسيبَ حبالةً يتصيَّد ؟
ولكَمْ جمعتَ قلوبَهن على الهوى　　وخدَعْتَ مَنْ قَطَعَتْ ومَنْ تتودَّد
وسَخِرْتَ من واشٍ ، وكِدْتَ لعاذِلٍ　　واليومَ تنْشُدُ من يَشِى ويُفَنِّد
أَئذا وَجَدْتَ الغِيدَ أَلهاكَ الهوى　　وإذا وجدت الشِّعْرَ عزَّ الأَغيد ؟

وقال :

إن الوُشاةَ — وإن لم أُحْصِهم عَددا —　　تعلموا الكَيْدَ من عينيك والفَنَدَا(١)

---

١ — الفند : الكذب وكفر النعمة .

لا أخْلفَ اللهُ ظنّى فى نواظِرِهم   ماذا رأتْ بِىَ ممَّا يبعثُ الحسدا؟
هم أغضبوكَ فراح القدُّ مُنْثَنِياً   والجفنُ مُنكسرًا ، والخدُّ مُتَّقدا
وصادفوا أُذُنا صَغْواءَ لَيِّنةً   فأَسمعوها الذى لم يُسمِعوا أحدا
لولا احتراسِىَ من عينَيْك قلتُ : ألا   فانظربعينيك ، هل أبقَيْتَ لى جَلَدًا؟
اللهَ فى مُهْجَةٍ أيْتَمْتَ واحدَها   ظلمًا ، وما اتَّخذَتْ غيرَ الهوى ولدا
ورُوحِ صبٍّ أطالَ الحبُّ غُرْبَتَها   يخافُ إن رَجَعَتْ أن تُنكرَ الجسدَ
دع المواعِيدَ ؛ إنى مِتُّ مِنْ ظَمَإٍ   وللمواعيدِ ماءٌ لا يَبُلُّ صَدى
تدعو ، ومَنْ لِىَ أن أسعى بلا كَبِدٍ؟   فمن مُّعِيرِىَ من هذا الورى كَبِدا؟

وقال :

يشْتُ شكواى ؛ فذابَ الجليدْ   وأشفق الصخرُ ، ولان الحديدْ
وقلبُكَ القاسى على حاله   هيهاتَ ! بلْ قَسْوَتُه لى تَزيد

وقال :

يَمُدُّ الدُّجَى فى لَوْعتى ويَزيدُ   ويُبدِئُ بَثِّى فى الهوى ويُعيدُ
إذا طال واستعصى فما هى ليلة   ولكنْ ليالٍ ما لهنّ عَدِيدُ
أَرِقْتُ وعادتنى لذكرى أَحِبَّتى   شُجونٌ قِيامٌ بالضلوع قُعودُ
ومَنْ يَحْمِلِ الأَشواقَ يتعَب ، ويَختلفْ   عليهِ قديمٌ فى الهوى ، وجديد
لقِيتَ الذى لم يَلْقَ قلبٌ من الهوى   لكَ اللهُ يا قلبى ، أأنت حديد ؟
ولم أَخْلُ من وجدٍ عليك ؛ ورِقَّةٍ   إذا حلَّ غِيدٌ ، أو ترحَّل غِيدُ

ورَوْضٍ كما شاءَ المُحِبُّونَ ، ظِلُّهُ ... لهم ولأسرارِ الغرامِ مَدِيدُ
تُظَلِّلُنا والطيرَ فى جَنَبَاتِهِ ... غصونٌ قيامٌ للنسيمِ سجودُ
تميلُ إلى مُضْنَى الغرامِ ، وتارةً ... يعارضها مُضْنَى الصَّبا فتَحيد
مَشَى فى حواشِيها الأَصيلُ ، فذُهِّبَتْ ... ومارتْ عليها الحلْىُ وهْىَ تَميد
وقامت لديها الطَّيْرُ شتَّى ، فآنِسٌ ... بأَهلٍ ، ومَفقودُ الأَليفِ وَحيد
وباكٍ ولا دمعٌ ، وشاكٍ ولا جوًى ... وجَذْلانُ يَشْدُو فى الرُّبَى ويُشيد
وذى كبْرَةٍ لم يُعْطَ بالدهرِ خِبْرَةً ... وعُرْيان كاسٍ تَزْدَهيه مُهود
غَشِيناهُ والأَيَّامُ تَنْدَى شَبيبَةً ... ويَقْطُر منها العيشُ وهْوَ رَغيد
رَأَتْ شفقًا يَنْعَى النهارَ مُضَرَّجًا ... فقلتُ لها : حتى النهارُ شَهيد
فقالت : وما بالطير ؟ قلتُ : سكينةٌ ... فما هى مِمَّا نبتغى ونَصيد
أُحِلَّ لنا الصيدانِ : يومَ الهوى مَهًا ... ويومَ تُسَلُّ المُرْهَفاتُ أُسودُ
يُحَطِّمُ رُمْحٌ دوننا ومُهَنَّدٌ ... ويَقْتُلُنا لَحْظٌ ، ويأْسِر جِيدُ
ونحكم حتى يقبلَ الدهرُ حُكْمَنا ... ونحن لسلطانِ الغرامِ عبيد
أَقولُ لأَيامِ الصِّبا كلَّما نأَتْ : ... أَما لكَ ياعهدَ الشبابِ مُعيد ؟
وكيف نأَتْ والأَمسُ آخرُ عهدِها ؟ ... لَأَمْسُ كباقى الغابراتِ عهيد(١)
جَزِعْتُ ، فراعتنى من الشَّيْبِ بَسْمةٌ ... كأَنى على دَرْبِ المشيبِ (لَبيد)
ومن عبَث الدنيا وما عبثت سدًى ... شَبَبْنا وشِبنَا والزَّمانُ وَليدُ

وقال :

هام الفؤادُ بشادنٍ ... أَلِفَ الدَّلالَ على المدَى
أَبْكى ، فيضحكُ ثَغْرُه ... والكِمُّ يفتحه النَّدى(٢)

---

١ ــ العهيد : القديم ــ ٢ ــ الكم بكسر الكاف : الغلاف الذى ينشق عن الثمر .

وقال عن شاعر تركى :

للعاشقين رِضاكَ والْـ حُسنَى ، ولى هَجْرٌ وصدٌّ
ذُكِروا ، فكانوا سُبْحَةً وأنا العلامةُ ، لا تُعدّ

وقال :

فى مقلتيك مَصارعُ الأَكبادِ اللهَ فى جنبٍ بغير عِماد
كانت له كَبِدٌ ، فحاق بها الهوى قُهِرتْ ، وقد كانت من الأَطواد
وإذا النفوسُ تطوَّحَتْ فى لذَّةٍ كانت جنايتُها على الأَجساد
نَشْوى ، وما يُسْقَيْنَ إلَّا راحتى وَسْنَى ، وما يَطْعَمْن غيرَ رُقادى
ضَعْفى ، وكم أَبْلَيْنَ من ذى قوة مَرْضَى ، وكم أَفْنَيْنَ من عواد
يا قاتلَ اللهُ العيونَ ؛ فإنها فى حَرِّ ما نَصْلَى الضعيفُ البادى
قاتلنَ فى أجفانهنّ قلوبَنا فصرَعْنَها ، وسلِمْنَ بالأَغماد
وصبَغْنَ من دمها الخدودَ تَنَصُّلاً ولقِينَ أَرباب الهوى بسَواد

وقال :

قِفْ باللَّواحظِ عندَ حَدِّكْ يكفيكَ فتنةُ نارِ خَدِّك
واجْعلْ لِغِمْدِكَ هُدْنَةً إن الحوادث مِلءُ غِمْدِك
وصُنِ المحاسن عن قلو ب لا يَدَيْنِ لها بجُنْدِك
نظرتْ إليكَ عن الفُتو رِ ، وما اتَّقَتْ سَطَواتِ حَدِّك
أعلى رِواياتِ القَنَا ما كان نِسْبتُه لقَدِّك
نال العواذلُ جهدَهم وسمعْتَ منهم فوق جهْدك
نقلوا إليكَ مقالةً ما كان أَكْثَرُها لعبدك

قسمًا بما حمَّلتنى فحملتُ من وَجْدِى وصَدِّك
ما بى السهامُ الكُثْرُ من جَفْنَيْكَ ، لكنْ سهمُ بُعدِك

وقال :

مُضْناك جفاهُ مَرْقَدُه وبكاه ورَحَّمَ عُوَّدُه
حيرانُ القلبِ مُعَذَّبُهُ مَقْروحُ الجَفْنِ مُسهَّدُه
أودَى حَرَقًا إلا رَمَقًا يُبقيه عليك وتُنْفِدُه
يستهوى الوُرْق تأَوُّهه ويُذيب الصخرَ تَنهُّدُه
ويُناجى النجمَ ويُتعبه ويُقيم الليلَ ويُقْعِدُه
ويُعلم كلَّ مُطَوَّقةٍ شَجَنًا فى الدَّوحِ تُرَدِّدُه
كم مدَّ لِطَيْفِكَ من شَرَكٍ وتأَدَّب لا يتصيَّدُه
فعساك بغُمْضٍ مُسعِفُهُ ولعلَّ خيالَك مُسعِدُه
الحسنُ ، حَلَفْتُ بيُوسُفِهِ (والسُّورَةِ) إنك مُفرَدُه
قد وَدَّ جمالَك أو قَبَساً حوراءُ الخُلْدِ وأَمْرَدُه
وتمنَّت كلُّ(١) مُقطَّعةٍ يَدَها لو تُبْعَثُ تَشهدُه
جَحدَتْ عَيْنَاك زَكِىَّ دَمِى أكذلك خدُّك يَجْحَدُه؟
قد عزَّ شُهودِى إذ رمَتا فأَشَرْتُ لخدِّك أُشْهِدُه
وهَممتُ بجيدِك أَشركُه فأَبَى ، واستكبر أَصْيَدُه
وهزَزْتُ قَوامَك أَعطِفهُ فنبا ، وتمنَّع أَمْلَدُه
سببٌ لرِضاك أُمَهِّده ما بالُ الخصْرِ يُعَقِّدُه ؟

---

١ ـ يعنى بكل مقطعة يدها الخ .. صواحبات يوسف الصديق اللواتى ورد ذكرهن فى السورة

بينى فى الحبِّ وبينَك ما ... لا يَقدِرُ واشٍ يُفسِدُه

ما بالُ العاذِلِ يَفتح لى ... بابَ السُّلْوانِ وأُوصِدُه ؟

ويقول : تكاد تُجَنُّ به ... فأقول : وأُوشِكُ أَعْبُدُه

مَوْلاىَ ورُوحِى فى يَدِه ... قد ضَيَّعها سَلِمتْ يَدُه

ناقوسُ القلبِ يَدُقُّ لهُ ... وحنايا الأَضْلُعِ مَعْبَدُه

قسماً بثنايا لؤلؤها ... قَسم الياقوت مُنَضَّدُه

ورُضابٍ يُوعَدُ كَوْثَرُهُ ... مَقتولُ العِشْقِ ومُشْهَدُه

وبخالٍ كاد يُحَجُّ له ... لو كان يُقبَّل أَسْوَدُه

وقَوامٍ يَرْوِى الغُصْنُ له ... نَسَبًا ، والرُّمْحُ يُفَنِّدُه

وبخَصْرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلَدِى ... وعَوَادِى الهجر تُبدِّدُه

ماخُنْتُ هواكَ ، ولاخطرَتْ ... سَلْوَى بالقلب تُبَرِّدُه

وقال :

بالله يانَسَماتِ النيل فى السَّحَرِ ... هل عندَكُنَّ عن الأَحباب مِنْ خبَرِ ؟

عرفتكُنَّ بعَرْفٍ لا أُكَيِّفُه ... لا فى الغَوَالى ، ولا فى النُّوْرِ والزَّهَرِ

من بعض مامسح الحسنُ الوجوهَ به ... بينَ الجبينِ ، وبينَ الفَرْقِ والشَّعَرِ

فهل عَلِقْتُنَّ أثناءَ السُّرَى أَرَجًا ... من الغدائر ، أو طيبا من الطُّرَرِ ؟

هِجْتُنَّ لى لَوْعَةً فى القلبِ كامنةً ... والجُرْحُ إنْ تعْتَرِضْه نَسْمَةٌ يَثُرِ

ذكرتُ مصرَ ، ومَنْ أهوى ، ومجلسَنا ... على الجزيرة بين الجسر والنَّهَرِ

واليومُ أَشْيَبُ ، والآفاقُ مُذْهَبةٌ ... والشمسُ مُصْفرَةٌ تجرى لمُنْحَدَرِ

والنخلُ مُتَّشِحٌ بالغيم ، تحسبُهُ ... هِيفَ العرائسِ فى بيضٍ من الأُزُرِ

وما شجانىَ إلَّا صوتُ ساقيةٍ ... تستقبل الليلَ بين النَّوْحِ والعَبَرِ

لم يترك الوجدُ منها غيرَ أَضْلُعِها ... وغيرَ دَمعٍ كصَوْب الغَيْثِ مُنْهَمِر
بخيلة بِمآقيها . فلو سُئلتْ ... جَفْنًا يُعين أَخا الأَشواقِ لم تُعِر
فى ليلة من ليالى الدهر طَيِّبَةٍ ... محا بها كلَّ ذنب غيرِ مُغْتَفَر
عَفَّتْ ، وعفَّ الهوى فيها ، وفاز بها ... عَفُّ الإشارةِ ، والأَلفاظِ ، والنظر
بتْنَا ، وباتَتْ حَناناً حولَنا ورِضًا ... ثلاثةٌ بين سمْعِ الحبِّ والبصر
لا أَكذِبُ اللهَ ، كان النجمُ رابعَنا ... لو يُذْكرُ النجمُ بعد البدر فى خبر
وأَنصفَتْنا . فظُلمٌ أَن نُجازِيَها ... شكوى من الطول . أو شكوى من القِصَر
دَعْ بعد رِيقَةِ مَنْ تهوَى ومَنْطِقِه ... ماقيل فى الكأْس . أوماقيل فى الوتر
ولا تُبالِ بكنزٍ بعد مَبْسِمِه ... أَغلى اليواقيت ما أُعْطِيتَ والدُّرَر
ولم يَرُعْنِى إلَّا قولُ عاذِلَةٍ ... ما بالُ أَحمدَ لم يَحلُمْ ولم يَقِر ؟
هلا ترفَّع عن لَهْوٍ وعن لَعِبٍ ؟ ... إن الصغائرَ تُغْرِى النفسَ بالصَّغَر
فقلتُ : للمجد أَشعارى مُسَيَّرة ... وفى غوانى العُلا – لافى المَها – وَطَرى
مصرُ العزيزةُ ، مالِى لا أُودِّعُها ... وداعَ مُحتفِظٍ بالعهد مُدَّكِرِ
خلَّفْتُ فيها القَطا مابين ذى زَغَبٍ ... وذى تمائمَ لم ينهض ولم يَطِرِ
أَسلمتُهم لعيون الله تحرسُهم ... وأَسلمونى لظلِّ الله فى البشر

وقال

عَرضوا الأَمانَ على الخواطرْ ... واستعرضوا السُّمْرَ الخواطر (١)
فوقفتُ فى حَذَرٍ ، ويأْ ... بَى القلبُ إلا أن يُخاطِر

---

١ – السمر : الرماح . والخواطر : المهتزات ، يقال : خطر الرمح اذا اهتز ، وهى هنا كناية عن القدود

يا قلب شأنك والهوى هذى الغصونُ وأنت طائر
إن التى صادتْك تسـ مى بالقلوب لها النواظر
يا ثغرَها ، أمسيتُ كالـ غوَّاص ، أحْلُم بالجواهر
يالحظَها ، مَنْ أُمُّها ؟ أو مَنْ أبوها فى الجآذِرِ ؟
يا شعرَها ، لا تَسْعَ فى هتكى ؛ فشأْنُ الليلِ ساتر
يا قَدَّها ، حتَّام تغـ دو عاذِلاً وتروح جائر ؟
وبأَىٍّ ذنبٍ قد طعنـ تَ حَشاىَ يا قدَّ الكبائر ؟

وقال :

فى ذى الجفونِ صوارمُ الأَقدار راعى البريّةَ يا رَعاكِ البارى
وكفى الحياةُ لنا حوادثَ ، فافْتِنِى مَلَأَ النجومِ وعَالَمَ الأَقمار
ما أنتِ فى هٰذى الحلى إنْسِيَّة إنْ أنتِ إلا الشمسُ فى الأَنوار
زهراء بالأُفُقِ الذى من دونه وثْبُ النُّهى ، وتطَاوُلُ الأَفكار
تتهتّكُ الأَلبابُ خَلْفَ حجابها مهما طلَعتِ ، فكيف بالأَبصار ؟
يازينة الإصباحِ والإمساء ، بل يارَوْنَقَ الآصال والأَسحار
ماذا تحاول من تنائينا النَّوى ؟ أنتِ الدُّنىٰ وأنا الخيالُ السارى
ألقى الضُّحى أَلقاكِ . ثم من الدّجى سبُلٌ إليك خَفيَّةُ الأغوار
وإذا أَنِسْتُ بوحدتى فلأَنَّها سبَبٌ إليكِ ، وسُلَّمِى ، ومَنارى
إيهٍ زمانى فى الهوى وزمانَها ما كنتما إلا النَّميرَ الجارى
مُتَسَلْسِلا بين الصبابة والصِّبا مُتَرَقرِقاً بمسارحِ الأَوْطار
نظر الفراقُ إليكما ، فطواكما إن الفراق جَهَنَّمُ الأَقدار

وقال :

لك أن تلوم ، ولى من الأعذار ... أن الهوى قَدَرٌ من الأقدار

ماكنتُ أُسْلِمُ للعيون سلامتى ... وأُبيحُ حادثةَ الغرام وَقارى

وطَرٌ تَعَلَّقَه الفؤادُ وينقضى ... والنفسُ ماضيةٌ مع الأوطار

ياقلبُ ،شأنَك ،لاأَمُدُّك فى الهوى ... أبدا ، ولا أدعوك للإقصار

أمرى وأمرُك فى الهوى بيدِ الهوى ... لو أنه بيَدِى فككْتُ إسارى

جارِ الشبيبةَ ، وانتفع بجوارها ... قبلَ المشيب ، فما له من جار

مَثَلُ الحياة تُحَبّ فى عهد الصِّبا ... مَثَلُ الرياضِ تحَبُّ فى آذار(١)

أبدًا (فروقُ) من البلاد هى المنى ... ومناىَ منها ظبيةٌ بسِوار

ممنوعةٌ إلا الجمالَ بأَسْره ... محجوبةٌ إلّا عن الأنظار

خُطُواتُها التقوى ، فلا مَزْهُوَّةٌ ... تمشى الدَّلال ، ولابذات نِفار

مرّتْ بنا فوق الخليج ، فأسفرتْ ... عن جَنَّة ، وتلفتت عن نار

فى نِسْوَةٍ يُورِدْن مَنْ شِئْن الهوى ... نظرا ، ولاينظرْن فى الإصدار

عارضتُهنّ ، وبين قلبى والهوى ... أمرٌ أحاول كتْمَه وأُدارى

وقال :

أتغلبنى ذاتَ الدلالِ على صبرى ؟(٢) ... إذن أنا أولى بالقناع وبالخِدْر

تتيهُ ؛ ولى حِلمٌ إذا ما ركِبتُه ... رددتُ به أَمرَ الغرام إلى أمرى

وما دَفْعِىَ اللُّوَّامَ فيها سآمةٌ ... ولكنّ نفسَ الحرّ أزجرُ للحرّ

وليلٍ كأنّ الحشرَ مطلعُ فجرِه ... تراءتْ دموعى فيه سابقةَ الفجر

---

١ — آذار : شهر مارس وهو أول فصل الربيع ٢ — هذا الشطر من المطلع للمرحوم محمود سامى باشا البارودى ، نظمه ثم أمسكه ، فأكمله الشاعر واضاف اليه هذه الأبيات .

سرَيْتُ به طيفًا إلى مَنْ أُحِبُّها   وهل بالسُّها فى حُلَّةِ السُّقمِ من نُكر

طرقْتُ حِماها بعدَ ما هبّ أهلُها   أخوضُ غِمارَ الظنِّ والنظرِ الشزْر

فما راعنى إلَّا نساءٌ لِقِينَنى   يبالِغن فى زَجْرى، ويُسرفن فى نَهرى

يقلْن لمن أهوى وآنَسْنَ ريبةً :   نرى حالةً بين الصَّبابة والسِّحر

إليكنّ جاراتِ الحمى عن ملامَتى   وذَرْنَ قضاءَ الله فى خَلْقه يجرى

وأحْرَجنى دمعى، فلما زجرتُه   رددتُ قلوبَ العاذِلاتِ إلى العُذْر

فساءلْنها : ماالسمى؟ فسمَّتْ : فجئْننى   يَقُلْنَ : أماناً للعذارى من الشِّعر

فقلتُ : أخافُ اللهَ فيكُنَّ، إننى   وجدتُ مقالَ الهُجْر يُزْرِى بأن يُزْرِى

أخذتُ بحظٍّ من هواها وبينِها   ومَنْ يَهْوَ يَعْدِلْ فى الوصال وفى الهجر

إذا لم يكن للمرء عن عيشةٍ غِنًى   فلا بدّ من يُسر، ولا بد من عُسر

ومن يَخبُرِ الدنيا ويشربْ بكأسها   يجدْ مُرَّها فى الحلو، والحلوَ فى المرّ

ومن كان يغزو بالتَّعِلَّات فقرَه   فإنى وجدتُ الكَدَّ أقتلَ للفقر

ومن يستعنْ فى أمرِه غيرَ نفسه   يَخُنْه الرفيقُ العون فى المسلك الوعْر

ومن لم يُقِم سترًا على عيبِ غيره   يعِش مستباحَ العِرْضِ، مُنهتِكَ السِّتر

ومن لم يُجمِّل بالتواضع فضلَه   يَبِنْ فضلُه عنه، ويَعْطَلْ من الفخر

وقال :

قلبٌ يذوب، ومدمعٌ يجرى   ياليلُ، هل خبرٌ عن الفجر

حالت نجومُك دون مطلعه   لا تبتغى حِوَلاً، ولا يسرى

وتطاولَتْ جُنْحًا، فخُيِّل لى   أن الصباحَ رهينةُ الحشر

أرسيتَها وملكتَ مذهبَها   بدُجُنَّةٍ كسريرة الدّهر

ظُلَمٌ تَجىءُ بها وتُرجعُها   والموجُ منقلبٌ إلى البحر

ليت الكرى (موسى) فيوردَها (فِرْعَون) هذا السُّهدِ والفِكر

* * *

ولقد أقول لهاتفٍ سحرًا يَبكى لغيرِ نَوًى ولا أَسْر
والروضُ أخرسُ غيرَ وسوسةٍ خَفَقَ الغصونِ ، وجرْية الغُدْر
والطيرُ مِلءُ الأَيْكِ ، أرؤُسُها مثلُ الثمار بدت من السِّدْر
ألقى الجناحَ ، وناءَ بالصدر ورَنا بصَفْرَاوَيْن كالتِّبر
كلَم السهادُ بيوتَ هدْبِهما وأقام بين رُسومِها الحُمْر
تهدَا جوانِحه ، فتحسبهُ من صَنْعة الأَيدى أو السِّحْر
وتثور ، فهُوَ على الغصون يَدٌ عَلِقتْ أناملُها من الجمر

* * *

يا طيرُ ، بُثَّ أخاك ما يَجرى إنّا كِلانا مَوْضِعُ السِّرّ
بى مثلُ مابِك من جوًى ونوًى أنا فى الأَنام ، وأنتَ فى القُمْر(١)
عَبثَ الغرامُ بنا وروّعنا أنا بالمَلام ، وأنت بالزّجْر
يا طيرُ ، لا تجزَعْ لحادثةٍ كلُّ النفوسِ رهائنُ الضرّ
فيما دهاك لو اطّلعتَ رضًى شرٌّ أخفُّ عليك من شَرّ
ياطيرُ ، كَدْرُ العيشِ لو تدرى فى صفوه ، والصفْوُ فى الكَدْر
وإذا الأُمورُ استُصعِبتْ صَعُبَتْ ويهون ما هوّنتَ من أمْر
يا طيرُ ، لو لُذْنا بمصْطَبَرٍ فلعلّ رُوحَ اللهِ فى الصَّبْر
وعسى الأَمانىُّ العذابُ لنا عونٌ على السلوان والهجر

---

١ ــ القمر : جمع قمرية وهى ضرب من الحمام .

وقال :

بَدَأَ الطيفُ بالجميلِ وزَارا   يا رسولَ الرِّضى وُقِيتَ العِثارا
خذ من الجفن والفؤاد سبيلا   وتَيَمَّمْ من السُّوَيْداءِ دارا
أنت إن بتَّ فى الجفون فأهلٌ   عادةُ النورِ ينزل الأبصارا
زار ، والحربُ بين جفنى ونومى   قد أعدّ الدُّجى لها أوزارا
حَسَنٌ ياخيالُ صُنْعُك عندى   أجملُ الصنعِ مايُصيبُ افتقارا
ما لربِّ الجمالِ جارَ على القلـ   ـبِ ، كأن لم يكن له القلبُ جارا ؟
وأرى القلبَ كلما ساءَ يَجزيـ   ـه عن الذنب رقّةً واعتذارا
أجريحُ الغرامِ يطلب عطفاً   وجريحُ الأنام يطلب ثارا ؟
أيها العاذلون ، نِمتم ، ورام الـسُّـ   ـهدُ من مقلتىَّ أمراً ، فصارا
آفةُ النُّصحِ أن يكونَ لَجاجاً   وأذى النصحِ أن يكون جِهارا
ساءلْتنى عن النهار جفونى   رحِمَ اللهُ ياجفونى النهارا
قلن : نَبكيه ؟ قلت : هاتى دموعاً   قلْن :صبرًا ،فقلت:هاتى اصطبارا
يا ليالىَّ ، لم أجِدْكِ طوالاً   بعد ليلى ، ولم أجدْك قِصارا
إن مَنْ يحملُ الخطوبَ كِباراً   لا يُبالى بحملهن صِغارا
لم نُفِقْ منك يازمانُ فنشكو   مُدْمنُ الخمر لا يُحِس الخُمارا
فاصرف الكأْسَ مُشفِقًا ، أوفواصِلْ   خرج الرشدُ عن أكُفِّ السُّكارى

وقال :

أبثُّكَ وَجْدى ياحَمامُ ، وأُودِعُ   فإنك دونَ الطَّيرِ للسرِّ مَوْضِعُ
وأنت مُعينُ العاشقين على الهوى   تئِنُّ فنُصْغِى ، أو تحنُّ فنَسْمَع
أراك يَمانِيًّا ، ومصرُ خميلتى   كلانا غريبٌ ، نازحُ الدارِ ، مُوجَع

هما اثنان : دانٍ فى التغرُّب آمنٌ ... وناءٍ على قربِ الديار مُرَوع

ومن عجبِ الأَشياءِ أبكى وأشتكى ... وأنت تُغَنِّى فى الغصونِ وتَسْجَع

لعلك تُخفى الوجدَ ، أو تكتمُ الجَوى ... فقد تُمْسِك العينان والقلبُ يَدْمَع

شجاكَ صِغارٌ كالجُمانِ ومَوْطِنٌ ... نَدٍ مثلُ أيامِ الحَدَاثَةِ مُمْرعُ

إذا كان فى الآجال طولٌ وفسحةٌ ... فما البينُ إلا حادثٌ مُتَوَقَّع

وما الأَهلُ والأَحبابُ إلَّا لآلِئٌ ... تُفرِّقُها الأَيامُ ، والسِّمْطُ يجمع

أَمُنكِرَتى ، قلبى دليل وشاهدى ... فلا تُنكريه ، فهْو عندَكِ مُودَع

أَسيرُكِ ، لو يُفْدَى فَدَتْه بجمعها ... جوانحُ فى شوقٍ إليه وأَضْلُع

رماه إليكِ الدهرُ من حالِقِ الهوى ... يُذالُ على سفح الهوانِ ويُوضَع

ومن عجبٍ ؛ يأْسَى إذا قلت : مُتْعَبٌ ... ويطرَبُ إن قلت : الأَسيرُ المُمنَّع

لقيتِ عليماً بالغوانى ، وإنما ... هو القلبُ ، كالإنسانِ يُغرَى ويُخْدَع

وأعلم أن الغدرَ فى الناس شائعٌ ... وأن خليلَ الغانياتِ مُضيَّع

وأن نِزاعَ الرُّشدِ والغَىِّ حالةٌ ... تجىءُ بأَحلامِ الرِّجال وتَرْجع

وأنَّ أمانىَّ النفوسِ قواتلٌ ... وكثرتُها من كثرة الزَّهرِ أَصْرَع

وأن دُعاةَ الخير والحقِّ حربُهم ... زمانٌ بهم من عهد سُقْراطَ مُولَع

وقال :

تأْتِى الدَّلالَ سجيَّةً وتصنُّعا ... وأراك فِى حالَىْ دَلالِكَ مُبْدِعا

تِهْ كيف شئت ؛ فما الجمالُ بحاكم ... حتى يُطاع على الدلال ويُسْمَعا

لك أن يُرَوِّعَك الوشاةُ من الهوى ... وعلىَّ أن أهوى الغزالَ مُروَّعا

قالوا : لقد سَمع الغزالُ لمن وشَى ... وأقول : ما سَمع الغزالُ ، ولا وعَى

أنا مَنْ يحبُّك فى نِفارك مؤنساً ويُحبُّ تيهَكَ فى نِفاركَ مطمعا
قدّمتُ بين يدىَّ أيامَ الهوى وجعلتُها أملاً عليكَ مُضيَّعا
وصدقتُ فى حبى ، فلست مُبالياً أن أُمْنَحَ الدنيا به أو أُمْنَعا
يامَنْ جرى من مُقلتيْهِ إلى الهوى صِرفاً ، ودار بوَجنتيْه مُشَعْشَعاً (١)
اللهَ فى كبدٍ سَقَيْتَ بأَربَع لو صبَّحوا (رضْوى) بها لتصدّعا (٢)

وقال :

رُدَّت الروحُ على المُضْنَى معكْ أحسنُ الأَيام يومٌ أَرجَعَك
مَرَّ من بُعدِك ما رَوَّعَنى أَتُرى يا حُلْوُ بُعدى روّعك ؟
كم شكوتُ البيْن بالليل إلى مَطلع الفجر عسى أن يُطْلِعَك
وبعثتُ الشوقَ فى ريح الصَّبا فشكا الحُرقةَ مما استودَعك
يانعيمى وعذابى فى الهوى بعذولى فى الهوى ما جمعَك ؟
أَنت روحى ظَلَمَ الواشى الذى زَعَمَ القلبَ سَلا ، أَو ضيَّعك
مَوْقِعى عندَك لا أَعلمُه آهِ لو تعلمُ عندى موقِعَك ! !
أَرْجَفوا أَنك شاكٍ مُوجَعٌ ليت لى فوق الضَّنا ما أَوجعك
نامت الأَعينُ ، إلا مُقلة تسكُب الدمعَ ، وترعى مضجعَك

وقال مشطِّرًا حيث اجتمع بعض الأُدباء فى مجلس ، فذكر أحدهم بيتاً للبَهاء زهير وهو :

يقول : أُناسٌ : لو وصفت لنا الهوى
فوالله ما أَدرى الهوى كيف يوصف ؟

---

١ ــ المشعشع : الشراب يمزج بالماء ٢ ــ رضوى : اسم جبل .

فقال :

يقول أُناسٌ : لو وصفت لنا الهوى
لعل الذى لا يعرفُ الحبَّ يَعرف
فقلت : لقد ذُقْتُ الهوى ، ثم ذُقتُهُ
فوالله ما أدرى الهوى كيف يوصف ؟

وقال :

علَّموه كيفَ يجفو فجفا   ظالمٌ لاقيْت منه ماكفى
مسرفٌ فى هجرِه ما ينتهى   أَتُراهم علَّموه السَّرَفا ؟
جعلوا ذنبى لديْه سَهَرى   ليتَ بَدْرِى إذ دَرَى الذنبَ عفا
عرف الناسُ حقوقى عنده   وغريمى ما درى . ما عَرفا
صحّ لى فى العمرِ منه موعِدٌ   ثم ما صدَّقتُ حتى أخلفا
ويرى لى الصبرَ قلبٌ مادَرى   أنّ ما كلفنى ما كلفا
مُستهامٌ فى هواه مُدْنَفٌ   يترضَّى مستهاماً مُدَنفًا
يا خليلىّ . صِفا لى حيلة   وأرى الحيلةَ أن لا تَصِفا
أنا لو ناديتُه فى ذِلَّةِ   هى ذى روحى فخذها ؛ ما احتفى

وقال :

جئْتَنَا بالشعورِ والأَحداقِ   وقسمن الحظوظَ فى العشاقِ
وهَزَزْنَ القَنا قُدودًا ، فأَبلى   كل قلبٍ مُستضعَفٍ خفَّاقِ
حبذا القسمُ فى المحبين قِسمى   لو يلاقون فى الهوى ما أُلاقى
حيلتى فى الهوى وما أتمنى   حيلة الأَذكياءِ فى الأَرزاق

لو يُجازَى المحبُّ عن فَرْطِ شوْقٍ لَجُزِيتُ الكثيرَ عن أشواقى
وفتاةٍ ما زادها فى غريبِ الـ ـحسن إلا غرائب الأخلاق
ذقت منها حلواً ومرًّا ، وكانت لذّةُ العشق فى اختلاف المذَاق
ضرَبتْ موعداً ، فلما التقينا جانبتنى تقول : فِيمَ التلاقى ؟
قلت : ماهكذا المواثيقُ ، قالت : ليس للغانياتِ من ميثاق
عَطَفَتْها نَحافتى . وشجاها شافعٌ بادرٌ من الآماق
فأَرتنى الهوى ، وقالت : خَشِينا والهوى شُعبةٌ من الإشفاق
يافتاةَ العراقِ ، أكتمُ مَنْ أنـ ـتِ ، وأكنِى عن حبِّكم بالعراق
لى قوافٍ تَعِفُّ فى الحبّ إلا عنْكِ ، سارت جوانبَ الآفاق
لا تَمنَّى الزمانُ منها مزيداً إن تمنيتُ أن تفكّى وَثاقى
حمّلينى فى الحبِّ ما شئتِ إلّا حادثَ الصدّ ، أو بلاءَ الفراق
واسمحى بالعناق إن رضى الدّلُّ وسامحت فانياً فى العناق

وقال :

مُضْنًى وليس به حَراكْ لكنْ يخِفُّ إذا رآكْ
ويَميل من طربٍ إذا ما مِلْتَ ياغصنَ الأَراك
إن الجمالَ كساك من ورَق المحاسن ما كساك
ونبَتَّ بين جوانحى والقلبُ من دَمِه سقاك
حُلوَ الوعودِ . متى وفاك ؟ أتُراكَ مُنْجزَها ترُاك ؟
من كلِّ لفظٍ لو أذِنـ ـتَ لأَجله قبَّلتُ فاك
أخذَ الحلاوةَ عن ثَنا ياك العِذَاب . وعن لَمَاك

ظلماً أقول : جَنَى الهوى لم يجْنِ إلا مُقْلتاك
غدَتا منِيَّةَ مَنْ رَأَيْتَ ، ورُحْتَ مُنْيَةَ منْ رآك

وقال :

فدَتْكَ الجوانحُ من نازلِ وأهلاً بطيْفكَ من واصِل
بَذلت له الجفنَ دون الكرى ومَنْ بالكرى للشجِى الباذِل ؟
وقلت : أراك برغم العذول فنابَ السُّهادُ عن العاذل
فوَيْحَ المتيَّمِ ! ! حتى الخيالُ إذا زارَ لم يَخْلُ من حائل
يَحِنُّ إليك ضلوعٌ عَفَتْ من البيْن فى جَسَدٍ ناحل
وقلبٌ جَوٍ عندها خافقٌ تعَلَّقَ بالسَّنَدِ المائل
ومِنْ عَبَثِ العشقِ بالعاشقين حنينُ القتيل إلى القاتل
غفلتُ عن الكأْسِ حتى طغت ولى أدبٌ ليس بالغافل
وشَفَّتْ . وماشفَّ منى الضميرُ وأينَ الجماد من العاقل ؟
يَظَلُّ نَديمىَ يُسْقَى بها ويشربُ من خُلُقِى الفاضل
أبدِّدُها كرماً كلما بدَتْ لىَ كالذهب السائل

وقال :

لامَ فيكم عذولُه وأطالا كمْ إلى كمْ يُعالج العُذَّالا ؟
كلّ يوم لهم أحاديثُ لَوْمٍ بدأَتْ راحةً ، وعادتَ مَلالا
بعثتْ ذكرَكم ، فجاءَتِ خِفافاً وأقتضتْ هجرَكم ، فراحت ثقالا
أيها المُنْكِرُ الغرامَ علينا حَسْبُكَ اللهُ . قد جَحدتَ الجمالا
آيةُ الحسن للقلوب تجلَّت كيف لاتعشق العيون امتثالا ؟

لكَ نُصحى ، وماعليكَ جدالى   آفةُ النصح أن يكون جدالا
وهَب الرشدَ أننى أنا أسلو   ما من العقل أن تَروم محالا

وقال :

بات المعنَّى والدجى يبتلى   والبَرْحُ لا وانٍ وما مُنجَلِى
والشُّهْبُ فى كلِّ سبيلٍ له   بموقف اللوَّام والعُذَّل
إذا رعاها ساهيًا ساهرا   رَعَيْنَهُ بالحَدَق الغُفَّل
ياليلُ ، قد جُرْتَ ، ولم تعدِلِ   ما أنت يا أَسودُ إلَّا خَلِى
تالله لو حُكِّمْت فى الصبح أن   تفعل أحجمْتَ فلم تفعل
أوشِمتَ سيفاً فى جيوش الضحى   ما كنتَ للأَعداء ما أَنت لى
أَبِيتُ أُسقَى ويُدير الجوى   والكأْسُ لا تفْنَى ولا تمتلى
الخَدُّ من دمعى ومن فَيْضه   يشرب من عين ومن جَدْول
والشوقُ نارٌ فى رَماد الأَسَى   والفكرُ يُذكِى ، والحشَا يَصطلى
والقلب قَوّامٌ على أَضْلُعى   كأَنه الناقوسُ فى الهيكل

وقال :

أنا إن بذلتُ الروحَ كيف أُلامُ   لمّا رمَتْ فأَصابَتِ الآرامُ ؟
عَمَدَتْ إلى قلبى بسهمٍ نافذٍ   فيه لمحتومِ القضاء سِهام
ياقلبُ ، لا تجزع لحادثة الهوى   واصبِر ، فما للحادثاتِ دَوام
عرَفَتْ قلوبُ الناس قبلكَ : ماالجوى ؟   وأذاقَها قدرٌ له أحكام
تجرى العقولُ بأَهلها ، فإذا جرى   كبَتِ العقولُ وزلَّتِ الأَحلام
ماكنتُ أَعلمُ — والحوادثُ جَمَّةٌ —   أن الحوادثَ مُقْلَةٌ وقَوام

جَنَيا على كبدى وما عرَّضتُها   كبدى ، عليكِ من البرىء سلام
ولقد أقولُ لمن يَحُثّ كُئُوسَها   قعدتْ كُئُوسُك والهمومُ قِيام
لم تجرِ بين جوانحى إلَّا كما   جرَتِ الدِنانَّ بها وسال الجَام

وقال :

هل تَيَّمَ البانُ فؤادَ الحَمام   فناح فاسْتبكى جفونَ الغمام؟
أم شَفَّه ما شفَّنى فانثنى   مُبَلْبَلَ البالِ شريدَ المنام ؟
يَهُزُّه الأيكُ إلى إلفه   هَزَّ الفِراشِ المُدْنَفَ المستهام
وتُوقِدُ الذكرى بأحشائه   جمراً من الشوق حثيث الضِّرام
كذلك العاشقُ عند الدجى   يا للهوى مما يثير الظلام !
له إذا هبَّ الجوى صَرْعةٌ   من دونها السحرُ وفعلُ المدام
ياعادِىَ البينِ ، كفى قسوةً   روّعتَ حتى مُهجات الحَمام
تلك قلوب الطيرِ حَمَّلْتَها   ما ضعفتْ عنه قلوبُ الأنام
لا ضرب المقدورُ أحبابَنا   ولا أعادينا بهذا الحُسام
يا زمنَ الوصل ، لأنت المنى   وللمُنى عِقْد ، وأنت النظام
لله عيشٌ لى وعيشٌ لها   كنتَ به سمحاً رخِىَّ الزِّمام
وأُنْسُ أوقاتٍ ظفرنا بها   فى غفلة الأيام ، لو دُمْتَ دام
لكنه الدهرُ قليلُ الجَدَى   مُضيعُ العهدِ ، لئيمُ الذِّمام
لو سامَحَتْنا فى السلام النَّوَى   لطال حتى الحشرِ ذاك السلام
ولانْقضَى العمران فى وقفة   نسلو بها الغمضَ ونسلو الطعام
قالت وقد كاد يَميد الثرى   من هَدَّةِ الصبر وهَوْلِ المقام

وغابت الأَعينُ فى دمعها   ونالت الأَلسن إلَّا الكلام :
يابينُ ، وَلِّى جَلدى فاتَّئِدْ   ويا زمانى ، بعضُ هذا حرام
فقلت والصبرُ يجارى الأَسى   واللبُّ مأْخوذٌ ، ودمعى انسجام :
إن كان لى عندك هذا الهوى   بِأَيِّمَا قلت كتمت الغرام

وقال :

صريعُ جفنيك ينفى عنهما التهما   فما رميت ولكن القضاءَ رمى
اللهَ فى روح صَبٍّ يَغشيان بها   مَوارِدَ الحتْفِ لم ينقل لها قدما
وكُفَّ عن قلبه المعمودِ نَبْلَهما   أليس عهدُك فيه حبَّةً ودما ؟
سلوا غزالاً غزا قلبى بحاجبه   أما كفى السيفُ حتى جرّد القلما؟
واستخبِروه : إلى كم نارُ جَفْوَتِه ؟   أما كفى ما جنت نارُ الخدودِ أما؟
واستوهبوه يداً فى العمر واحدةً   ومَهِّدا عُذْرَه عنى إذا حرما
ولا ترَوْا منه ظلماً أن يُضيِّعنى   من ضيَّع العرَضَ المملوكَ ماظلما

وقال :

ذاد الكرى عن مقلتيك حمامُ   لبّاه شوقٌ ساهرٌ وغرامُ
حيرانُ ، مشبوبُ المضاجعِ ، ليلُه   حربٌ ، وليلُ النائمين سلام
بين الدّجى لكما وعاديةِ الدّجى   مهجٌ تُؤلِّفُ بينها الأَسقام
تتعاونان ، وللتعاون أُمّةٌ   لا الدهرُ يخذلها ولا الأَيام
يا أَيها الطيرُ الكثيرُ سميرُه   هل ريشةٌ لجناحه فيُقام ؟
عانقت أغصاناً ، وعانقتُ الجوى   وشكوتَ ، والشكوى علىَّ حرام
أَمُحَرِّمَ الأَجفانِ إدناءَ الكرى   يَهْنِيكَ ما حرَّمتْ حين تنام

حاوَلْن منه إلى خيالك سُلَّما لو سامَحَتْ بخيالك الأَحلام
فأْذَنْ لِطَيْفِك أن يُلِمَّ مُجامِلاً ومُؤَمَّلٌ من طيفك الإِلمام

وقال :

شغلَتْه أشغالٌ عن الآرام وقضى اللُّبانةَ من هوًى وغرامِ
ومَضَى يجرُّ على الهوى أذيالَه ويلومُ حاملَه مع اللُّوَّام
ويذُمُّ عهدَ الغانياتِ كناقِهٍ بعد الشِفاء يذمُّ عهدَ سَقام
لا تعجلَنَّ وفى الشباب بقيَّةٌ إن الشبابَ مَزَلَّة الأَحلام
كانت إنابتُك المُرِيبَةُ سَلْوة نسجَتْ على جُرحٍ بجنبك دامى
إن الذى جعل القلوبَ أَعِنَّةً قاد الشبيبةَ للهوى بزِمام
يا قلبَ أَحمدَ — والسهامُ شديدةٌ — ماذا لقِيتَ من الغزال الرامى؟
تَدْرى، وتسأَلنى تَجاهلَ عارفٍ : أرَنا بعينٍ أم رَمَى بسهام؟
مازلتَ تركَبُ كلَّ صعبٍ فى الهوى
حتى ركِبْتَ إلى هواك حِمامى
وإذا القلوبُ استرسلت فى غَيِّها كانت بليَّتُها على الأَجسام

وقال :

به سِحْرٌ يُتَيِّمُهُ كلا جَفْنَيْكَ يَعْلَمُهُ
هما كادا لمهجتهِ ومنكَ الكيدُ مُعظَمه
تعذِّبه بسحرِهما وتُوجِدُه ، وتُعدِمه
فلا هَارُوتَ رَقَّ له ولا مَارُوتَ يَرْحَمُه
وتَظلِمُه فلا يشكو إلى من ليس يَظلِمه
أَسرَّ ، فماتَ كِتماناً وباح ، فخانه فمُه

فويْحَ المُدنَفِ المعمـــودِ ، حتى البثُّ يُحرَمه

طويلُ الليل ، ترحمُه هواتِفُه وأنجُمه

إذا جدّ الغرَامُ به جرَى فى دَمعِه دمُه

يكاد لطول صحبتِه بعادِى السُّقْم يُسقمُه

ثَنَى الأَعنَاقَ عُوَّدُه وألقى العذرَ لُوَّمُه

قضى عشقًا سوى رَمَقٍ إليكَ غدا يقدِّمه

عسى إن قيل: ماتَ هوًى تقول : اللهُ يرحمُه

فتحيا فى مَراقِدها بلفظٍ منكَ أعْظُمُه

* * *

بروحى البانُ يومَ رَنا عن المقدورِ أعْصَمُه

ويومَ طُعِنْتُ من غُصُن مُعَلِّمُه مُنَعّمُه

قضاءُ اللهِ نظرتُه ولطفُ اللهِ مَبْسِمُه

رمى، فاستهدفَتْ كبدى بِىَ الرّامى وأسْهمُه

له من أَضلُعى قاعٌ ومن عَجَبٍ يسلِّمه

ومن قلبى وحَبَّتِه كِناسٌ بات يَهْدِمُه

غزالٌ فى يديه التِّيـ ـهُ بينَ الغِيدِ يَقْسِمُه

وقال :

مَنْ صَوَّرَ السِّحْرَ المُبينَ عيونا وأَحلَّه حَدقاً لها وجفونا ؟

نَظرتْ فحُلْتُ بجانبى ،فاستهدفَتْ كبدى ، وكان فؤادىَ المغْبونا

ورَمَتْ بسهم جال فيه جَوْلَةً حتى استقرّ ، فَرَنَّ فيه رَنينا

فلَمَسْتُ صدرى مُوجساً ومُرَوَّعاً ولَمَستُ جَنْبى مُشْفِقا وضَنِينا

يا قلبُ ، إن من البَواتر أعْيُنًا ... سُودًا ، وإنّ من الجآذِرِ عِينا

لا تأْخذنّ من الأُمور بظاهرٍ ... إنّ الظواهرَ تَخْدعُ الرائينا

فلكم رَجَعتُ من الأَسِنّة سالماً ... وصدرْتُ عن هِيفِ القدودِ طَعِينا

وخَميلةٍ فوق الجزيرة مَسَّها ... ذَهَبُ الأَصيل حواشيًا ومُتونا

كالتبرِّ أُفقًا ، والزَّبرْجَدِ ربْوَة ... والمِسْكِ تُرْبًا ، واللُّجَيْن معِينا

وقف الحيا من دونها مُسْتَأْذِناً ... ومشى النسيمُ بظلِّها مأْذونا

وجرى عليها النيلُ يَقْذِفُ فضَّة ... نثراً ، ويكسِر مَرْمَراً مَسْنونا

يُغرى جواريَهُ بها ، فَيجئْنها ... ويُغِيرُهُنَّ بها ، فيَسْتَعْلِينا

راع الظلامُ بها أَوانسَ ترْتَمِي ... مثلَ الظباءِ من الرُّبَى يَهوِينا

يخطرُن فى ساح القلوب عواليًا ... ويَمِلْنَ فى مَرْأَى العيون غصُونا

عِفْنَ الذيولَ من الحرير وغيره ... وسَحَبْنَ ثَمَّ الآسَ والنَّسْرينا

عارضتُهن ولى فؤادٌ عُرْضةٌ ... لهوى الجآذرِ دانَ فيه ودِينا

فنظرن لا يَدرين : أَذْهبُ يَسْرَةً ... فيَحِدْنَ عنّى ، أم أَميلُ يمينا ؟

ونَفرْنَ من حَوْلى وبينَ حَبائلى ... كالسِّرب صادفَ فى الرَّواح كَمِينا

فجمعتُهن إلى الحديثِ بدأْتُه ... فغضبن ، ثم أعدته فرضينا

وسمعتُ من أَهوى تقول لِترْبها : ... أَحْرَى بأَحمدَ أن يكون رزينا[1]

قالت : أَراه عندَ غايةِ وَجْدِهِ ... فلعلَّ ليلى ترحمُ المجنونا

وقال :

أَذْعَنَ للحُسن عَصِىُّ العِنانْ ... وحاولتْ عيناك أَمْراً فكان

يعيش جفناك لبَثِّ المُنَى ... أو الأَسى فى قلب راجٍ وعان

---

١ ـ الترب بالكسر : ما ولد معك ، واكثر مايستعمل فى المؤنث ؛ يقال هذه ترب فلانة اذا كانت على سنها .

يامُسرفاً فى التِّيهِ ماينتهى أخافُ أن يَفْنى علينا الزمان
ويا كثيرَ الدَّلّ فى عِزِّه لاتنس لى عزّى قُبَيْلَ الهَوان
وياشديدَ العُجْبِ . مهلًا ؛ فما مِنْ مُنكرٍ أنك زينُ الحِسان

وقال :

ياحسنَه بين الحِسانْ فى شكله إن قيل : بانْ
كالبدرِ تأْخذه العيو نُ وما لهنّ به يَدان
مَلك الجوانحَ والفوا دَ فنى يديه الخافقان
ومناىَ منه نظرةٌ فعسى يُشير الحاجبان
فعَسى يُزَكِّى حُسْنَه مَنْ لا لَه فى الحسن ثان
فدعوه يَعْدِلُ أو يَجو رُ ؛ فإنه مَلكَ العِنان
حَقٌّ الدلالُ لمن له فى كل جارحة مكان

وقال :

ياناعمًا رقدت جُفونُه مُضناكَ لا تهدا شُجونُه
حملَ الهوى لك كلَّه إن لم تُعنْه فَمَنْ يُعِينُه؟
عُدْ مُنْعِمًا ، أو لا تَعُدْ أَوْدَعْتَ سرَّكَ مَنْ يصُونه
بينى وبينكَ فى الهوى سببٌ سيجمعُنا مَتينه
رشأٌ يُعابُ الساحرو ن وسحرُهم ، إلَّا جفونُه
الروحُ مِلْكُ يمينه يَفدِيه ما مَلَكَتْ يَمِينُهُ
ما البانُ إلَّا قدُّه لو تَيَّمَتْ قلبًا غصونُه
ويزينُ كلٌّ يتيمة فمُه ، وتحسبُهَا تَزينُه
ما العمرُ إلا ليلةٌ كان الصباحَ لها جَبينُه
بات الغرامُ يَدِيننا فيها كما بتنا ندينه

بين الرقيب وبيننا واد تُباعده حُزونُه
نَغْتابُه ونقول : لا بَقِيَ الرقيبُ ولا عيونُه

وقال :

صحا القلبُ ، إلَّا من خُمارِ أَمانى يجاذبُنى فى الغِيدِ رَثٌّ عِنانى
حَنانيْكَ قلبى ، هل أعيدُ لك الصِّبا؟ وهل للفَتى بالمستحيل يَدان ؟
تحنٌّ إلى ذاكَ الزمانِ وطيبِه وهل أنتَ إلا من دم وحَنان ؟
إذا لم تصُن عهدًا ، ولم تَرعَ ذمةً ولم تدَّكِرْ إلْفا ؛ فلستَ جَنانى
أَتذكر إذ نُعْطِى الصَّبابةَ حقَّها ونشربُ من صرفِ الهوى بدِنان؟
وأَنتَ خَفوقٌ ، والحبيبُ مباعدٌ وأَنتَ خفوقٌ ، والحبيبُ مدان ؟
وأَيامَ لا آلو رِهاناً مع الهوَى وأَنتَ فؤادى عند كل رِهان
لقد كنتُ أَشكو من خُفوقِك دائبًا فولَّى ، فيالهفى على الخفقان
سقاكَ التَّصابى بعد ما علَّك الصِّبَا فكيف ترى الكأْسين تختلِفان ؟
وما زلتُ فى رَيْعِ الشباب ، وإنما يشيبُ الفتَى فى مصرَ قبلَ أوان
ولا أَكذبُ البارى ؛ بنى اللهُ هيكلى صنيعة إحسانٍ ، ورِقٌّ حِسان
أَدينُ إذا اقتادَ الجمالُ أَزمّتى وأَعنو إذا اقتادَ الجميلُ عِنانى

وقال :

اللهَ فى الخلق من صَبٌّ ومن عانِى تفنى القلوبُ وَيبقى قلبُكِ الجانى
صونِى جمالَكِ عنّا إنَّنا بَشَرٌ من التراب ، وهذا الحسنُ روحانى
أو فابتغِى فَلَكا تأْوينَه مَلَكًا لم يتَّخِذ شَرَكًا فى العالمِ الفانى
يَنساب فى النور مَشغوفاً بصورته مُنعَّمًا فى بديعاتِ الحُلَى هانى
إذا تبسّم أَبدى الكونُ زينتَه وإن تنفّس أَهدى طِيبَ رَيْحان

وأشرقى من سماء العزِّ مُشْرقةً بمنظَرٍ ضاحكِ اللألاءِ فتَّان
عسى تكُفُّ دموعٌ فيكِ هامِيَةٌ لا تطلعُ الشمسُ والأَنداءُ فى آن(١)
يا مَنْ هجرتُ إلى الأَوطان رؤيتَها فرُحْتُ أشوقَ مُشتاقٍ لأَوطان
أتذكرين حنينى فى الزمان لها وتَبكِّى الدَّمعَ من تذْكارها قانى؟
وغَبْطِىَ الطيرَ ألقاه أصِيحُ به : ليت الكريمَ الذى أعطاك أعطانى؟

وقال :

قلبٌ بوادى الحمى خلَّفْته رَمقًا ماذا صنعْتِ به ياظبيةَ البان ؟
أحنى عليكِ من الكُثبان ، فاتَّخذى عليه مَرْعاكِ من قاعٍ وكُثْبان
غَرَّبْتِه ، فَوَهَى جَنْبى لفُرقته وحَنَّ للنازح المأْسورِ جُثْمانى
لا ردَّه اللهُ من أسْرٍ ، ومن خَبَلٍ إن كان فى ردّه صَحْوِى وسُلْوانى
دلَّهتِه بعزيزٍ فى مَحاجِره ماضٍ ، له من مُبين السِّحرِ جَفنان
رمى فضجَّتْ على قلبى جوانحُه وقلن : سهمٌ ، فقال القلبُ : سهمان
ياصورةَ الحُورِ فى جِلبابِ فانيةٍ وكوكبَ الصبحِ فى أعطافِ إنسان
مُرى عَصِىَّ الكرى يَغْشَى مُجامَلَةً وسامِحى فى عناق الطيفِ أجفانى
فحسبُ خَدَّىْ مِنْ عَيْنَىَّ ما شربا فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينان

وقال :

قالوا له : رُوحى فِداه هذا التجنِّى ما مَداه ؟
أنا لم أقُم بصدودِهِ حتى يُحمِّلَنى نَواه
تجرى الأُمور لغايةٍ إلَّا عذابى فى هواه

---

١ — الأنداء : الأمطار .

سمّيتُه بدرَ الدُّجى ومن العجائِب لا أَراه
ودعوتُه غصنَ الرّيا ضِ ، فلم أَجِدْ رَوْضًا حواه
وأَقولُ عنه : أَخو الغزا لِ ، ولا أَرى إِلَّا أَخاه
قال العواذلُ : قد جفا ما بالُ قلبِك ما جفاه ؟
أَنا لو أَطعتُ القلبَ فيـ ه لم أَزِدْه على جَواه
والنُّصحُ مُتَّهَمٌ وإِن نَثَرَتْهُ كالدُّرّ الشفاه
أُذُنُ الفتى فى قلبه حيناً ، وحينًا فى نُهاه

وقال :

مقاديرُ من جَفْنَيْكِ حولْنَ حاليا فذُقْتُ الهوى من بعد ما كنتُ خاليا
نفذْن علىَّ اللبَّ بالسهم مُرْسَلًا وبالسِّحر مَقْضِيًّا ، وبالسيف قاضيا
وأَلبَسْنَنى ثوبَ الضَّنى فلبستُه فأَحْبِبْ به ثوباً وإِن ضمّ باليا
وما الحبُّ إِلَّا طاعةٌ وتجاوزٌ وإِن أَكثروا أَوصافَه والمعانيا
وما هو إِلا العينُ بالعين تلتقى وإِن نوّعوا أَسبابَه والدَّواعِيا
وعندى الهوى ، موصوفُه لا صفاتُه إِذا سأَلونى : ما الهوى ؟ قلتُ : ما بيا
وبى رَشَأٌ قد كان دنيایَ حاضِرًا فغادَرَنى أَشتاقُ دُنيایَ نائيا
سمحتُ برُوحى فى هواه رخيصةً ومَنْ يَهْوَ لا يُوثِرْ على الحبِّ غاليا
ولم تَجْرِ أَلفاظُ الوشاة بريبةٍ كهذى التى يجرى بها الدّمعُ واشِيا
أَقول لمن وَدَّعْتُ والركبُ سائرٌ : برغم فؤادى سائرٌ بفواديا
أَماناً لقلبى من جفونِكِ فى الهوى كفى بالهوى كأْسًا ، وراحاً ، وساقيا

ولا تجْعليه بين خدَّيْكِ والنوى من الظلم أن يغدو لناريْن صاليا
ولم يَنْدملْ من طعنة القَدِّ جُرحُه فرفقًا به من طعنة البيْن داميا

وقال :

أهلَ القُدودِ التى صالت عَوَاليها اللهَ فى مُهَجٍ طاحت غَوَاليها
خُذْن الأَمانَ لها لو كان ينفعها وارْدُدْنها كرَماً لو كان يُجديها
وانظرنَ ما فعلَتْ أحْداقُكُنّ بها ما كان من عَبَثِ الأَحداقِ يكفيها
تعرّضت أَعينٌ مِنّا ، فعارَضَنا على (الجزيرة) سِرْبٌ من غَوَانيها
ما ثُرْن من كُنُسٍ(١) إلّا إلى كُنُسٍ من الجوانح ضَمَّتْها حَوَانيها
عَنَّتْ لنا أُصُلًا ، تُغْرِى بنا أَسَلًا مَهزوزةً شكَلاً ، مشروعةً تِيها(٢)
وأَرْهَفَتْ أَعْيُنًا ضَعْفَى حمائلُها نَشْوَى مَناصِلُها ، كَحْلَى مَواضِيها
لنا الحبائلُ نُلْقِيها نَصِيدُ بها ولم نَخَلْ ظَبَيَاتِ القاعِ تلْقِيها
نُصَبْنها لكَ من هُدْبٍ ومن حَدَقٍ حتى انثنيْتَ بنفسٍ عزَّ فاديها
من كلّ زهراءَ فى إشراقها ضَحِكَت لَبّاتُها عن شبيه الدُّرِّ مِن فيها
شمسُ المحاسنِ يُسْتَبْقَى النهارُ بها كأَن يُوشَعَ مفتونٌ يُجاريها
مَشت على (الجسر) رِيماً فى تلفُّتها للناظرين ، وباناً فى تَثَنّيها
كأَن كلَّ غوانيه ضرائرُها عُجْبًا ، وكلَّ نواحيه مَرائِيها
عارَضْتُها وضميرى من محارمها يَزْوَرُّ عن لحظاتى فى مَساريها
أَعِفُّ من حَلْيِها عمّا يُجاوِرُه ومن غلائلها عمّا يُدانيها
قالت : لعلّ أديبَ النيلِ يُحرجُنا فقلت : هل يُحرجُ الأَقمارَ رائيها

١ ـ الكنس : جمع كناس ، وهو بيت الظبى ٢ ـ يقال : شكلت المرأة شكلا : كانت ذات شكل أى غنج ودلال وغزل .

بينى وبينك أشعارٌ هتفتُ بها   ماكنتُ أعلم أن الرِّيم يرويها

والقولُ إن عفّ أو ساءت مواقِعُه

صدى السريرةِ والآدابِ يَحكِيها

وقال :

أدارى العيونَ الفاتراتِ السَّواجيا

وأشكو إليها كَيْدَ إنسانِها لِيا

قتلنَ ومنَّين القتيلَ بألْسُنٍ   من السحر يُبْدِلْنَ المنايا أمانيا

وكلَّمْنَ بالألحاظِ مَرْضَى كَليلةً

فكانت صِحاحاً فى القلوب مَواضِيا

حَبَبْتُكِ ذاتَ الخالِ ، والحبُّ حالةٌ   إذا عرَضت للمرء لم يَدْرِ ماهيا

وإنك دُنيا القلب مهما غَدَرْتِه   أَتى لكِ مملوءًا من الوجْد وافيا

صدودُك فيه ليس يألُوه جارحاً   ولفظُكِ لا ينفكُّ للجرح آسِيا

وبين الهَوى والعَذْلِ للقلب موقِفٌ

كخالِكِ بينَ السيفِ والنارِ ثاويا (١)

وبين المُنى واليأسِ للصبر هِزَّةٌ

كَخَصْرِكِ بينَ النَّهْدِ والرِّدْفِ واهيا

وعرّض بى قومى . يقولونَ : قد غوى

عدِمتُ عذولى فيكِ إن كنتُ غاويا

يَرومونَ سُلوانًا لقلبى يُريحُهُ   ومن لىَ بالسُّلْوانِ أشريه غاليا ؟

وما العشقُ إلا لذةٌ ثم شِقوةٌ   كما شَقِىَ المخمورُ بالسُّكر صاحيا

١ — يعنى الشاعر بهذه التورية أن خالها بين نار الخد — وهى كناية عن الحمرة — وبين سيف اللحظ وهو معروف .

متفرقات

مَصَايِرُ الأَيَّامِ

ألا حَبَّذَا صُحبةُ المكتَبِ وأحبِبْ بأيَّامه أَحبِبِ !
وياحبّذا صِبيةٌ يَمرحو ن ؛ عِنانُ الحياةِ عليهم صَبى
كأنّهمو بَسماتُ الحيا ةِ وأنفاسُ ريْحانِها الطيِّبِ
يُراحُ ويُغدَى بهم كالقَطِيـ ع على مشرقِ الشمس والمَغرب
إلى مَرْتَعٍ أَلِفوا غيرَه وراعٍ غريبِ العصا أجنبي
ومُستقبَلٍ من قيود الحيا ةِ شديدٍ على النفس مُستصعَب
فِراخٌ بأيكٍ : فمن ناهضٍ يَروضُ الجناحَ ، ومن أزْغَب
مقاعِدُهم من جَناحِ الزَّما نِ وما علِموا خَطَرَ المَرْكَب
عصافيرُ عند تهجِّي الدرو س(١) ، مِهارٌ عرابيدُ فى المَلْعَب
خَلِيُّون من تَبِعات الحيا ةِ ، على الأُمِّ يُلقونها والأَب
جنونُ الحَدَاثَةِ من حولهم تضيقُ به سعَةُ المذهب
عدا فاستبدّ بعقل الصبىّ وأعدى المؤدّبَ حتى صَبى !
لهم جَرَسٌ مُطْربٌ فى السرا ح ، وليس إذا جَدّ بالمطربِ
توارتْ به ساعةٌ للزما ن على الناس دائرةُ العَقْرب
تشُولُ(٢) بإبرتها للشبا بِ ، وتقذِفُ بالسّم فى الشُّيَّب

---

١ — المهار : جمع مهر ، والعرابيد جمع عربيد بالكسر ، والعربيد الكثير العربدة ٢ — تشول : ترفع ، أخذا منقولهم :شالت الناقة ذنبها اذا رفعته.

يَدُقُّ بمِطرقتيْها القضا ... ء وتجرى المقاديرُ فى اللَّوْلَب
وتلك الأواعى بأَيْمانهم(١) ... حقائبُ فيها الغدُ المُختَبى
ففيها الذى إن يُقِم لا يُعدَّ ... من الناس ، أويَمض لايُحسب
وفيها اللِّواءُ ، وفيها المنا ... رُ ، وفيها التَّبيعُ ، وفيها النَّبى
وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزحا ... مِ ، وفيها المقدَّمُ فى الموكِب

* * *

جميلٌ عليهم قشيبُ(٢) الثيا ... بِ ، وما لم يُجمّل ولم يَقشب
كساهم بَنانُ الصِّبا حُلَّةً ... أعزَّ من المخمِلِ المُذْهَب
وأبهى من الورد تحت الندى ... إذا رفَّ فى فرعه الأهْدب
وأطهرَ من ذيلها لم يَلُمّ ... من الناس ماشٍ ، ولم يَسحَب

* * *

قطيعٌ يُزَجِّيه راعٍ من الده ... ر ، ليس بلَيْنٍ ولا صُلَّب
أهابت هِرواتُه بالرِّفا ... ق ، ونادت على الحُيَّدِ الهُرَّب
وصرّفَ قطعانَه ، فاستبدّ ... ولم يخشَ شيئًا ، ولم يَرهَب
أراد لمن شاءَ رَعْىَ الجَديـ ... ـب ، وأنزلَ من شاءَ بالمُخصِب
ورَوّى على رِيِّها النَّاهلا ... تِ ، وردّ الظِّماءَ فلم تَشْرَب
وألقى رِقاباً إلى الضاربيـ ... ـن ، وضَنّ بأُخرى فلم تُضرَب
وليس يبالى رضا المستَريـ ... ـحِ ، ولا ضَجَرَ الناقمِ المُتعَب
وليس بمُبْقٍ على الحاضريـ ... ـن ، وليس بباكٍ على الغُيَّب

* * *

فياوَيْحَهم ! هل أَحَسُّوا الحيا ... ةَ ؟ لقد لعبوا وهْىَ لم تَلْعب
تجرِّبُ فيهم وما يعلمو ... ن ، كتجربة الطبِّ فى الأَرْنب

---

١ ـ الايمان جمع يمين . وهى اليد اليمنى ـ ٢ ـ القشيب : الجديد

سَقَتْهم بِسُمٍّ جرى في الأُصو ل ، ورَوَّى الفروعَ ولم يَنضُب
ودار الزمانُ ، فدالَ الصِّبا وشبَّ الصِّغارُ عن المكتب
وجَدَّ الطِّلابُ ، وكدَّ الشبا بُ وأوغل في الصَّعب فالأصعب
وعادت نواعِمُ أيّامِه سِنينَ من الدَّأبِ المُنصِب
وعُذِّبَ بالعلم طُلّابُه وغصُّوا بِمَنْهَلِهِ الأَعذب
رَمَتْهم به شهواتُ الحيا ةِ : وحُبُّ النَّباهةِ والمَكسب
وزَهْوُ الأُبُوَّةِ من مُنجبٍ يفاخرُ مَنْ ليس بالمُنجب
وعقلٌ بعيدُ مَرامى الطِّما حِ ، كبيرُ اللُّبانةِ والمأْرَب
ولوعُ الرَّجاءِ بما لم تَنَلْ عقولُ الأوالي ولم تطلُب
تنقَّلَ كالنَّجم من غَيْهَبٍ يَجوبُ العصورَ إلى غَيْهَب
قديمُ الشُّعاعِ كشمسِ النها رِ جديدٌ كمِصباحِها المُلهِب
أبوقْراطُ مثلُ ابنِ سينا الرئيـ سِ وهوميرُ مثلُ أبي الطَّيِّب
وكلُّهمو حَجَرٌ في البنا ءِ ، وغرسٌ من المثمرِ المُعقِب

* * *

تؤلِّفُهم في ظِلال الرخا ءِ ، وفي كَنَفِ النسبِ الأقرب
وتكسِرُ فيهم غرورَ الثرا ءِ ، وزَهْوَ الولادةِ والمنصِب
بيوتٌ مُنَزَّهةٌ كالعتيـ قِ وإن لم تُستَّرْ ولم تُحجَب
يُداني ثراها ثَرَى مكَّةٍ ويقربُ في الطُّهر من يَثرب
إذا ما رأيتَهمو عندها يموجون كالنحل عند الرُّبَى
رأيتَ الحضارةَ في حِصنِها هناكِ ، وفي جُندِها الأغلب

وتَعرِضُهم مَوكِبًا موكِبًا وتسأَل عن عَلَم الموكِب
دَعِ الحظَّ يطلَعْ به فى غدٍ فإنَّك لم تَدْرِ من يجتبى
لقد زيَّنَ الأَرض بالعَبْقرىِّ مُحَلّى السماواتِ بالكوكب

* * *

وَخَدَّش ظفرُ الزمانِ الوجو هَ، وغيَّض من بشرها المُعْجِب
وغال الحداثةَ شَرْخُ الشبا بِ، ولُوشِيَتِ المُرْدُ فى الشُّيَّب
سَرَى الشيبُ مُتَّئِدًا فى الرءُو س سُرَى النارِ فى الموضع المُعْشِب
حريقٌ أَحاطَ بخيط الحيا ةِ، تعَجَّبْتُ كيف عليهم غَبِى؟
ومن تَظهرِ النارُ فى دارِه وفى زرعه منهمو يَرْعَب
قد انصرفوا بعد علمِ الكتا بِ لبابٍ من العلم لم يُكْتَب
حياةٌ يُغامِرُ فيها امرؤٌ تسلَّحَ بالنَّابِ والمِخْلَب
وصار إلى الفاقةِ ابنُ الغنىّ ولاقى الغِنَى ولدُ المُتْرِب
وقد ذهب الممتلى صِحَّةً وصَحَّ السقيمُ فلم يَذْهَب
وكم مُنْجِبٍ فى تَلَقّى الدرو سِ تَلَقَّى الحياةَ فلم يُنْجِب
وغاب الرفاقُ، كأَن لم يكن بهم لك عهدٌ، ولم تَصْحَب
إلى أَن فنوا ثُلَّةً ثُلَّةً فناءَ السرابِ على السَّبْسَب

لُبْنَان

السِّحرُ من سُود العيونِ لقِيتُهُ والبابِلىُّ بلحظهنّ سُقِيتُهُ
الفاتراتِ وما فَتَرْنَ رمايةً بمُسَدَّدٍ بينَ الضلوعِ مَبيتُه
الناعساتِ الموقظاتى للهوى المُغرياتِ به وكنتُ سَلِيتُه

القاتلات بعابث فى جفنه ... نمل الغرار معربد إصليته(١)
الشارعات الهدب أمثال القنا ... يحيى الطعين بنظرة ويميته
الناسجات على سواء سطوره ... سقماً على منوالهن كسيته

* * *

وأغن أكحل من مها «بكفية» ... علقت محاجره دمى وعلقته
لبنان دارته وفيه كناسه ... بين القنا الخطار خط نحيته
السلسبيل من الجداول ورده ... والآس من خضر الخمائل قوته
إن قلت تمثال الجمال منصبا ... قال الجمال براحتى مثلته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضباناً وأعرض نافراً ... حال من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه ... وزعمتهن لبانتى فأغرته
فمشى إلى وليس أول جؤذر ... وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادنى ... وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهدى ... لابن البتول وللصلاة وهبته(٢)
قالت ترى نجم البيان فقلت بل ... أفق البيان بأرضكم يممته
بلغ السها بشموسه وبدوره ... لبنان وانتظم المشارق صيته
من كل عالى القدر من أعلامه ... تتهلل الفصحى إذا سميته
حامى الحقيقة ، لا القديم يئوده ... حفظاً ولا طلب الجديد يفوته
وعلى المشيد الفخم من آثاره ... خلق يبين جلاله وثبوته
فى كل رابية وكل قرارة ... تبر القرائح فى التراب لمحته
أقبلت أبكى العلم حول رسومهم ... ثم انثنيت إلى البيان بكيته

---

١ — الاصليت : السيف ـ ٢ ـ ابن البتول هو المسيح عليه السلام .

لبنانُ والخُلدُ ، اختراعُ اللهِ لم   يُوسَم بأزينَ منهما ملكوته

هو ذِرْوة فى الجبين غير مَرُومة   وذَرا البراعة والحجى « بَيْروته »

مَلِكُ الهضابِ الشمِّ سلطانُ الرُّبى   هامُ السحابِ عروشُه وتُخوته

سيناءُ شاطَره الجلالَ فلا يُرى   إلَّا له سُبُحاته(١) وسُموته(٢)

والأبلقُ الفردُ انتهت أوصافهُ   فى السُّؤدد العالى له ونعوته

جبل عن آذار يُزْرِى صيفه   وشتاؤه يَئِد القرى جبروته

أبهى من الوَشْى الكريم مروجُه   وألذُّ من عَطلِ(٣) النُّحور مُروتُه(٤)

يغْشى روابيَه على كافورها   مِسْكُ الوهادِ فَتيقُه وفَتيتُه(٥)

وكأن أيامَ الشباب ربوعُه   وكأن أحلامَ الكعاب بيوتُه

وكأن ريْعانَ الصِّبا ريْحانُه   سِرّ السرور يَجودهُ ويقوتُه(٦)

وكأن أثداءَ النواهد تِينُه   وكأن أقراط الولائد توته

وكأن هَمس القاع فى أُذن الصفا(٧)   صوتُ العتابِ ظهوره وخُفوته

وكأن ماءَهما وَجَرْسَ(٨) لُجَينه   وَضَحُ(٩) العروس تبينه وتصيتُه(١٠)

* * *

زعماء لُبنان وأهلَ نَدِيِّه   لبنانُ فى ناديكمو عظمته

قد زادنى إقبالُكم وقبولُكم   شرَفاً على الشرف الذى أوليته

تاجُ النيابة فى رفيع رءُوسكم   لم يُشْر لؤلؤه ولا ياقوتُه

١ـ السبحة : بضمتين : الجلال   ٢ـ السمت بالفتح : هيئة أهل الخير، ٣ـ عطل النحر من الحلى : خلا ـ٤ـ المروت : جمع مرت وهى المفازة بلا نبات ـ٥ـ فتق المسك : استخرجه بشىء يدخله عليه ، والفتيت : المفتوت ٦ ـ يقوته : يطعمه ٧ ـ الصفا : الصخر ٨ ـ الجرس : الصوت ٩ ـ الوضح : حلى من الفضة ١٠ ـ تصيته : تجعله يصوت .

«موسى»(١) عدوّ الرِّقّ حول لوائكم لا الظُّلمُ يرهِبه ، ولا طاغوتُه
أنتم وصاحبكم إذا أصبحتمو كالشهرِ أكملَ عدّة موقوتُه
هو غرة الأيام فيه ، وكلكم آحادُه فى فضلها وسُبوتُه

المُؤتمرُ(٢)

صرحٌ على الوادى المبارك ضاحى متظاهرُ الأعلامِ والأوضاحِ
ضافى الجلالة كالعتيق مُفضّل ساحاتِ فضلٍ فى رحابِ سَماح
وكأن زَفْرَفَه رواقُ من ضحًى وكأن حائطَه عمودُ صَباح
الحقُّ خلفَ جناحِ استذرى(٣) به ومَراشِدُ السلطانِ خلفَ جَناح
هو هيكلُ الحريّةِ القانى ، له ما لِلهياكلِ من فِدًى وأضاح
يبنى كما تُبنى الخنادقُ فى الوغى تحتَ النبالِ وصَوْبِها السحّاح
ينهارُ الاستبدادُ حولَ عِراصِه مِثلَ انهيارِ الشِّركِ حولَ (صَلاح)(٤)
وَيكُبُّ طاغوتُ الأمور لوجهِه متحطِّمَ الأصنامِ والأشباح
هو ما بَنى الأعزالُ بالرّاحات ، أو هو ما بَنى الشهداءُ بالأرواح
أخذتْه (مصرُ) بكل يومٍ قاتمٍ وَرْدِ الكواكب أحمرِ الإصْباح
هَبّتْ سِماحاً بالحياةِ شبابها والشيبُ بالأرْماق غيرُ شحاح
ومشتْ إلى الخيل الدوارع وانبرتْ للظّافر الشاكى بغير سلاح
وَقَفاتُ حقٍّ لم تقفْها أمةٌ إلا انثنتْ آمالُها بنجاح

---

١ — موسى نمور بك رئيس مجلس النواب اللبنانى — ٢ — مؤتمر سياسى اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برياسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦ — ٣ — استذرى : استظل . ٤ — صلاح : اسم لمكة .

وإذا الشُّعوبُ بَنَوْا حقيقةَ مُلْكِهم جعلوا المآتمَ حائطَ الأفراحِ

* * *

بشرى إلى الوادى تهزُّ نباتَه هَزَّ الربيعِ مناكِبَ الأدواحِ

تسرى ملمَّحة الحجول(١) على الرُّبى وتسيل غُرَّتُها بكل بِطاحِ

التامَتِ الأحزابُ بعدَ تصدُّعٍ وتصافتِ الأقلامُ بعد تلاحِى

سُحِبَتْ على الأحقاد أذيالُ الهوى ومَشَى على الضِّغْن الودادُ الماحِى

وجَرَتْ أحاديثُ العتابِ كأنها سَمَرٌ على الأوتارِ والأقداحِ

ترْمِى بِطرْفِكِ فى المجامِعِ لا ترى غيرَ التعانُقِ واشتباكِ الراحِ

* * *

شمسَ النهارِ ، تعلَّمِى الميزانَ من (سَعْدِ) الديار وشيخِها النَّصّاحِ(٢)

مِيلِى انظُرِيه فى النَّدِىِّ كأنَّه (عثمانُ) عن أُمِّ الكتابِ يُلاحِى

كم تاجِ تضحيةٍ وتاجِ كرامةٍ للعين حولَ جبينه اللماحِ

والشيبُ مُنْبَثِقٌ كنورِ الحقِّ من فوْدَيْه ، أو فجرِ الهدى المِنْصاحِ(٣)

لَبَّى أذانَ الصُّلحِ أوَّلَ قائمٍ والصلحُ خُمسُ قواعِدِ الإصلاحِ

سبقَ الرجالَ مُصافِحًا ومُعانِقًا يمنَى السَّماحِ وهيكلَ الإسجاحِ(٤)

(عدلى) الجليل ابن الجليل من الملا والماجد ابن الماجد المِسماحِ

حُلْوُ السجيَّةِ فى قناةٍ مُرَّةٍ ثَمِلُ الشمائلِ فى وَقارٍ صاحِ

* * *

شَتَّى فضائلَ فى الرجالِ ، كأنَّها شَتَّى سلاحٍ من قنًا وصِفاحِ(٥)

فإذا هىَ اجتمعت لِمُلْكٍ جَبْهَةً كانت حصونَ مَناعَةٍ ونِطاحِ

اللهُ ألَّفَ للبلادِ صدورَها من كل داهيةٍ وكلِّ صُراحِ

---

١ — الحجول : الخلاخيل ٢ — النصاح : الرامى بالنبل وهو كناية عن الحامى والمدافع —٣— المنصاح : الخالص —٤— يقال سجح خلقه : سهل ولان — — الصفح : السيوف .

وزراءُ مملكةٍ ، دَعائِمُ دولَةٍ أعلامُ مُؤتَمَرٍ ، أسودُ صَباحِ (١)
يَبنون بالدستورِ حائطَ مُلْكِهم لا بالصِّفاحِ ولا على الأرْماحِ
وجَوَاهرُ التيجانِ مالم تُتَّخَذْ من مَعدِنِ الدستورِ غيرُ صِحاحِ

* * *

احْتَل حِصْنَ الحقّ غيرُ جنودِهِ وتكالبت أيْدٍ على المفتاحِ
ضَجَّتْ على أبطالها ثُكْناتُه واسْتوْحَشَتْ لِكُماتِها النُّزاحِ
هُجرَت أَرائِكُهُ ، وعُطِّلَ عودُه وخلا من الغادين والرُّوّاحِ
وعَلاهُ نَسْجُ العنكبوتِ . فزاده كالغارِ من شرفٍ وسمتِ (٢) صَلاحِ

* * *

قلْ للبنين مقالَ صدقٍ ، واقْتَصِدْ ذَرْعُ الشباب يضيق بالنُّصّاحِ :
أنتم بنو اليوم العصيبِ ؛ نشأتمو فى قَصْفِ أنواءٍ ، وعَصْفِ رياحِ
ورأيتمو الوَطَنَ المؤلَّفَ صخرةً فى الحادثات وسَيْلِها المجتاحِ
وشهدتمو صَدْعَ الصفوفِ وما جَنَى من أمْرِ مُفْتَتاتٍ ونَهْيٍ وَقَاحِ
صوتُ الشعوب من الزئير مُجمَّعًا فإذا تفرَّقَ كان بعضَ نُبَاحِ
أظْمَتْكُمو الأيامُ ، ثم سقتكمو رَنقًا من الإحسانِ غيرَ قَراحِ
وإذا مُنِحْتَ الخيرَ من مُتكَلِّفٍ ظَهَرَتْ عليه سجيّةُ المنّاحِ
تركَتْكُمو مثلَ المَهيضِ جناحُه لا فى الحبال ، ولا طليق سَراحِ
مَنْ صَيَّرَ الأغلالَ زَهْرَ قلائدٍ وكسا القيودَ محاسنَ الأوضاحِ ؟
إن التى تبغون ؛ دون منالِها طولُ اجتهادٍ ، واضطرادُ كِفاحِ
سيروا إليها بالأناة طويلةً إن الأناةَ سبيلُ كلِّ فَلاحِ
وخذوا بناءَ المُلْكِ عن دستوركم إن الشِّراعَ مُثَقَّفُ المَلاّحِ

١ــ صباح هنا : اى حرب ٢ــ السمت : هيئة اهل الخير .

يا دارَ محمودٍ ، سَلِمْتِ ، وبورِكتْ أركانُكِ الهرميَّةُ الصُّفَّاح (١)
وازددْتِ من حسنِ الثناءِ وطيبه حَجَراً هو الدُّرِّىُّ فى الأمداح
الأُمَّةُ انتقلَتْ إليكِ ، كأنما أنزلْتِها من بيتها بجناح
بركاتُ شيخٍ بالصعيد مُحمَّلٌ عِبْءَ السنينَ مُؤمِّلٍ نفّاح
بالأمسِ جادَ على القضيةِ بابنه واليومَ آواها بأكرم ساح

النَّسْرُ المِصْرىُّ (٢)

أعُقابٌ فى عَنان الجوِّ لاح أم سحابٌ فرّ من هُوج الرياحْ؟
أم بساطُ الريحِ ردّته النوى بعد ما طوَّف فى الدهر وساحْ ؟
أو كأنَّ البرجَ ألقى حوته فترامى فى السماوات الفِساح

* * *

أقبلَتْ مِنْ بُعْدٍ تحسبُها نَحْلَةً عَنَّتْ وطَنَّتْ فى الرياح
يا سلاحَ العصر بشَّرنا به كلُّ عصرٍ بكَمِىٍّ وسلاح
إن عزّاً لم يظَلَّلْ فى غدٍ بجناحَيْكَ ذليلٌ مُسْتَباح
فتكاثَرْ وتألَّفْ فيلَقاً تَعْصِمُ السِّلمَ وتعلو للكفاح
مصرُ للطير جميعاً مسرح مالنا فيه ذُنابَى أو جَناح
رُبَّ سِرْبٍ قاطعٍ مَرَّ به هبطَ الأرض مَلِيًّا واستراح
لِمَ لا يفتن فتيانَ الحمى ذلك الإقدامُ ، أو ذاك الطَّماح ؟
من فتًى حلَّ من الجو بهم فتلقَّوهُ على هامٍ وراح

---

١ — الصفاح : حجارة عريضة ٢— قيلت بمناسبه قدوم صدقى الطيار المصرى الأول من برلين الى القاهرة طائرا فى سنة ١٩٣٠

إنه أوّلُ عُصفورٍ لهم هزّ في الجوّ جَناحيْه وصاح
دَبّتْ الهِمّةُ فيه ، ومشت عزماتٌ منكَ يا (حربُ) صِحاح(١)
ناطَحَ النَّجمَ فتًى علَّمَتَه في حياةٍ حُرّةٍ كيف النِّطاح
لكَ في الأجيالِ تمثالٌ مشى وجدوا الرشدَ عليه والصَّلاح
جاوز النيل وعبْرَيْه إلى أكَم الشام وهاتيك البطاح

* * *

فارسَ الجوّ ، سلامٌ في الذُّرَى وعلى الماء ، ومن كل النواح
ثِبْ إلى النجمِ ، وزاحِمْ ركنَه وامتلئْ من خُيَلاءٍ ومِراح
إنَّ هذا الفتحَ لا عهدَ به لضِفاف النيلِ من عهد (فتاح)
تلك أبوابُ السماءِ انفتحتْ ما وراءَ البابِ ياطيرَ النجاح؟
أسماءُ النيلِ أيضاً حَرَمٌ من طريق الهندِ، أم جَوٌّ مُباح؟

* * *

عينُ شمسٍ مُلِئَتْ من موكب كان للأبطال أحياناً يُتاح
ربّما جلَّل وجهَ الأرض ، أو ربّما سدّ على الشمس السراح
إن يَفُتْه الجيشُ أو روعتُه لم يفُتْه النَّشأُ الزُّهْرُ الصِّباح
وفِدى (فانزةٍ) سُمْرُ القَنا وفِدى حارسِها بيضُ الصِّفاح
ولقد أبطأْتَ حتى لم يَنَمْ للحمَى ليلٌ ولم يَنعم صَباح
فابتغى العُذْرَ كِرامٌ ، وانبرَتْ ألسنٌ في الثَّلْمِ والهَدْمِ فِصاح
تلتوى الخيلُ على راكبها كيف بالعاصف في يوم الجِماح؟
ليس مَنْ يركبُ سَرْجاً لَيِّنا مثلَ مَنْ يركب أعرافَ الرياح
سِرْ رُوَيْدًا في فضاءٍ سافرٍ ضاحكِ الصفحةِ كالفردوس صاح

---

١ ــ طلعت بك حرب مدير بنك مصر .

طرفت عَيْنًا به الشمسُ ، فلو خُيِّرَتْ لم تتحفَّزْ للرواح
وتكاد الطيرُ من خفَّته تتعالى فيه من غير جَناح
قف تأمل من عُلُوٍّ قُبَّةً رُفِعتْ للفصل والرأيِ الصُّراح
نزل النوّابُ فيها فتيةً فى جَناح وشيوخاً فى جَناح
حملوا الحقَّ وقاموا دونَهُ كرَعِيلِ الخيل أو صفِّ الرماح

* * *

يا أبا الفاروقِ ، مَنْ ترعى فنى كنَفِ الفضل وفى ظلِّ السَّماح
أنت من آبائك السُّحْب ، وما فى بناءِ السُّحُبِ الأيدى الشِّحاح
يَدُكَ السَّمْحَةُ فى الخير ، وفى هِمَّةِ الغَرْسِ ، وفى أَسْوِ الجراح
نحن أفلحنا على الأرض بكم ورجونا فى السماوات الفلاح

تُوتْ عَنْخ آمُون وَالبرْلمان

قُمْ ، سابِقِ (الساعةَ) ، واسْبِقْ وعدَهَا
الأَرضُ ضاقت عنكَ ، فاصدعْ غِمْدَها
واملأْ رماحاً غورَها ونَجْدَها وافتح أُصولَ النيل واستردَّها
شَلَّالَها ، وعَذْبَها ، وعِدَّها (١) واصرفْ إلينا جَزْرَها ومَدَّها
تلك الوجوهُ لا شَكَوْنا فَقْدَهَا بَيَّضَتِ القُرْبَى لنا مُسْوَدَّها
سُلِلْتَ من (وادى الملوكِ) فازْدَهَى وألقت الشمسُ عليه رَأْدَها
واسترجعتْ دولتُه إفرِنْدَها أبيضَ ، ريَّانَ المُتونِ ، وَرْدَها
أَبْلَى ظُبَى الدهرِ ، وفَلَّ حَدَّها وأَخْلَقَ العصورَ ، واستجدَّها

---

١ — العد : الماء الجارى له مادة لاتنقطع .

يسافرَ أربعينَ قرنًا عدَّها ... حتى أتى الدارَ ، فألفى عِندها
إنجلترا ، وجَيْشَها ، ولُورْدَها ... مَسلولةَ الهِندِىِّ تَحمِى هِنْدَها
قامتْ على السودانِ تَبْنِى سدَّها ... وركَزتْ دونَ القناةِ بَنْدَها(١)

* * *

فقال والحسرةُ ما أَشدَّها ... : ليت جدارَ القبرِ ما تَدَهْدَها(٢)
وليتَ عَينِى لم تفارق رَقْدَها ... قُمْ نَبِّنِى يا بنتؤورُ : ما دها؟(٣)
مِصرُ فَتاتِى لم تُوَقِّرْ جَدَّها ... دَقَّتْ وراءَ مَضجعِى جازْبَنْدَها
وخَلَطتْ ظِباءَها وأُسْدَها ... وسكبَ الساقى الطِّلا ، وبَدَّها(٤)
قد سَحبتْ على جلالى بُرْدَها ... ليتَ جلالَ الموتِ كان صَدَّها

* * *

فقلتُ : يا ماجدَها وجَعْدَها(٥) ... لولم تكُ ابنَ الشمس كنتَ رِئْدَها(٦)
لَخُلْدُكَ وَدَّتْهُ النجومُ لحدَها ... أريتَنا الدنيا بهِ وجِدَّها
سلطانَها ، وعزَّها ، ورَغْدَها ... وكيف يُعْطَى المتقون خُلدَها
آثاركم يُخطِى الحسابُ عَدَّها ... انهدَمَ الدهرُ ولم يَهُدَّها
أبوابُكَ اللاتى قَصدْنا قَصْدَها ... (كارترُ) فى وجهِ الوفودِ رَدَّها
لولا جهودٌ لا نريدُ جَحْدَها ... وحُرمةٌ من قُربك استمدَّها
قلتُ لك : اضربْ يَدَهُ وقُدَّها ... وابعثْ له من البعوضِ نُكْدَها

* * *

مِصرُ الفتاةُ بلغَتْ أَشُدَّها ... وأثبتَ الدمُ الزكِىُّ رُشْدَها
ولعِبتْ على الحبالِ وَحْدَها ... وجَرَّبتْ إرخاءَها وشَدَّها
فأرسلتْ دُهاتَها ولُدَّها (٧) ... فى الغَرْب سدُّوا عنده مَسَدَّها

---

١ ـ البند : العلم ـ ٢ ـ تدهده : انقض وتدحرج . ـ ٣ ـ بنتاءور : شاعر مصرى قديم ـ ٤ ـ بد الشيء : فرقه ، وهنا بمعنى أراقها ـ ٥ ـ الجعد : الكريم . ـ ٦ ـ الرئد : الترب . ـ ٧ ـ اللد : الأشداء فى الخصومة .

وبَعَثَتْ للبرلمانِ جُنْدَها   وحَشَدَتْ للمِهْرَجانِ حَشْدَها

حَدَتْ إليه شِيبَها ومُرْدَها   وأبرزَتْ كَعابَها وخَوْدَها

ونثرتْ فوقَ الطريقِ وَرْدَها   واستقبلَتْ فؤادَها ووَفْدَها

مَوْئلَها ، وكهفَها ، ورِدْءَها (١)   وابنَ الذين قَوَّموا مَقدَّها

وألَّفوا بعدَ انفراطٍ عِقْدَها   وجَعلوا صحراءَ ليبيا حَدَّها

وبَسَطوا على الحجازِ أيْدَها   وصيّروا العاتىَّ فيه عَبْدَها

حتى أتى الدارَ التى أعدَّها   لمصرَ تبنْى فى ذَراها مَجْدَها

فثبَّتَ الشورى ، وشدَّ عَقْدَها   وقلَّدَ الجيلَ السعيدَ عَهْدَها

سُلْطَتُه إلى بنينا رَدَّها

يارَبِّ قَوِّ يَدَها ، وشُدَّها   وافْتح لها السُّبْلَ ، ولا تَسُدَّها

وقِسْ لكلِّ خطْوَةٍ ما بعدَها   وعن صغيراتِ الأُمورِ حُدَّها

واصرف إلى جِدِّ الشئونِ جِدَّها   ولا تُضِعْ على الضحايا جُهْدَها

واكبحْ هوى الأنفُسِ ، واكْسِرْ حِقْدَها

واجمعْ على الأمِّ الرَّءُومِ وُلْدَها

واملأ بألبانِ النبوغِ نَهْدَها   ولا تَدَعْها تُحْيِ مُسْتَبِدَّها

وتنتحِتْ براحتَيْها فَرْدَها

مَصْرَعُ اللُّوردِ كِتْشنر

قِفْ بهذا البحرِ وانظرْ ماغَمَرْ   مظهرَ الشمسِ وإقبالَ القمرْ

واعرِضِ الموجَ مَلِيًّا ، هل ترى   غَمْرَةً أوْدَتْ بخوّاضِ الغُمَرْ ؟

أخذَتْ ناحيةَ الحقِّ به   وسبيلَ الناسِ فى خالى العُصُرْ

---

١ – الرِّدء : العماد .

مَنَعَ اللُّبْثَ وإنْ طال المدَى ... فَلَكٌ ما لعصاه مُسْتَقَرّ
دائرُ الدولابِ بالناسِ على ... جانبيْهِ المُرتَقَى والمُنحَدَر
نقضَ (الإيوانَ) من آساسِهِ ... وأتى (الأهرامَ) من أمِّ الحُجَر
ومَحَا (الحمراء)(١) إلا عمداً ... نَزَعُها من عَضُدِ الأرضِ عَسِر
أين (روميَّةُ)؟ ما قيصرُها؟ ... ما لياليها المُرِنَّاتُ الوتَر؟
أين (وادي الطَّلْح)(٢) واللائى به ... من دُمًى يَسْحَبْنَ في المِسْكِ الحِبَر(٣)
أين (نابليونُ)؟ ما غاراته؟ ... شَنَّها الدهرُ عليه من غِيَر
أيُّها الساكنُ في ظِلِّ المنى ... نَمْ طويلاً، قد تَوَسَّدْتَ الزَّهَر
شجرٌ نامٍ، وظلٌّ سابغٌ ... بَيْدَ أن الصِّلَّ(٤) في أصل الشجر
يَنْذُرُ المرءُ ويأتى ما اشتهى ... وقضاءُ اللهِ يأتى ويَذَر
كلُّ محمولٍ على النعش أخٌ ... لك ضافٍ ودُّهُ بعدَ الكَدَر
إنْ تكنْ سِلْمًا فلمْ ينتفع ... أو تكنْ حرباً فقد فات الضَّرَر
راكبَ البحرِ، أموجٌ ما ترى؟ ... أم كتابُ الدهرِ، أم صُحْفُ القَدَر؟
لُجَّةٌ (كاللوحِ)، لا يُحْصَى على ... قَلَمِ القُدرةِ فيها ما سطر
فتلفَّتْ تلقَ وتنظمْ حكمةً ... والمسِ العِبْرَةَ من بينِ الفِقَر(٥)
وتأمَّلْ ملعباً أعجبُهُ ... آيةٌ جانبُه المُرْخَى الدُّثُر
ههنا تمشى الجوارى مَرَحاً ... وجَوارى الدهرِ يَمْشِينَ الخَمَر(٦)
رُبَّ سيفٍ ضرب الجمعُ به ... في كنوزِ البحرِ مطروحُ الكِسَر(٧)
وتِجاد لم يُطاوِل ضَحْوةً ... ناله الفجرُ عِشاءً بالقِصَر

١ — الحمراء: قصر عظيم بالأندلس ٢ — وادي الطلح: منتزه بأشبيلة للمعتمد بن عباد ٣ — الحبر: جمع حبرة، وهى ضرب من برود اليمن (٤) — الصل: الثعبان ٥ — الفقر: كل كلام مختار نظما كان أو نثرا.
٦ — يمشى الخمر: جملة تقال لمن يختل صاحبه ٧ — الكسر: جمع كسرة: وهى القطعة من الشىء.

وسفين آمر فيها البِلى طالما أَوْحَتْ إليه فأْتَمَر
ووجوهٍ ذهب الماءُ بها فى نهار الفَرْقِ ، أو ليلِ الشَّعَر
وعيونٍ ساجياتٍ سُجِّيَتْ برُفاتِ السحرِ ، أو فَلِّ الحَوَر(١)
قُلْ لِلَيْثٍ خُسِفَ الغِيلُ به بين طِمٍّ ، وظلامٍ مُعْتَكِر(٢)
انظر الفُلْكَ : أَمِنْهَا أثرٌ ؟ هكذا الدنيا إذا الموتُ حَضَر
هذه منزلةٌ لو زدتَها ضاق عنك السعدُ ، أوضاق العُمُر
فامْضِ شيخًا فى هوى المجدِ قضَى رحمةَ المجدِ ، ورفقاً بالكِبَر
مِيتةٌ لم تَلْقَ منها عَلَزًا(٣) من وَقار الليْثِ أَنْ لا يُحْتَضَر

* * *

أنتمُ القومُ حِمَى الماءِ لكم يَرجع الوِرْدُ إليكم والصَّدَر
لُجَجُ الدَّأْماءِ أوطانٌ لكم ومن الأَوطانِ دُورٌ وحُفَر
لَسْتَ فى البحر وحيدًا ، فاستَضِف فيه آباءك تنزِلْ بالدُّرَر
رسَبوا فيه كراماً وطفا طائفُ النصرِ عليهم والظَفَر

* * *

نَشَأَ (النيلِ) ، إليكم سِيرة لكمو فيها عِظاتٌ وعِبَر
إقرأُوها يُكْشَف العصرُ لكم كلُّ عصرٍ برجالٍ وسِيَر
لاتقولوا : شاعرُ الوادى غَوَى مَنْ يُغَالِطْ نفسَه لا يعتبر
موقفُ التاريخ من فوق الهوى ومَقامُ الموتِ من فوق الهَذَر
ليس مَنْ مات بخافٍ عنكمو أو قليلِ الفعلِ فيكم والأَثَر
شِدتُمو دنياهُ فى أَحْسَنِها غزوة السودان والفتحَ الأَغَرّ
وبنى مملكةَ النُّوبِ بكم فاذكروا القتلى ، ولاتنسوا البِدَر(٤)

---

١ — الفل : الكسر فى حد السيف —٢— الطم : البحر —٣— العلز : القلق والهلع من الموت ٤ — البدر : جمع بدرة ، وهى عشرة آلاف درهم .

واحذَروا من قِسْمَةِ النيلِ فيا ضيْعَةَ الوادى إذا النيلُ شُطِر

* * *

رجلٌ ليس ابنَ (قارونَ)، ولا بابن (عادىٍّ) من العَظْمِ النَّخِر
ليس بالزاخر فى العلم ، ولا هو ينبوعُ البيانِ المنفَجِر
رَضَع الأَخلاقَ من ألبانها إن للأَخلاق وقعاً فى الصِّغَر
ورآها صورةً فى أُمَّةٍ ومن القُدْوَةِ ما تُوحِى الصُّوَر
ذلك المجدُ ، وهذى سُبْلُهُ بَيِّنٌ فيها سبيلُ المُعْتَذِر
أَبْعَدَ الساعونَ يَبغون المَدَى والمدى فى المجد دانٍ لِنَفَر
كجياد السَّبْقِ ، لن تُغنِيَها أَدواتُ السبْقِ ما تغنى الفِطَر

* * *

وجَناحُ السِّلم إلا أَنها ساعةَ الرَّوْعِ جَناحٌ من سَقَر
من حديدٍ جانِباها سابغٍ ربَض الموتُ عليه وفَغَر
أَشبَهَتْ أَفواهُها أَعجازَها قُنْفُذٌ فى اليَمِّ مشروعُ الإِبَر
أَرهفتْ سَمْعَ العصا(١) واكتحلت إثْمِدَ الزرقاءِ(٢) فى عرض السَّدَر(٣)
وتؤدِّى القولَ ، لا يسبِقُها رُسُلُ الأَرواحِ فى نَقْلِ الفِكَر
خَطَرَتْ فى مَحْجَرَيْها ومشتْ بعيون الملكِ فى بحرٍ وبَرّ
غابةٌ تجرى بسلطان الشَّرَى خادراً فى أَلف نابٍ وظُفر(٤)
وإذا الموتُ إلى النفس مشى وَرَكِبْتَ النجمَ بالموت عَثَر
رُبَّ ثاوٍ فى الظُّبَى مُمْتَنِعٍ سَلَّهُ المِقدارُ من جفن الحَذَر
تسحَبُ الفولاذَ فى مُلْتَطِمٍ بالعوادِى مُنعالٍ مُعْتَكِر

---

١ ــ العصا : الفرس المشهورة التى ورد ذكرها فى مصرع الزباء ، وقد كانت لقصير الذى يقول فيه المثل « لأمر ما جدع قصير أنفه » ٢ ــ هى زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر ٣ ــ السدر : البحر ٤ ــ الخادر : كناية عن أسد ، يقال أسد خادر : مقيم فى خدره .

لو أشارَتْ جاءها ساحلُهُ   فى حديدٍ وعديدٍ مُنْتَصِر
أو فَدَى الميّتَ حَىٌّ فُدِيَتْ   بوَقَاحٍ فى الجوارى وخَفِر(١)
بعث البحرُ بها كالموج من   لُجَج السِّنْدِ وخُلْجَانِ الخَزَر(٢)
لمَسَتْها للمقاديرِ يَدٌ   تلْمس الماءَ فيَرمى بالشَّرَر
ضربتها وهْى سرٌّ فى الدُّجى   ليس دونَ اللهِ تحتَ الليلِ سِرّ
وجَفَتْ قلباً ، وخارَتْ جُؤْجُؤاً   ونَزَتْ جَنْباً ، وناءَتْ من أُخَر
طُعِنَتْ ، فانبَجَسَتْ ، فاسْتصرخت
فأَتاها حَيْنُها ، فَهْىَ خبَر(٣)

البَرْلَمَانُ

على أثر ائتلاف الأَحزاب

سكن الزمانُ ، ولانت الأَقدارُ   ولكلِّ أمرٍ غايةٌ وقرارُ
أَرْخَى الأَعِنَّةَ للخطوبِ وردّها   فَلَكٌ بكلِّ فُجاءَة دوّار
يجرى بأَمرٍ ، أو يدور بضدِّه   لا النقضُ يُعجزه ، ولا الإمرار
هل آذنتنا الحادثاتُ بهدنة ؟   وهل استجاب ، فسالَم المقدار؟
سُدِلَ الستارُ ، وهل شَهِدْتَ رواية   لم يعترضها فى الفصول ستار؟
وجَرتْ فمااستولَتْ على الأَمدالمُنى   وعدَتْ فيما حَوَت المدى الأَوطار
دون الجلاءِ ، ودون يانِع وَرْدِه   خطواتُ شعبٍ فى القَتادِ تُسار
وبناءُ أخلاقٍ عليه من النُّهى   سُورٌ ، ومن عِلْم الزمانِ إطار
وحضارةٌ من منطق الوادى لها   أصلٌ ، ومن أدب البلادِ نِجار

* * *

أَعْمَى هوى الوطن العزيز عصابة   مُسْتَهْترين ، إلى الجرائم ساروا

---

١ ـ الوقاح : ذو الوقاحة ، يقال امرأة وقاح الوجه   ٢ ـ بحر الخزر : هو بحر قزوين ، والخزر ايضا : جيل من الناس   ٣ ـ الحين : الهلاك .

ياسوءَ سُنَّتِهم وقُبْحَ غُلُوِّهِم … إن العقائدَ بالغُلُوِّ تُضار

والحقُّ أرفعُ مِلَّةً وقضيَّةً … من أن يكون رسولَه الإضرارُ

أُخِذَتْ بذنبهم البلادُ وأُمَّةٌ … بالريف مايدرون : ماالسِّردار ؟

فى فتنةٍ خُلِطَ البرىءُ بغيرهِ … فيها ، ولُطِّخَ بالدم الأَبرار

لَقِيَ الرجالُ الحادثاتِ بصبرهم … حتى انجلَتْ غُمَمٌ لها وغِمار

لانوا لها فى شِدَّةٍ وصلابةٍ … لينَ الحديدِ مَشَتْ عليه النار

الحقُّ أبلجُ ، والكِنانةُ حُرَّةٌ … والعزُّ للدستور والإكبارُ

الأَمرُ شورَى ، لا يَعِيثُ مُسَلَّطٌ … فيه ، ولا يَطْغَى به جبّار

إن العنايةَ للبلاد تخيَّرَتْ … والخيرُ ماتقضى وما تختار

عهدٌ من الشُّورَى الظَّليلةِ نُضِّرَتْ … آصالُه ، واخْضَلَّت الأَسحار

تجنى البلادُ به ثمارَ جهودها … ولكل جهدٍ فى الحياةِ ثمار

بنيانُ آباءٍ مَشَوْا بسلاحهم … وبَنِينَ لم يجدوا السلاحَ فثاروا

فيه من التلِّ المُدَرَّجِ حائطٌ … ومن المشانق والسجون جِدار

أَبت التقيُّدَ بالهوى ، وتَقَيَّدَتْ … بالحقِّ أو بالواجبِ الأَحرارُ

فى مجلس لا مالُ مصرَ غنيمةٌ … فيه ، ولا سلطانُ مصر صَغارُ

ما للرجال سوى المَراشد منهجٌ … فيه ، ولا غيرَ الصَّلاحِ شِعار

يتعاونون كأَهل دارٍ زُلْزِلَتْ … حتى تَقَرَّ وتَطمئِنَّ الدار

يُجرون بالرفق الأُمورَ وفُلْكَها … والريحُ دونَ الفلكِ والإعصارُ

ومع المجدِّدِ بالأَناة سلامةٌ … ومع المجدِّد بالجِماح عِثار

الأُمةُ ائتلَفَتْ ، ورَصَّ بناءها … بانٍ زعامتُه هدًى ومَنار

أَسدٌ وراءَ السنِّ مَعقودُ الحُبا … يأْبَى ويَغضبُ للشَّرَى ويَغار

كَهْفُ القضِيَّةِ لاتنام نُيوبُه … عنها ، ولا تتناعس الأَظفار

يومَ الخميسِ ، وراءَ فجْرِك للهدى صبحٌ ، وللحقّ المبين نهار

ما أنت إلّا فارسِىٌّ ، ليْلُهُ عُرْس ، وصدرُ نهارِه إعذار

بَكَرَتْ تُزاحِم مِهْرَجانَك أُمّةٌ وتلَفّتَتْ خلفَ الزحامِ ديار

وروى مواكبَك الزمانُ لأهله وتنقّلَتْ بجلالها الأَخبار

أقبلْتَ بالدستور أبْلَجَ زاهرًا يَفْتَنُّ فى قَسَماتِه النُّظار

وذُؤابةُ الدنيا تَرِفُّ حَداثةً عن جانبيه . وللزمان عِذار

يحمى لَفَائِفَهُ ، ويحرس مَهْدَه شيخٌ يَذودُ ، وفتيةٌ أَنصار

وكأَنه عيسى الهُدى فى مهدِه وكأَن سعدًا يوسُفُ النجار

التاج فُصِّل فى سمائك بالضحى منك الحلى : ومن الضحى الأَنوار

يكسنو من الدستور هامةَ رَبِّهِ ما ليس يكسو الفاتحين الغار

بالحق يفتح كلُّ هادٍ مُصلحٍ ما ليس يفتح بالقنا المِغْوارُ

* * *

وطنى ، لديكَ — وأَنت سَمْحٌ مُفْضِلٌ —
تُنْسَى الذنوبُ ، وتُذكَر الأَعذار

تاب الزمانُ إليكَ من هفواته بوزارة تُمْحَى بها الأَوزار

وقال وقد أُلقيت فى حفلة نسائية عظيمة انعقدت بدار التمثيل العربى برئاسة السيدة هدى شعراوى

قُلْ للرِّجَالِ : طغى الأَسيرْ طيرُ الحِجالِ متى يَطيرْ ؟

أَوْهَى جنَاحَيْهِ الحديـ ـدُ ، وحَزَّ ساقَيْهِ الحرير

ذهب الحِجابُ بصبره وأَطال حيْرتَه السُّفور

هل هُيِّئَتْ . دَرَجُ السما ء له ، وهل نُصَّ الأَثير ؟

وهل استمرَّ به الجَنا حُ ، وهَمَّ بالنَّهْض الشكير؟(١)

---

١ — الشكير : صغار الريش بين كباره .

وسما لمَنزله من الد نيا ، ومنزلُه خطير ؟
ومتى تُساس به الريا ضُ كما تُساس به الوكور ؟
أوَ كُلُّ ما عند الرجا لِ له الخواطبُ والمهور ؟
والسجنُ فى الأكواخ ، أو سجنٌ يقال له : القصور ؟

* * *

تالله لو أن الأد يمَ جميعَه روضٌ ونور
فى كلّ ظلٍّ ربوةٌ وبكلّ وارفةٍ غدير
وعليه من ذَهبٍ سيا جٌ ، أو من الياقوت سور
ما تَمَّ من دون السما ءِ له على الأرض الحُبور
إن السماءَ جديرةٌ بالطير ، وهْوَ بها جدير
هى سَرْجُهُ المشدودُ ، وهو على أعِنَّتها أمير
حُرِّيَّةٌ خُلِق الإنا ثُ لها ، كما خُلِقَ الذكور

* * *

هاجَتْ بناتِ الشعرِ عيـ نٌ من بنات النيل حُور
لى بينهن ولائدٌ هم من سواد العين نور
لا الشعْر يأْتى فى الجما ن بمثلهن ، ولا البحور
من أجلهن أنا الشفيـ قُ على الدُّمَى ، وأنا الغيور
أرجو وآمل أن ستجـ رى بالذى شِئنَ الأُمور

* * *

ياقاسمُ ، انظر : كيف سا ر الفكرُ وانتقل الشعور ؟
جابت قضيَّتُكَ البلا دَ ، كأَنها مَثَلٌ يسير
ما للناسُ إلا أوّلٌ يمضى فيخلُفه الأخير
الفكرُ بينهما على بُعْدِ المَزارِ هو السفير

هذا البناءُ الفخمُ ليـ س أساسُه إلا الحَفير
إن التى خلَّفْتَ أم سِ، وما سِواكَ لها نصير
نهض الحفىُّ بشأْنها وسعى لخدمتها الظهير
فى ذمة الفُضْلَى هدى جِيلٌ إلى هاد فقير
أقبلْنَ يسأَلْنَ الحضا رةَ ما يُفيد وما يَضير
ما السُّبْلُ بيِّنَةٌ ، ولا كلُّ الهُداةِ بها بصير

* * *

ما فى كتابكَ طَفْرَةٌ تُنْعَى عليكَ ، ولا غرور
هَذَّبْتَهُ حتى استقامت من خلائقك السطور
ووضعْتَه ، وعلمْتَ أن حسابَ واضعِه عسير
لك فى مسائله الكلا مُ العفُّ والجدلُ الوَقور
ولك البيانُ الجذلُ فى أثنائه العلمُ الغزير
ق مطلبٍ خَشِنٍ ، كَث يرٌ فى مَزالقه العُثور
ما بالكتاب ولا الحديـ ث إذا ذكرْتَهُما نَكير
حتى لَنسأَلُ : هل تَغا رُ على العقائد ، أم تُغير ؟
عشرون عاماً من زوا لك ما هى الشىءُ الكثير
رُعْنَ النساءَ ، وقد يَرُو عُ المُشْفِقَ الجلَلُ اليسير
فنَسِينَ أنك كالبدو ر ، ودونَ رِفعتِكَ البُدور
تفنى السِّنون بها ، وما آجالُها إلا شهور

* * *

لقد اختلفنا ، والمُعا شِرُ قد يخالفه العَشير
فى الرأى ، ثُمّ أهاب بى وبك المُنادِمُ والسَّمير
ومحا الرَّوَاحُ إلى مغا نى الودِّ ما اقترف البُكور

فى الرأى تَضْطَغِنُ العقو لُ وليس تضطغن الصدور

* * *

قل لى بعيشِك : أين أنـ ـت ؟ وأين صاحبُك الكبير ؟
أين الإمامُ ؟ وأين إسـ ـماعيلُ والملأُ المنير ؟
لما نزلتم فى الثرى تاهت على الشهب القبور
عصر العباقرةِ النجو مِ بنوره تمشى العصور

تَكْرِيمُ حسنين بك بمُنَاسَبَة طَيَرانه

جِنٌّ على حَرَمِ السماء أغاروا أم فتيةٌ ركبوا الجَناح فطاروا ؟
من كلِّ أهوجَ فى الهواءِ عِنانُه هُوجُ الرياحِ ، وسَرْجُه الأعصار
يبغى حجابَ الشمس يطلب عندها
عزًا تَحَمَّله الجدودُ وساروا
لم يبقَ منه ومن حضارةِ عهدِه إلّا صُوًى مَحجوجةٌ ومنار
ومقالةُ الأَجيالِ لم يَلْحَقْ بهم بانٍ . ولم يُدركهُمُ حَفَّار

* * *

طلعوا على الوادى براية عصرهم ولكلِّ عصرٍ رايةٌ وشِعار
اثنان ثم ترى النسور كثيرةً من كلِّ ناحية لها أوْكار
سِرُّ النجاحِ ورُكْنُ كلِّ حضارةٍ هِمَمٌ من المتطوعين كِبار
نُسِخَتْ بأبطال السماء بطولةٌ فى الأَرض يوشِكُ ركنُها ينهار
هذا زمانٌ لا الأَعِنَّةُ منزلٌ للبأْس فيه ، ولا الأَسِنَّةُ دار
ماالبأْسُ إلا من جَناحَىْ خاطف فى البرِّ والبحرِ اسمُه الطيّار
أترى السلامة فى السماء وظلِّها أم بالسماء يصولُ الاستعمار ؟

حَرَمُ الهدى والحقِّ رِيعَ جلالُه وغدا وراح بجانِبَيْه دَمار
ياجائبَ الصحراءِ مِلْءُ سرابِها غَرَرٌ ، ومِلْءُ تُرابِها أَخطار
يكفيك من هِمَمِ الشجاعةِ ليلةٌ لك من غَوائلها خَلَتْ ونهار
لما اعتمدْتَ على الجناحِ تلفَّتَتْ بِيدٌ . وقَلَّبت العيونَ قِفار
فى كلِّ صحراءٍ . وكلِّ تَنُوفَةٍ أَرضٌ عليك من السماءِ تَغار
(حَسَنَيْنُ) ،لولم يَعذِروكَلبادرَتْ لكَ من لسان جِراحِكَ الأَعذار
لله سرجُك فى السماءِ . فإنه سَرْجُ الأَهِلَّةِ ما عليه غُبار
عَرَضَ الخُسرفُ له فما أَزْرَى به ما فى الخسوف على الأَهِلَّة عار
أَوَلَمْ تطأْ أَرضَ السماءِ ، ولم تَدُرْ حيثُ الشموسُ تَدورُ والأَقمار؟
أَلَّتِى أَبو الفاروق نحوَك بالَه وتشاغلت بك أُمَّةٌ ودِيار
مَلِكٌ رُحِمْتَ بقُرْبِهِ وجِوارِه حتى كأَنك للعناية جار

* * *

نُصِبَ السُّرادِقُ والمطارُ . وحَلَّقَتْ فى الجوِّ تَلْمَسُ شَخْصَكَ الأَبصار
فلمسْتَ أَقْضِيَةَ السماءِ ؛ وأَسْفَرَتْ حتى نَظَرْتَ وجوهَها الأَقدار
قَدَرٌ على يُمْنَى يَدَيْهِ سلامةٌ لك حيثُ مِلْتَ ، وفى السماءِ عِثار
فإذا سَتَمَطْتَ على حديد مُضْرَمٍ صَدَفَ الحديدُ ؛ ولم تَنَلْكَ النار
ماذا لَقِيتَ من النجائب كُلِّها؟ قُلْ لِى ، أَعندَكَ للنجائب ثار؟
هٰذِى تَعَثَّرُ فى الزِّمام ، وتلك لا تمضى ؛ وأُخرى فى السُّلوك تَحار
فَشَلٌ يُعَظَّمُ كالنجاح عليه من شَرَفِ الجروحِ ونورِهِنَّ فَخار
لولم يكن قَتْلَى وجَرْحَى فى الوَغَى لم يَعْلُ هامَ الظافرين الغار

صَقْرُ قُرَيْش (عَبْدُ الرَّحْمٰن الدَّاخل)

موشح أَندلسى

مَنْ لِنضوٍ يتَنَزَّى(١) أَلما   بَرَّحَ الشوقُ به فى الغَلَسِ
حَنَّ للْبان وناجَى العَلما   أَين شرقُ الأَرضِ من أَنْدَلُسِ

* * *

بُلْبُلٌ علَّمه البينُ البيانْ   بات فى حَبْلِ الشُّجونِ ارْتَبكا
فى سماءِ الليلِ مَخلوعَ العِنان   ضاقت الأَرضُ عليه شَبَكا
كلما اسْتَوْحَشَ فى ظلِّ الجِنانْ   جُنَّ فاسْتَضْحَكَ مِنْ حَيْثُ بكى
ارتدى بُرْنُسَه والْتَثَما   وخَطا خُطْوَةَ شَيْخٍ مُرْعَسِ(٢)
ويُرَى ذا حَدَبٍ إن جَثَما   فإن ارتَدَّ بدا ذا قَعَسِ(٣)

* * *

فَمُهُ القانى على لَبَّتِه   كبقايا الدَّمِ فى نَصْلٍ دَقيق
مَدَّه فانْشَقَّ من مَنْبِتِه   مَنْ رأَى شِقَّىْ مِقَصٍّ مِنْ عَقِيق؟
وبكى شجواً على شعْبته   شَجْوَ ذاتِ الثُّكْلِ فى السِّتْرِ الرَّقيق
سَلَّ من فِيهِ لساناً عَنَماً(٤)   ماضياً فى البَثِّ لم يَحتَبِسِ
وتَرٌ من غير ضربٍ رَنَّما   فى الدُّجى، أَو شَرَرٌ من قَبَسِ

* * *

نَفَرَتْ لَوْعَتُه بعدَ الهدوءْ   والدُّجى بيتُ الجَوَى والبُرَحا
يَتعايا بجَناحٍ وينوءْ   بجناحٍ مُذْ وَهَى ما صلحا
ساءَه الدهرُ، وما زال يَسوءْ   ما عليه لو أَسا ما جَرَحا

---

١ ـ يتنزى : يتوثب ـ٢ـ المرعس : من رعس الرجل : اذا مشى مشيا ضعيفا من الاعياء ٣ ـ القعس : ضد الحدب ، وهو نتوء الصدر .
٤ ـ العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

كلّما أدْمَى يَدَيْه نَدَما　　سالتا من طَوْقِه والبُرنُسِ
فَنِيَتْ أهدابُه إلّا دَما　　قام كالياقوت لم يَنبَجِسِ(١)

* * *

مَدَّ فى الليلِ أنينًا وَخَفَقْ　　خفقَانَ القُرْطِ فى جُنح الشَّعَرْ
فرَغَتْ منه النَّوى غيرَ رَمَقْ　　فضلَةَ الجُرحِ إذا الجُرحُ نَغَرْ(٢)
يتلاشى نَزَوَاتٍ فى حُرَقْ　　كذُبَالٍ آخِرَ الليلِ اسْتَعَرْ
لم يكن طَوْقاً ؛ ولكنْ ضرَما　　ما على لَبَّتِه من قَبَسِ
رحمةُ اللهِ له ! هل عَلِما　　أنَّ تلك النفسَ من ذا النَّفَسِ؟

* * *

قُلْتُ للَّيْلِ – والليل عَوَادْ –　　مَنْ أخو البَثِّ؟ فقال : ابنُ فِراقْ
قلت : ماواديه ؟ قال : الشَّجْوُ وادْ　　ليس فيه من حِجازٍ أو عِراقْ
قلتُ : لكنْ جَفْنُه غيرُ جوادْ　　قال : شرُّ الدمعِ ما ليس يُراقْ
نَغْبِطُ الطيرَ ، وما نعلم ما　　هى فيه من عذاب بَئِسِ
فدَعِ الطيرَ وحظًّا قُسِما　　صَيَّرَ الأَيْكَ كُدورِ الأَنَسِ

* * *

ناحَ إذ جَفْنَاىَ فى أَسْرِ النجومْ　　رسَفَا فى السُّهْدِ والدَّمعُ طليقْ(٣)
أَيُّها الصارخُ من بحر الهموم　　ما عسى يُغْنى غريقٌ عن غريقْ؟
إن هذا السَّهمَ لى منه كُلُومْ　　كلُّنا نازحُ أَيْكٍ وفريق
قلِّب الدنيا تَجِدْهَا قِسَمًا　　صُرِّفَتْ من أَنْعُمٍ أو أَبْؤسِ
وانظر الناسَ تَجِدْ من سَلِما　　من سهام الدهر شَجَّتْهُ القِسِى

* * *

ياشبابَ الشرقِ عُنْوانَ الشبابْ　　ثمراتِ الحَسَبِ الزّاكى النَّمير

---

١ – لم ينبجس : لم يتفجر　٢ – يقال جرح نغاز : أى جياش بالدم ·
٣ – رسف مشى مشية المقيد .

حَسْبُكم فى الكرم المخضِ اللُّبَابْ ... سِيرةٌ تبقى بقاءَ ابنىْ سَميرْ(١)
فى كتاب الفخرِ (للداخلِ)(٢) بابْ ... لم يَلِجْه من بنى المُلْكِ أميرْ
فى الشموس الزُّهْرِ بالشام انتمى ... ونَمَى الأقمارَ بالأندلسِ
قعد الشرقُ عليهم مأتَما ... وانثنى الغربُ بهم فى عُرُسِ

* * *

هل لكم فى نَبَإٍ خيرِ نَبَأْ ... حِلْيَةِ التاريخِ : مَأثورٍ عظيمْ
حَلَّ فى الأنباء ما حَلَّتْ سَبَأْ ... منزلَ الوُسْطَى من العِقْدِ النَّظيمْ
مِثْلَه المقدارُ يوماً ما خَبَأْ ... لسَليب التاجِ والعرشِ كَظيم
يُعْجِزُ القُصَّاصَ إلا قَلَمَا ... فى سوادٍ مِنْ هوًى لم يُغْمَسِ
يُؤْثِرُ الصدقَ ويَجْزِى عَلَما ... قَلْبَ العالمَ لو لم يُطْمَسِ؟

* * *

عن عِصامِىٍّ نبيلٍ مُعْرِقِ ... فى بُناةِ المجدِ أبناءِ الفَخارْ ؟
نهضت دَوْلَتُهم بالمشرقِ ... نهضةَ الشمس بأطراف النهارْ
ثم خان التاجُ وُدَّ المَفْرِقِ ... ونبَتْ بالأنْجُمِ الزُّهْرِ الديارْ
غفلوا عن ساهر حولَ الحِمى ... باسطٍ من ساعِدَيْ مُفْترِسِ
حام حولَ الملكِ ثم اقتحما ... ومشى فى الدم مَشْىَ الضَّرِسِ

* * *

ثَأْرُ عثمانَ لمروانٍ مَجازْ ... ودَم السِّبْطِ(٣) أثار الأقربونْ
حَسَّنوا للشام ثأْرًا والحجازْ ... فتغالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوّاسٍ على الدَّهْماءِ جازْ ... ورُعاةٌ بالرعايا يلعبون
جعلوا الحقَّ لبَغْىٍ سُلَّمَا ... فهو كالسِّتر لهم والتُّرُسِ
وقديماً باسمه قد ظَلَمَا ... كلُّ ذى مِئْذَنَةٍ أو جَرَسِ

---

١ — ابنى سمير : الليل والنهار —٢— هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الأندلس —٣— يعنى بالسبط الحسين بن على صلوات الله عليه.

جُزِيَتْ مَرْوَانُ (١) عن آبائِها ما أَراقوا من دِماءٍ ودُموعْ
ومن النفسِ ومن أَهوائها ما يؤدِّيه عن الأَصل الفُروعْ
خَلَت الأَعوادُ من أَسمائها وتَغَطَّتْ بالمصالِيب الجُذوعْ
ظَلَمتْ حتى أَصابَتْ أَظْلَما(٢) حاصدَ السيفِ ، وبىءَ المَحبَسِ
فَطِنًا فى دعوة الآلِ لما همس الشَّانِى وما لم يَهْمِسِ

* * *

لبِسَتْ بُرْدَ النبيِّ النَّيِّراتْ من بنى العباس نورًا فوقَ نُورْ
وقديماً عند مَرْوَانٍ تِراتْ لزكِيَّاتٍ من الأَنفُسِ نُورْ
فنجا الداخلُ سَبْحًا بالفُراتْ تاركَ الفتنةِ تطْغَى وتَنور(٣)
غَسَّ(٤) كالحُوتِ به واقتحما بين عِبْرَيْهِ عيونَ الحرَسِ
ولقد يُجْدِى الفتى أن يَعلَما صَهوةَ الماءِ ومَتْنَ الفَرَس

* * *

صَحِبَ الداخلَ من إخْوَتِهِ حَدَثٌ خاض الغُمَارَ ابْنَ ثَمانْ
غلَبَ الموجَ على قُوَّته فكأَن الموجَ من جُندِ الزمانْ
وإذا بالشَّطِّ من شِقْوَتِهِ صائحٌ صاحَ به : نِلتَ الأَمانْ
فانثنى مُنْخَدِعاً مُسْتَسْلِما شاةٌ اغْتَرَّتْ بعهدِ الأَطْلَسِ(٥)
خَضَبَ الجندُ به الأَرضَ دَمًا وقلُوبُ الجندِ كالصخرِ القَسِى

* * *

أَيُّها اليائسُ ، مُتْ قبلَ المماتْ أَو إذا شئتَ حياةً فالرَّجا
لا يَضِقْ ذَرْعُك عند الأَزماتْ إن هى اشتدَّتْ وأَمِّلْ فَرَجا
ذلك الداخلُ لاقَى مُظْلِماتْ لم يكن يأْمُل منها مَخرجا

---

١ ــ يعنى بمروان : بنى مروان ــ٢ــ الأظلم هنا : هو ابومسلم الخراسانى صاحب دعوة بنى العباس وقد سلب بنى أمية ملكهم ــ٣ــ نارت الفتنة : وقعت وانتشرت ــ٤ــ غس : دخل ومضى ــ٥ــ الأطلس : الذئب ٠

قد تَوَلَّى عِزُّه وانصرَما فمضى من غَدِه لم يَيْأَسِ
رامَ بالمغرب مُلْكًا فرمى أبعدَ ، الغَمْرِ ، وأقصى اليَبَسِ

* * *

ذاك – واللهِ – الغِنَى كلُّ الغِنَى أىّ صعبٍ فى المعالى ما سَلَكْ
ليس بالسائل إن هَمَّ : مَتى؟ لا ، ولاالناظرِ ما يُوحِى الفَلَكْ
زايَلَ المُلْكُ ذَوِيهِ فأَنَى مُلكَ قومٍ ضَيَّعوه فملَكْ
غَمَراتٌ عارَضَتْ مُقْتَحِما عالِىَ النفسِ أَشَمَّ المَعْطِسِ(١)
كلُّ أرضٍ حَلَّ فيها ، أو حِمَى منزلُ البدرِ ، وغابُ البَيْهَسِ(٢)

* * *

نَزَلَ النَّاجى على حُكم النَّوَى وتَوارَى بالسُّرَى من طالبِيهْ
غيرَ ذى رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جَوْهَرٍ وافاه من بيت أَبيهْ
قمرٌ لاقى خُسوفاً فانْزَوى ليس من آبائه إلا نبِيهْ
لم يَجِدْ أعوانَه والخَدَما جانبوه غيرَ (بَدْرٍ) الكَيِّسِ
من مَوَالِيه الثِّقاتِ القُدما لم يخنه فى الزمان المُوئِسِ

* * *

حينَ فى إفريقيا انحلَّ الوِئَامْ واضمحلَّتْ آيةُ الفتحِ الجليلْ
ماتت الأُمَّةُ فى غير التئامْ وكثيرٌ ليس يلتامُ قليلْ
يَمَنٌ سَلَّتْ ظباها والشآمْ شامَها(٣) هِنْدِيَّةً ذاتَ صَليلْ
فرَّق الجندَ الغِنى فانقَسما وغدا بينهم الحقُّ نَسِى
أوحَشَ السُّودُدُ فيهم ، وسَما للمعالى مَنْ به لم تَأْنَسِ

* * *

رُحِموا بالعَبقرىِّ النَّابِهِ البعيدِ الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِيادْ

---

١ – المعطس : الأنف –٢– البيهس : الأسد –٣– شام : سل .

مدَّ فى الفتحِ وفى أَطنابِهِ   لم يَقِفْ عندَ بِناءِ ابنِ زِيادْ (١)
هجرَ الصَّيْدَ ؛ فما يُغْنَى به   وهْوَ بالملك رفيقٌ ذو اصطيادْ
سَلْ به أندلساً : هل سَلِما   من أخى صَيْدٍ رفيقٍ مَرِسٍ؟(٢)
جرَّد السيفَ . وهزَّ القلما   ورمى بالرأى أُمَّ الخُلَس(٣)

* * *

بسلامٍ يا شِراعًا ما دَرَى   ما عليه من حيَاءٍ وسَخاءْ
فى جَنَاحِ المَلَكِ الرُّوح(٤)جَرى   وبريحٍ حفَّها اللطفُ رُخَاءْ
غسل اليَمُّ جِراحَاتِ الثَّرى   ومحا الشِّدَّةَ مَنْ يمحو الرَّخاءْ
هل دَرى أندلسٌ مَنْ قدِمَا   دارَه من نحو بيتِ المَقدِسِ؟
بسليل الأَمويّين سَما   فتحُ موسى مُسْتَقَرَّ الأُسُسِ

* * *

أمويٌّ للعُلا رِحلَتُهُ   والمعالى بمطِيٍّ وطُرُقْ
كالهلال انفردَتْ نُقْلَتُهْ   لا يُجاريه ركابٌ فى الأُفُقْ
بُنِيَتْ من خُلُقٍ دُولتُهْ   قد يَشِيدُ الدُّوَلَ الشُّمَّ الخُلُقْ
وإذا الأَخلاقُ كانت سُلَّما   نالت النجمَ يَدُ المُلتَمِسِ
فارْقَ فيها تَرْقَ أسبابَ السما   وعلى ناصيةِ الشمسِ أَجْلِسِ

* * *

أَىّ مُلكٍ من بِناياتِ الهِمَمْ   أَسَّسَ الدّاخلُ فى الغربِ وشادْ؟
ذلك الناشئُ فى خيرِ الأُمَمْ   ساد فى الأَرض ولم يُخْلَقْ يُساد
حكَمَتْ فيه الليالى وحَكَمْ   فى عَواديها قِيادًا بقِيادْ
سُلِبَ العزَّ بشرقٍ فرَمى   جانبَ الغربِ لعزٍّ أَقْعَسِ

---

١ — هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ٢ — المرس : الشديد المجرب فى الحروب ، يقال : انه لمرس حذر ٣ — الخلس : جمع خلسة وهى الفرصة ٤ — الملك الروح : جبريل .

وإذا الخيرُ لعبد قُسِما سنح السَّعدُ له فى النَّحسِ

* * *

أيُّهَا القلبُ . أحقٌّ أنتَ جارْ للذى كان على الدهر يجيرْ ؟
هاهنا حلّ به الرّكبُ وسارْ وهنا ثاوٍ إلى البعث الأَسيرْ
فَلَكٌ بالسعدِ والنحسِ مُدارْ صَرع الجَامَ(١)وأَلْوَى بالمُديرْ
هاهنا كنتَ تَرى حُوَّ الدُّمَى فاتنات بالشِّفاه اللُّعُسِ(٢)
ناقلاتٍ فى العَبيرِ القَدَما واطئاتٍ فى حَبير السُّنْدُسِ

* * *

خُذْ عن الدنيا بليغَ العِظَةِ قد تَجلَّتْ فى بليغ الكَلِم
طرَفاها جُمِعا فى لَفْظَةِ فتأَمَّلْ طرَفَيْها تَعْلَمِ
الأَمانى حُلمٌ فى يَقْظَةِ والمنايا يقظةٌ من حُلُمِ
كلُّ ذى سِقْطَيْنِ(٣) فى الجوِّ سما واقعٌ يوماً وإن لم يُغْرَسِ
وسيلقى حَيْنَهُ نَسْرُ السما يوم تُطْوَى كالكتاب الدرس

* * *

أين ـ يا واحدَ مروانَ ـ عَلَمْ من دعاك الصقر سَمَّاه العُقابْ؟(٤)
رايةٌ صرَّفها الفرْدُ العَلَمْ عن وجوه النصرِ تصريفَ النقابْ
كنتَ إن جرَّدْتَ سيفًا أو قلَمْ أُبْتَ بالأَلباب أَو دِنْتَ الرِّقابْ
ما رأى الناسُ سواه عَلَما لم يُرَمْ فى لُجَّةٍ أَو يبسِ
أَعَلى رُكن السِّماك ادَّعما وتغطَّى بجَناح القُدُسِ

* * *

قصرُك (المُنْيَةُ) من قُرْطُبَةٍ فيه وارَوْكَ . ولله المَصيرْ

---

١ ـ الجام : الكأس ـ٢ـ اللعس : سواد مستحسن فى الشفة .
٣ ـ السقط : جناح الطائر ـ٤ـ العقاب : اسم راية الداخل .

صَدَفٌ خُطَّ على جوهرةٍ بَيْدَ أن الدهر نَبَّاشٌ بصيرْ
لم يَدَعْ ظلاً لقصر (المُنْيَةِ) وكذا عُمْرُ الأمانِيِّ قصيرْ
كنتَ صقرًا قُرَشِيًّا عَلَمَا ما على الصقر إذا لم يُرْمَسِ
إن تَسَلْ : أين قبورُ العُظَما ؟ فعلى الأفواه أو فى الأنفُسِ

* * *

كم قبورٍ زَيَّنَتْ جِيدَ الثرى تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوس
كان مَنْ فيها وإن جازوا الثرى قبلَ موتِ الجسم أمواتُ النفوسْ
وعظامٌ تتزكَّى عنبرا من ثناءٍ صِرْنَ أغفالَ الرُّموسْ
فاتَّخِذْ قبرَكَ من ذِكرٍ ، فما تَبْنِ من محموده لا يُطْمَسِ
هَبْكَ من حرص سكنْتَ الهرما أين بانيه المنيعُ الملْمَسِ ؟!

رَحْلَة

شيّعتُ أحلامى بقلبٍ باكِ ولمحتُ من طُرُق المِلاح شِباكى
ورجعتُ أدراجَ الشباب ووِرْدَه أمشى مكانَهما على الأشواك
وبجانبي واهٍ . كأن خُفوقَه لما تلفَّتَ جَهْشَةُ المتباكى
شاكى السلاحِ إذا خلا بضلوعه فإذا أُهيبَ به فليس بشاك
قد راعه أنى طوَيْتُ حبائلى من بعد طول تناولٍ وفكاك
وَيْحَ ابنِ جَنْبي ؟ كلُّ غايةِ لذَّةٍ بعدَ الشباب عزيزةُ الإدراك
لم تبقَ منا – يافؤادُ – بقيّةٌ لفتوّةٍ . أو فَضلةٌ لعِراك
كنا إذا صفَّقْتَ نستبق الهوى ونَشُدُّ شَدَّ العُصبةِ الفُتَّاك

واليومَ تبعث فيّ حين تَهُزُّنى ... ما يبعث الناقوسُ فى النُّسّاك

* * *

ياجارةَ الوادى ، طَرِبْتُ وعادنى ... ما يشبهُ الأَحلامَ من ذكراك

مَثَّلْتُ فى الذكرى هواكِ وفى الكرى ... والذكرياتُ صَدَى السنينَ الحاكى

ولقد مررْتُ على الرياض برَبْوَةٍ ... غَنَّاءَ كنتُ حِيالَها أَلقاك

ضحِكَتْ إلىَّ وجُوهها وعيونُها ... ووجدْتُ فى أَنفاسها ريّاك

فذهبتُ فى الأَيام أذكر رَفْرَفًا ... بين الجداولِ والعيونِ حَواك

أَذكَرْتِ هَرْوَلَةَ الصبابةِ والهوى ... لما خَطَرْتِ يُقَبِّلان خُطاك ؟

لم أدر ماطِيبُ العِناقِ على الهوى ... حتى ترفَّق ساعدى فطواك

وتـأَوَّدَتْ أَعطافُ بانِك فى يدى ... واحمرَّ من خَفَرَيْهما خدّاك

ودخَلْتُ فى ليلين : فَرْعِكِ والدُّجى ... ولثمتُ كالصّبح المنوِّرِ فاكِ

ووجدْتُ فى كُنْهِ الجوانحِ نَشْوَةً ... من طيب فيك . ومن سُلاف لَمَاك

وتعطَّلَتْ لغةُ الكلامِ وخاطبَتْ ... عَيْنَىَّ فى لغة الهوى عيناك

ومَحَوْتُ كلَّ لُبانةٍ من خاطرى ... ونَسِيتُ كلَّ تَعاتُبٍ وتَشاكى

لا أمسِ من عمرِ الزمان ولا غَدٌ ... جُمِع الزمانُ فكان يومَ رِضاك

* * *

لُبنانُ : ردّتنى إليكَ من النوى ... أَقدارُ سَيْرٍ للحياة دَرَاك

جمعَتْ نزيلَىْ ظَهرِها من فُرقةٍ ... كُرَةٌ وراءَ صَوالجِ الأَفلاك

نمشى عليها فوقَ كلِّ فجاءَةٍ ... كالطير فوقَ مَكامِنِ الأَشراك

ولو انّ بالشوق المزارُ وجدتنى ... مُلْقِى الرحالِ على ثَراك الذاكى

* * *

بِنْتَ البِقاعِ وأُمَّ بَرَدُونِيِّها ... طِيبِى كجِلَّقَ . واسكبى بَرداك

ودِمَشْقُ جَنَّاتُ النعيم ، وإنما   أَلفَيْتُ سُدَّةَ عَدْنِهِنَّ رُباك

قَسَمًا لو انتمت الجداولُ والرُّبا   لتهلَّل الفردوسُ ، ثُمَّ نَماك

مَرْآكِ مَرْآه وَعَيْنُكِ عَيْنُه   لِمْ يا زُحَيْلَةُ لا يكون أباك ؟

تلك الكُرُومُ بَقِيَّةٌ من بابلٍ   هَيْهَاتَ ! نَسَّى البابليَّ جَناك

تُبْدِى كَوَشْيِ الفُرْسِ أَفْتَنَ صِبْغَة   للناظرين إلى أَلَذِّ حِياك

خَرَزاتِ مِسْكٍ ، أو عُقُودَ الكهربا   أُودِعْنَ كافورًا من الأَسلاك

فكَّرْتُ فى لَبَنِ الجِنانِ وخمرها   لما رأَيْتُ الماءَ مَسَّ طِلاك

لم أَنْسَ من هِبَةِ الزمانِ عَشِيَّةً   سَلَفَتْ بظلِّكِ وانقضتْ بذَراك

كُنْتِ العروسَ على مِنَصَّة جِنْحِها   لُبنانُ فى الوَشْيِ الكريمِ جَلاك

يَمشى إليكِ اللَّحظُ فى الديباج أو   فى العاج من أَيِّ الشِّعابِ أَتاك

ضَمَّتْ ذراعَيْها الطبيعةُ رِقَّةً   صِنِّينَ والحَرَمُونَ(١) فاحتضناك

والبدرُ فى ثَبَجِ السماءِ مُنَوِّرٌ   سالت حُلاه على الثرى وحُلاك

والنيِّراتُ من السحاب مُطِلَّةٌ   كالغِيد من سِتْرٍ ومن شُبَّاك

وكأَنَّ كلَّ ذُؤابةٍ من شاهِقٍ   ركنُ المجرَّةِ أَو جدارُ سِماك

سكَنَتْ نواحى الليلِ . إلا أَنَّةً   فى الأَيْكِ . أو وَتَرًا شَجِيَّ حَراك

شرفًا - عروسَ الأَرْزِ - كلُّ خَريدةٍ   تحتَ السماءِ من البلاد فِداك

رَكَزَ البيانُ على ذراكِ لواءَه   ومشى ملوكُ الشعر فى مَغناك

أُدباؤكِ الزُّهْرُ الشموسُ . ولا أرى   أَرضاً تَمَخَّضُ بالشموس سِواك

من كلِّ أَرْوَعَ عِلْمُه فى شعره   ويراعُه من خُلْقه بمَلاك

جمع القصائدَ من رُباكِ . وربّما   سرق الشمائلَ من نسيمِ صَباك

---

١ ـ هضبتان فى زحلة .

(موسى) ببابكِ فى المكارم والعلا وعَصاه فى سحر البيانِ عَصاكِ
أَحْلَلْتِ شعرى منكِ فى عُلياالذُّرا وجَمْعتِه برواية الأَملاك
إن تُكرمى يازَحْلُ شعرى إننى أنكرْتُ كلَّ قصيدة إلَّاك
أنتِ الخيالُ : بديعُهُ ، وغريبُه اللهُ صاغك ، والزمانُ رَواك

ذِكرَى اسْتِقْلالِ سُورِيّا وذِكْرَى شُهَدَائِها

حياةٌ ما نريدُ لها زِيالا ودنيا لا نَودّ لها انتقالا
وعيشٌ فى أُصول الموتِ سمٌّ عُصارتُه ، وإن بَسَط الظلالا
وأيامٌ تطيرُ بنا سحاباً وإن خِيلَتْ تَدِبّ بنا نِمالا
نُريها فى الضمير هَوًى وحُبًّا ونُسمِعها التبرُّمَ والملالا
قِصارٌ حين نجرى اللهوَ فيها طوالٌ حين نقطعها فعالا
ولم تضق الحياةُ بنا ، ولكنْ زحامُ السوءِ ضيَّقها مَجالا
ولم تقتل براحتها بَنيها ولكنْ سابقوا الموتَ اقتتالا
ولو زاد الحياةَ الناسُ سعياً وإخلاصاً لزادتهم جمالا

* * *

كأن الله إذ قَسَم المعالى لأهل الواجب ادّخر الكمالا
ترى جِدًّا ، ولست ترى عليهم ولوعاً بالصغائر واشتغالا
وليسوا أرغَد الأحياء عيشًا ولكنْ أنعَمَ الأحياء بالا
إذا فعلوا فخيرُ الناس فعلاً وإن قالوا فأكرمُهم مَقالا
وإن سَألَتْهمُو الأوطانُ أعطَوْا دماً حرًّا ، وأبناءً ، ومالا

* * *

بَنِي البلدِ الشقيقِ ، عزاءَ جارٍ أهاب بدمعه شَجَنٌ فسالا
قضى بالأمس للأبطال حقًّا وأضحى اليومَ بالشهداءِ غالى
يُعظِّم كلَّ جُهدٍ عبقرىٍّ أكان السِّلْمَ أم كان القتالا
ومازلنا إذا دَهَت الرزايا كأرحمِ مايكون البيتُ آلا
وقد أنسى الإساءَةَ من حسودٍ ولا أنسى الصنيعةَ والفَعالا
ذكرتُ المِهْرَجانَ وقد تجلَّى ووفدَ المشرقين وقد توالَى
ودارِى بينَ أعراسِ القوافى وقد جُلِيَتْ سماءً لا تُعالَى
تسلَّلَ فى الزحام إلىَّ نِضْوٌ من الأحرار تحسبه خيالا
رسولُ الصابرين ألمّ وهناً وبلَّغنى التحيةَ والسؤالا
دنا منى فناولنى كتاباً أحسَّتْ راحتاى له جلالا
وجدتُ دمَ الأسودِ عليه مِسْكًا وكان الأصلُ فى المِسْكِ الغزالا
كأنَّ أسامِيَ الأبطالِ فيه حَوَاميمٌ على رَقٍّ تتالَى
رواةُ قصائدى قد رتَّلوها وغَنَّوْها الأسِنَّةَ والنِّصالا
إذا ركزوا القنا انتقلوا إليها فكانت فى الخيام لهم نِقالا

* * *

بَنِي سوريَّةَ ، التئموا كيومٍ خرجتم تطلبون به النِّزالا
سَلُو الحريةَ الزهراءَ عنَّا وعنكم : هل أذاقتنا الوِصالا ؟
وهل نِلْنَا كلانا اليومَ إلا عراقيبَ المواعدِ والمِطالا ؟
عرفتم مهرَها فمهرتموها دماً صَبَغَ السباسبَ والدِّغالا
وقمتم دونها حتى خضبتمْ هَوَادِجَها الشريفةَ والحِجالا
دعوا فى الناس مفتوناً جباناً يقول : الحربُ قد كانت وَبالا

أَيطلب حقَّهم بالروح قومٌ   فتسمع قائلا : ركبوا الضلالا ؟
وكونوا حائطًا لا صدعَ فيه   وصفًّا لا يُرَقَّع بالكسالى
وعيشوا فى ظلالِ السلم كدًّا   فليس السلمُ عجزًا واتّكالا
ولكن أَبْعَدَ اليومين مَرْمىً   وخيرَهما لكم نصحاً وآلا
وليس الحربُ مَرْكَبَ كلِّ يوم ٍ   ولا الدمُ كلَّ آونة ٍ حلالا

* * *

سأَذكر ماحَيِيتُ جدارَ قبرٍ   بظاهر جِلَّق رَكِبَ الرمالا
مقيمٌ ما أَقامت (ميسلونٌ)   يذكر مصرعَ الأَسدِ الشِّبالا
لقد أَوْحَى إلىّ بما شجانى   كما توحى القبورُ إلى الثَّكالى
تَغَيَّبَ عظْمةُ العَظَماتِ فيه   وأَوّلُ سيِّدٍ لَقِىَ النِّبالا
كأَن بُناتَهُ رفعوا مَناراً   من الإخلاص ، أَونصبوا مِثالا
سراجُ الحقِّ فى ثَبَجِ الصحارى   تَهاب العاصفاتُ له ذُبالا
ترى نورَ العقيدةِ فى ثراه   وتَنْشَقُ من جوانبه الخِلالا
مشى ومشَتْ فيالقُ من فرنسا   تجرّ مَطارِفَ الظفرِ اختيالا
ملأْنَ الجوّ أَسلحةً خِفافاً   ووجهَ الأَرضِ أَسلحةً ثِقالا
وأَرسَلْن الرياحَ عليه ناراً   فما حفل الجنوبَ ولا الشَّمالا
سلوه : هل ترجَّل فى هبوبٍ   من النيران أَرْجَلَت الجِبالا ؟
أَقام نهارَه يُلْقِى ويَلْقَى   فلما زال قرصُ الشمس ِ زالا
وصاح . ترى به قَيْدَ المنايا   ولستَ ترى الشَّكِيمَ ولا الشِّكالا
فكُفِّن بالصوارم والعوالى   وغُيِّب حيثُ جال وحيثُ صالا
إذا مرَّتْ به الأَجيالُ تَتْرَى   سمِعْتَ لها أَزيزًا وابتهالا
تَعلَّق فى ضمائرهم صليباً   وحلَّق فى سرائرهم هلالا

تِمثالُ نَهْضةِ مِصْر

جعلتُ حُلاها وتمثالها ‏ عيونَ القوافى وأمثالَها
وأرسلتُها فى سماءِ الخيال ‏ تجرُّ على النجمِ أذيالها
وإنى لغِرِّيدُ هذى البِطاحِ ‏ تَغَذَّى جَناها وسَلْسالها
ترى مِصرَ كعبةَ أشعاره ‏ وكلٍّ معلَّقةٍ قالها
وتلمَحُ بين بيوتِ القصيدِ ‏ حِجالَ(١) العروسِ وأحجالها (٢)
أدار النسيبَ إلى حبِّها ‏ وولَّى المدائحَ إجلالها
أَرَنَّ بغابرها العبقرىّ ‏ وغنَّى بمثل البُكا حالها
ويَرْوِى الوقائعَ فى شعره ‏ يَروضُ على البأسِ أطفالها
وما لمَحوا بعدُ ماءَ السيوفِ ‏ فما ضَرَّ لو لمَحوا آلها

* * *

ويومٍ ظليلِ الضحى من بشَنسَ ‏ أفاءَ على مصرَ آمالها
رَوَى ظلُّه عن شباب الزمانِ ‏ رفيفَ الحواشى وإخضالها(٣)
مشَت مصرُ فيه تُعيد العصورَ ‏ ويغمرُ ذكرُ الصِّبا بالها
وتَعْرِض فى المِهرجان العظيمِ ‏ ضُحاها الخوالى وآصالها

* * *

وأقبل (رمسيسُ) جَمَّ الجَلالِ ‏ سَنِيَّ المواكبِ ، مُختالها
وما دان إلا بِشُورَى الأُمور ‏ ولا اختال كِبْرًا ، ولا استالها(٤)
فحيًّا بأَبْلَجَ مثلِ الصَّباحِ ‏ وجوهَ البلادِ وأَرسالها
وأَوْما إلى ظلماتِ القرونِ ‏ فشقّ عن الفنّ أَسدالها

* * *

---

١ ـ الحجـال : جمـع حجلـة ؛ وهى بيت العروس ـ٢ـ الأحجـال : الخلاخيل ـ٣ـ اخضل الشىء : ابتل ـ٤ـ اسـتالها : أصله استأله ، أى تشبه بالإله .

فهل يبلغ (الكرنك) الأقصرى ويبعث (طيبة) أطلالها

ويطلع ثم بوادى الملوك ملوكا تخيرن أقيالها

هياكل مخلدة فى الدنى ... أنجالها

عليها من الوحْىِ ديباجةٌ ، أَلحّ الزمانُ فما ازدالها

تكاد — وإن هى لم تتصل — تحرك أوصالها

وما الفنُّ إلا الصريحُ الجميلُ إذا خالط النفس أوحى لها

وما هو إلا جمالُ العقولِ إذا هى أولت إجمالها

لقد بعث الله عهد الفنون وأخرجت الأرض مثّالها

(٢) تعالوا نرى كيف سوى الصفاة فتاة تلملم سربالها

دنت من أبى الهول مشى الرءوم إلى مقعد هاج بلبالها

وقد جاب فى سكرات الكرى عروض الليالى وأطوالها

وألقى على الرمل أرواقه (١) وأرسى على الأرض أثقالها

يخال لإطراقه فى الرمال سطيح (٢) العصور ورمالها

فقالت : تحرك ، فهم الجماد كأن الجماد وعى قالها

فهل سكبت فى تجاليده شعاع الحياة وسيالها ؟

أتذكر إذ غضبت كاللباة (٣) والمت من الغيل أشبالها ؟

وألقت بهم فى غِمار الخطوبِ فخاضوا الخطوبَ وأهوالها

وثاروا ، فجنّ جُنونُ الرياحِ وزُلزِلتِ الأَرضُ زِلزالها

---

١ ــ يقال ألقى أرواقه بالمكان : نزل به وضرب خيمته ٢ ــ سطيح : اسم لكاهن من كهان العرب ، والسطيح أيضا : البطىء القيام لضعف أو زمانة

٣ ــ اللباة : لغة فى اللبؤة .

وبات تَلَمُّسُهم شيخَهم   حديثَ الشعوب وأشغالها
ومن ذا رأى غابةً كافحتْ   فردَّت من الأَسْرِ رئبالها ؟
وأَهْيَبُ ما كان بأْسُ الشعوبِ   إذا سلَّح الحقُّ أَعْزَالها

* * *

(فوادُ) ، ارفع السِّترَ عن نهضة   تقدّم جَدُّك أبطالها
وربّ امرئٍ لم تَلِده البلادُ   نماها ، ونبَّه أنسالها (١)
وليس اللآلئ مِلْكَ البحورِ   ولكنها مِلْكُ من نالها
وما (كعلىٍّ) ولا جيلِه   إذا عرَضت مصرُ أجيالها
بَنَوْا دولةً من بنات الأَسِنَّةِ   لم يشهد (النيلُ) أمثالها
لئن جلَّل البحرَ أسطولُها   لقد لبِس البرُّ قَسطالها(٢)
فأَما أَبوكَ فدنيا الحضارةِ   لو سالم الدّهرُ إقبالها
تخيّر (إفريقيا) تاجَه   وركَّب فى التاج (صُومالها)
ركابُك يا (ابن المُعِزِّ) الغُيوثُ   ويفضُلْنَ فى الخير مِنوالها
إذا سِرْن فى الأَرض نَسَّيْنها   ركابَ السماء وأفضالها
فَلم تبرح القصرَ إلا شفيْتَ   جُدوبَ العقول وإمحالها
لقد ركَّب اللهُ فى ساعديك   يمينَ الجدود وشمالها
تخُطُّ. وتَبنِى صُروحَ العلومِ   وتفتح للشّرق أقفالها

---

١ ـ انسال : جمع نسل   ٢ ـ القسطال : غبار الحرب .

الحُريّة الحمْراءُ

قيلت فى احتفال بيوم ١٣ نوفمبر

فى مِهرجانِ الحقِّ أو يوم الدمِ مُهَجٌ من الشهداء لم تتكلم
يبدو على هاتورَ نورُ دمائها كدمِ الحسينِ على هلال محرّم
يومُ الجِهادِ بها كصدر نَهارِه متمايِلُ الأعطافِ مُبْتسِمُ الفم
طلعت تَحُجُّ البيتَ فيه كأنها زُهْرُ الملائكِ فى سماء المَوْسم
لم لا تُطِلُّ من السماء وإنما بين السحابِ قبورُها والأنجم؟
ولقد شَجاها الغائبون ، وراعها ما حلَّ بالبيت المضىء المظلمِ
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدْتَها عُرساً أُقيم على جوانب مأتم
لا بُدَّ للحرّية الحمراء من سَلوى تُرَقِّد جرحَها كالبَلسم
وتبسُّمٍ يعلو أَسِرتَّهَا كما يعلو فمَ الثَّكْلَى وثغرَ الأَيِّم
يومُ البطولة لو شهدْتُ نهارَه لنظمْتُ للأَجيالِ ما لم يُنْظَم
غُبِنَتْ حقيقتُه ، وفات جمالُها باعَ الخيالِ العبقرىِّ الملهَم
لولا عوادى النَّفْيِ أَو عقباتُه والنفىُ حالٌ من عذاب جَهَنَّم
لجمعتُ أَلوان الحوادثِ صورةً مَثَّلْتُ فيها صورةَ المُسْتبسِلِم
وحكيتُ فيها النيلَ كاظمَ غيظِه وحكيتُه مُتغيِّظًا لم يَكْظِم
دَعَت البلادَ إلى الغِمار فغامرتْ وطنيّةٌ بمُثَقَّفٍ ومُعلِّم
ثارتْ على الحامى العتيدِ ،وأقسمَتْ بسواه جلَّ جلالُه لا تَحتمى
نشر الكنانةَ ربُّها ، وتخيَّرتْ يدُه لنُصرتها ثلاثةَ أسهم
من كلِّ أعزلَ حقُّه بيمينه كالسيف فى يُمْنَى الكَمِىِّ المُعْلَم
لم يُحجموا فى ساعةٍ قد أظفرتْ مَلِكَ البحارِ بكلِّ قيْصرَ مُحجِم

وقفوا مَطِيَّهمو بسُلَّم قصرِه | والبأسُ والسلطانُ دونَ السُّلَّم
وتقدَّموا، حتى إذا ما بلَّغوا | أوْحَوْا إلى مصر الفتاة: تقدَّمي
[illegible] غَلا | لبنُ اللِّباةِ، وهاج عِرقُ الضَّيغم
حرِّيَّةٌ صَبَغَتْ أديمَكَ بالدم | يومَ النضالِ، كَسَتْكَ لونَ جمالِها
أصبحتَ من غُرَرِ الزمانِ، وأصبحتْ | ضحكتْ أسِرَّةُ وجهِكَ المتجهِّم
ولقد يتمتَ، فكنتَ أعظمَ روعةً | يا ليتَ من «لسعدَ» الحمى لم تيتم
ليسَ الشبولُ عن العرينِ بنوّمٍ | لينمْ أبو الأشبالِ مِلءَ جفونِه

[illegible]

ابعثوا ناحيةَ الشمسِ مكانا | وخذوا الحكمةَ علماً وبيانا
واطلبوا العبقرياتِ المدى | ليسَ كلُّ الخيلِ يشهدنَ الرِّهانا
ابعثوها [illegible] تجباً | تملأ المضمارَ معنًى وعِيانا
وثِبوا للعزِّ من شهوتِها | وخذوا المجدَ عِياناً [illegible]
لا تخيبوها على ما قلَّدتْ | من أيادٍ [illegible] حسداً أو شنآنا

[illegible]

[illegible] لم | [illegible]
[illegible] تحسبه | [illegible]
[illegible] طبيباً [illegible] من [illegible] | [illegible]
[illegible] جسمَه | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] | [illegible]
[illegible] ولم | [illegible]

[illegible] كلتيهما * [illegible]

[illegible] * [illegible]

في خلالٍ لفتتْ زَهْرَ الرُّبى * وسجايا أنستْ الشَّربَ الدِّنانا

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible] إذا [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * * [illegible]

[illegible] «[illegible]» [illegible]

لا عدمناه «للسيوطي» يدًا * خُلقتْ للفتقِ والرتقِ بنانا

تَصْرِفُ المشرطَ للبُرْءِ كما * تصرفُ الرمحَ إلى النحرِ [illegible]

مدَّها كالأجلِ المبسوطِ في * طلبِ البُرْءِ اجتهاداً وافتنانا

تجد الفولاذَ فيها محسنًا * أخذ الرفقَ عليها واللَّيانا

يدُ «إبراهيمَ» لو جئتَ لها * بذبيحِ الطيرِ عادَ الطيرانا

لم تَخِطْ للناسِ يوماً كفنًا * إنما خاطتْ بقاءً وكيانا

ولقد يُؤسَى ذوو الجرحى بها * من جراحِ الدهرِ، أو يُشفى الحزانى

[illegible] الجيل [illegible] على [illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

وغذاء الجيلِ فالجيلِ وإن نَسِيَ الأَجيالُ كالطفل اللِّبانا
وهمو الأَبطالُ كانت حربُهم منذ شنُّوها على الجهل عَوانا

* * *

ياأخى – والذخرُ فى الدنيا أَخٌ – حاضرُ الخيرِ على الخيرِ أَعانا
لك عند ابْنِىَ – أَوعندى – يدٌ لستُ آلوها ادكارًا وصِيانا
حَسُنَتْ منّى ومنه موقعًا فجعلنا حِرْزَها الشكرَ الحُسانا
هل ترى أَنتَ ؟ فإنى لم أَجِدْ كجميلِ الصُّنْعِ بالشكر اقترانا
وإذا الدنيا خلَتْ من خيِّرٍ وخلَتْ من شاكر هانت هَوانا
دفع اللهُ «حُسَيْنًا» فى يدٍ كيد الأَلطافِ رِفْقًا واحتضانا
لو تناوَلْتُ الذى قد لمسَتْ منه مازِدْتُ حِذارًا وحَنانا
جرحُه كان بقلبى ، يا أَبًا لا أُنَبِّيه بجُرْحِى كيف كانا ؟
لطف اللهُ فعوفينا معاً وارْتَهنّا لكَ بالشكر لسانا

وقال وهى القصيدة التى أُلقيت فى دار الأُوبرا الملكية
فى حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذى انعقد فيها

مرحبًا بالربيع فى رَيْعَانِهْ وبأَنوارِه وطِيبِ زَمانِهْ
رَفَّت الأَرضُ فى مواكِب آذا رَ ، وشبَّ الزمانُ فى مِهْرَجانِه
نزل السهلَ ضاحكَ البِشْرِ يمشى فيه مَشْىَ الأَميرِ فى بُستانه
عاد حَلْيًا برَاحَتيْهِ ووَشْيًا طولُ أَنهارِهِ وعَرْضُ جنانه
لف فى طَيْلَسانِه طُرَرَ الأَر ضِ ، فطاب الأَديمُ من طيلسانه
ساحرٌ فتنةُ العيونِ مُبِينٌ فصَّل الماءَ فى الرُّبا بجُمانه
عبقرىُّ الخيالِ ، زاد على الطَّيْ فِ ، وأَرْبَى عليه فى أَلوانه

صِبغَةُ الله ! أين منها رفَائيـ ـلُ ومِنقاشُه وسحرُ بَنانه
رنّم الروضُ جَدولاً ونسيمًا وتلا طيرَ أَيْكِهِ غصنُ بانه
وشدَت فى الرُّبا الرياحينُ هَمساً كتَغَنِّى الطَّروبِ فى وجدانه
كلُّ رَيْحَانةٍ بلحنٍ كعُرْسٍ أُلِّفَتْ للغناء شَتَّى قِيانه
نَغَمٌ فى السماء والأَرضِ شتَّى من معانى الربيعِ أو ألحانه
أين نوْرُ الربيعِ من زهَر الشّعـ ـرِ إذا ما استوى على أفنانه ؟
سَرْمَدُ الحسنِ والبشاشةِ مهما تلتمسْهُ تجِدْه فى إبّانه
حَسَنٌ فى أوانِه كلُّ شىء وجمالُ القريضِ بعدَ أوانه
مَلَكٌ ظِلُّهُ على رَبْوَة الخُلـ ـدِ ، وكُرسيُّه على خُلجانه
أمَرَ اللهُ بالحقيقةِ والحكـ ـمةِ فالتفتَا على صَوْلجانه
لم تَثُرْ أُمَّةٌ إلى الحَقِّ إلا بهُدَى الشعرِ أو خُطا شَيْطَانه
ليس عَزْفُ النحاسِ أوقَعَ منه فى شجاعِ الفؤادِ أو فى جبانه

* * *

ظلَّلَتنى عناية من «فؤادٍ» ظلَّل اللهُ عرشَهُ بأَمانه
ورعانى ، رعَى الإلٰهُ له «الفارو قَ» طفلاً ، ويوم مَرْجُوٌّ شانه
مَلِكُ النيلِ من مَصَبَّيْهِ بالشـ طِّ ، إلى مَنْبَعَيْهِ من سودانه
هو فى المُلك بَدْرُهُ المُتجَلِّى حُفَّ بالهَالَتَيْنِ من (بَرلمانه)
زادهُ اللهُ بالنيابةِ عِزًّا فوقَ عِزِّ الجلالِ من سلطانه

* * *

منبرُ الحقِّ فى أمانةِ «سعدٍ» وقِوامُ الأُمورِ فى ميزانه
لم يرَ الشرقُ داعيًا مثلَ «سعدٍ» رَجَّه من بِطاحه ورِعانه(١)

---

١ ــ الرعان : رءوس الجبال .

ذكّرته(١) عقيدةُ الناس فيه ... كيف كان الدخولُ في أديانه

نهضةٌ من فتى الشيوخ وروحٌ ... سريا كالشباب في عنفوانه

حرّكا الشرقَ من سكونٍ إلى الفتح ... وثارا به على أوسانه

وإذا النفسُ أنهضت مريضاً ... درج البرءُ في قوى جثمانه

يا عكاظاً تألّف الشرقُ فيه ... من فلسطينه إلى بغدانه

افتقدنا الحجازَ فيه، فلم نعـ ... ـثرْ على قسّه ولا سحبانه

حملت مصرُ دونه هيكلَ الد ... ين وروحَ البيان من فرقانه

وطّدت فيك من دعائمه الفصـ ... ـحى وشدّت البيانَ من أركانه

إنما أنتِ حلبةٌ لم يسخّر ... مثلها للكلام يومَ رهانه

تتبارى بها أصائلُ الشام ... والمذاكي العتاقُ من لبنانه

قلّدتني الملوكُ من لؤلؤ البحر ... ين آلاءهم ومن مرجانه

نخلة لا تزال في الشرق معنى ... من بداواته ومن عمرانه

حنّ للشام حقبةً إليها ... فاتحُ الغرب من بني مروانه

وحبتني بمنبرَيْ فيها ربيعاً ... أفرغ الودُّ فيه من عقيانه

ليس تلقى بها أعاجيب الإنـ ... في نزال الخلق أو وراء ضمانه

أنتضيه انتضاءَ موسى عصاه ... يفرقُ المستبدُّ من ثعبانه

يلتقي الوحيَ منه عقيدةُ حرٍّ ... كالحواريّ في مدى إيمانه

غيرَ باغٍ إذا تطلّبَ حقًّا ... أو لئيمِ اللجاجِ في عدوانه

موكبُ الشعرِ حرّكَ المتنبي ... في ثراه، وهزَّ من حسّانه

شرُفت مصرُ بالشموس من الشر ... ق نجومِ البيان من أعيانه

---

١ — الضمير عائد على الشرق .

قد عَرَفْنا بنجْمَهِ كلَّ أُفْقٍ واستبنّا الكتابَ من عُنوانه
لستُ أَنسى يدًا لإخوانِ صدقٍ منحونى جزاءَ مالمْ أُعانِه
رُبَّ سامى البيانِ نبَّهَ شأنى أنا أسمو إلى نَباهة شانه
كان بالسبقِ والميادينِ أَوْلَى لو جرى الحظُّ فى سَواء عنانه
إنما أظهروا يدَ اللهِ عندى وأذاعوا الجميلَ من إحسانه
ما الرحيقُ الذى يذوقون من كرْ مِى ، وإن عِشْتُ طائفاً بدِنانه
وهَبونى الحَمامَ لذَّةَ سجعٍ أينَ فضلُ الحمَام فى تَحنانه ؟
وَتَرٌ فى اللّهاةِ(١) ، ما للمُغَنِّى من يدٍ فى صَفائه وليانه

* * *

رُبَّ جارٍ تَلفَّتَتْ مصرُ تُوليـ ـه سؤالَ الكريمِ عن جيرانه
بَعثتْنى معزِّياً بمآقى وطنى ، أو مُهنِّئًا بلسانه
كان شعرى الغناءَ فى فرح الشر قِ ، وكان العَزَاءَ فى أحزانه
قد قضى اللهُ أن يؤلِّفنا الجر حُ ، وأن نلتقى على أشجانه
كلما أَنّ بالعراقِ جريحٌ لمس الشرقُ جَنْبَه فى عُمانه
وعلينا كما عليكم حديدٌ تَتنزَّى اللُّيوثُ فى قُضبانه
نحن فى الفقه بالديار سَواءٌ كلُّنا مشفِقٌ على أوطانه

تم بحمد الله

---

١ — اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى اقصى الفم .

فهرس

الجزء الثاني من الشوقيات

باب الوصف

صفحة قصيدة

باب النسيب

صفحة القصيدة

١١٢ الهمزة ، مطلع القصيدة :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

[illegible] رقباء

١١٣ سويجع النيل رفقا بالسويداء [illegible] الناتي

[illegible] مادائي

منك ياهاجر دائي [illegible]

الباء ، مطلع القصيدة :

لقد لامني ياهند في الحب لائم محب اذا عد الصحاب حبيب

١١٥ على قدر الهوى يأتي العتاب ومن عاتبت يفديه الصحاب

[illegible] عتبي

[illegible]

١١٧ ما تلك [illegible]

التاء ، مطلع القصيدة :

لا والقدم الذي والأعين اللاتي ماخنت رب القنا والمشرفيات

١١٨ الدال ، مطلع القصيدة :

[illegible] كيدا

[illegible]

[illegible] الفندا

[illegible]

[illegible] ويعيد

١٢٠ هام الفؤاد بشادن [illegible]

[illegible]

[illegible]

قف باللواحظ عند حدك يكفيك فتنة نار خدك

[illegible]

١٢٣ الراء ، مطلع القصيدة :

[illegible] خبر

[illegible]

١٢٥ في ذي الجفون صوارم الاقدار راعي البرية يارعاك الباري

١٢٦ لك أن تلوم ولي من الاعذار ان الهوى قدر من الأقدار

أتغلبني ذات الدلال على صبري اذن أنا أولى بالقناع وبالخدر

١٢٧ قلب بذوب ومدمع يجري ياليل هل خبر عن الفجر

١٢٩ بدا الطيف بالجميل وزارا يارسول الرضا وقيت العثارا

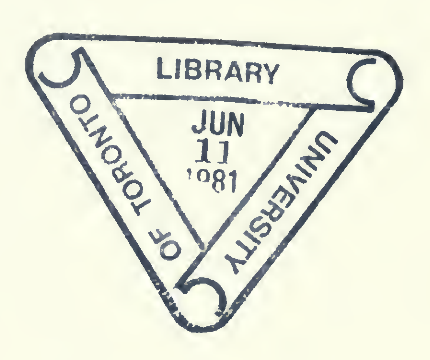
[illegible]

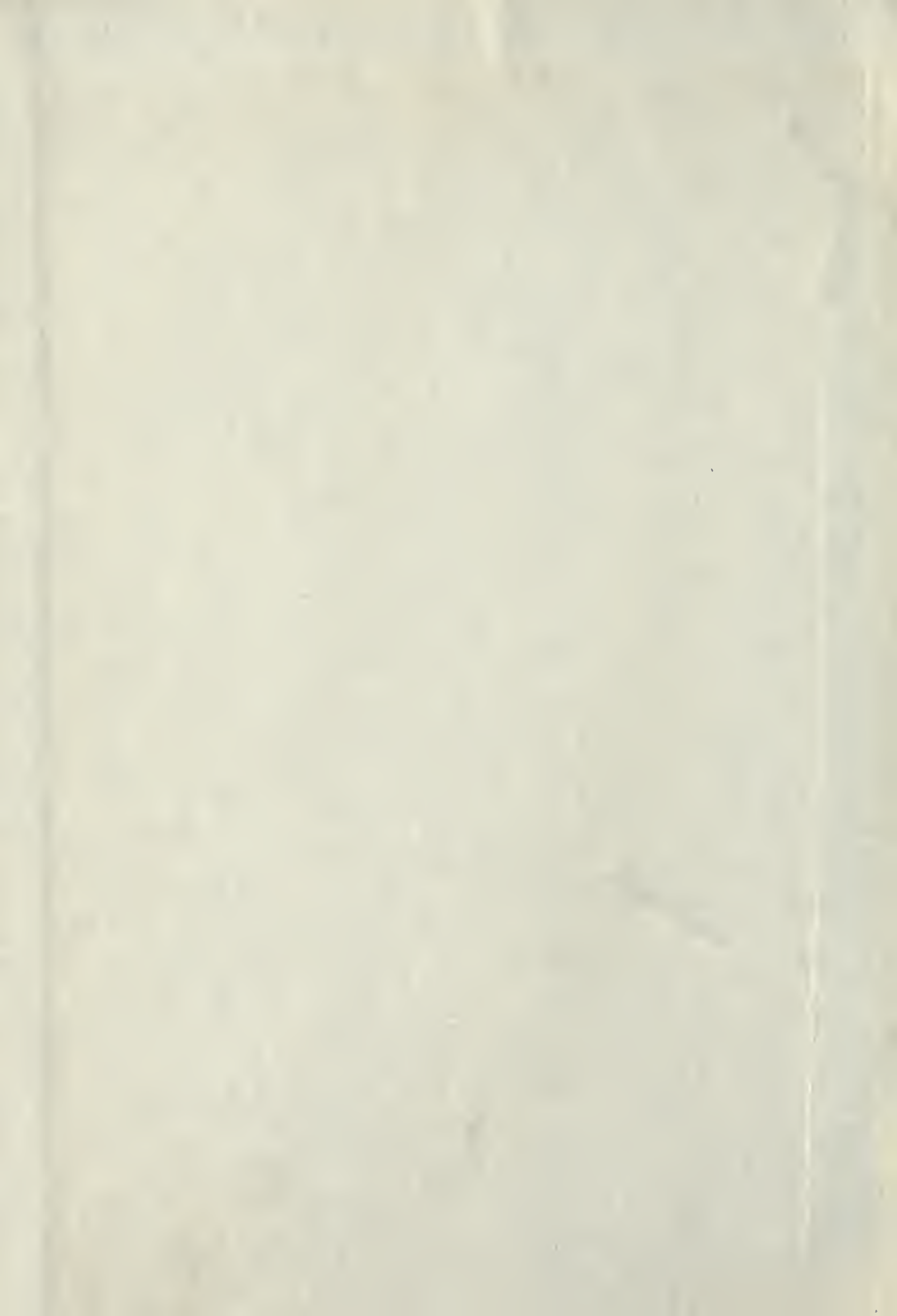
[illegible] فانك دون الطير [illegible]

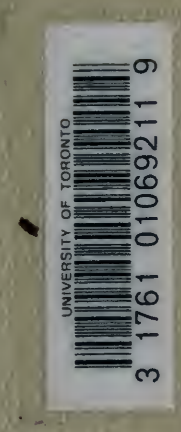
صفحة القافية

متفرقات








UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 01069211 9